جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ميسان/ كلية التربية
قسم اللغة العربية

جماليات الخطاب
في
الصحيفة الرضوية الجامعة

رسالة تقدمت بها

ميادة عبد الامير إسماعيل

إلى مجلس كلية التربية/ جامعة ميسان وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللـــغة العربـــــية وآدابـــــها/الأدب

بإشراف

الاستاذ المساعد الدكتور
مولود محمد زايد البيضاني

١٤٤٠هـ ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُورًا﴾

صدق الله العلي العظيم

الفرقان : ٣٠

إقرار المشرف

اشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ**(جماليات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة)** التي تقدمت بها الطالبة **(ميادة عبد الامير اسماعيل)**، قد جرى تحت إشرافي في كلية التربية/جامعة ميسان، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/الأدب.

التوقيع:

اسم المشرف: أ. م. د مولود محمد زايد البيضاني

كلية التربية/جامعة ميسان

التاريخ: / / ٢٠١٨م

توصية رئيس القسم:

بناءً على التوصيات والشروط المتوافرة ،أُرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: أ. د. جبار عباس اللامي

رئيس قسم اللغة العربية/كلية التربية

التاريخ: / / ٢٠١٨م

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا أطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ**(جماليات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة)**، وقد ناقشنا الطالبة **(ميادة عبد الامير إسماعيل)** في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ووجدنا أنّها جديرة بالقبول لنيـــــــــل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/الأدب بتقدير **(جيد جداً عال)**.

الإمضاء:

الاسم: **أ. د. علي هاشم طلاب**

عضواً

الإمضاء:

الاسم: **أ.م. د خالد محمد صالح**

عضواً

الإمضاء:

الاسم: **أ. م. د مولود محمد زايد**

مشرفاً وعضواً

الإمضاء:

الاسم: **أ. د. جبار عباس نعمة**

رئيس اللجنة

صدقها مجلس كلية التربية / جامعة ميسان على ما جاء في قرار اللجنة أعلاه.

الإمضاء:

الاسم: **أ. د. هاشم داخل حسين الدراجي**

عميد كلية التربية/ جامعة ميسان

/ / ٢٠١٩م

الإهداء

إلى الأئمة الرّاشدين، والقادة الهادين، والسّادة المعصُومين. . .

وإلى خليفة الله في أرضه، الدّاعي إلى سبيله، والقائم بقسطه. . .

إلى مُنير الحقّ، والنّاطق بالحِكْمة والصّدق. . .

إلى الولي النّاصح، سفينة النّجاة، وعلم الهُدى. . .

إلى الذي يملأُ الأرض عدلاً وقِسْطاً . . .

إليك يا صاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى مخرجك الشريف) .

وإلى أبي الذي رافقني في متابعة مسيرتي العلمية .

وإلى أمي نبع الحنان التي ترى الحياة في نجاحنا .

وإلى أخوتي إسماعيل ومروة وزهراء وعلي ومحمد .

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا .

شكر وتقدير

بعد حمد الله والثناء عليه على ما أنعم علي به من نعمة إكمال رسالتي هذه، فإن من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق لذا؛ فإني أتوجه بما لا مزيد عليه من الشكر والامتنان إلى عائلتي ممثلة بوالدي الكريمين اللذين رافقني دعاؤهما ورافقهما همّي إلى أن أتممت العمل على هذه الرسالة، وكذلك أخوتي (إسماعيل ومروة ونرهراء وعلي ومحمد) الذين كانوا خير عون وسند لي، فجزاهم الله عني خير الجزاء واحسنه، واتقدم بوافر الشكر إلى استاذي المشرف الدكتور (مولود محمد زايد) الذي كانت توجيهاته وملاحظاته القيمة منارا اهتدي به في ظلمات البحث فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين.

والشكر موصول إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية الذين تعاهدوني برعايتهم الأبوية في مرحلة الدراسة الأولية، ومرحلة الأعداد للماجستير، واخص منهم بالذكر السيد رئيس القسم الدكتور جبار عباس اللامي والدكتور علي موسى الكعبي والدكتور محمد مهدي الساعدي والدكتور سراج محمد يعقوب جزاهم الله خير جزاء عالم باذل لعلمه.

وكذلك أُسطر آيات الشكر والامتنان إلى زملائي في الدراسات العليا الذين شاركوني هم البحث والدراسة وفقهم الله لكلّ خير وصلاح، ولا يفوتني أن أتقدم بالامتنان إلى موظفات مكتبة كلية التربية اللواتي بذلن الجهد الكريم من أجل أمدادنا بالمصادر الضرورية والمراجع المهمة دعائي لهن بالصحة ودوام العافية، وكذلك القائمين على مكتبة العتبة العباسية المقدسة ومكتبة المجر الكبير العامة، فلهؤلاء الكرام جميعا اقدم شكري وامتناني داعية المولى القدير لهم بالصحة ودوام العطاء والتوفيق لكلّ خير وسداد.

فهرست المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – ج
التمهيد: الدعاء بين السمة الجمالية وبين السمة الخطابية	١ – ١٨
أولاً: السمة الجمالية	٢
ثانياً: السمة الخطابية	٦
ثالثاً: السمة الخطابية في أدعية أهل البيت (عليهم السلام)	١٤
رابعاً: التعريف بالصحيفة الرضوية الجامعة	١٧
الفصل الاول: استراتيجيات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة	١٩–١١٥
توطئة: مفهوم استراتيجيات الخطاب	٢٠
المبحث الأول: الاستراتيجية الاقناعية	٢٤–٦٤
أولاً: مفهوم الاستراتيجية الاقناعية ومسوغاتها	٢٤
ثانياً: وسائل الاقناع	٣٠
١– آلية التناص	٣١
٢– آلية التتابع السببي	٥٥
٣– آلية الروابط الحجاجية	٦٠
المبحث الثاني: الاستراتيجية التوجيهية	٦٥–٨٥
أولاً: مفهوم الاستراتيجية التوجيهية	٦٥
ثانياً: مسوغات استعمالها	٦٦
ثالثاً: وسائل الاستراتيجية التوجيهية	٦٧
١– الأمر	٦٨

فهرست المحتويات

٢- النهي	٦٨
٣- الاستفهام	٦٩
٤- الاغراء والتحذير	٧٠
٥- العرض والتحضيض	٧٠
٦- النداء	٧١
المبحث الثالث: الاستراتيجية التأثيرية	٨٦-١١٥
أولاً: مفهوم الاستراتيجية التأثيرية	٨٦
ثانياً: مسوغات استعمالها	٨٦
ثالثاً: وسائل الاستراتيجية التأثيرية	٨٧
١- آلية السرد	٨٨
٢- آلية الفنون البلاغية	٩٦
٣- آلية العنصر الإيقاعي	١٠٥
الفصل الثاني: سلطة الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة	١١٦-١٧٣
توطئة: مفهوم السلطة	١١٧
المبحث الأول: سلطة المرسِل	١٢٢-١٤٥
أولاً: علاقة المرسِل مع بقية عناصر عملية التوصيل	١٢٤
ثانياً: محاور سلطة المرسِل في خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة	١٢٧
المبحث الثاني: سلطة المرسَل إليه/المتلقي	١٤٦-١٧٣
أولاً: علاقة المرسَل إليه مع بقية عناصر عملية التوصيل	١٤٨
ثانياً: آفاق سلطة المرسَل إليه في العمل الأدبي	١٥١

فهرست المحتويات

الفصل الثالث: سياقات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة	١٧٤-٢٤٤
توطئة: أولاً: مفهوم السياق ثانياً: أشكال السياق في الصحيفة الرضوية الجامعة	١٧٥
المبحث الأول: السياق الخارجي (الإطار العام)	١٨١-٢١٢
أولاً: السياق الفكري (مقومات الخطاب)	١٨٢
ثانياً: السياق الخارجي (الزمان – المكان – الحال)	٢٠٢
المبحث الثاني: السياق الداخلي (البناء الداخلي)	٢١٣-٢٤٤
أولاً: بنية الاستهلال	٢١٤
ثانياً: روابط النص	٢٣١
الخاتمة	٢٤٥-٢٤٩
المصادر والمراجع	٢٥٠-٢٦٩
الملخص بالإنكليزية	C-A

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحِيم

الحمدُ لله ربّ العالمينَ والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمّدٍ المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد...

يُعد تراث الأدب العربي المنبع الاصيل الذي يزودُنا بمعرفة أهم اللحظات والمحطات البارزة في تطور الحياة العربية بنشاطاتها المختلفة منذ العصر الجاهلي وحتى وقتنا الحاضر، ونقف عند تراث الأدب الإسلامي الذي اكتنز ثرَاءً وغنى من حيث الموروث الثقافي الإسلامي الأصيل، فهو الصورة الناطقة والمعبرة عن الظروف العامة للأُمة الإسلامية على مختلف العصور. ويشكل الدعاء معلماً مهماً من معالم ذلك التراث الأدبي الذي جاء به الإسلام. فنلحظ وفرة النصوص الدعائية وكثرتها اللافتة، وتخللها لمختلف الميادين في حياة الفرد المسلم، وخاصة في جانبِها العبادي عبر المناجاة الوجدانية مع الله جلّ وعلا.

ومن بين ذلك التراث الواسع توجهنا لدراستِنا هذه، وبتوجيه من أستاذي المشرف (د. مولود محمد زايد البيضاني) الذي كان له الفضل في إرشادي، إلى أحد أهم الصحف الحاملة لمخزون أدب الأئمة المعصومين (عليهم السلام) خاصة في مَيدان الدعاء ألا وهي الصحيفة الرضوية الجامعة التي تحتوي على أدعية الإمام الرّضا (عليه السلام) وأبنائه الأربعة الذين عرف كُلّ واحد منهم بـ(ابن الرّضا) وهم (الإمام محمّد بن علي الجواد (ع) والإمام علي بن محمّد الهادي (ع) والإمام الحسن بن علي العسكري والحجّة بن الحسن المهدي (عجل الله تعالى فرجه) فكانت هذه الصحيفة المباركة مدونة بحثنا الذي وقفنا من خلالها ملقين النظر على تراث الأدب الإسلامي وخاصة تراث أئمتنا الأطهار (عليهم السلام)، وقد تميزت أدعيةُ الصحيفة بصياغِتها الفنية المؤثرة الغالب عليها السمة الوجدانية وذات البعد الجمالي؛ ذلك لكون الدعاء يمثل أسمى صور التعبير عن خَلجات النفس وانفعالاتِها أمام خالقِها عزّ وجلّ. بلغة اتسمت بالبلاغة العالية وبأساليب تعبيرية محققة لجمالية النص وأدبيته الآسرة. لتوافر عناصر الجمال في بنيته من جمال اللغة والأسلوب والعاطفة وجمال الفكرة ولاحتوائِها على قيمٍ معرفيةٍ وجماليةٍ وروحيةٍ متنوعة،

فضلاً عن تميز أدعيةِ الأئمة (ع) في معالجتِهم للسياق الثقافي والاجتماعي المنحرف بفضل السياسات الحاكمة آنذاك.

فكان الدعاء وسيلة الأئمة (ع) لتنفيذ مشروعِهم الاصلاحي في توجيه الأمة الإسلامية والتعديل من سلوكياتها المنحرفة بطريقة غير مباشرة فجاء خطابُهم التوجيهي ضمناً مع مختلف موضوعات أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة ومن هنا كان عنوان هذه الرسالة (جماليات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة) توافقاً وانسجاماً مع تلك الصياغة المميزة العالية التي انطوت عليها، وفي محاولة توجيه دراساتنا الأكاديمية نحو النظر إلى هذا التراث الأدبي الإسلامي الضخم بأجناسه الأدبية المختلفة الثرية بشكلها ومضمونها. وهدفت الرسالة إلى دراسة جماليات الخطاب من منظور الدراسات الحديثة وخاصة آليات المنهج التداولي مُخضِعة إياه للنظرة الجمالية التي تفترض الهدف الفني كركيزة أساسية تنطلق منها موجهات تشكل النص وتحقق غاياته الدلالية، فالدعاء نص تداولي تواصلي بلاغي يجمع بين المتعة والفائدة كالإقناع أو التوجيه أو التعريف بحقيقة القضية المعروضة وغير ذلك من الغايات المحكومة بسياقها التداولي وببنائِها الفني.

وجاءت خطة الرسالة مبنية على ثلاثة فصول تقدمها تمهيد حمل عنوانَ (الدعاء بين الخصوصية الأجناسية وبين السمة الخطابية) استعرضنا فيه أهم الأطر الفكرية المحيطة بموضوع الرسالة، والموزعة بين الخصوصية الأجناسية للدعاء وبين سمته الخطابية. وجاء الفصل الأول حاملاً عنوان (استراتيجيات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة) وتضمن ثلاثةَ مباحث: المبحث الأول الاستراتيجية الاقناعية التي لمسناها في أدعية الصحيفة، وفي المبحث الثاني تناولنا الاستراتيجية التوجيهية لتلك الأدعية أما المبحث الثالث فكان لدراسة الاستراتيجية التأثيرية التي تبنتها أدعية الصحيفة المباركة، وتناولنا في الفصل الثاني (سلطة الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة) وعبر مبحثين: المبحث الأول استعرضنا فيه سلطة المرسِل في الخطاب وكيف تجلت في أدعية الصحيفة، والمبحث الثاني سلطة المرسَل إليه/المتلقي وأهم تجلياتها في الأدعية المدروسة، وأما الفصل الثالث فخصصناه لدراسة (سياقات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة) وعبر مبحثين: المبحث الأول منهما كان عن السياق الخارجي الذي أسميناه بـ(الإطار العام) والذي توزع بين السياق الفكري (مقومات الخطاب) وبين السياق الخارجي (الزمان والمكان والحال)، وألقينا الضوء في المبحث الثاني على السياق الداخلي الذي أسميناه بـ(البناء الخاص) وتناولنا فيه كُلّاً من بنية الاستهلال وروابط النص، ثم الخاتمة التي احتوت على أهم النتائج التي توصلت

إليها الرسالة بعد ما أكملت رحلتها البحثية، ومن ثُم ذكر المصادر والمراجع. وقد كان المنهج الذي سارت عليه الدراسة في الوصول إلى غايتها المقصودة يتمثل بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة الأدبية وتحليل عناصرها البنائية المشكلة لها.

ومن الدراسات السابقة نذكر، منها: أدعية الصحيفة السجادية دراسة تداولية للباحث عمار حسن عبد الزهرة (رسالة ماجستير)، جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٥م، وأدعية الصحيفة السجادية دراسة في ضوء علم اللغة النصي للباحثة منتهى عناد نمل الموسوي (اطروحة دكتوراه) جامعة البصرة –كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٤م، والخطاب الحجاجي في فكر الإمام الرضا عليه السلام (أهل الكتاب مثالا) دراسة تحليلية، للدكتور حسين عبيد شراد الشمري (بحث)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية المجلد١٥ العدد٤/٢٠١٢م، وهذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر التي دلت على تنوع الدراسات لأدعية الأئمة (عليهم السلام) دراسة في ضوء المناهج الحديثة كالتداولية وتحليل الخطاب وتتقارب رسالتنا مع تلك الدراسات في الإفادة من المناهج الحديثة خاصة المنهج التداولي في دراسة جماليات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة.

وأما الصعوبات التي واجهتها الرسالة فكان أهمها مسألة إثبات ما كانت تهدف إليه الرسالة من خلال السير بين توجهين مختلفين في دراسة النص الأدبي محاولة التوفيق بينهما والخروج بنتائج طيبة ومقنعة. وهذانِ التوجهانِ يتجسدانِ في الإمساك بالبعد الجمالي الذي قامت عليه الوظيفة الخطابية لأدعية الصحيفة الرضوية المباركة إلى جانب مقاربة البعد الخطابي لأدعية الصحيفة، فضلاً عن ندرة المصادر التي انتهجت هذا النهج ونحت هذا النحو في الدمج بين هذينِ الاتجاهينِ التحليلينِ. أما أهم المصادر التي أفادت منها الرسالة فمنها كتابا (تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي) و(الإسلام والفن) للدكتور محمود البستاني وكتاب (البلاغة والأسلوبية) للدكتور محمّد عبد المطلب وكتاب (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية) للدكتور عبد الهادي بن ظافر الشهري وكتاب (استقبال النص عند العرب) الدكتور محمد رضا مبارك وكتاب (استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مقاربة تداولية) تأليف باسم خيري خضير، وكتاب (الخطاب والنص) الدكتور عبد الواسع الحميري، ورسالة (نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث) للباحثة سحر كاظم حمزة الشجيري. وتجدر الإشارة هنا إلى أن طبيعة الموضوعات التي تناولتها الرسالة ووجودها مبثوثة بين ثنايا الأدعية المباركة؛ قد فرض علينا أحياناً طول النصوص المقتبسة، وتكرار بعضها في مباحث مختلفة؛ لملاءمتها للطبيعة

المختلفة لكلّ مبحثٍ نظراً لثراء نصوصها وتنوع دلالاتها ومكموناتها الخطابية. ولابدّ هنا أن أُقدم وافر شكري إلى الدكتور (مولود محمد زايد البيضاني) المشرف على الرسالة لجهده المتميز في الإشراف العلمي الدقيق وتوجيهاته السديدة حرصاً منه على أن تقوم الرسالة على أكمل وجه مرجوّ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأخيراً أرجو أن أكون قد أعطيت الموضوع ما يستحقه من الاهتمام والمتابعة وأعتذر عن أي خطأ صدر مني بقصد أو بدونه، محكوماً بالطبيعة الإنسانية المطبوعة على النقص. حيث أن الكمال لخالق الكمال وحده–جلّ وعلا. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

التمهيد

التمهيد

الدعاء بين السمة الجمالية وبين السمة الخطابية

تستوقفنا على عتبات البحث في نصوص الصحيفة الرضوية الجامعة مسألتان مهمتان لا بدّ من المرور بهما لأهميتهما الماسة بموضوع الدراسة، كونهما تشكلان اطاراً فكرياً يحدد الكثير من مسارات هذه الدراسة وينير الكثير من جوانبها، وسنحاول استعراض كلّ مسألة على حدة.

أولاً: السمة الجمالية:

للحديث عن السمة الجمالية أو الجماليات في الدعاء بصورة عامة وفي أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة بصورة خاصة لابدّ من معرفة مفهوم الجمال في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، جاء الجمال في المعاجم اللغوية بمعنى الحسنُ والبهاء، أي الشيء الجميل كما ورد في (لسان العرب) الجمال: مصدر الجْمِيل والفعل جَمُل وقوله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾[1] ؛ أي بهاء وحسن، ويذكر ابن منظور ما ذهب إليه ابن سيده في الدلالة على ان الجمال يكون في الفعل أي التصرفات والأعمال التي يقوم بها الشخص فضلاً عن جمال الخَلْق أي المظهر والشكل الخارجي أو هو كُلّ ما هو محسوس ومتناسب في اقسامه وأجزائه فهو حَسنٌ (جميل) يجذب النظر إليه. الجَمَال الحسن يكون في الفعل والخَلْق، ونشهد تعزيز هذه النظرة عند ابن الأثير كذلك عندما قال: والجَمَال يقع على الصور والمعاني؛ فيكون الحكم بالجمال صادراً على الاشياء، من ناحية شكلها الخارجي كلّ ما هو محسوس ومرئي، ومن ناحية آخرى يكون الحكم صادراً على معنى الأشياء أي مضمونها الداخلي، فالجمال ذات يؤسسه قطبان الأول خارجي حسي وفني بالنسبة للأعمال الأدبية، والثاني معنوي (مضموني) يتعلق بالفكرة المعروضة داخل ذلك الشكل أو الهيكل الحسي، فحسن الجمال هو ما جمع الأثنين في لوحة واحدة في أي عمل إبداعي[2]

وأما في معناها الاصطلاحي حيث تعرف الجماليات "بأنّها فرعٌ من فروع الفلسفة يهتم بالفنون، ولا سيما بالتلقي الحسي الإدراكي للفن وهي تهتم أيضاً بعمومية أكبر بالإدراك الحسي في الطبيعة وفي

---

(١) النحل:٦.

(٢) ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور: ٣٦٣/٢، وينظر: أساس البلاغة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري:١٤٨/١.

الحياة اليومية."[١] والجماليات (aesthetics) كلمة مشتقة من كلمة (aesthesis) الإغريقية من قبل الناقد الإلماني ألكسندر بومغارتن في القرن الثامن عشر وهو اتجاه تاريخي مُغاير في تفسير ومناقشة الفن يؤكد الفاعلية الذاتية للمتلقي المدرِك الشاهد أو السامع للخواص الموضوعية للشيء المادي الذي يُحدث الإحساس والشعور بجمالياته[٢]. ويمكن تعريفها بأنّها "مجموعة الصفات في [العمل الإبداعي] التي تبعث مسَّرة واضحة للحواس وخاصة حاسة الرؤية، أو تَسحر مَلَكَة العقل أو الخُلُق"[٣]. وهذه الصفات في العمل الفني خاصة قد تكون لوجود عنصر الحقيقة وإرضاء النفس، أو ما يوجب فيه وجود ما يثير حساسية الشخص إثارة قوية، وهذا يعني أن الجمال صفة يكتسبها العمل الفني بفضل عناصر مختلفة شكلية ومضمونية تعمل على إثارة انفعال واحساس الآخر المتلقي للعمل الفني[٤].

فالجمالية على قدرِ ما تجلب إحساساً بالمتعة الفنية فإنّها تعنى بالشكل دون المضمون، فهناك وجهٌ آخر لها حيث تعتبر العمل الفني أو الفن بصورة عامة تجربة إنسانية حية تعرض في صورة رائعة ومؤثرة وتجمع بين الفائدة والمتعة؛ لتعاضد الشكل والمضمون. والتعريف الأقرب إلى الجماليات الذي يهم الدراسة هنا في بيان جماليات الخطاب الأدبي هو تعريف أ. د. حسين جمعة للجمالية بوصفها منهجاً نقدياً بأنّها "مواجهة تحليلية لعناصر النص ومكوناته ووظائفه وأهدافه لإدراك الحُسْنِ فيها، فقد غدا النص وحده مصدر القيم الفنية واللّغوية والبلاغية والأسلوبية، فضلاً عن أنّه ذو إيحاءات دلالية متنوعة على صعد شتى في الفكر والتأريخ والمجتمع"[٥].

والجمالية تبعاً لذلك عُرفت كمنهج تحليلي يعنى بالإجابة عن أسئلة الإبداع في النقد الأدبي والذي يرتكز على أربعة عناصر وهي العاطفة والفكرة والأسلوب والخيال، ليخرج بإجابة جمالية نص الخطاب وغايته مهما كان حجمه والكشف عن تضافر الشكل والمضمون وعلاقة اشتراكهما في صياغة النص بهذه الجمالية، أي أنه منهج يبحث في مدى تحقق جمالية العمل الأدبي[٦]. وأن دراسة جماليات

---

(١) مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت – لورانس غروسبيرغ، وميغان موريس، ترجمة: سعيد الغانمي: ٢٥٠

(٢) ينظر: م – ن: ٢٥١–٢٥٢.

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، وكامل المهندس: ١٣٨.

(٤) ينظر: م – ن: ١٣٨.

(٥) التقابل الجمالي في النص القرآني، دراسة جمالية فكرية وأسلوبية، أ. د. حسين جمعة،: ٥.

(٦) ينظر: نثر الإمام الحسين عليه السلام، دراسة تحليلية في جمالية بنية النص، د. حيدر محمود شاكر: ٢٣.

الخطاب الأدبي من خلال تحليل بنيته اللغوية هو في الحقيقية الكشف عمّا يدخل ذلك البناء من رؤى جمالية يتحول الخطاب بفضلها من صفة الإخبار إلى صفة الفنية أو ما يصطلح عليه بالأدبية، وأن هذه الجمالية (الأدبية) هي نتاجُ البنيات اللغوية والأسلوبية الفنية في الخطاب الأدبي. وهذا ما يحاول البحث بيانه ودراسته في الفصول المقبلة متخذاً له مساراً مجاوراً لمنهجية الدراسات النمطية القائمة على دراسة الخطاب الأدبي وتحليله، حيث تتطرق تلك الدراسات السابقة لدراسة بنياته اللغوية والتركيبية والإيقاعية والدلالية[1] فقد استنجد البحث بمنهج الدراسات اللسانية (التداولية) في تحليلها للخطاب الأدبي؛ وذلك لأن الدُّعاء نصٌ متداول تواصلي بلاغي يجمع بين المتعة والغاية أو الفائدة وهي أما الاقناع أو التوجيه أو التعريف بحقيقة القضية المطروحة...إلخ. وهي نظرة مزجت فيما بين هدفها الأول وهو البحث والكشف عن جماليات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة، وهدفها الآخر دراسة الخطاب الدُّعائي في ضوء المناهج اللسانية الحديثة مع تركيز البحث في تطويع آليات المنهج اللساني (التداولي) لهدف وغاية البحث الأساسي هو بيان مواقع السمة الجمالية في الدُّعاءِ، تبعاً لذلك تعد نصوص الأدعية من النصوص الأدبية المتسمة بسماتٍ أسلوبية وتعبيرية مؤثرة حاول المبدع (الإمام عليه السلام) عبرها توجيه مختلف خطاباته الدينية المتضمنة لقضايا التوحيد والعقيدة، والاجتماعية المتعلقة بشؤون وظروف مجتمعه، والسياسية المتعلقة ببيان سياسة الحكام آنذاك، والفكرية المعرفية في بيان قضايا كونية وأمور غيبية لبعض الأحداث التي جرت أو ستجري في عالم الدنيا وعالم الآخرة من البعث والنشور. إلى متلقي تلك النصوص من القرّاء والسامعين، لملامسة احاسيس المتلقين وعواطفهم عبر البنيات الجمالية التي أنمازَ بها الخطاب الدُّعائي، التي أبعدتها عن اللغة التقريرية المباشرة إلى لغةٍ وأسلوبٍ يتصف بعمق أدبي وجمالي تزخر بطاقات دلالية غنية بالإيحاء والإيماء تارةً وبالوضوح والمباشرة تارةً آخرى، مما أضفت لنص الدُّعاء حركة وحيوية ومنحّه شيئاً من سمات الشعرية أو بعداً جمالياً. فالدُّعاء مكتنز بجماليات تدلّ على إمكانية المبدع/الإمام وقدرته العالية من ناحية مستوى اللغة والفصاحة والبلاغة ومعرفة ثقافية واسعة، لصياغة الدعاء بهذه الصياغة الجميلة الموحدة بين الغرضين القائم عليهما الدُّعاء ألا، وهما: الغرض الديني وهو غرضٌ تمثل في القسم الأبرز والمتجلي للعيان في الدعاء بالتضرع والتوسل، والغرض الفني المتحقق والمتجلي في مستويات اللغة جميعها ما بين المستوى الصوتي واللفظي والتركيبي والصوري والدلالي والإيقاعي في جعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير

(١) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي فكري محمد: ١٧٢-٢٣٩.

الوجداني، فالدعاء أو نصوص الأدعية تُخاطب حاسة الوجدان بلغة الجمال الفنية المتفقة مع جمال الفكرة أو الموضوع المعروض في ثنايا وخفايا اللغة الدُّعائية وأساليبها المتنوعة.

ويمكننا القول: إن الجمال في الدُّعاء حمل عدة وظائف إلى جانب وظيفته الأولى وهي اللذة والمتعة، بسماع لغته الشعرية من جرس صوتي متميز، وألفاظ فصيحة عذبة، وجمل وعبارات متناسبة من خلال توازيها تركيبياً أو توافقها دلالياً وهكذا كما سيتضح معنا لاحقاً. فهو يقوم _الى جانب ذلك_ بوظيفة تربوية فيكون نموذجاً يهدف الى تهذيب النفوس وتربية الطباع، ويقوم أيضاً بوظيفة تنفيسية وتطهيرية حين يخفف من اعباء المتلقي وما تعتريه من هموم ومشاكل، فتتقوى نفسيته ويتطهر من أحساس الهم والغم ذلك الإحساس المسيطر على ذهنه، فيحس براحة نفسية عند ما يستمع لدّعاءٍ يُعالج فيه ما يماثل حالته النفسية المُتأزمة، فضلاً عّما يقوم به من وظيفة معرفية من خلال ما يقدمه نص الدُّعاء من رسمِ ملامحٍ واعطاء صورٍ عن الواقع المعاش في عصر الائمة أو صور لعالم الآخرة مما تستوجب من المتلقي التحليل والفهم والتفسير فينمى وعيهم وإدراكهم وتتقوى حصيلتهم المعرفية الثقافية. وهذه الوظائف نجدها تتفق وتتلاءم مع ما يهدف إليه الدُّعاء تماماً من جذب انتباه المتلقي باللغة الفنية الجميلة؛ لأجل توجيهه لفعل ما، أو لأجل إقناعه بفكرة أو موضوعٍ ما، أو لأجل إحداث شعور جميل عند المتلقي في مواضع تستوجب ذلك البناء الفني الجمالي المخصوص، فيتأثر بجماليته البنائية الفنية، التي سيناقشها البحث في الفصول القادمة وخاصة في الفصل الأول (استراتيجيات الخطاب) الذي جمع بين البعد الجمالي والبعد التواصلي في الخطاب الدُّعائي وبيان كيفية تعاضد البعدين في إنجاح تواصلية الخطاب الدُّعائي[1]. فجماليات الخطاب الدُّعائي قد استوقف البحث عندها مبيناً أن تلك الجماليات قد وظفت في الدُّعاء كخطاب تواصلي وتداولي في مناسبات وأوقات مختلفة، ولكل خطاب استراتيجياته المتسمة بالتوظيف الدقيق لمستويات اللغة والأساليب الفنية التي أعتبرها البحث آليات تلك الاستراتيجيات فضلاً عن أثر بقية الفصول في بيان بعض الجماليات المخزونة في الخطاب الدّعائي.

(١) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني: ٥٢.

ثانياً: السمة الخطابية:

قبل تحديد المقصود بالسمة الخطابية للدعاء سنحاول أن نستعرض الخارطة المفهومية لكلّ من (النص) و(الخطاب) ومدى تطابق أو اختلاف الوجه العلائقي بينهما:

أ- النص:

من الصعب الوقوف على مفهوم محدد لمصطلح النص؛ لتعدد دلالاته وتنوعها وذلك تبعاً لتنوع اتجاهات الباحثين، ولكونه مصطلحاً أُستخدم في الحقول المعرفية المختلفة (العلمي، والأدبي، والفلسفي،...إلخ) وفي كلّ حقل منها تعريف للنص يتوافق مع وجهة نظرهم، فهو بمثابة الجسر الممتد بين هذه الحقول المعرفية المختلفة، وسنحاول الرجوع إلى المعاجم العربية القديمة لمعرفة فيما إذا كان المفهوم اللغوي لمصطلح (النص) قد تباين مع المفهوم الاصطلاحي أم لم يتباين؟ ومع التطور الاصطلاحي الذي شهده مفهوم النص، فقد ورد في (لسان العرب) "النصُّ: رفعك شيء. نص الحديث ينصَّه نصّاً: رفعه وكلّ ما أُظِهر فقد نُصَّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصّ للحديث من الزَّهري أي أَرفَعَ له وأسند، يقال نَصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصُته إليه، ونص المتاع نصّاً: جعل بعضه على بعض،...، ومنه أيضاً قول الفقهاء: نصَّ القرآن ونصَّ السنة أي ما دلّ ظاهر لفظها عليه من الاحكام"[(١)] فنجد معاني النص في المعاجم العربية القديمة تباينت ما بين (الرفع والظهور، والاسناد، أي أسناد الشيء إلى صاحبه، وأقصى الشيء وغايته، وهي معاني سياقية، في سياق استعمالها) ونص القرآن والسنة أي الأحكام الشرعية الثابتة، فنص الحكم الشرعي ثابت معناه لا يقبل التأويل، وأما عند الأصوليين، فقد تعددت تعريفاته منها فالنص هو "ما أزداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى،...، وما لا يحتمل إلا معنى واحداً، وقيل ما لا يحتمل التأويل"[(٢)] ونجدها كلّها لا تخرج عن حقيقة واحدة وهي أن النص عندهم يشير إلى ما يدلّ على معناه بدلالة اللفظ، ولا يقبل التأويل[(٣)]. وثمة من عرف النص بأنّه ما استوى ظاهره

(١) لسان العرب:٩٧/١- ٩٨، وينظر: أساس البلاغة:٧٥٥، وينظر: القاموس المحيط، الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: ٨٥٨/١.

(٢) التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي: ٢٠٢- ٢٠٣.

(٣) ينظر: الخطاب والنص، المفهوم- العلاقة- السلطة، د. عبد الواسع الحميري: ٣٩.

وباطنه، ونجد في هذا التعريف أن للنص ظاهراً وباطناً، أي أنّه عبارة عن وحدة لغوية مركبة، أي أنّه كلام مشروط بالكلية والتركيب وله معانٍ أولى (الظاهرة) ومعان ثانوية (خفية)[١].

وأما المفهوم الاصطلاحي للنص فنجد تعدد تعريفاته ما بين (نحوي، وتداولي، ولساني، وسيميائي،...) ونذكر منها تعريف برينكر (brinker) للنص بأنّه: "تتابع مترابط من الجمل"[٢] وهذا التعريف ينطلق من منظور نحوي عاداً النص مجرد عدد من الجمل يوجد بينها رابط ما (الواو مثلاً). وهناك من ربط بين النص ومضمونه مثل (سوينسكي) فعرف النص بأنّه: "إبداعات لغوية يستدعيها واقع معين أو وجهة نظر فعلية معينة ويجب أن تدرك في إطار هذه الخاصية على أنّها أبنية للمعنى"[٣] فتعريفه هذا للنصوص بأنّها (إبداعات لغوية) تتطلب ظروف معينة وموقف معين للتعبير عن فكرة أو قضية ما، فيكون النص هو بمثابة الغطاء الحامل في داخله الفكرة أو القضية، فكلّ الأعمال الفنية تكون لها أبنية أولية تعبر من خلالها إلى الجوهر والمضمون. فيمكننا أن نشير إلى كثرة تعريفات النص وتباينها فبعضها ركز على المظهر الخارجي كونه ترابط من الجمل وبعضها عرفه من خلال رؤية اتصالية كما نجد في تعريف كُلّ من (هارتمان، وشميث...) فقد حدّه (هارتمان) بأنّه: "علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي. [وعلى الرغم مما يتسم به من عمومية إلا أنّه يقدم خاصية له وهي ارتباطه بموقف اتصال من جهة وإمكان تعدد تفسير العلاقة النصية من جهة آخرى، أما (شميث) فقد عرفه بأنّه] جزء حُدِّدَ موضوعياً (محورياً) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازية)"[٤]. ويقصد بـ(محدد موضوعياً) وحدة الموضوع الذي يدور حوله النص في موقف اتصالي ووحدة مقصدية النص. ونجد (دي بوجراند) في الفروق الجوهرية التي حددها بين النص و الجملة، قد أدخل مصطلح النص في تشابك مع الخطاب؛ لأن النص يمثل المظهر الخارجي الملفوظ في الخطاب والذي يتم من خلاله التعرف على أنواع الخطاب، ومن هذه الفروق نذكر ما يأتي:

١- "إن النص نظام فعّالActual System على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضي Vertual System.

---

(١) ينظر: الخطاب والنص: ٤٠.

(٢) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري: ١٠٣.

(٣) م – ن: ١٠٥.

(٤) م – ن: ١٠٨.

٢- ينبغي على النص أن يتصل بموقف يكون فيه Situation of Occurrence تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات Strategies والتوقعات Expectations والمعارف Knowledge وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف Context، أما التركيب الداخلي للنص فهو سياق البنية Text، وهذا الفرق أوضح للخطاب منه للنص، فالخطاب إبلاغي تواصلي تتفاعل فيه طرفا الخطاب وفي سياق معرفي وثقافي واجتماعي وزمان ومكان محدد (سياق الموقف).

٣- ولا يمكن النظر إلى النص بزعم أنّه مجرد صورة مكونة من الوحدات الصرفية Morphemes أو الرموز، أن النص تجلٍ لعمل Action إنساني ينوي به شخص Intends أن ينتج نصاً ويوجه Instructsالسامعين به إلى أن يكون يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة"[١].

فهذا الفرق أوضح للخطاب الذي يوجه إلى التأثير في السامعين ضمن ممارسة اجتماعية، والهدف منه بناء علاقات (اجتماعية، وسياسية، واقتصادية...إلخ)، وقوله للسامعين، يعني أنّه خطاب شفوي ويحدد قاموس الألسنية الفرنسي (لاروس) مفهوماً للنص فيقول: "إن المجموعة الواحدة من الملفوظات، أي الجمل المنفذة، حين تكون خاضعة للتحليل، تسمّى نصاً، فالنص عينة من السلوك الألسني وإن هذه العينة يمكن أن تكون مكتوبة أو محكية"[٢]، ويعرفه (پول ريكور): "لنسمِّ نصاً كُلَّ خطاب تَثبتْه الكتابةُ،...، بأن التسجيل سواء كان تخطيطاً أو تدويناً هو تسجيل للكلام تسجيل يضمن للكلام ديمومته بواسطة خاصية النقش الدائمة"[٣].

فهي تعريفات تكاد تلتقي في توجهها نحو تثبيت مفهوم النص يتعالق فيه مع بعض مقومات الخطاب التي تضع النص في سياق تداولي سلوكي.... ومن المنظور اللساني الوظيفي (التداولي) أيضاً عّرف (هاليداي) النص بأنّه: وحدة لغوية في طور الاستعمال، وهو لا يعني بالوحدة اللغوية هنا، الوحدة النحوية التي ربما تكون الجملة أو شبه الجملة، وإنما يعني بها (الوحدة الدلالية) التي قد يكون أساسها الكلمة أو الجملة أو العمل الأدبي بكامله،...[٤] وتعرف (جوليا كريستيفا) النص بأنّه "جهاز غير لساني، يُعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الاخبار المباشر

(١) النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بو جراند، ترجمة: تمام حسان: ٨٩- ٩٢.

(٢) النص ودلالات الصمت، د. نابي بوعلي (بحث): ٩.

(٣) من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، پول ريكور، ترجمة: محمد برادة وحسان بورقية: ١٠٥-١٠٦.

(٤) ينظر: الخطاب والنص: ١٠٩.

وبين انماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه"[١]. ونستنتج من هذا التعريف أن النص هو عملية إنتاجية، له علاقة باللسان، ونجد في النص الواحد مجموعة إشارات مأخوذة من نصوص سابقة أو متزامنة تشكل (التناص) وهي تقصد بذلك النص الأدبي، "وكل نص هو حتماً: نص متداخل، وهذه المداخلة تتم مع كلّ حالة إبداع لنص أدبي، ولا وجود للنص البريء الذي يخلو من هذه المداخلات"[٢].

وبعد استعراض كلّ هذه الأقاويل التي حاولت تقديم تعريف مقنع عن (النص) ومن زاوية نظر مختلفة، يستخلص (د. محمد مفتاح) المقومات الجوهرية للنص، وهي

– "مدونة كلامية: يعني أنّه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية ...

– حدث: ان كلّ نص حدث يقع في زمان ومكان معينين، لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

– تواصلي: يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف وتجارب... إلى المتلقي.

– تفاعلي: تقيم علاقات اجتماعية بين افراد المجتمع وتحافظ عليها.

– مغلق: انغلاق سمته الكتابية الأيقونية ولكن من الناحية المعنوية هو:

– توالدي: ان الحدث اللغوي ليس منبثقاً من عدم وانما متوالد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية... وتتناسل منه احداث لغوية آخرى لاحقة له"[٣].

ومن خلال هذا الاستعراض لأهم الحدود المعرفية التي وصفها النقاد لمصطلح (النص) يمكننا تلمس هذا التداخل بين مفهومي (النص) و(الخطاب) الذي سنحاول أن نجلوه بشكل أقرب في الصفحات الآتية.

ب– الخطاب:

مصطلح الخطاب شأنه شأن المصطلحات النقدية الحديثة التي تعددت وتنوعت دلالاتها، نظراً لتنوع اتجاهات الباحثين فمن العسير الوقوف على تعريف محدد له، فهو مصطلح له استعمالات كثيرة في ميادين الحياة المختلفة، فهناك الخطاب العلمي والخطاب التربوي والخطاب السياسي والخطاب

(١) علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي ومراجعة: عبد الجليل ناظم: ٢١.

(٢) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، د. عبدالله محمد الغذامي: ١٥.

(٣) تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، د. محمد مفتاح:١٢٠.

الفلسفي والخطاب الأدبي...إلخ، فالخطاب هو توصيل رسالة معينة (قد تكون فكرة ما أو قضية أو حدث أو وجهة نظر) موجهة إلى متلقي معين وضمن ظروف سياقية محددة. ولتوضيح ذلك التداخل نلمس دلالته في معاجم اللغة والاصطلاح ، فقد ورد في (لسان العرب) "الخطبُ: الشأن أو الأمر صغر أو عظم؛ وقيل هو سبب الأمر يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ ونقول هذا خطبٌ جليل، وخطبٌ يسير، والخطاب والمخاطبة: مُراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبانِ"[١] وقد تضمن تعريف (ابن منظور) للخطاب بأنّه (مُراجعة الكلام...) ما تعارف عليه في الاصطلاح بأنّه هو التلفظ بالملفوظ، وهو يُشير أيضاً إلى عملية المخاطبة أو التخاطب، قائمة على المحاورة الشفاهية وركنا المخاطبة هما: المخاطِب والمخاطَب (المتكلم والسامع).

وأما التعريف الاصطلاحي للخطاب، فقد تعددت تعريفاته وتنوعت كثيراً، لتنوع استخداماته في أكثر من حقل معرفي، ويعد العالم البريطاني (هاريس) أول من استخدم مصطلح الخطاب في كتابه (تحليل الخطاب) وعرفه بأنّه: "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني"[٢] فتعريف (هاريس) للخطاب من ناحية لغوية كان بأنّه متتاليات من الجمل وملفوظ طويل، كما أن هذه العناصر أو الجمل التي يتألف منها الخطاب خاضعة لنظام المرتب ترتيباً منظماً ومتوازياً، وليس بشكل اعتباطي[٣] ولذا فهو تعريف أقرب إلى النص منه إلى الخطاب. وعرفه (إميل بنفيست) بأنّه: "كلّ تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير في السامع"[٤]، ونجد تعريف (إميل بنفيست) للخطاب أقرب من تعريف (هاريس) لعملية الخطاب التي هي التلفظ بالملفوظ، قصد التأثير في السامع حيث تتم عملية الخطاب ما بين أطراف الخطاب: (المخاطِب/ المتكلم) و(المخاطَب/السامع) وهو ما يلتقي مع تعريف (تودوروف) للخطاب بأنّه: "أي المنطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمعٍ وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما"[٥].

---

(١) لسان العرب: ١/٣٦٠- ٣٦١، وينظر: الصحاح، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: ١٠٩.

(٢) تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبئير، سعيد يقطين: ١٧.

(٣) ينظر: الخطاب والنص: ٩١.

(٤) تحليل الخطاب الروائي: ١٩.

(٥) استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي عليه السلام، مقاربة تداولية، باسم خيري خضير: ٢٢.

كما أن هدف (التأثير) و(الإفهام) كان حاضراً في ما أورده صاحب (كشاف اصطلاحات الفنون) من تعريفات للخطاب فقد عرفه بأنّه "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"[١]. فهي كُلّها تعريفات تضع بعين الاعتبار وجود متلق حاضر ومتفاعل مع الخطاب، متأثر به يتلقى الخطاب في ظروف وسياقات معينة، تؤثر في فهمه والتقاطه للدلالات المضمونية للخطاب على العكس من التعريفات التي حاولت تحديد مفهوم (النص) والتي ركزت على الطبيعة (السكونية) له حين عزلته عن السياق التداولي له وعن ظروف تلقيه وأصرت على ربط مفهوم (النص) بالبناء اللغوي له المتضمن لعناصره الشكلية واللفظية.

ج- الفرق بين النص والخطاب:

تبين لنا من – خلال استعراضنا لمفهومي(النص) و (الخطاب)– أن هذين المفهومينِ قد لقيا تداخلاً واسعاً فيما كُتب عنهما وما وضع لهما من تعريفات، حتى أننا يمكن أن نصادف موقفينِ مختلفينِ من هذينِ المصطلحينِ. أحدهما لا يرى أي فرق بين النص والخطاب، ويعدهما مفهومينِ لحقيقة واحدة فأينما ورد مصطلح (النص) فإنّما يكون مرادفاً لمصطلح (الخطاب)[٢] والموقف الثاني حاول أن يضع حدوداً أو فروقاً بين مفهومي المصطلحين مُرجعاً هذا إلى مبدأ (الاستعمال) الذي يمكن أن يشكل فارقاً بين النص والخطاب. فالنص "يمثل اللغة في غير الاستعمال بوصفها بعداً ذهنياً وشكلياً يدخل ضمن دائرة الشكلانية المفهومة من البنى الظاهرية للنص ولا تحتاج إلى تأويل كونها انعكاساً للصورة الذهنية المُتشكِّلةِ في الذِّهن"[٣]. أي أن النص يتعلق بالجانب السكوني من اللغة أو (الوجود بالقوة) لدلالات النص، في حين "إنّ الخطاب يمثل الواقع الاستعمالي للغة (اللغة في الاستعمال) بمعنى أن للخطاب أهدافاً ومقاصد لا يمكن فهمها أو الوصول إليها بمنأى عن الظروف المحيطة (زمان، مكان، مقام)، بل تظهر واضحة جلية في المقام الذي تشكلت فيه اللغة فهو يدخل

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ٧٤٩- ٧٥٠.

(٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ٥، وينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية صبحي الفقي، د. صبحي إبراهيم الفقي: ٣٥- ٣٦.

(٣) فض الشراكة المفاهيمية بين النص والخطاب، إبراهيم أحمد محمد شويحط، وعبد القادر مرعي خليل(بحث): ١٨٠٨.

ضمن إطار العملية التواصلية للغة [ومن هنا يتجلى – بشكل واضح – الفرق الجوهري بين كلّ من النص والخطاب] فالنص يكون ذهنياً غير ملامس للواقع الملموس والاستعمالي، أما الخطاب فهو ذهني وملامس للواقع الاستعمالي"(١). ويكون للمتلقي الدور الأكبر في إخراج دلالات النص المقصودة في سياقها من الوجود بالقوة إلى الوجود الفعلي الخالق لأواصر التواصل بين أطراف الرسالة أو الخطاب، ذلك أن "الخطاب ليس النص؛ لأن النص بنية مغلقة يحدد وجودها الكاتب فحسب في حين الخطاب هو عملية لها وجهان: ما يقوله الكاتب، وما يقرأه القارئ فالخطاب ليس النص، ولكنه مقروء النص، أو ما ينتج من النص بعد قراءته"(٢). وهو ما دفع (محمد الأخضر الصبيحي) إلى التفريق بين ميداني (علم النص) و(تحليل الخطاب)، فعلم النص يمثل "الدراسة اللغوية التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظم بناء مختلف النصوص، ويصف البناء الداخلي للنص وطريقة بنائه ووظيفة كلّ جزء منه، بينما يعرف تحليل الخطاب بأنّه دراسة النص في علاقته مع ظروف إنتاجه"(٣).

إذن فالخطاب يمثل النص منظوراً إليه من سياقات تداوله، أي أنّه النص في حال كونه متداولاً، تتدخل ظروف سياقية خارجية في توجيه دلالاته وتحديد المراد منها. ولو رجعنا إلى أبرز مفكر تناول موضوع (الخطاب) بالبحث والتأسيس للخطاب ونقصد به هنا (ميشيل فوكو) فإننا سنجد لديه تحديداً آخر لمفهوم الخطاب يمنحه بعداً شمولياً لا يتحدد بحدود النص الواحد المُراعى في قراءته وتلقيه سياقات إنتاجه؛ وإنّما نجد مفهوم الخطاب لديه يتسع فيشمل مجموع الخطابات أو (المنطوقات)– حسب قوله– التي تشترك في مغزى فكري واحد أو تختص بدلالات تخلق معنى يكاد يكون مشتركاً أو موحداً، إذ يعرف (فوكو) الخطاب بأنّه: "مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ... بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها"(٤)، فمن خلال تعريف (فوكو) يتضح لنا أن "الخطاب هو ما تشترك

(١) فض الشراكة المفاهيمية بين النص والخطاب: ١٨٠٨– ١٨٠٩.

(٢) مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية، د. مختار الفجاري (بحث): ٥٣٨.

(٣) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيحي:٧٣.

(٤) مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، د. الزواوي بغورة: ١٥٥.

فيه مجموعة من النصوص"[1] بمعنى أن الخطاب هو ما تتعاضد على بثه مجموعة من النصوص تقوم بدور التأسيس لموضوع أو فكرة أو ثيمة معينة، تحاول أن تؤدي دور الإفهام أو التأثير في متلقٍ لهذه النصوص. ومن خلال ما تقدم ذكره وتفصيله نستنتج أن (الخطاب) وإن تعددت محاولات تعريفه وتحديده، فإنّه لا يخرج عن أحد المفهومين الآتيين:

١- أن الخطاب هو النص في حال الاستعمال، وضمن سياقات تداوله.

٢- أن الخطاب هو مجموعة من النصوص المشتركة في ثيمة توحدها وتحدد مسارها الفكري.

وهما المفهومان اللذان سوف يتبناهما البحث في دراسة نصوص الأدعية الواردة في الصحيفة الرضوية الجامعة، منطلقاً من حقيقة أن هذه الأدعية لم تكن مجرد مناجاة بين عبدٍ وخالقهِ وضعت لغرضٍ عبادي فقط إنّما هي نصوص ثرية أتخذها الأئمة (عليهم السلام) وسيلة لنشر مبادئ الدين الإسلامي الأصيل في مواجهة حركات الانحراف الفكري والعقائدي وحتى الأخلاقي، التي بدأت تنتشر في المجتمع الإسلامي إلا أن أئمة أهل البيت (ع) غالباً ما كانوا مُغيبين عن الساحة بسبب السياسات الظالمة المُعادية لفكر أهل البيت (ع) والمُخالفة لمنهجهم الإسلامي، أو أنّهم كانوا واقعين تحت الرقابة المشدَّدة التي حاولت عزلهم عن المجتمع وطمس مبادئهم وإنهاء دورهم القيادي وعلى المستويات المختلفة، السياسية والاجتماعية والفكرية...إلخ، فمعظم الأدعية الواردة عن أئمة أهل البيت (ع) هي نصوص أراد الأئمة (ع) منها أن تُقرأ مع مراعاة سياقاتها وظروف نشأتها من أجل الإحاطة بالإشارات الخطابية التي حاولوا (ع) أن يُضمنوها في ثنايا أدعيتهم فنحن أمام نصوص دّعائية تغلب عليها السمة الوجدانية في بنائها ولغتها، ولكنها متضمنة لإشارات وخطابات تؤسس للفكر الإسلامي الحنيف والبعيد عن التحريف وعلى مختلف الأصعدة الفكرية والدينية والسياسية.

(١) فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والاشاعرة، د. صباح عيدان حمود العبادي: ٢٥.

ثالثاً: السمة الخطابية في أدعية أهل البيت (عليهم السلام):

ولمعرفة السمة الخطابية في أدعية الأئمة المعصومين(عليهم السلام) نتطرق (بشكل مكثف) إلى عرضٍ للظروف السياسية والفكرية والاجتماعية لعصور الأئمة المعصومين(ع). إن الظروف العامة لعصور الأئمة (ع) لم تكن مستقرة أبداً، فهي عصور عُرفت بكثرةِ ما حدث فيها من "مؤامرات وانقلابات ودموع ودماء سالت بتحريك قبلي ليمنع الخط الرسالي الذي كان يقوده آل البيت (ع) من أن يُمسك زمام الأمور"[١]، والأئمة المعصومون (ع) عاشوا في ظل هذه الأوضاع التي مارستها ضدهم السلطات الأموية والعباسية، فكان هدفهم هو ابعاد الأمة عن الدين الإسلامي المحمدي وتعطيل أحكامه على الرغم من أنّهم يدّعون الإسلام، إلا أن همهم كان منصباً على الحكم والسلطة وجمع الأموال الطائلة على حساب المجتمع لبناء وتشييد قصورهم، وإقامة مجالس الخمر وليالي الغناء والطرب[٢]. فمن الطرق التي اتبعها الحكام آنذاك لإبعاد الناس عن الحق والتعاليم الأصلية للإسلام:

١- التصدي للذين يُبلغون رسالات الله عزّ وجلّ بالضغط والأسر والتشريد والحبس وحتى القتل، وقد تعرض الأئمة (ع) وشيعتهم إلى هذه الضغوطات، ولكنها لم تقف أمام واجبهم الرسالي في التبليغ والإصلاح.

٢- تزييف الأديان وتحريفها بالبدع والخرافات وبث التعاليم الباطلة والعمل على ترويجها، فعملوا أعداء الإسلام ببث أحاديث مُعادية ومشوهة للإسلام.

٣- منع تثقيف الناس، حذراً من تنبيههم إلى ما هم عليه من خلل ونقص في الحياة المادية، وما هم فيه من ذل ومهانة في الحياة المعنوية.

٤- محاولة استيعاب أجهزة التعليم، بشراء الضمائر، وغسل الأدمغة والعقول، وتفريغها من الرؤى الصائبة، وملئها بالأفكار الفاسدة[٣].

فنرى الأئمة المعصومين(ع) في ظل حكم هؤلاء الطغاة الفاسدين قد وضعوا في غياهب السجون والمعتقلات القاتمة لإبعادهم عن الأمة، وحرمان الأمة من التزود ببركاتهم وخيراتهم وهداهم،

(١) الإمام الرضا عليه السلام الرسالة وسلطة الرأي والقبيلة، عادل عبد الرحمن البدري: ٨.

(٢) ينظر: م – ن: ١٣.

(٣) ينظر: جهاد الإمام السجاد زين العابدين (ع) ، السيد محمد رضا الحُسيني الجلالي: ٨٠.

فإذا لم تضعهم السلطة العباسية في السجون فإنّها تضعهم تحت المراقبة والعيون، ومنع الرجال من الاتصال بهم[١]. وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة والمراقبة المشددة بحقهم، استمر الأئمة (ع) في مواصلة مشروعهم الرسالي الاصلاحي، فواجهوا الانحرافات التي سببتها سياسة الدولة (الأموية والعباسية) وهي انحرافات فكرية وانحرافات أخلاقية ومذهبية ودينية وذلك بسبب انفتاح المسلمين على ثقافات متنوعة وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله[٢]؛ فنشأت انحرافات فكرية تمس العقيدة الإسلامية، فعمد الأئمة إلى توجيه الأمة الوجهة الصحيحة وتذكيرها بالأمور العقائدية والأحكام الشرعية والأمور الاجتماعية والأخلاقية...، فعلى الرغم من سياسة القهر والسجن والمراقبة، تواصلوا مع أصحابهم سواء عن طريق الرسائل والتوقيعات، والخطب المراقبة، أم عن طريق الدعاء أيضاً فكان الدعاء خير وسيلة استعملها الأئمة المعصومون "في توجيه الأمة وتبليغها بما ينبغي أن تكون عليه من تصفية القلوب وصلاح الأعمال فهو أسلوب توجيه غير مباشر، ولكن نتائجه فعالة، وهو المفضل أكثر في التبليغ، وقد استعمله النبي إبراهيم (عليه السلام) في تذكير قومه بانحرافهم عن عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، إذ عبدوا الشمس والقمر والنجوم التي سرعان ما تزول وتأفل" [٣].

فكان جنس الدعاء خير ما وظف لدى الأئمة المعصومين (ع) لبث خطاباتهم الفكرية و العقائدية والاجتماعية وغيرها، فكان اختيار الأئمة للدعاء وسيلة لبث الأمور الإصلاحية؛ نتيجة للضغوطات التي تعرضوا لها فلم تكن السلطة تسمح لهم بمخاطبة الأمة وتوجيهها الوجهة الصحيحة وفضلاً عن طبيعة الدعاء فهو نص روحي وجداني قائم على مخاطبة الله تعالى وإظهار الفقر والتضرع له[٤]، لذلك يكون بعيداً عن الرقابة وعن عيون السلطة التي كانت تُحصي تحركات الأئمة وتتابع كلّ شاردة وواردة عنهم. فضلاً عن كون الدعاء نصاً خالداً غير محدود بزمان ومكان فهو نصٌ إنساني والمتلقي له منذ عصر الأئمة وإلى يومنا هذا، لا يزال يكتشف حقائق وأبعاد عظيمة في

(١) ينظر: الإمام الرضا (ع) بين نصوص الرسالة وسلطة الرأي والقبيلة: ١٩.

(٢) ينظر: في أسلوبية النص السجادي، المناجيات وأدعية الأيام مثلاً، م. د. إدريس طارق حسين (بحث): ٩٨- ٩٩.

(٣) أدب الدعاء في نهج البلاغة، دراسة دلالية، د. هناء عبد الرضا رحيم، د. مرتضى عباس فالح (بحث): ١٦٠- ١٦١.

(٤) ينظر: الإسلام والفن، د. محمود البستاني: ١٧٠.

الدعاء، ويكشف لنا عن طبيعة الظروف التي عاشها الأئمة (ع). التي دفعتهم إلى توظيف الدعاء كأداة توصيل استطاعوا من خلالها أن يوجهوا الأمة الوجهة الصحيحة، وقد كان هذا المنهج واضحاً وجلياً في حياة الإمام السجاد (ع) والذي أنتج لنا (الصحيفة السجادية) التي تضمنت الأسس "المبدئية والقواعد الحكمية التي يقوم عليها مذهب أهل البيت (ع) وهو بذلك اعطى نهجاً لأمة آل محمد ولكن بشكل أدعية حتى لا يلفتُ نظر الظلمة"[1]. فهذه الأمور التي تضمنتها أدعية أهل البيت (عليهم السلام) كان الاهتمام فيها منصباً على المتلقي الثاني (الداعي) إلى جانب الحضور المقدس للمتلقي الأول (الله جلّ وعلا) هي التي اكسبت هذه الأدعية السمة الخطابية لها، التي جعلت منها نصوصاً محكومة بسياقات تداول تُسهم في بيان محمولاتها الدلالية وتوجيهها.

(١) المنتخب من سيرة المعصومين، الشيخ فاضل الفراتي، دار الأمين، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م: ٢٤٧– ٢٤٨.

رابعاً: التعريف بالصحيفة الرضوية الجامعة:

هي الصحيفة التي جمعها السيد محمد باقر الأبطحي[١] في سنة (١٤٢٣هـ) والتي ضمت في دفتيها أدعية الإمام الرضا وأولاده الأئمة المعصومين (ع) وقد جاءت تسمية الصحيفة باسم الجزء بدل عن الكلِّ وهي باسم الإمام الرضا (ع) وكلمة الجامعة تدلُّ على اشتمالها لأكثر من صحيفة وكلّ صحيفة تكون جامعة لأدعية في مختلف المناسبات والأوقات والحالات، وقد احتوت هذه الصحيفة "أدعية الإمام الرضا (ع) وأبناءه الأربعة الذين عُرف كُلّ واحد منهم بـ(ابن الرّضا) (عليه السلام) وهي الجزء الأخير من موسوعة الصحائف الستة الجامعة لأدعية النبي (ص وآله) وورثته الأئمة الأبرار، وبضعته الطاهرة الزهراء(ع) وهي مرآة صافية تتجلى فيها حقيقة الأنوار القدسية، والمعارف الإلهيّة"[٢]. وقد احتوت الصحيفة الرضوية على ثلاثة وستين (٦٣) دعاء في التسبيح والتحميد لله تعالى والصلاة

---

(١) السيد محمد باقر بن السيّد مرتضى ابن السيّد علي الموحد الأبطحيّ الأصفهاني ولد في ٢ رمضان (١٣٤٦هـ) في أصفهان- إيران، ودرس العلوم الدينية في الحوزة العلمية بمدينة أصفهان، وفي عام (١٣٦٥هـ) سافر إلى قم المقدسة لإكمال دراسته الحوزوية فيها، وفي عام (١٣٧٠هـ) أي في سن ٢٤ عاماً سافر إلى النجف الاشرف لإكمال دراسته العليا فيها، وبعد مدة قصيرة رجع إلى قم المقدسة بسبب مرضه في النجف، وتوفى سنة (١٤٣٥هـ) في طهران. ومن أساتذته: أبوه السيّد مرتضى، والسيّد الحجة الكوهكمري، والسيّد الكلبايكاني، والسيّد حسن الطباطبائي، والبروجردي، والإمام الخميني، والسيّد أحمد الموسوي الخونساري، الشيخ محمّد علي الأراكي، السيّد محمّد اليزدي المعروف بالمحقق الداماد. وأسس مؤسسة الإمام المهدي المختصة بالتحقيق العلمي سنة (١٣٩٧هـ) إذ اضطلع في هذه المؤسسة بدور في تحقيق الكثير من الكتب الشيعية التراثية، ومن مؤلفاته واعماله في التحقيق:

١- المدخل إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في عشر مجلدات.

٢-جامع الأخبار والآثار عن النبي والأئمة الأطهار، في الأحاديث المختصة بتفسير القرآن في مجلّدين.

٣- الدرر اللامعة في أحاديث الجامعة.

٤- الصحيفة السجادية الجامعة.

٥- الصحيفة العلوية الجامعة.

٦- الصحيفة الفاطمية الجامعة.

٧- الصحيفة الرضوية الجامعة. ينظر: موقع ويكيبيديا، httpsp://ar. M. Wikipedia. Org

وموقع الشيعة https:// arabik. al-shia.org

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة، السيّد محمد باقر بن السيّد مرتضى بن علي الموحد الأبطحي: ١٢.

على النبي وآله، وأدعية في جوامع المطالب وأدعيته لنفسه وللآخرين الدعاء لهم أو عليهم، وفي الاحتجاب والاحتراز والعوذات لبعض الآفات والأمراض.

وأما الصحيفة الجوادية فكانت أدعيتها ثلاثة وأربعين (٤٣) دعاء في التسبيح والتحميد والثناء على الله تعالى ومناجاته، وأدعيته في جوامع المطالب وأدعيته عند مواقيت الأمور وفي أيام الشهر والعوذات للأيام وفي الاحتراز والاحتجاب وغيرها من الدعوات، والصحيفة الهادية كانت أدعيتها ثلاثة وأربعين (٤٣) دعاء في التسبيح والتحميد والثناء على الله تعالى، وأدعيته في جوامع المطالب وفي الاحتجاب وأدعيته في الأوقات وعند مواقيت الأمور وأدعيته فيمن دعا لهم أو عليهم، والصحيفة العسكرية احتوت على واحد وخمسين (٥١) دعاء في التسبيح والتحميد والصلوات وأدعيته في جوامع المطالب وفي الاحتجاب والاحتراز والعوذات وأدعيته في الأوقات وعند مواقيت الأمور وأدعيته فيمن دعا لهم أو عليهم وغيرها، والصحيفة المهدية احتوت على (١٦٣) دعاء ولا تختلف عن الصحائف السابقة فشملت أدعية في التسبيح والتحميد والصلوات وأدعية في جوامع المطالب وأدعيته في دفع الشدائد وكشف المهمات وأدعيته في الأوقات وعند مواقيت الأمور وأدعيته فيمن دعا لهم أو عليهم وادعيته لنفسه...إلخ. وقد تركز عمله (السيد محمد باقر الأبطحي) في بادئ الأمر بالتأكيد على ضرورة جمع معظم الأدعية المأثورة عن الإمام علي بن موسى الرّضا وأبنائه محمد بن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري، والحجة محمد بن الحسن المهدي (عج)؛ وذلك من خلال البحث والتنقيب عنها في مختلف الكتب وأنواع المؤلفات المعتبرة لا سيما كتب الأدعية المعتمدة نحو: مصباح المتهجد، إقبال الأعمال، فلاح سائل، ومهج الدعوات، الجنة الواقية، البلد الأمين وغيرها وهكذا بدأ بالصحيفة الرضوية الجامعة أولاً ثم بقية الصحف معتمداً في ترتيبها وتبويبها بشكل متناسق، آخذاً بنظر الاعتبار وحدة الموضوع مراعياً الغرض الذي من أجله أُنشئ الدعاء. فبدأ في أدعية الخاصة بتحميد الله جلّ جلاله والثناء عليه وتمجيده وتسبيحه وتقديسه، ثم أورد بعدها أدعية في جوامع المطالب وخصوصها ثم أدعية في الأوقات ثم في مختلف الأحوال كما ذكرناها آنفاً. وما تبعه ذلك من اثبات المتن الصحيح للدعاء وأورد الاختلافات لبعض الكلمات واثبتها في الهامش وتخريج الآيات الكريمة[١].

(١) ينظر: الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٣.

الفصل الأول

استراتيجيات الخطاب في

الصحيفة الرضوية الجامعة

- المبحث الأول: الاستراتيجية الاقناعية
- المبحث الثاني: الاستراتيجية التوجيهية
- المبحث الثالث: الاستراتيجية التأثيرية

توطئة: مفهوم استراتيجية الخطاب

ينطلق البحث في تحديد مفهوم استراتيجية الخطاب تحديداً جامعاً لحيثياته المعرفية فيقف أولاً عند الدلالة العامة لمصطلح الاستراتيجية قبل ربطها بالخطاب، ففي بداية الأمر ارتبطت (الاستراتيجية) بالميدان العسكري وهي تشير في ذلك الميدان "إلى طرق الوصول إلى أهداف عسكرية بعيدة المدى"(١) وتبعاً لذلك فهي تشمل كل الوسائل والآليات المتبعة في العملية العسكرية للوصول إلى الاهداف المرجوة وتعرف الاستراتيجية بشكل عام "بأنّها طرقٌ محددةٌ لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم بها"(٢).

ويحدد (فوكو) للاستراتيجية ثلاثة معان يتناسب كلّ معنى منها مع سياق معين، هي:

أولا: "للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة، والمقصود بذلك هو العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما.

ثانيا: للتدليل على الطريقة التي تحاول التأثير بها على الغير.

ثالثا: للتدليل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام"(٣).

وهذا يعني أن الاستراتيجية مرة تستعمل بأنّها الطريقة المتبعة في أي عملية لتحقيق هدف ما، ومرة آخرى نعني بها الأدوات والآليات المتبعة في عمل ما للوصول إلى ما ينبغي إليه الفاعل الرئيس من هذا العمل ونلحظ حضور هذا المصطلح في مختلف العلوم الانسانية، كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الاقتصاد...إلخ. ففي كلّ علم منها معنى للاستراتيجية، حيث نجد أن "الاستراتيجية عند علماء النص كونه انتقل إلى ميدان الأدب قصد انشاء التواصل بين منتج النص ومتلقيه، أي إن الاستراتيجية تشمل

---

(١) الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، أ.م. د. إدريس مقبول (بحث):٥٤١.

(٢) استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، د. عبد الرحمن عبد العزيز العيدان، ود. راشد عبد الرحمن الدويش(بحث):١٧٢.

(٣) ميشيل فوكو(مسيرة فلسفية)، أوبيير دريفوس وبول رابينوف، ترجمة: جورج أبي صالح: ٢٠٠، نقلا عن استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٥٥.

ثنائية المنتج/المتلقي"[١] فالاستراتيجية تعني عملية التخطيط التي يتبناها منتج النص لتحقيق التواصل عبر النص مع المتلقي، فالاستراتيجية هي عملية تخطيط لكيفية بث الافكار والمعلومات للمتلقي ويقصد من وراء هذا التخطيط التأثير في المتلقي والاستراتيجية في الحقل الأدبي نعني بها هي عمليات المعالجة الموجهة إلى الهدف والخارجة عن وعي عند إنتاج النص واستقباله، وأما استراتيجية التلقي تتوقف هذه الاستراتيجية على مخزون المتلقي المعرفي والثقافي للدخول إلى النص وتأويله ضمن زاويته المعرفية وبذلك نصل إلى حقيقة من هذا العرض لمصطلح الاستراتيجية، وهي: الاستراتيجية كلمة مرادفة لتخطيط المتكلم أو تخطيط القارئ[٢] .

وأما مفهوم استراتيجية الخطاب فيمكن تعريفها بأنّها: "عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسِل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ أرادته، والتعبير عن مقاصده التي تؤدي لتحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية، وفقاً ما لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة ويستحسنه المرسِل"[٣] فالاستراتيجية في الخطاب تعني ما يستعمله ويوظفه المتكلم/المرسِل في خطابه من الأدوات أو العلامات اللغوية وغير اللغوية (وتعني هيئة المتكلم وحركاته) في سبيل وصول خطابه إلى المتلقي/المرسَل إليه وتحقيق هدفه، مع مراعاته لأحوال المتلقي، والظروف المحيطة بالعملية الخطابية.

ويمكننا أن نلمس كثرة الدراسات والبحوث لموضوع استراتيجيات الخطاب وأنواعها؛ لأنّه ليس من الممكن أتباع استراتيجية واحدة في كلّ الخطابات طبقاً لتنوع الخطابات بدءاً بالخطاب اليومي ووصولاً إلى الخطاب الأدبي وهو ما يعنينا في البحث، فضلاً عن دور عناصر الخطاب (المرسِل، المرسَل إليه، السياق) فكلّ عنصر له استراتيجية خاصة، فعلى المرسِل أن يكون واعياً في اختياره لاستراتيجية تناسب خطابه والهدف من الخطاب، وثقافة المرسِل والمرسَل إليه، والسياق المناسب للخطاب فكلّ هذه العناصر والعوامل لها أثر في اختيار استراتيجية مناسبة للخطاب وتبعاً لذلك تتعدد الاستراتيجيات بتعدد الظروف المحيطة بالعملية الخطابية (الاجتماعية والثقافية والحضارية) وعناصرها فما يكون مناسباً في سياق ما، قد لا يكون كذلك في سياق غيره، وأن أي تغيير بأحد عناصر السياق، يقابله تغيراً في الاستراتيجية

---

(١) استراتيجية التواصل في الخطاب السياسي بين التصريح والتلميح، خطاب رئيس الجمهورية أنموذجاً، شريفي نعيمة وشتواني ليندة (ماجستير): ٥.

(٢) ينظر: م – ن: ٥-٦.

(٣) استراتيجيات الخطاب: ٦٢.

المنتقاة لتحقيق الهدف[١]. مما يعني أن الخطاب المنجز مهما كان نوعه لا يكون اعتباطياً وعفوياً وغير منسقٍ، وإنّما يكون خطاباً مخططاً له، بصورة مستمرة وشعورية، من هنا نجد أنّه على المرسِل أن يختار الاستراتيجية المناسبة المعبرة عن قصده والمحققة لهدفه بأفضل حالة فاستراتيجية الخطاب في أصلها، هي عملية تمر بمرحلتين، الأولى: تتمثل بوصفها عملية ذهنية، والمرحلة الثانية: هي الخطاب ذاته أي الاستراتيجية المجسدة في الخطاب عبر وسائله المختلفة (اللغوية وغير اللغوية) وترتكز هذه العملية بمرحلتيها على الفاعل الرئيس فهو الذي يختار ما يناسب سياقه ويحقق هدفه[٢].

ويمكن القول أن "كلّ محاولة للوصول إلى الأهداف بواسطة تصرف لغوي تعد من حيث المبدأ استراتيجية، والاستراتيجية تعني أن أي تصرف لغوي يكون موجهاً إلى شخص آخر يجب أن يخطط له بشكل مسبق"[٣]، على الرغم من تعدد العوامل والعناصر المحددة للاستراتيجية المتبعة نجد أن أغلب الباحثين يتفقون على بعض المعايير المتبعة في تصنيف استراتيجيات الخطاب هي كالآتي:

١- المعيار الاجتماعي: ويتعلق بالعلاقة بين طرفي الخطاب وقد تفرع عن هذا المعيار استراتيجيتانِ، هما : الاستراتيجية التضامنية والاستراتيجية التوجيهية.

٢- معيار شكل الخطاب: ويتعلق بشكل الخطاب اللغوي (سواء أكان الخطاب شفوياً أم مكتوباً) وتمخضت عنه الاستراتيجية المباشرة والاستراتيجية التلميحية.

٣- معيار هدف الخطاب: وعنه تفرعت الاستراتيجية الإقناعية والبعض يسميها الاستراتيجية الحجاجية؛ لكون الحِجاج من أبرز آلياتها[٤].

وعلى الرغم من تحديد معايير تصنيف الاستراتيجيات نجد إمكانية بعض الاستراتيجيات أن تخترط في صنف معياري آخر. ومعرفة هذه الاستراتيجيات بمسميات معينة لها (كالحجاجية، والتوجيهية، والإقناعية...) جاءتْ اسماؤها من خلال الهدف من الخطاب حيث "تعرف الاستراتيجيات التخاطبية دائماً من خلال أهداف معينة مستنبطة من التفاعل، فهي إذن تستند إلى حالة مستقبلية يطمح اليها التفاعل، ويرتبط بمكون الهدف"[٥]، وقد شكلت أدعية الأئمة الأطهار(عليهم السلام) جزءاً مهماً من أدبنا الإسلامي

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٥٣.

(٢) ينظر: م – ن: ٥٦-٦٣.

(٣) استراتيجيات الخطاب القرآني سورة "ال عمران" انموذجاً، مقاربة لغوية تداولية، جيلي هدية (دكتوراه): ٥.

(٤) ينظر: الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية:٥٤١، وينظر: استراتيجيات الخطاب: ٨٦-١٦٨.

(٥) م – ن:٥٤١.

وقد امتازت بمكانةٍ عالية ومهمة عند المؤمنين الموالين للأئمة المعصومين (ع) وعند المتلقي في عصر الأئمة خاصة؛ وذلك لما بيناه سابقاً إشارة إلى الطبيعة الخاصة لظروف حياة بعض أئمة أهل البيت (ع) والتي اتسمت بالمراقبة والتقييد وممارسة الحجر الفكري من قبل السياسات الحاكمة المعاصرة لهم الأمر الذي دفع ائمة أهل البيت (ع) إلى بث عقائدهم ونشر افكارهم عبر آليات ووسائل كان الدعاء أحدها[1].

ولذلك يمكن القول بأنّ هذه الأدعية، فضلاً عن أنّها تعد وسيلةً لمناجاة المعبود والبوح بما يكنهُ الصدر من انفعالاتٍ نفسية ومشاعر وأحاسيس فأن لها دوراً آخر يمكن أن نعده بمنزلة (الخطاب المضاد) أي الخطاب الحامل لدعوى الاعتراض على الخطابات المفككة للدين الإسلامي، وتمثلت هذه الخطابات فيما تبثه السلطات الحاكمة من أمورٍ تشكك في الدين الإسلامي، ونشر روايات محرفة لتعاليم الإسلام، والانحرافات الأخلاقية في المجتمع، وبُعد السلطان الحاكم عن إتباع العدل وممارسة شتى الأساليب في منع الأئمة من تبليغ الدين المحمّدي الأصيل، فاستخدم الأئمة قالب الدعاء كخطاب مضاد يعرضون فيه حججهم وأدلتهم لإقناع المتلقي والتأثير فيه عبر استخدام استراتيجيات خطابية متنوعة، والتي حاول البحث الكشف عنها رغم الصعوبة لأن الدعاء قائم على أفانين متنوعة ما بين لغوية وفنية جمالية، فكانت من أبرز الاستراتيجيات المتبعة فيه:

١- الاستراتيجية الاقناعية.

٢- الاستراتيجية التوجيهية.

٣- الاستراتيجية التأثيرية.

(١) ينظر: التمهيد :١-١٨.

المبحث الأول

الاستراتيجية الاقناعية

أولاً: مفهوم الاستراتيجية الاقناعية ومسوغاتها:

ترتبط الاستراتيجية الاقناعية ارتباطاً وثيقاً بـ(هدف الخطاب) فالخطاب يتم بين طرفين، ويقوم به المرسِل/المتكلم لإيصال معلوماته أو افكاره للمرسَل إليه/ المتلقي وتحقيق هدفه من الخطاب وهو التبليغ والإقناع بما، يراه مناسباً؛ ولأجل ذلك يتبع استراتيجية معينة لتحقيق هدفه وهو الإقناع باختيار أساليب لغوية وغير لغوية محققة لهدفه الإقناعي ولذلك تعرف هذه الاستراتيجية بـ(استراتيجية الإقناع) "أذ تكتسب اسمها من هدف الخطاب"[١].

وتستعمل استراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسِل النفعية إلا أنّها تتفاوت فيها لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله[٢]. وللاستراتيجية الاقناعية درجات للإقناع فالمرسِل قد يوفق لتحقيق الهدف من خطابه وهو الخطاب في أعلى درجاته وذلك يتوقف على قدراته في اختيار الوسائل والآليات المناسبة لسياق الخطاب فعلى المرسِل إن يراعي وقبل التلفظ بخطابه ولتحقيق مقصده من الخطاب جملة من الأمور، منها: المتلقي وأحواله وطبيعة الموضوع والظروف المحيطة بالسياق (الاجتماعية والثقافية والحضارية) ومكان التلفظ، سواء كان عام لجمهور واسع أم خاص بين المرسِل والمتلقي الخاص (فرد أو جماعة محددة). فكلّ هذه الأمور لها دور في تحديد الاستراتيجية المتبعة في الخطاب ودرجة نجاحها، ونجد هناك عدداً من المسوغات التي ترجح استعمال استراتيجية ما دون غيرها من الاستراتيجيات، وما يخص استراتيجية الاقناع فان مسوغات استعمالها، هي:

١- تأثيرها في المرسَل إليه أقوى من بقية الاستراتيجيات؛ لكونها تعتمد على أساليب وآليات متنوعة لغوية وبلاغية مؤثرة فتجتمع أساليب الاقناع مع أساليب الامتاع، عندئذ فتمكن من أحداث أقوى تأثير في المرسَل إليه.

٢- شمولية استعمالها على مختلف السياقات الخاصة بالخطاب فالمرسِل مهما كانت مكانته في سياق المجتمع (سواء أ كان فلاحاً أم حاكماً أم طفلاً أم رجلاً كبيراً...إلخ) فيمكنه ممارستها لتحقيق مقصده وهو الإقناع في المتلقي/المرسَل إليه، ودرجة نجاحها تتوقف على افكار المرسِل التداولية.

---

(١) استراتيجيات الخطاب :٤٤٤.

(٢) ينظر: م – ن :٤٤٥.

٣- استعمال استراتيجية الإقناع تقوي من سلطة المرسِل وخاصة بالنسبة للمرسِل الذي لا يملك سلطة تؤهله لعرض افكاره وآرائه على المرسَل إليه/المتلقي واقناعه، ولذا تعتبر وسيلة مهمه يعتمدها المرسِل في خطابه للتعويض عن ضعف سلطته (مكانته الاجتماعية).

٤- الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحِجاج فالحِجاج شرط في ذلك، لأنّ من شروط التداول اللغوي شرط الإقناع فالمرسِل عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته، فأنّ مطالبه لا تكون مكتسبة صيغة الإلزام والانصياع لطلبه، وإنّما تتبع تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجر الغير جراً إلى الإقناع برأي المحاور[١].

فكان البحث عن الاستراتيجيات الخطابية في خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة، هو في الحقيقة رصد لأدبية الدعاء موصولة بأساليب التعبير وطرائق الإقناع والتأثير، واختيار البحث لدراسة أدبية الدعاء من خلال القاء زاوية النظر على الاستراتيجيات الخطابية المتبعة في الخطاب، لها جملة مبررات أولها: هي طبيعة الجنس القولي محل الدراسة ومن تصورٍ للأدب مفهوماً وتكويناً ووظيفةً بدأت تلقي الضوء على دراسة الأجناس الأدبية من منظور الدراسات الحديثة والمعاصرة (لسانيات النص ولسانيات الخطاب، استراتيجيات الخطاب، والتداولية بأنواعها)، ذلك لأنّ الدعاء هو جنس قولي قائم على المحاورة بين طرفين المتكلم/الباثّ للدعاء، والمتلقي للدعاء (القارئ والسامع)، ولتحقيق القصد من هذه المحاورة يسلك المبدع للدعاء مجموعة من الظواهر اللغوية والأسلوبية، تتفاعل فيها أساليب متنوعة تتراوح ما بين أساليب البيان وعلم المعاني والبديع فضلاً عن أساليب أدبية فنية متنوعة (كأسلوب السرد والتناص الأدبي مع النصوص الدينية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) وغيرها وهي أساليب موظفة لتحقيق جملة من الأعمال المقصودة من خطاب الدعاء كالأمر والنهي والنصح والارشاد والاستقطاب والتفويض والالزام والتوسل...[٢] فضلاً عن أن تحقيق هذه الأعمال المقصودة هي النتيجة المرجوة من الدعاء يتمّ في أحايين كثيرة بطرائق استدراجية كفيلة بتنزيل الدعاء في صميم خطاب الإمتاع الإقناعي مبنى ومقصداً، فمن حيث المعنى يقوم الدعاء على طلب يرفقه المرسِل (المبدع للدعاء وهو الإمام) بحجة أو حجج ترد في صور واشكال تركيبية متنوعة، وأما المقصد من الدعاء فقائم على الرغبة في الإقناع والتأثير، ونقل المتلقي لخطاب بعض الأدعية من وضع أولي في التفكير قوامه يتأرجح ما بين الشك والتردد إلى الوضع

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٤٥-٤٤٦.

(٢) ينظر: الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجرياً، مقاربة أسلوبية حجاجية، عبدالله بهلول: ٢٣.

الاسمى وهو ما يمكن تسميته (وضع برّ الأمان) من حالة الشك والتردد إلى حالة الإقناع والتسليم بما يُقترح عليه والاذعان له وإظهار أثر التصديق والإقناع في العمل والسلوك[١] وتعتبر الاستراتيجية الاقناعية من الطرق والوسائل المتبعة في الخطاب والمحققة لقصد المتكلم من خطابه وهو التبليغ والتأثير فيه لأجل الإقناع ومن أبرز آليات استراتيجية الاقناع هي آلية الحِجاج.

وقد تعددت تعريفات الحِجاج وتنوعت؛ لاختلاف رؤيا الباحثين في دراسته حسب مجالاتهم وحقولهم المعرفية، ونقف عند المعاجم العربية اللغوية لمعرفة مدى ارتباط المفهوم اللغوي للحِجاج مع المفهوم الاصطلاحي، فقد ورد في (لسان العرب) حيث "يقال: حاجَجْتهُ أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْليتُ بها؛...والحُجَّة: البرهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم وقال الازهري؛ الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفُر عند خصومه، والتَّحاجُّ؛ التَّخاصمُ، وجمع الحُجَّة؛ حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجَّه مُحاجَّة وحِجاجاً؛ نازعه الحُجَّة،...والحجة الدليل والبرهان"[٢]، وورد في (أساس البلاغة) "حُجَجٌ: احَتجَّ على خصمه بِحُجَّةٍ؛... وحَاجَّ خصمه فَحَجَّهُ، وفلان خصمه مَحَجُوج"[٣]. وهكذا نجد قد تقاربت المعاجم العربية في مفهومها للحِجَاجَ، وهي كانت بمعنى الغلبة بالحجّة والمخاصمة والمنازعة بالدليل القاطع لصحة دعواه، وفي القرآن الكريم ورد لفظ الحِجاج بصيغٍ مختلفة تحمل معاني متباينة وذلك على حسب سياق الآية الكريمة، ومنها: قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**﴾[٤]. وحاجَّ بمعنى خاصمَ. وقوله تعالى: ﴿**هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٥].

وأما في الاصطلاح فالحجاج يتمثل في العملية الخطابية التي تقوم بين المخاطِب والمخاطَب ويمارس المخاطِب في خطابه الحِجَاجَ، لحمل المتلقي على إقناعه في أطروحته المعروضة سواء بالإثبات (أي إثبات الشيء المطروح) أو نفيها (أي نفي للشيء المطروح). ومصطلح الحجاج هو تعريب لمصطلح (Argumentation) في الفرنسية...[٦] ويعرفه طه عبد الرحمن بأنّه "كل منطوق موجه به إلى الغير

(١) ينظر: الوصايا الأدبية: ٢٣.

(٢) لسان العرب: ٢/ ٢٢٨.

(٣) اساس البلاغة: ١١٣.

(٤) البقرة: ٢٥٨.

(٥) آل عمران: ٦٦.

(٦) ينظر: الحِجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة:٩.

لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[١] وهذا التعريف ركز على الجانب الشكلي في كلّ عملية مواجهة خطابية ما بين اثنين، وعند الأول/المتكلم هدف وهو إفهام الآخر/المتلقي دعوى مخصوصة ويحق له الاعتراض عليها عن طريق المناقشة والحوار، فالحِجاج يمكن أن يكون في المحاورة اليومية وفي المناقشات العلمية والمناظرة وفي الخطاب بأنواعه (الخطاب الفلسفي، والخطاب الديني، والخطاب الأدبي،...إلخ) ولكنه لم يذكر في تعريفه الغرض التداولي من الحِجاج وهو تحصيل الإقناع وإنّما ركز فقط على إن يكون للناطق قصد الادعاء وتحصيل المنطوق له بقصد الاعتراض،..."بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنّما هو (العلاقة الاستدلالية) وليس العلاقة التخاطبية وحدها: فلا خطاب بغير حِجَاج ولا مخاطِب من غير أن تكون له وظيفة (المدعي) ولا مخاطَب من غير أن تكون له وظيفة (المعترض)"[٢]. وفي مؤلفه الآخر عرف الحِجاج بأنّه "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجهاً بقدر الحاجة، وهو أيضاً جدلي لأنّ هدفه اقناعي"[٣].

ويقف حصول الاقناع كما يرى أرسطو في الخطابة الأرسطية بتضافر أركانها الثلاثة: اللوغوس (logos) أي القول بما هو الفكر، والأخلاق (Ethos) أخلاق القائل، والانفعال (Pathos) انفعال المقول له[٤]، وقد قدم د. محمد العمري في كتابه دراسة مفصلة لهذه الأركان الثلاثة تناول فيه (الأدلة والبراهين) التي يعتمدها الخطيب في كلامه وهو ما يعرف عند أرسطو (بالتصديقات) الصناعية وغير الصناعية، فأما التصديقات الصناعية ما نأتي نحن بها وأعدادها بالحيلة والخداع، وأما التصديقات غير الصناعية فهي ما تكون موجودة جاهزة مثل الأمثال وأقوال الحكماء أي حقيقة ثابتة، وتناول أيضاً ما يجب أن يتوفر بالخطيب من فضائل وأخلاق... والاهتمام بالأسلوب أو العبارة، التي تلائم الفكر ويحدث انفعال لدى المقول له أو السامع من خلال تركيزه على مخاطبة شعور السامع ونفسيته، وأخيراً ترتيب

(١) اللسان والميزان، د. طه عبدالرحمن: ٢٢٦.

(٢) م – ن: ٢٢٦.

(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن: ٦٥.

(٤) ينظر: بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، د. عبد العالي قادا: ٦٤.

اجزاء القول ترتيباً منظماً من مقدمته وعرضه وحسن خاتمته[١]. فالحجاج يبرز ويحقق غايته الاقناعية عبر هذه الاركان الثلاثة فهي أما إقناع بالحجج أي الأدلة والبراهين (بنوعيها حجج جاهزة والمصطنعة) وأما إقناع بأخلاق القائل "وهي مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الخطيب أو البلاغي المرسِل"، [وأما إقناع يتجسد في السامع المقول له] "ويكون في شكل أهواء وانفعالات أو ما يسمى في الثقافة العربية بثنائية الترغيب والترهيب"[٢]. ولا يخفى على المتأمل الواعي أن هذه الاركان الثلاثة متجلية بشكل واضح في أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة مدار البحث سواء عبر ما تطرحهُ بعض الأدعية من حجج وبراهين مصوغة بآلية توافق الجانب الوجداني من الدعاء أم عبر ما تجسده شخصية المرسِل الأئمة المعصومين (عليهم السلام) من تمظهر لأسمى ما يمكن أن تحمله الأدعية من معانٍ الإيمان والتزكية الروحية والأخلاقية أم عبر المضامين التربوية العالية التي تحتضنها الأدعية موزعة ضمن ركني الترهيب والترغيب. ما يهمنا هنا من هذه الأركان نقف عند الركن الأول المتعلق بمسألة الإقناع والمحاججة والبرهان؛ لتوافق ذلك مع موضوعة مبحثنا هذا المختص باستراتيجية الإقناع في الصحيفة الرضوية الجامعة.

وفي الدراسات الحديثة والمعاصرة تطورت النظرة للبلاغة التقليدية إذ تغيرت وجهة النظر من الاهتمام بالشكل إلى الاهتمام بالمضمون، فلم يعد همها الوحيد هو تزيين الخطاب وإنّما البحث في الوسائل التي جعلت الخطاب ذا تأثيرية قوية، أي البحث في كيفية اكتساب الخطاب تأثيرية قوية التي تمثلت في محاولات (بيرلمان) و(تتيكا) في كتابهما (مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة) الذي أجرى تطوراً كبيراً للنظريات القديمة وأعطى للخطاب بعداً وظيفياً يؤهله للتغيير، لأنّ الأدب في رؤيتها لا يقتصر على الجمالية بل يتعدى ذلك إلى الحِجاج والإقناع والتأثير[٣]. فموضوع نظرية الحجاج عندهما هو "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[٤]، كما تحدثا في موضع آخر من الكتاب عن الغاية من الحِجاج وهي "أن يجعل

(١) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجاً، د. محمد العمري:٢٤- ١٦١.

(٢) نظريات الحجاج د. جميل حمداوي: ٢٤.

(٣) ينظر: الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني، دراسة في وسائل الاقناع، أمينة تجاني (ماجستير): ٢٠.

(٤) في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، أ. د. عبدالله صولة:١٣، وينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو- دومينيك منغنو، ترجمة عبدالقادر المهيري، وحمّادي صمّود: ٦٨-٧٤.

العقول تذعن لما يطرح عليها، أو تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحِجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (انجازه) أو الامساك عنه"[١] فالحِجاج عندهما ينزل في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره[٢] كما في الخطابة الأرسطية، فلا حِجاج دون وجود جمهور سامع خاص أو عام، لأنّه ركن مهم من أركان التواصل والتفاعل مع الآخرين، فما فائدة الكلام دون أن يكون هناك طرف آخر يتلقى الكلام ويتفاعل معه؟ ففي (الخطابة الجديدة) لـ(بيرلمان وتتيكا) نجد الحِجاج في عملية الاتصال والتفاعل أولاً، ليحقق المتكلم من خطابه مع الطرف الآخر (السامع أو القارئ) غايته وهي التأثير والإقناع لعمل ما في لحظته أو في وقت لاحق، أو ردعه عن فعلٍ ما[٣].

وفي تعريفهما للحِجاج رغم استنادهما على صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية آخرى فأنّهما حرصا كلّ الحرص على جعل الحِجَاج أمراً ثالثاً مفارقاً لهما رغم اتصاله بهما، فهو يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذّهني في المتلقي وإذعانه إذعانا نظرياً مجرداً لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف ويأخذ من الخطابة أيضاً توجيه السّلوك أو العمل والإعداد له والحضّ عليه،... واختلافه عنهما (الجدل والخطابة) متأتياً من جمعه بين التأثير النظري والتأثير السّلوكي العملي[٤]، فالحِجاج استراتيجية متبعة في الخطاب لتحقيق التأثير في فكرة ما أو وجهة نظر عن طريق استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، وبالتالي إقناعهم بالفكرة المطروحة[٥]. وعَمْل الباحثانِ (بيرلمان وتتيكا) على جعلَ الحِجَاج أقرب إلى الخطابة منه إلى الجدل، وذلك لأنّهما (الخطابة والحِجاج) يعملانِ على إقناع الجمهور، فهما يشتركانِ في الهدفِ، ويفترقانِ في نقطتينِ هما: نوع الجمهور ونوع الخطاب، فجمهور الخطابة يكون حاضراً لأن خطابهما يكون شفاهياً، في حين أن جمهور الحِجاج قد يكون حاضراً أو غائباً لأن الحجاج يمكن أن يكون منطوقاً كما يمكن أن يكون مكتوباً[٦].

---

(١) في نظرية الحجاج: ١٣.

(٢) ينظر: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، أ. د. سامية الدريدي: ٢٢.

(٣) ينظر: بلاغة الاقناع في المناظرة، د. عبداللطيف عادل: ٨٦.

(٤) ينظر: الحجاج في الشعر العربي: ٢٢ .

(٥) ينظر: حجاج موسى عليه السلام في النّص القرآني، دراسة تداولية، كهينة زموش (ماجستير): ٨.

(٦) ينظر: في نظرية الحجاج:٢١-٢٢، وينظر: الآليات البلاغية الحجاجية في المعلقات، معلقتا عمرو بن كلثوم وزهير بن أبي سلمى أنموذجاً، هناء لبيهي (ماجستير):٢٢.

ثالثاً: وسائل الإقناع:

وهذه الوسائل هي قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج، فهي ليست الحجج بعينها، وإنّما هي قوالب تُعِينَ المرسِل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق، ويمكن تقسيمها إلى:

١- الأدوات اللغوية الصرفة: مثل: ألفاظ التعليل بما فيها الوصل السببي، والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية والحِجاج بالتبادل والوصف وتحصيل الحاصل.

٢- الآليات شبه منطقية: ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير مثل الروابط الحجاجية (لكن، حتى، ليس، أدوات التوكيد،...إلخ).

٣- الآليات البلاغية: مثل تقسيم الكل إلى اجزائه، والاستعارة والبديع والتمثيل[١].

ومن خلال تعريف بيرلمان وتتيكا للحِجَاج بأنّه: "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع"[٢]، نلمس تركيزهما على الأساليب البلاغية الموجودة في الخطاب، وهي التي يتألف منها الحِجاج، وسبب تركيزهما على هذه الأساليب البلاغية، لمّا لها من أثر في استمالة نفوس السامعين والتأثير فيهم. لذلك ننطلق في دراستنا للاستراتيجية الاقناعية في الصحيفة الرضوية الجامعة في دراسة الأساليب الفنية والجمالية التي أسهمت في رفد الحِجاج بالقوة لتحقيق الهدف منه وهو الإقناع من خلال التأثير في عقول وقلوب السامعين المتلقين عبر صياغة فنية جمالية للحجج والأدلة، أَبْعدتَها عن المنطقية والعقلية الصارمة التي لم تترك الحرية للمتلقي في الاقتناع. فالحِجاج هو تتابع لسلسلة من الحجج والأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة. فالبحث يُعنى بكيفية صياغة هذه الحجج والأدلة، هل كانت صياغة فنية جمالية تحقق إقناعية من خلال ما تحدثه من أثر نفسي ووجداني؟ أم كانت صياغة حججه بأسلوب مباشر اكسبتها طابعاً برهانياً وعقلياً صارماً لم تترك الحرية للمتلقي لقبولها أو رفضها. ومن الأساليب والوسائل المتبعة في الاستراتيجية الاقناعية التي وظفت في خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة بشكل مكثف هي:

١- آلية التناص.

٢- آلية التتابع السببي.

٣- آلية الروابط الحجاجية.

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٧٧.

(٢) الحجاج في الشعر العربي: ٢١.

١- آلية التناص:

يعد مصطلح التناص من مصطلحات النقد الحديث والذي يرجع تأسيسه إلى (جوليا كرستيفا) وذلك "في كثير من المحاولات المكتوبة بين عامي (١٩٦٦م-١٩٧٦م) ظهرت في مجلة (TeLQueL) ومجلة (critique) التي أعيد نشرها في سيميوتيك "Semiotike" ونص الرواية letexte du roman"[١] فأرتبط مصطلح التناص مع جوليا كرستيفا، رغم أن بداياته كانت مع (ميخائيل باختين) فهو أول من مهدَ لميلاد هذا المصطلح من خلال اهتمامه بمبدأ الحوارية ويعني به، أن كلّ خطاب في نظر باختين يدخل في علاقة مع خطابات سابقة عن قصد أو من غير قصد، ويقيم معها حواراً،... وأكثر ما تكون هذه الحوارية تظهر في الخطاب الروائي، لأنّ الرواية،... تقوم على الحوار الذي ينشأ بين الأصوات المتفاعلة في موضوع المحاورة[٢]، فالتناص يعني عملية تعالق وتداخل نص لاحق مع نصوص سابقة بمختلف الطرق فالغوص داخل فضاء النص الواحد نجد جملة من الملفوظات أُخذت من نصوص آخرى تقاطعت معه وتفاعلت[٣].

ومن خلال تعريف جوليا كريستيفا النص، بأنّه "جهاز غير لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه"[٤] نجد فيه إشارة إلى ظاهرة التناص التي تتعلق في كيفية (إنتاج النص) التي يهتم بها المنتج للنص من خلال عملية إعادة توزيع نظام اللغة وربطه مع النصوص السابقة والمتزامنة معه عبر الألفاظ المختارة، ويمكن القول أن التناص هو قدر كلّ نص أدبي[٥]، لأن المبدع/المنتج للنص الأدبي عندما يشغل ذهنه في عرض موضوع ما عند إنتاج النص، لابدّ أن تتداخل - في عملية اختياره للألفاظ والانتقاء الأنسب منها لموضوعه- نصوص سابقة قريبة من موضوعه، فيحدث التعالق والتداخل بين نصه الجديد والنصوص السابقة، عبر الألفاظ والمعاني أو فقط عبر الألفاظ وبمختلف الطرائق التعالقية. فالتناص هو "تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها وأعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من

(١) آفاق التناصية المفهوم والمنظور، مجموعة من المؤلفين، تعريب وتقديم: محمد خير البقاعي: ٨٠- ٨١.

(٢) ينظر: جمالية التناص في شعر محمد جربوعة، سارة بو جمعة (ماجستير):٢٦.

(٣) ينظر: م - ن: ٢٢.

(٤) علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي وعبد الجليل ناظم: ٢١.

(٥) ينظر: آفاق التناصية المفهوم والمنظور: ٥٢.

النصوص السابقة سوى مادتها"[١] وهكذا قرن مصطلح (النص) بمصطلح (التناص) فالنص عند جوليا كرستيفا هو "لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكلّ نص هو تشرب وتحويل لنصوص آخرى"[٢]. وأما (رولان بارت) عرف التناص بأنّه "كلّ نص هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والاصداء، وهذه لغات ثقافية قديمة وحديثة ..."[٣] ونجده بعد ذلك ركز على دور القارئ في عملية التناص من خلال ما يقوم به من استحضار لمخزونه الثقافي عند قراءة النص كفاعل في هذه العملية، فالتناص آلية حاضرة في النص عند إنتاجه وعند قراءته، وهي ما تعني تطلب آلية التناص ثقافتين، هما: ثقافة المبدع أو الكاتب لإدخال نصه في علاقة ترابط وتفاعل مع نصوص آخرى، وثقافة المتلقي (القارئ) الذي يعتمد في عملية القراءة والتأويل على مخزونه الثقافي والمعرفي، لأن النص المتناص مع النصوص الآخرى وهي سواء أكانت نصوص أدبية (شعر– نثر) أم نصوص دينية (القرآن الكريم– والحديث النبوي) أم نصوص تاريخية (وقائع وأحداث تاريخية) هذه النصوص تمثل المخزون الثقافي عند المنتج للنص والقارئ له أيضاً[٤]، وأما جيرار جينيت فقد عمل على تبديل المصطلح إلى المتعاليات النصية، أو التعالي النصي، وهي "علاقة التداخل التي تقرن النص بمختلف انماط الخطاب التي ينتمي النص إليها"[٥] ونجد في معجم السيميائيات جملة من التعريفات المختلفة للباحثين في الغرب وفي العرب، فالتناص "مفهوم يدلّ على وجود أصلي في مجال الأدب أو النقد أو العلم، على علاقة بنصوص وأن هذه النصوص قد مارست تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على النص الأصلي عبر الزمن، فهو أخذ نص لاحق عناصر نص سابق، ليكتشف ذلك الناقد أو القارئ فيما بعد"[٦].

وفي اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب، وهو ما نجده عند (طه عبد الرحمن) حيث اختزل مصطلح (التناص) وما جاء عند الباحثين من مفاهيم ومصطلحات كالتداخل النصي، والتفاعلات النصية وغيرها، بجعله – أي التناص– ضمن الصنف الثاني من مراتب الحوارية، ويعتبره محاورة بعيدة، باعتباره

(١) النص الغائب، تجلّيات التّناصّ في الشعر العربي دراسة، محمّد عزّام: ٢٩.

(٢) ينظر: م – ن: ٢١.

(٣) التناص نظرياً وتطبيقياً، د. أحمد الزعبي: ١٢.

(٤) ينظر: م – ن: ١٣–١٧.

(٥) مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة: عبد الرحمن ايوب:٩١.

(٦) معجم السيميائيات، فيصل الأحمر: ١٤٢.

تفاعلاً يهيئ مناخاً للتواصل مع الغير مهما كانت درجته وطبيعته[١] وهذه المحاورة تتم بطريقتين، هما: "طريقة ظاهرة: يعرض فيها المحاور شواهد من أقوال الغير مثل "النقل" و"التضمين" و"الحكاية" و"الشرح" و"الاقتباس"...، وطريقة باطنة: ينشئ بها المحاور نصه عبر نصوص سابقة مماثلة أو مباينة ويفتح بها آفاق نصوص آخرى مكملة أو مبدلة،..."[٢].

أنواع التناص:

١- التناص المباشر: وهو تداخل النصوص الجديدة مع النصوص السابقة بطريقة مباشرة ظاهرة، سواء عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الاستشهاد أو الاستدعاء وغيرها من الطرائق التي تصب كلّها في الرؤية الواضحة الظاهرة للنصوص السابقة، ويكون باستحضار جزء من النص أو توظيفه كاملاً أو ناقصاً واستحضاره باللفظ والمعنى أم بالمعنى فقط مع تغيير باللفظ حتى يتلاءم مع النص الجديد.

٢- التناص غير مباشر: وهو أيضاً يتشكل من تداخل النصوص الجديدة مع النصوص السابقة بطريقة خفية غير ظاهرة وهو تناص "الأفكار والرؤى أو الثقافة تناصاً روحياً لا حرفياً فالنص يفهم من خلال تلميحاته وإيماءاته وشفراته وترميزاته"[٣] فضلاً عن ذكر تصنيف آخر لأنواع التناص وهما (التناص الداخلي والخارجي) ويتمثل الأول بتقاطع النصوص أو تداخلها فيما بينها أي ما بين نص المبدع ونصوصه الخاصة ويسمى بالتناص الذاتي (الداخلي) أي أن الكاتب أو المبدع يكتب بأسلوب معين وبرموز محددة، وعند تأليفه لنص جديد سيتبع نفس الأسلوب والرموز التي وظفها في نصوصه السابقة، وبهذا يكون الكاتب يعيد إنتاجه بنفسه، أو مقلد ومحاكي لأعماله السابقة، ويتمثل الثاني أيضاً بتقاطع أو تداخل فيما بين نص المبدع ونصوص غيره من الكُتّاب سواء أكانوا معاصرين له أم من عصور سابقة[٤]، وعلى الرغم من كلّ هذه الأنواع والأشكال فأنّها متفقة على أن التناص هو تداخل النصوص.

ونظراً للطبيعة العبادية ذات الهوية الدعائية التي تتسم بها أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة في بعدها العقائدي والوجداني، فقد كان للتناص الديني الحضور البارز والطاغي بشكل رئيس على معظم أدعية الصحيفة سواءً على مستوى التناص مع النص القرآني أم على مستوى التناص مع الحديث النبوي

---

(١) ينظر: تحليل الخطاب الصوفي، في ضوء المناهج اللغوية المعاصرة، د. آمنة بلّعلي: ٢٦٣.

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٤٧.

(٣) مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، عبد المنعم محمد فارس سليمان(ماجستير): ١٦.

(٤) ينظر: جماليات التناص في شعر محمد جربوعة: ٣٦- ٣٧.

الشريف، وسنحاول دراسة هذا الشكل من أشكال التناص بنحوٍ من الإلمام والتفصيل إظهاراً للسمة الخطابية التي تلبّس بها هذا الشكل من التناص في أدعية الصحيفة الشريفة.

أ- التناص الديني:

ويتمظهر هذا التناص عبر التداخل بين النصوص الدّعائية للأئمة المعصومين (عليهم السلام) في الصحيفة الرضوية الجامعة مع النص القرآني ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة، وقد تشكل هذا التمظهر عبر آليات التناص المباشر فكان التناص الديني في الصحيفة الرضوية الجامعة الغالب عليها هو التناص المباشر، ربما ذلك لما له من أثر قوي في تعزيز الاتصال مع المتلقي وتحريك ذهنه وشد انتباهه لهذا الترابط والتداخل الروحاني المتمثل بدعاء الأئمة (ع) الغالب عليه مخاطبة المعبود بأزكى الألفاظ والعبارات المكتنزة ببعدٍ وجداني تشعر النفس عند سماعه وتلقيه بالطمأنينة والارتياح فضلاً عن ذلك فتناصه مع تراكيب والجمل القرآنية الكريمة يعزز حالة الشد والانتباه والتركيز على الربط بين مضمون الآية الكريمة وما أضافته من دلالة آخرى في النص الدعائي، وهل كانت الآية الكريمة مكتنزة بدلالات آخرى في الدعاء؟ أم جاء توظيفها في الدعاء وكأنّها نصٌ واحدٌ؟ هذا ما سيتضح في البحث من خلال النماذج المتوفرة لهذه الظاهرة الأدبية (التناص الديني).

١- التناص مع القرآن الكريم:

نجد ظاهرة التناص مع القرآن الكريم، ظاهرة تمثلت في الكثير من الفنون الأدبية كما يتجلى ذلك مثلاً في الشعر العربي خاصة في فترة صدر الإسلام وما بعدها، فقد وظف الشاعر والمبدع في نصوصه الشعرية آية قرآنية، أو بعض ألفاظها، وخاصة في الدعوة إلى الدخول في الإسلام، وفي النصح والإرشاد والوعظ، فضلاً عمّا يمثله الشعر عند العرب من قيمة عالية عندهم؛ لأنّه (ديوان العرب) وقيامه على مختلف الأساليب اللغوية والبيانية التي تضفي على القصيدة بناءً ادبياً جميلاً، فأنّه في تداخله مع النص القرآني، يعزز من بنائه الفني المحكم، لكونه -أي القرآن الكريم- يمثل أعلى نماذج الكمال والجمال اللغوي، فضلاً عن قدسيته العظيمة لكونه صادراً عن الذات الإلهية (الله عزّ وجلّ) الذي أعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله[١]، لذلك نجده يضفي جمالية على البناء الشعري والنثري على السواء، ففي الشعر بأنواعه والنثر وفنونه نجدها تتداخل مع النص القرآني، وهي طريقة يلجأ إليها المبدع سواء بطريقة

(١) ينظر: التناص الديني في شعر محمد القيسي وخليل حاوي، د. تيسير محمد الزيادات (بحث) م: ٦١.

مباشرة أو غير مباشرة، لتعزيز نصه عند المتلقي، فهذا "المزج بين كلام ربّ العالمين، وكلام العباد يبقى الإنسان موصولاً مشدوداً إليه، يشعره بأنّه خطاب له بعينه" (١).

وكلام الأئمة المعصومين (ع) وخطبهم وأقوالهم وأحاديثهم وأدعيتهم تمثل جزء من التراث الإسلامي الذي لابدّ من الأخذ به في دراساتنا الأكاديمية والكشف عن مخزونه الجوهري، وخاصة تراث الأئمة المعصومين (عليهم السلام) بشتى اجناس الخطاب، لكونه حاملاً كلّ مجالات الحياة الدينية والمعرفية والعلمية وكلّ ما ينفع الإنسان في حياته. وقد تمثل البحث بدراسة الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة، فكانت أدعية الصحيفة للأئمة المعصومين (ع) بمثابة الخطاب الديني والعقائدي والاجتماعي والسياسي للمتلقي الآخر للدعاء وهو (المتلقي البشري الخاص في عصر الأئمة) والمتلقي الكوني عامة، فنجد بناء الخطاب مشتملاً على أساليب لغوية وبيانية وأدبية فنية متنوعة ساهمت في حمل المتلقي على الإقناع بالدعوى المطروحة في الخطاب الدعائي، ومنها التناص القرآني لذلك فالتناص مع النص القرآني يضفي درجة عالية من المقبولية لدعوى الإمام في خطابه الدعائي، ونجد في الصحيفة كثرة تداخله مع النص القرآني بطريقة مباشرة عبر آلية الاقتباس والاستشهاد.

النموذج الأول: دعاء الإمام العسكري (ع) (بعد الفراغ من الصلاة) ففي هذا الدعاء تناول الإمام ظاهرة الاستخفاف بالصلاة وقد ذكر ذلك في مقدمة الدعاء بقوله: ((**اَللَّهُمَّ لَكَ صَلَّيْتُ، وَاِيَّاكَ دَعَوْتُ، وَفي صَلاتي وَدُعائي ما قَدْ عَلِمْتَ مِنَ النُّقْصانِ وَالْعَجَلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ، وَالْكَسَلِ، وَالْفَتْرَةِ وَالنِّسْيانِ وَالْمُدافَعَةِ وَالرِّياءِ وَالسُّمْعَةِ وَالرَّيْبِ وَالْفِكْرَةِ وَالشَّكِّ وَالْمَشْغَلَةِ واللّحْظَةِ الْمُلْهِيَةِ عَنْ اِقامَةِ فَرائضِكَ...**))(٢).

ففيه نجد جملة أمور تدلّ على تهاون الفرد في صلاته وفي المقطع الثاني من الدعاء عالج الإمام تلك الظاهرة عبر أتخاذ بنية التقابل (التضاد اللفظي)، "وهذا يتيح للمتلقي مجالاً واسعاً للنظر والاستدلال ويعطيه قدرة على التمييز بين الاشياء في صورها المتقابلة"(٣) وهذه المعالجة تمثلت في قوله: ((**وَأَجْعَلْ مَكانَ نُقْصانِها تَماماً، وَعَجَلَتي تَثْبيتاً وَتَمَكُّناً، وَسَهْوي تَيَقُّظاً، وَغَفْلَتي تَذَكُّراً، وَكَسَلي نَشاطاً، وَفُتُوري قُوَّةً، وَنِسْياني مُحافَظَةً، وَمُدافَعَتي مُواظَبَةً، وَرِيائي اِخْلاصاً، وَسُمْعَتي تَسَتُّراً، وَرَيْبي بَياناً، وَفِكْري خُشُوعاً، وَشَكّي يَقيناً وَتَشاغُلي فَراغاً، وَلِحاظي خُشُوعاً**))(٤).

---

(١) التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبد الله محمد الجيوسي: ١٣٢.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٤٠.

(٣) بلاغة التقابل في الحديث النبوي، دراسة أسلوبية، د. اسماء سعود الخطاب: ٨٢.

(٤) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٤٠.

فكانت ظاهرة التقابل–التضاد هي بمنزلة وسيلة ناجحة لعرض موضوع الصلاة ومبطلاتها، والتمهيد لحجته الأقوى لتعزيز موضوعه ودعوته اتيان الصلاة في وقتها عبر آلية التناص القرآني المباشر، وذلك في قوله: ((**اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي قَضى عَنّي صَلاتي، اِنَّ الصَّلاة كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنينَ كِتاباً مَوْقُوتاً**))[1] والآية الكريمة: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا**﴾[2]، فوظفها الإمام في دعائه للقصد على دعوته في إتيان الصلاة في وقتها وهذه الآية وظفها لتدليل على أنّها واجب على المؤمنين وجاءت منسجمة مع خطابه الدعائي في اثناء معالجته لظاهرة الاستخفاف بالصلاة وحثهم على الالتزام في وقتها المعلوم.

وقد يتداخل الدعاء مع النص القرآني والحديث الشريف في نص واحد كما في النموذج الثاني: من دعاء الإمام الهادي (ع): ((**اَللّهُمَّ وَصَلَّ عَلى وَلِيِّكَ، وَدَيّانِ دينِكَ، وَالْقائِمَ بِالْقِسْطِ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّكَ عَلي بْنِ اَبي طالِبٍ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَاِمامِ الْمُتَّقينَ، وَسَيِّدِ الْوَصِييّنَ وَيَعْسُوبِ الدّينِ، وَقائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلينَ، وَقِبْلَةِ الْعارِفينَ وَعَلَمِ الْمُهْتَدينَ، وَعُرْوَتِكَ الْوُثْقى، وَحَبْلَكَ الْمَتينِ**))[3].

فالتناص القرآني في قوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[4] وفي قوله تعالى ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[5].

فكان التناص مباشراً عبر آلية اقتباس التركيب القرآني (بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) ففي الآية القرآنية كان الله سبحانه وتعالى يخاطب العباد بالتمسك بالعروة الوثقى ونعني بها الايمان أو الإسلام، وأمّا في الدعاء فقد حمل التعبير(بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) معنى آخر قصد به الإمام علي(ع) لأنّه الحافظ للدين الإسلامي بعد النبي(ص وآله) والقائم بتعاليم الإسلام من دون تحريف، فكما أن (القرآن، والإسلام، والايمان) العروة

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٤١.

(٢) النساء: ١٠٣.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٩.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

(٥) لقمان: ٢٢.

الوثقى الموصلِة إلى الجنة، فالتمسك بولاية (علي بن أبي طالب) يُوصل إلى الجنة[١]. فالإمام الهادي في دعائه يذكر لنا جملة من صفات وفضائل علي (عليه السلام) بأسلوب سردي قائم على ترتيب للوقائع والاحداث في حياته العملية الإصلاحية، وسوف نشير إليها في موضعٍ آخر من البحث، لأننا الآن في بيان أسلوب أو آلية التناص القرآني، فجاءت هذه الآلية بطريقة منسجمة مع النص الدعائي "أن انسجام النص من حيث احتوائه على آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة،... يمثل حالة تماسك ينتج عنها قوة حجاجية يفرضها السياق وتسهم في محاورة المتلقي"[٢]. ولتقوية الحجة والدليل في بيان أحقية الولاية للإمام علي (ع) نجد في الدعاء تناصاً آخرَ مباشراً، بعد التناص الأول (عروتك الوثقى) وهو متعالق مع قوله تعالى ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[٣] وفي السورة نفسها، قوله تعالى: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ**﴾[٤]، وورد في تفسير قوله ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ**﴾ المقصود به، أي بعهد الله وفي الآية ﴿**إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ**﴾ أي بعهد وذمة وقيل ﴿**بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾ يعني القرآن إلا إن الرسول (ص وآله) في أحاديثه يبين للناس المقصود بقوله ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ**﴾ فيذكر أنّه علي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي أمر الله عباده بالاعتصام به [٥].

إذن فهذا التناص القرآني في هذا الموضع من الدعاء جاء محملاً بمدلولاتِ خطابيةِ تشد ذهن المتلقي إلى الربط بين كلاّ الآيتين وبين التوجيه التأويلي الذي قاربه الرسول (ص وآله) في التأكيد على مبدأ الوصاية من بعده وارتباطها الضروري بشخص الإمام (ع)، فتداخل النص القرآني في الدعاء كان من أفضل الحجج التي بدأ بها الإمام في بيان الدلائل والحجج على أحقية الولاية للإمام علي بن أبي طالب (ع) فهو القائم بالعدل بين الناس والحافظ لتعاليم الرسالة المحمّدية (ص وآله)، فَمنْ بعد النبي

---

(١) ينظر: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، الحافظ الكبير عُبيد الله ابن عَبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني النيسابوري، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودني: ٤٤٤/١.

(٢) الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية، د. حسين العمري: ٣٠٦-٣٠٧.

(٣) آل عمران : ١٠٣.

(٤) م – ن: ١١٢.

(٥) ينظر: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل:١٣٠/١-١٣١، وينظر: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر:٣٩٨/١.

المفسر لكتابه تعالى والناشر لتعاليم الاسلام؟ غير ابن عمه ووصيه الإمام علي بن ابي طالب (ع)، وقال الرسول (ص وآله) بعد رجوعه من حجة الوداع : ((**أني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**))[1] وقوله (ص وآله): ((**إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**))[2] وحديث آخر للرسول (ص وآله): ((**من أحب أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين فليوال علياً بعدي وليعادِ عدوه...**))[3].

فهذا التناص مع القرآن في قوله تعالى:﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ وقوله تعالى:﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ و ﴿**إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ**﴾ وفي أحاديث الرسول (ص وآله) الذي ذكرناها سابقاً هو بمنزلة التأكيد لأمر الله عز وجل في التمسك بولاية علي (ع) والائمة من بعده (عليهم السلام) وذكر هذه الفضيلة للإمام علي (ع) في دعاء الإمام الهادي (ع) مع الفضائل الآخرى، فكانت النتيجة المطلوبة هي نشر فضائل أمير المؤمنين (ع) وتذكير المسلمين جميعاً، فبالرغم من ذكر هذه الفضائل والمناقب بحق الإمام علي(ع) نجده يصرح في فقرة أخيرة من الدعاء ((فالشقي من أقرَّ ببعض، وأنْكَر بعضاً)) وهي فقرةٌ مدعوةٌ للتأملِ مرة آخرى بما سمعه المتلقي (القارئ والسامع) للدعاء بتعدد هذه الفضائل والمنزلة العظيمة التي أمر الله تعالى عباده بالاعتصام بهم (عليهم السلام)، فالمتمسك بولاية أمير المؤمنين كأنّه متمسك بكلّيهما كتاب الله تعالى والعترة أو السنة الشريفة، فضلاً عمّا تكتنزه ظاهرة التناص من فكرة تعالق النصوص مع نصٍ آخر أو مجموعة نصوص، من خلال تضافر حادثة ما في نصين أو أكثر فجمالية التناص تتأتى فيما تحققه للمتلقي من فائدة قراءة نصين في لحظة واحدة واكتساب معرفة ومعلومة ما من مصدرين أو أكثر، والبحث عن التوافق الدلالي الذي أدى إلى تعالق النصين، وفائدة آخرى تحدثها ظاهرة التناص، فضلاً عن تعالق النصوص نجد أيضاً تعالق الأصوات أو

---

(١) خصائص أمير المؤمنين، للإمام الحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: سيد جعفر الحسين: ١١٧-١١٩، رقم الحديث ٧٩.

(٢) مناقب أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب (ع)، للحافظ أبي الحسن علي بن محمّد الواسطِيّ المعروف بابن المغَازِليّ (ت ٤٨٣هـ)، تحقيق: ابي عَبد الرّحمن تركي بن عَبْدالله الوادعي: ٣٠١-٣٠٣، رقم الحديث ٢٨١، وينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي: مج ٨٤/١٩، رقم الحديث٢٤.

(٣) أمالي الصدوق، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) قدَّم له الشيخ حسين الأعلمي: ٢٦، رقم الحديث ٥.

تعددها في النص الجديد (اللاحق)، فنجد صوت ذات المبدع، وذات النص السابق، تتضافر هذه الأصوات وتتمازج لتحقيق غاية واحدة وهي إقناع المتلقي للفكرة أو القضية المطروحة، فتعالق الأصوات يبعث في نفس المتلقي الشعور بصدق القضية والفكرة المطروحة، فما عليه سوى انخراط ذاته مع ذوات النص الإبداعي، فالحُجّة أتت من تضافر النصينِ واتفاق ذوات النصينِ المتعالقينِ فالنتيجة أو الطلب من هذه الحُجّة تتحقق من قبل المتلقي(١).

وفي نموذجنا صدر نشر فضائل الإمام علي (ع) وأحقيته بالولاية عن ثلاثة أطراف متنوعة فأكتسب بذلك النص الدعائي معاني متمايزة، صدر أولاً عن الذات الإلهية، وقد تجلى لنا الأمر الإلهي في النصوص المقتبسة من القرآن الكريم، وصدوره عن ذات الله يكسبه معنى الفرض والإلزام ويجعله على الناس واجباً إنجازه وكان واضحاً في قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾(٢)، وأمّا الذات الثانية التي صدر عنها الأمر هي ذات الرسول (ص وآله) في قوله: ((**من أحب أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين فليوال عليا بعدي وليعاد عدوه...**))(٣)، والذات الثالثة نجد ذات الإمام الهادي (عليه السلام) على الرغم من ذوبانها في نصه الدعائي إلا أنّه قصد لدعائه تحقق المقبولية والمصداقية وبالتالي إمكانية نشر فضائل أمير المؤمنين بين المتلقين جميعاً، لأنّه اعتمد في ذلك على سلطة الخطاب واستمد السلطة لخطابه من سلطة الخطاب القرآني، وسلطة الخطاب النبوي فهاتانِ السلطتانِ تمثلانِ أقوى الحجج عند الجميع وعلى درجة عالية من المقبولية، فالخطاب القرآني هو كلام الله تعالى جلّ وعلا، فلا يمكن لأحد أن يشكك بكلامه تعالى، وأمّا الخطاب النبوي، الذي يمثل كلامه أعلى درجة من كلام البشر بفصاحته وبلاغته، وكما قال تعالى بحقه: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾(٤).

وفي هذا المقطع من الدعاء: ((**وَلا تُزِغْ قُلُوبَنا بعد إِذْ هَدَيْتنا، وَهبْ لنا من لدُنْكَ رحْمَةً، يامَنْ تُسَمِّى مِنْ جُودِه وَكَرَمِه وَهّاباً– وَأَتِنِا في الدُّنْيا حَسَنةً وَفِي الْاخِرَةِ حَسَنةً، وَقِنا عَذابَ النّار، اِنْ حَقَّتْ عَلَيْنا اِكْتِساباً بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ**))(٥) نلمس تناصاً مباشراً مع قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ**

(١) ينظر: الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجرياً: ١٣٥.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٦، رقم الحديث ٥.

(٤) النجم: ٣-٤.

(٥) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٧٣.

إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1] وكذلك مع قوله تعالى:﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[2].

فنجده (ع) ختم دعاءه بتوظيف ثلاث آيات قرآنية جاءت منسجمة مع خطابه الأول في تناصه مع القرآن والحديث الشريف في التمسك بالولاية ((**وَعُرْوَتِكَ الْوُثْقَى، وَحَبْلَكَ الْمَتِينِ**))[3]، فكان تناصه القرآني في خاتمة دعائه مرتبط بمطلبه الأول الدعوة إلى التمسك بولاية أمير المؤمنين (ع) وأولاده المعصومين وذلك من خلال ذكر فضائله، فكان خطابه الختامي موفقاً ومنسجماً ومتناسقاً مع دعوته وتصريحه بفضائل علي(ع)، فالوجه الأول لتوظيفه النص القرآني واضحٌ في معناه بمخاطبة الله سبحانه وتعالى من قبل المسلمين (الراسخين في العلم) على الثبات على الإيمان والإسلام (لا تُزِغْ قُلوبَنا) ولا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك، (وهبْ لنا من لدُنْكَ رحْمَة) أي وهب لنا من عندك توفيقاً وثباتاً على دينك بعد ما زاغت القلوب والأبصار عن الهداية للإسلام، والوجه الثاني أو المعنى الآخر المتضمن في الآيات القرآنية فهو الطلب من الذين عرفوا بأحقية الإمام علي(ع) للولاية وبايعه على ذلك فليتمسك على مبايعته للإمام، والثبات على ولاية أهل بيته (عليهم السلام) فالثبات على الولاية للإمام علي (ع) وأهل بيته هو كالثبات على الإسلام. وعلى الرغم من وضوح الآية فإنّه يتطلب من المتلقي النور والبصيرة في قلبه ليصل إلى قصد الإمام من الآية وهو الثبات على ولاية أمير المؤمنين بعد ما تفرقت الناس في حقه فِرقاً فمنهم من ناصر الإمام وسار معه في نشر تعاليم الإسلام والثبات معه رغم الصعوبات، ومنهم من وقف إلى جنب الفِرق المعادية للإمام وإبطال ولايته، والناس تفرقوا عن الإمام علي(ع) بعد وفاة الرسول الأعظم (ص وآله) على الرغم مما نشره الرسول (ص وآله) في حياته من أحاديث وأقوال ووصايا، يوصي العباد جميعاً بالوصاية والخلافة للإمام علي(ع)، ولكن حب (السلطة والجاه والمال) كان السبب الرئيس في العمل على إبعاد الإمام عن الخلافة للإمة الإسلامية. وأما توظيفه

(١) آل عمران: ٨ .

(٢) البقرة: ٢٠١ –٢٠٢.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٩.

للآية الكريمة ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(١).

فهو دعاء واضح لكلّ ما فيه خير وصلاح للإنسان في الدنيا من الرزق الحلال والصحة وكلّ شيء والحسنة في الآخرة والفوز بالجنة وأما قوله تعالى: ﴿**وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ للوقاية والابتعاد عن النار يتمثل في الابتعاد عن المحارم والمآثم، والمعنى الآخر المحتمل يتحقق التجانس والانسجام مع الآية السابقة التي تمثلت بالدعاء للثبات على الولاية للإمام علي(ع) فهنا يكون الحسنة في الدنيا (هو الولاية للإمام علي عليه السلام) والحسنة في الآخرة الفوز بالجنة وبرضا الله تعالى، وإن كان العبد مرتكباً بعض الذنوب، فبعض كتب التفاسير تذكر أنّ الشفاعة في الآخرة تكون من قبل الإمام علي وأهل بيته (ع) فهم الشافعون لشيعتهم ومحبيهم في الآخرة، وننّوهه بالذنوب التي ذكرناها لا نعني بها الذنوب الكبائر، فهذه لا يرضاها الله سبحانه وتعالى وأولياءه المعصومين (ع) وإنّما المقصود بها (الذنوب الصغائر).

والنموذج الثالث: وهو دعاء الإمام العسكري (ع) الذي يقول فيه: ((**اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أُولِى الْاَمْرِ الَّذينَ اَمَرْتَ بِطاعَتِهِمْ، وَاُولي الْاَرْحامِ الَّذينَ اَمَرْتَ بِصِلَتِهِمْ، وَذَوِي الْقُرْبَى الَّذينَ اَمَرْتَ بِمَوَدَّتِهِمْ، وَأَهْلِ الذِّكْرِ الَّذينَ اَمَرْتَ بِمَسْاَلَتِهِمْ وَالْمَوالِي الَّذينَ اَمَرْتَ بِمُوالاتِهِمْ وَمَعرِفَةِ حَقِّهِمْ، وَأَهْلِ الْبَيْتِ الَّذينَ أَذْهبْتَ عَنهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهيراً،...**))(٢).

ونجد فيه تناصاً غير مباشرٍ وإشارات إلى النص المتداخل في نص الدعاء وهو النص القرآني في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿**قُلْ لا أسألُكُم عَلَيه أجْراً ألّا المَوَدَّة في الْقُربى**﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾(٦).

---

(١) البقرة: ٢٠١-٢٠٢.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٤١.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) الانفال:٧٥.

(٥) الشورى: ٢٣.

(٦) النحل: ٤٣.

فتناص الدعاء مع نصوص قرآنية بطريقة غير مباشرة ونجد ذلك في إشارة ألفاظ، أو عبارات تدلّ على النصوص المتناصة معه، وهذه الاقتباسات الإشارية بلغت أعلى درجات الانسجام مع الخطاب الدعائي بما يشعر المتلقي بأنّها ليست اقتباساً بل إنّها جزءٌ من النص، وفيه إشارة على قدرة الإمام على تصريف الكلام على وفق ما يريد من تصميم منطقي بما يثبت سلطة الخطاب على المتلقي[١]، ومكان توظيف التناص غير المباشر في الدعاء في وسطه قبل أن يختمه بطلب غفران الذنوب وقضاء الحوائج، بثّ في وسط الدعاء خطاباً آخر للمتلقي يتعلق في بيان منزلة أهل البيت (ع) عند الله تعالى، والدليل على منزلتهم العظيمة التي جعلها سبحانه وتعالى لهم وطلب من الناس المولاة لهم، فهم أصحاب رسالة إصلاحية هي رسالة جدّهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبث الإمام في وسط دعائه (بعد الفراغ من الصلاة) بعد بيانه التهاون في الصلاة والعمل على إتيان الصلاة كاملة مما ينبه السامع على ضرورة شد الانتباه في الصلاة في مقابلة الله عز وجل هذا اللقاء الروحاني فلا بدّ من المحافظة على هذا اللقاء بتأدب وخشوع وطلب قبول اعماله وغفران ذنوبه، وبعدها شرع الإمام في طرح قضية مهمة وهي بيان أحقية الأئمة المعصومين (ع) في الولاية فكان خير أسلوب سلكه الإمام في دعائه أسلوب التناص غير المباشر من خلال الاقتباسات الإشارية لآيات قرآنية يذكر فيها منزلة أهل البيت (ع) في النصوص القرآنية قبل أن يصرح الرسول (ص وآله) بمنزلتهم فهم أهل بيته المفترض طاعتهم، فكان خطابه للسامع (المتلقي الخاص في زمنه والمتلقي في كلّ العصور)، وذلك لتوعية المخالفين قبل الموالين، فمعاداتهم لأهل البيت (ع) ذنب عظيم عند الله عزّ وجلّ، فلم يصرح بخطابه مباشرة، وإنّما بثّه في فقرات الدعاء وأثبت أدلته على منزلة أهل البيت (ع) العظيمة من خلال النص القرآني، فنجد الإمام يذكر أدلته بطريقة غير مباشرة للنصوص القرآنية.

ونلمس تعاضد هذه النصوص القرآنية في طرح فكرة واحدة هي وجوب الطاعة والموالاة لآل البيت (ع) لمنزلتهم العظيمة عند الله تعالى قبل شرحها وبيانها عند الرسول(ص وآله)، لذلك تناص الإمام في دعائه مع أكثر من نصٍ قرآني وهذا لاستمداد السلطة لخطابه من القرآن الكريم فهو "سلطة دينية قوية سبق أن سَلَّمَ الناسُ بها لذا، لا يحق لأحد منهم أن يعترض عليها أو يشك بها بأي شكل من الاشكال"[٢]. ونجد اقتباساته لآيات القرآن الكريم لم تكن مباشرة، وإنّما من خلال بعض الألفاظ التي ذكرت في القرآن

(١) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة: ٣٠٣ .

(٢) آليات الحجاج في خطب الإمام الحسن (عليه السلام)، م. د. بشائر عبد الامير(بحث):١٨١

(أولى الأمر، أولى الأرحام، ذوي القربى، أهل الذكر) وبعدها وظف نصاً قرآنياً بطريقة مباشرة ومع بعض التغيير للنص كون المخاطَب في القرآن الكريم هو الله سبحانه وتعالى، فعندما استدعاه الإمام (ع) غير فيه لينسجم مع خطابه، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1].

دعم الإمام دعوته ببيان منزلة آل البيت (عليهم السلام) بالحجج القوية وهي النصوص القرآنية، دون ذكر لحديث أو رواية مرويّة عن الرسول (ص وآله)، لأنّ البعض قد يشكك في الأحاديث والروايات بأنّها من وضع الرواة فيختلفون بذلك، إلّا كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم) فهو الكتاب المعجز الذي لم يمسه التحريف، فنقل لنا حقائق ووقائع صادقة سواء (أحداث ماضية للأمم السالفة وأحداث حاضرة في عهد الانبياء والرسل، ومستقبلاً أحداث يوم القيامة...إلخ)، فالمتلقي كي يتأثر بالدعوة المطروحة من طرف المخاطِب، فعلى المخاطِب طرح دعوته بالأدلة المتسمة بالمصداقية عند الطرف الآخر لتحقيق الإقناع بدعوته، لكون أدلته على درجة من المقبولية.

٢- التناص مع الحديث الشريف:

يعد الحديث الشريف المصدر الثاني الذي وظفه الأئمة المعصومون (عليهم السلام) في أقوالهم وخطبهم وأدعيتهم حيث "يعد معيناً ثرّاً بعد القرآن الكريم، لمّا يحمله من فصاحة وبلاغة تنم عن أصالته وعروبته، فضلاً عن صفته التشريعية والتفسير لآيات القرآن الكريم البليغة وهذا ما يعكس الأسلوب الذي انماز به، وهو امتداد لكتاب الله"[2]، فهو المنهلُ الذي ينهلون منه مادتهم، وقد ورد التناص مع الحديث الشريف – في الصحيفة الرضوية الجامعة– بطريقة مباشرة.

النموذج الأول: من دعاء الإمام الهادي (ع) ((**اَللّهُمَّ وَصَلَّ عَلى وَلِيِّكَ، وَدَيّانِ دينِكَ، وَالْقائِمَ بِالْقِسْطِ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّكَ عَلي بَنْ اَبي طالِبٍ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَاِمامِ الْمُتَّقينَ، وَسَيِّدِ الْوَصِيّينَ وَيَعْسُوبِ الدّينِ، وَقائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلينَ، وَقِبْلَةِ الْعارِفينَ وَعَلَمِ الْمُهْتَدينَ، وَعُرْوَتِكَ الْوُثْقى، وَحَبْلَكَ الْمَتينِ وَخَليفَةَ رَسُولِكَ عَلَى النّاسِ اَجْمَعينَ، وَوَصِيِّه فِي الدُّنْيا وَالدّينِ،...، وَمِنْ هُوَ مِنْهُ بِمَنْزَلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى، خامِسِ اَصْحابِ الْكَساءِ وَبَعْلِ سَيِّدة النِّساءِ**))[3].

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) الخطاب الإعلامي في شعر التشيع في العصر الأموي، دراسة جمالية، علي جبار جلوب العيساوي (ماجستير): ٣٨.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٩.

وفي هذا الدعاء وظف الإمام الهادي (ع) أكثر من حديث شريف بحق مقام علي (ع) عند الرسول (ص وآله) فضلاً عن الإشارات الكثيرة الموجزة المكثفة التي سوف نذكرها لاحقاً. فنجد للرسول (ص وآله) حديث يقول فيه: ((**يا عليُّ أَنْتَ أخي ووزيري وصاحب لوائي في الدنيا والاخرة**،...))[١] وقوله (ص وآله): ((**يا عليُّ إنك سيدُ المسلمينَ، وإمام المتَّقِين وقائد الغُرِّ المحجلِين، ويَعْسُوبُ المؤمنين**))[٢]

وقوله (ص وآله): ((**يا علي، أنت خليفتي على أمتي في حياتي وبعد موتي**،...، **يا علي، أنت وصيي ووارثي**،...، **يا علي، أنت أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، وقائد الغُرِّ المحجلِين، ويَعْسُوبُ المتقين**)) وقوله (ص وآله): ((**إنّه الصديق الأكبر، والفاروق يفرق بين الحق والباطل**،...))[٣] وقوله (ص وآله): ((**أنتَ منِّي بمنزلةِ هارونَ مِن مُوسى إلاَّ أَنَّه لا نبيَّ بعدِي**))[٤].

فالإمام (ع) في دعائه أكد وجوب الطاعة والولاية للإمام علي(ع)، لأنّه هو القائم بالعدل بعد النبي (ص وآله) والأدلة على ذلك ما أشارت إليه النصوص السابقة التي تضمنت فيها مقام علي(ع)، فأحاديث الرسول (ص وآله) في عصره هي خطاب للأمة الإسلامية الواجب عليها إطاعة الرسول (ص وآله) في أوامره ونواهيه، فعندما يستدعي الإمام هذه النصوص النبوية في دعائه فإنّه يوجب على المتلقي الإقرار بأحقية الإمام علي (ع) في توليه الخلافة بعد الرسول (ص وآله) وما يستلزمه هذا الحق من الإقرار بالأئمة المعصومين (ع) من بعده فهم سلسة متواصلة يرجعون إلى جدّهم النبي الأعظم (ص وآله)، ففي أغلب النصوص الدعائية نجد السلطة فيها هي سلطة الخطاب المنقول على لسان الأئمة (ع) في الصحيفة الرضوية الجامعة، وهي السلطة التي تكون في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي يتوارى المرسِل (الإمام) خلفهما[٥].

وتوظيفه بإشارة لفظية للحديث المعروف بـ(حديث الكساء) بقوله في الدعاء: (خامِسِ اَصْحابِ الْكَساءِ)، وهو الحديث المشهور الذي يضم فاطمة الزهراء وأبيها وبعلها وبنيها وسادسهم جبرائيل. ففي

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٥، رقم الحديث١١، وينظر: بحار الأنوار:١٩ /٤٠٠-٤٠١، رقم الحديث٢-٣.

(٢) مناقب أمير المؤمنين: ١١٩، رقم الحديث ٩٣.

(٣) أمالي الصدوق:٢٦٩-٢٧٠، رقم الحديث ١٤، و٤٧٧، رقم الحديث ٨، وينظر: بحار الأنوار: مج١٨/٢٢، رقم الحديث ٢٠.

(٤) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، أحمد بن حنبل، تحقيق: حسين حميد السيد:١١٣، رقم الحديث ٧٧، مناقب أمير المؤمنين:٧١-٧٣، رقم الحديث ٤٠.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٥٣٧.

النص الدعائي استدعى الإمام (ع) أكثر من حِجّة لبيان وجوب الموالاة لعلي بن أبي طالب (ع) فنجد استدعاءه بطريقة مباشرة لآيات قرآنية، فيشتمل الدعاء على بعض ألفاظ الآية، أو ربّما الآية كاملة مثل (أية التطهير) التي أتت كاملة مع تغيير بسيط، فضلاً عن توظفيه للحديث الشريف وذكره بعض الحوادث التاريخية التي شارك فيها مع الرسول(ص وآله) (ناصر الإسلام ومكسر الاصنام) والتي سنشير إليها في البحث لاحقاً، وذلك لأجل التأكيد على وجوب الإقرار بولايته وما يستلزمه من إطاعته في أوامره ونواهيه، فكسب استمالة المتلقين بالحجج القوية (القرآن الكريم، والحديث الشريف) "وبهذا ألزم الحُجَّة لمن تناسى أو تجاهل أمر الإمام بعد رسول الله(ص وآله)"[١]،

النموذج الثاني: دعاء الإمام العسكري(ع) في (الصلاة على علي بن أبي طالب عليه السلام): **((اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى اَميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيِّ بْنِ اَبى طالِبٍ، أَخي نَبِيِّكَ وَوَلِيِّهِ وَوَصِيِّه وَوَزيرِه، وَمُسْتَوْدَعِ عَلْمِه، وَمَوْضِعِ سِرِّه، وَبابِ حِكْمَتِه، وَالنّاطِقِ بِحُجَّتِه، وَالدّاعي إلى شَريعَتِه، وَخَليفَتِه في اُمَّتِه ، وَمُفَرِّجِ الْكَرْوبِ عَنْ وَجْهِه، قاصِمِ الْكَفَرَةِ وَمُرْغِمِ الْفَجَرَةِ الَّذى جَعَلْتَهُ مِنْ نَبِيِّكَ بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى. اَللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ، وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَالْعَنْ مَنْ نَصَبَ لَهُ مِنَ الاَوَّلينَ وَالاْخِرينَ،...))**[٢].

حيث تناص مع الحديث الشريف قال الرسول(ص وآله): **((اللهم أقول كما قال أخي موسى، اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي، علياً اخي أشدد به أزري وأشركه في أمري، كي نُسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا نصيراً))**[٣].

وقوله (ص وآله): **((أَنتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غير أنّه لا نبيّ بعدي))**[٤].

وقوله (ص وآله): **((أَنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابها فمن أراد العِلمَ فليأت الباب))**[٥].

---

(١) الخطاب الإعلامي في شعر التشيع في العصر الأموي: ٤٦.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠٦- ٢٠٧.

(٣) فضائل أمير المؤمنين:٣٧٠، رقم الحديث٢٨٢.

(٤) م – ن: ٣٦٤، رقم الحديث ٢٧٧، وينظر: صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البُخَاريّ (ت ٢٥٦هـ) تقديم: العلامة أحمد محمد شاكر: ٤٣٨، رقم الحديث ٣٧٠٦، وينظر: خصائص أمير المؤمنين: ٣٣- ٨٠.

(٥) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ١٣٥-١٤٢، رقم الحديث ١٢١-١٢٦، وبحار الأنوار: مج ٣٠٤/٢٠، رقم الحديث ٨.

وقوله الآخر(ص وآله): ((**أَنا مدينةُ الحكمةِ وعليٌّ بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب**))[1] وقوله (ص وآله): ((**مَن كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللَّهم والِ مَن والاهُ، وعادِ من عاداهُ**))[2] وهو الحديث المعروف عند الجميع أنّه قيل يوم غدير خم، الذي نصب فيه الرسول (ص وآله) علياً للولاية فَعُرِفَ بِيوم تنصيب الولاية والمبايعة له من قبل الموالين للرسول(ص وآله) وأهل بيته (ع)، وقد جاء توظيف الأحاديث الشريفة في النص الدعائي وكانت مضامين الأحاديث في بيان خصائص الإمام علي (ع) ومقامه عند الرسول (ص وآله)، فذكر من مقامه أنّه وصيّ الرسول (ص وآله) ووزيره، وهو بمنزلة هارون من موسى فضلاً عن الأحاديث المشهورة في غدير خم (وتنصيبه للولاية)[3]، فكانت غاية الإمام من توظيفه للأحاديث النبوية المروية في حق علي(ع) هي للنشر والتأكيد على منزلته العظيمة (ع).

فالإمام العسكري (ع) لم يفرض في وجوب الموالاة للإمام علي(ع) وأولاده المعصومين(ع) فرضاً على المتلقي في زمانه لكونه إماماً معصوماً وله سلطة على المجتمع، وإنّما عمّد إلى استدعاء النص المحمّدي الذي أوجب وأكد في الكثير من نصوصه على فضائل علي(ع) ووجوب الولاية والطاعة له، فالذات المتكلمة في الدعاء هي ذات الرسول (ص وآله)، والسبب في توظيفه للأحاديث النبوية المروية في فضائل علي(ع) هي الظروف السياسية التي عاشها الإمام العسكري (ع)، حيث فُرِضتَ عليه الرقابة المشددة ومنعه عن إتمام رسالته الإصلاحية في التبليغ وبيان وإثبات حق الولاية والخلافة للأئمة المعصومين (عليهم السلام) مما استعمل وسيلة غير مكشوفة للسلطة المراقبة وهي وسيلة (الدعاء)، فبث من خلاله الأحاديث النبوية في حق علي(ع) فبيان منزلة علي(ع) وأحقيته في الولاية هي ضمن مشروعهم الإصلاحي فكان الإمام العسكري (ع) كحال الأئمة السابقين(عليهم السلام) عملوا على نشر فضائل علي(ع) بطريقة مخفية، لكونه خطاب غير مصرح، وبطريقة ظاهرة في اعتمادهم للآيات القرآنية

(١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ١٤٤، رقم الحديث ١٢٨-١٢٩.

(٢) فضائل أمير المؤمنين: ٤٣٠، رقم الحديث ٣٣١، ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ٥٤، رقم الحديث ٢٦، وبحار الأنوار: مج ٦٩/١٩.

(٣) قال رسول الله (ص وآله): ((يوم غدير خم أفضل أعياد أُمّتي وهو اليوم الّذي أمرني الله تعالى ذكره فيه بنصب أخي عليّ بن أبي طالب علماً لأُمّتي، يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الّذي أكمل الله فيه الدين، وأتمّ على أُمّتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً...)) بحار الأنوار: مج٦٧/١٩، رقم الحديث ٢.

والأحاديث النبوية[١]، لكونهما يمثلانِ أقوى الحجج إذ عدّهما أرسطو من الحجج الجاهزة "وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها"[٢] .

وبما أن الجمالية في الخطاب الأدبي تمس الجانب الشكلي والجانب الدلالي ونتيجة لذلك انماز الدعاء بصورة عامة و(أدعية الائمة عليهم السلام) خاصة في دقة مفرداته وجودتها ووضوح العبارة، وما تحمله الألفاظ من صور ومعانٍ حاول عبّرها الأئمة (ع) التأثير في المتلقي، لضمان وصول ما يحمله الدعاء من خطاب مقصود للمتلقي الخاص في عصر الأئمة وفي كلّ العصور، فكان الدعاء وسيلة الإمام الهادي(ع) في نشر مفاهيم فكرية ودينية والتأكيد على منزلة علي(ع) عند الله ورسوله (ص وآله)، عبر التدرج في ذكر أدلته بدأً من أدلة الأحاديث الشريفة في بيان منزلته ومقربته عند الرسول (ص وآله) إلى أدلة لحوادث تاريخية – سنتناولها في الموضع الآتي– فيمكن عد الدعاء هو بمثابة المنبر الذي أعلى صوت الإمام من خلاله ليسمعه السامع وينقل خطابه إلى الناس عامة، واستمالتهم للإقناع بوجوب الولاية لعلي وللائمة المعصومين(عليهم السلام) من بعده.

ب– التناص التاريخي:

بينا في الصفحات السابقة أن التناص عبارة عن تداخل النصوص بتقنيات متنوعة، سواء كانت نصوصاً دينية (القرآن الكريم، الحديث الشريفة)، أم تاريخية (الحوادث والوقائع التاريخية والشخصيات) وكانت التقنيات المستخدمة في التداخل مع هذه النصوص، تتجلى عبر آلية التناص المباشر وتقنياته المتنوعة، بين اقتباس ألفاظ أو جمل تركيبية أو آية كاملة، أو جزء من الحديث الشريف أو الحديث كاملاً، فكانت الغاية من التداخل مع النص الديني (القرآن الكريم) أولاً و(الحديث الشريف) ثانياً هي غاية فنية جمالية، فالنص القرآني يتسم بألفاظه الواضحة، وعباراته الموجزة المكثفة، وقيامه على درجة بلاغية عالية، أعجز الأنس والجن عن الاتيان بمثله، فتوظيفه في النص الإبداعي بصور عامة، يضفي عليه قدر من جمالية اللغة التعبيرية للقرآن الكريم واضفاء شيء من القدسية لتوظيفه النص القرآني.

فضلاً عن فائدته الإقناعية الحجاجية، فالإمام (ع) وظف النص القرآني ليدعم خطابه المضاد، لخطاب السلطة الحاكمة والمجتمع المساند لها، فالحجج التي استدعاها الإمام تمثل معرفة مشتركة بين

---

(١) ينظر: سيرة الائمة المعصومين عليهم السلام، عرضٌ وتحليلٌ للحياةِ الاجتماعية والسّياسيةِ والعلميّةِ للائمةِ المعصومين عليهم السلام، مهدي البيشوائي: ٤٤٠ – ٤٤٧.

(٢) في بلاغة الخطاب الإقناعي: ٩٠.

الطرفين فكان كلام الخالق هو الحُجَّة الأقوى التي يسلّم بها الطرفان، فلابدّ من الخضوع لكتابه المقدس والتصديق بدعواته، ويأتي الحديث الشريف في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، لكونه صادراً عن الرسول الأعظم (ص وآله)، وأما توظيف الحوادث والوقائع التاريخية والشخصيات الإسلامية في الصحيفة الرضوية الجامعة، فلأنّ مادة التاريخ بصورة عامة تعدّ مرجعاً معرفياً سواءً للمبدع أو المنشئ أم لجمهور المتلقين على اختلاف اشكالهم وأزمانهم وهي ظاهرة لاقت اهتماماً كبيراً من قبل المبدعين في نصوصهم الشعرية والنثرية، للتعبير عن قضاياهم وظروفهم الحياتية العامة (الاجتماعية والسياسية)، فتوظيفه لقضية تاريخية قديمة أو معاصرة في نصه الجديد يأتي من كونها متماثلة مع قضايا الحاضر أو بعثها للحث على الأخذ بالحلّ المناسب للقضية المطروحة فضلاً عن إضفائها قيماً تاريخيةً وحضاريةً على نتاجه الجديد، فضلاً عن أثرها الذي تحدثه في مخاطبة وجدان المتلقي بما تحمله من قيم معرفية، وجمالية مؤثرة.

ويعرف التناص التاريخي بأنّه: تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة من النص الأصلي بحيث تكون منسجمة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف في سياق نصه الجديد[١] ومن الآليات أو التقنيات المتبعة في التناص مع الحوادث التاريخية والشخصيات الإسلامية؛ تقنية الإشارة اللفظية للحادثة التاريخية، والإشارة "هي أن يكون اللفظ قليلاً مشتملاً على المعنى الكثير بإيماء ولمحة تدل عليه"[٢].

ونجد ذلك في دعاء الإمام الرضا(ع): (بعد تهديده لقبوله ولاية العهد): **((اَللّهُمَّ اِنَّكَ قَدْ نَهَيْتَني عَنْ الإلْقاءِ بِيَدي إلى التَّهْلُكَةِ، وَقَدْ اَشْرَفْتُ مِنْ قِبَلِ عَبْدِاللهِ المأمُونِ عَلَى القَتْلِ مَتى لا اَقْبَلُ وِلايَةَ عَهْدِه، وَقَدْ اُكْرِهْتُ وَاضْطُرِرْتُ كَما اضْطَرَّ يُوسُفُ وَدانِيالُ، اِذْ قَبِلَ كُلٌّ واحِدٍ مِنْهُما الوِلايَةَ مِنْ طاغِيَةِ زَمانِهِ، اللّهُمَّ لا عَهْدَ إلّا عَهْدُكَ وَلا وِلايَةَ إلّا مِنْ قِبَلِكَ، فَوَفِّقْني لإقامَةِ دينِكَ وَاِحْياءِ سُنَّةِ نَبِيِّك، فَاِنَّكَ اَنْتَ المَوْلى وَالنَّصيرُ، وَنِعْمَ المَوْلى اَنْتَ، وَنِعْمَ النَّصير))**[٣]

(١) ينظر: التناص نظرياً وتطبيقياً: ٢٩.

(٢) أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، صبري حافظ: ٦٤.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٧٠.

فقد استدعى الإمام ذكر شخصيات مقدسة هي (النبي يوسف والنبي دانيال) عبر آلية توظيف اسم العلم وهي آلية يذكر فيها أمّا اسم العلم مباشرةً أو يؤتى به كنية، أو لقباً[١]، ففي بداية الدعاء طرح الإمام سبب قبوله الولاية وهو يبث شكواه إلى الله تعالى لأنّ قبوله (ع) لولاية العهد ربّما يدفع الناس إلى الشك والطعن في مصداقية الإمام وفي موقعه الإلهي ووظيفته الرسالية، فكان دعاؤه هنا بمثابة خطاب مضاد غير مباشر للمتلقي الخاص في عصره، بل وحتى المتلقي الكوني، فبدأ الإمام مصرّحاً بسبب قبوله ولاية العهد، لتهديده بالقتل من قبل المأمون، فهذا هو السبب الذي اضطره لقبول ولاية العهد واستدعى ذكر النبي يوسف وهي إشارة إلى حالته عندما طلب النبي يوسف (ع) لتولي خزائن العزيز في أرض مصر[٢] فاستدعى اسمه في الدعاء فضلاً عن ذكر النبي دانيال وتعرضه للسجن من الملك الذي كان دانيال في سلطانه خوفاً على ملكه[٣] كما تجدد ذلك الخوف على الملك والمنصب مع المأمون عندما طلب من الإمام الرضا قبول العهد لإظهار حبه لآل البيت (ع) بدليل إنّه جعل ولاية العهد للإمام الرضا (ع) فضلاً عن مقاصد آخرى قصدها المأمون بطلبه هذا[٤]، والمراد تذكير المتلقي عن طريق أحداث مقارنة بأوضاع الأنبياء وأحوالهم بأنّ حاله (ع) كحال النبي يوسف ودانيال (عليهما السلام) فيوسف نبي مرسل من عند الله تعالى لتبليغ رسالته ولم يطمع في الدنيا، ومع ذلك تولى خزائن العزيز عندما طلب من عزيز مصر تولي ذلك المنصب (اضطراراً لأجل إدارة أوضاعهم المعيشية) ومع ذلك لم يتغير ولاء محبيه فهذا العمل جاء ليس لكسب منافع دنيوية وإنما لصالح أهل مصر في إدارة أمورهم العامة، أمّا الإمام الرضا (ع) فحاله يختلف فقد اضطر قبول الولاية- لكي لا يقتل- ولم يطلبها، وتقاربت حالة الاضطرار مع النبي

---

(١) ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في شعر حسين زيدان(دراسة لنماذج مختارة)، سعيدة دباخ (ماجستير): ٢٩.

(٢) "حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم رحمه الله، قال: حدثنا أبي، عن ياسر، قال: لما ولي الرضا عليه السلام العهد سمعته وقد رفع يديه إلى السماء وقال: اللّهمَّ إنك تعلم أني مُكرهٌ مُضطر، فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبدك ونبيك يوسف حين دفع إلى ولاية مصر" أمالي الصدوق: ٤٦٨.

(٣) "إن الملك (بخت نصر) الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له أنه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور ملكك ويفسده فقال الملك والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا أنهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد فبات الأسد ولبوته يلحسانه ولم يضراه فجاءت أمه فوجدتهما يلحسانه فنجاه الله... فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه" البداية والنهاية، ابن كثير: ٢/ ٣٥.

(٤) ينظر: المنتخب من سيرة المعصومين، ٣٦٥-٣٦٦، وينظر: الإمام الرضا بين نصوص الرسالة وسلطة الرأي والقبيلة: ١٤٠-١٤٩.

دانيال عندما ألقوه في أجمة الأسد خوفاً عليه من القتل فاستدعاء الشخصيات كان القصد منها تحريك ذهن المتلقي لمعرفة آية حادثة من حوادث الأنبياء كانت مشابهة لحال الإمام الرضا(ع) ليصل المتلقي خاصة في عصره إلى الإقناع بصدق خطاب الإمام بأنّه لم يطمع بولاية العهد وإنّما مشروعه إصلاحي أكبر، الذي جاء مستبطناً بالدعاء عندما بث شكواه إلى الله تعالى.

وفي خطاب آخر في الصحيفة الرضوية الجامعة، من دعاء الإمام الهادي (ع) في (الصلاة على أمير المؤمنين): ((**اَللّهُمَّ وَصَلَّ عَلى وَلِيِّك، وَدَيّانِ دينِكَ، وَالْقائِمَ بِالْقِسْطِ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّكَ عَلي بَنْ اَبي طالِبٍ، اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَاِمامِ الْمُتَّقينَ،...، ناصِرِ الْاِسْلامِ وَمُكَسِّرِ الْاَصْنامِ، مُعِزِّ الدّينِ وَحاميهِ وَواقِي الرَّسُولِ وَكافيهِ، الْمَخْصُوصِ بِمُؤاخاتِه يَوْمَ الْاِخاءِ،...، الْمُؤْثِرِ بِالْقُوتِ بَعْدَ ضُرِّ الطَّوى، وَالْمَشْكُورِ سَعْيُهُ فِي هَلْ اَتى مِصْباحِ الْهُدى، وَمأْوَى التُّقى، وَمَحَلِّ الْحِجى، وَطَودِ النُّهى، الدّاعي إلى الْمَحَجَّةِ الْعُظْمى، وَالظّاعِنِ إلى الْغايَةِ الْقُصْوى، وَالسّامي إلى الْمَجْدِ وَالْعُلى، وَالْعالِمِ بِالتَّأويلِ وَالذِّكْرى، الَّذي اَخْدَمْتَهُ خَواصَّ مَلائِكَتِكَ بِالطّاسِ وَالْمِنْديلِ حَتّى تَوَضَّأَ، وَرَدَدْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسَ بَعْدَ دُنُوِّ غُرُوبِها، حَتّى اَدّى في اَوَّلِ الْوَقْتِ لَكَ فَرْضاً، وَاَطْعَمْتَهُ مِنْ طَعامِ اَهْلِ الْجَنَّةِ حينَ مَنَحَ الْمِقْدادَ قَرْضاً، وَباهَيْتَ بِه خَواصَّ مَلائِكَتِكَ اِذْ شَرى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِكَ لِتَرْضى، وَجَعلْتَ وَلايَتَهُ اِحْدى فَرائِضِكَ، فَالشَّقِيُّ مَنْ اَقَرَّ بِبَعْضٍ وَاَنْكَرَ بَعْضاً**))[1].

وفي هذا الدعاء القائم على أكثر من حجة وظفها الإمام (ع) في دعم مقدمة حجاجه وهي (الْقائِمَ بِالْقِسْطِ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّكَ) فما هي الحجج التي تؤكد قيامه بالعدل وحفاظه على تعاليم الدين الإسلامي بعد النبي(ص وآله) وأنّه خليفة الرسول (ص واله) ووصيه، وهذه القضية في الحقيقة حملها الأئمة المعصومين (ع) من بعد النبي (ص وآله) الذي أثبت وأعلن الولاية للإمام (ع) في أكثر من حادثة يعلن فيها أحقيته بالولاية في مقابل ذلك نلمس دأب المخالفين لخلافة أمير المؤمنين(ع) يسعون بشتى الوسائل والأساليب إلى دفع هذا الأمر عنه (ع) والتشكيك حتى في الروايات التاريخية والأحاديث التي تثبت ولايته (ع) المنصوص عليها من قبل الله جلّ وعلا وعلى لسان نبيه (ص وآله) فكانت الحجج الموظفة هنا متنوعة ما بين اقتباسه لآية قرآنية كاملة أو بعض ألفاظها، واستدعائه للحديث الشريف، كما بيّنا ذلك في نماذج سابقة أو توظيفه للإشارة التاريخية وهي أيضاً من الحجج القوية وتأتي بالمرتبة الثالثة بعد حجة القرآن الكريم والحديث –وهي حالة تنم عن تداخل النصوص المتنوعة في النص الدعائي، لدعم مطلب

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٩.

الإمام (ع) في أحقية الولاية لعلي(ع)- وتأتي هذه الإشارة في الدعاء بسطر أو بعبارة قصيرة، فهي إشارة مختزلة للحادثة، فلم تذكر الحادثةَ كاملةً وإنما جاءتْ العبارةُ حاملةً للنتيجةِ النهائية للحادثةِ مما يَخدمُ ويَعززُ مقدمة الإمام (ع) الحجاجيةَ، فيذكر لنا الإمام إشارات لأحداثٍ ماضية ولكنها إحداث مشرقة في حياة الإمام علي (ع) وما تحمله من دلالةٍ على مكانتهِ العظيمةِ في حياةِ الرسولِ (ص وآله) فهو المسانُد له في نشر دعوته في المواضع كافة، سواء في أيام السلم أم أيام الحرب، ونلمس انصهار هذه الإشارة التاريخية ضمن حدود البنية الأجناسية الخاصة بالدعاء القائمة على العبارات القصيرة المكثفة والموزعة توزيعاً مموسقاً مسجوعاً، لذلك فحينما ترد الإشارة إلى أية حادثة تاريخية فسنجدها إشارة خاضعة لبنية الدعاء ذات الطابع الوجداني التي تركز على الإشارة المفعمة بالعاطفة بعيداً عن الخوض في ذكر التفاصيل التي تخص تلك الإشارة التاريخية التي قد تضفي حالة من الملل تؤدي إلى انكسار النسق الشعوري والوجداني الذي يهدف إليه الدعاء بشكل عام.

فنجدُ في الدُعاءِ ذكراً لحوادثَ تاريخيةً اسلاميةً في عهدِ النبيِّ (ص وآله) وعليٍّ (ع) كمساندته (ع) للنبي (ص وآله) في الفتحِ ونَشرِ الإسلام وتكسيرهِ للأصنام، وحمايته للنبي في مُبيتهِ بالفراشِ لإنقاذهِ من قريشٍ عندما قررتْ قتلهَ (ص وآله) وحادثةَ المؤاخاةِ عندما آخا الرسول بين المهاجرينِ والانصارِ، فأتخذَ الرسولُ (ص وآله) الإمام عليَّ أخاً له، فقال له: ((**أنت أخي في الدنيا والاخرة**))[1] وحادثةَ إطعامهِ لليتيمِ والمسكينِ والأسيرِ، ونزول الآية المباركة في بيانِ منزلة أهل بيته (ع) [2]: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ،... وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [3].

والإشارة التاريخية في الدعاء الآتي: ((**الَّذي اَخْدَمْتَهُ خَواصَّ مَلائِكَتِكَ بِالطّاسِ وَالْمِنْديلِ حَتّى تَوَضَّأَ، وَرَدَدْتَ عَلَيْهِ الشَّمسَ بَعْدَ دُنُوِّ غُرُوبِها، حَتّى اَدّى في اَوَّلِ الْوَقْتِ لَكَ فَرْضاً، وَاَطْعَمْتَهُ مِنْ طَعامِ اَهْلِ الْجَنَّةِ حينَ مَنَحَ الْمِقْدادَ قَرْضاً، وَباهَيْتَ بِه خَواصَّ مَلائِكَتِكَ اِذْ شَرى نَفْسُه ابْتِغاءَ مَرْضاتِكَ لِتَرْضى، وَجَعلْتَ وِلايَتَهُ اِحْدى فَرائِضِكَ، فَالشَّقِيُّ مَنْ اَقَرَّ بِبَعْضٍ وَاَنْكَرَ بَعْضاً...**))[4]، فالإشارة التاريخية الأولى المثيرة للجدل والتشكيك فيها هي حادثة يرويها الإمام علي (ع)، وهي عندما أخدمته خواص الملائكة (ملك جبرائيل) بالطاس والمنديل ليتوضأ فهذه دلالة على منزلته العظيمة واشارة آخرى تاريخية

(١) مناقب أمير المؤمنين: ٨٩، رقم الحديث ٥٩، وينظر: بحار الأنوار: مج ١٩/ ٤٠١، رقم الحديث ٣.

(٢) ينظر: مناقب أمير المؤمنين: ٣٤٣، رقم الحديث ٣٢٠.

(٣) الانسان:١-٨

(٤) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٩.

حادثة رد الشمس، بالرغم من نفور بعضهم منها إلا أننا نجد بعض يذكرها في كتبهم عند العامة والخاصة[١] ونجد الإمام (ع) في هذا الدعاء وهو يعمد إلى إثارة ذهن المتلقي وصدمه عبر آلية توظيف الإشارة التاريخية من خلال التذكير بحوادث تدفع الذهن إلى البحث عنها والتنقيب عن الاهداف والإشارات التي تتضمنها هذه الاحداث بأسلوب اخباري عمد من خلالها (ع) إلى سرد الحجج التاريخية متتابعة في سلم اخباري حجاجي ليعزز الغاية الاقناعية التي يحاول الدعاء تحقيقها، والسبب الآخر أو الدافع الآخر لتوظيف الإمام في دعائه أكثر من حادثة تاريخية هو بسبب السياق الثقافي المضطرب في عهد الإمام الهادي (ع)، فالانحرافات الفكرية قد شاعت في عصره، وكذلك الاساءة لآل لبيت (ع)، ولكون الإمام مُنعَ عن تأدية دوره الإصلاحي، حيث كان مراقباً بكُلِّ تصرفاته، لذلك عمد إلى أن يبث خطابه الفكري والديني والاجتماعي في دعائه، لأنّ المعروف عند الطرف الآخر أي السلطة الحاكمة ان الدعاء خطاب مع الله تعالى للتوسل والتضرع، فلم يثير الشك في كونه خطاباً مقصوداً للمتلقي الثاني للدعاء، وهو (المتلقي الإنساني الخاص في عصره عليه السلام) فضلاً عن المتلقي العام بغض النظر عن زمانه ومكانه[٢]، وفي صلاته (ع) في الدعاء نفسه على فاطمة الزهراء (ع) نلمس توظيف اللمحة التاريخية بشكل جليَّ وواضح في قوله: ((**اَللهُمَّ وَصَلِّ عَلى الطّاهِرَةِ الْبَتُولِ الزَّهْراءِ، اِبْنَةِ الرَّسُولِ، اُمِّ الْاَئِمَّةِ الْهادينَ، وسَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمينَ، وارِثَةِ خَيْرِ الْاَنْبياءِ، وَقَرينَةِ خَيْرِ الْاَوْصِياءِ، الْقادِمَةِ عَلَيْكَ مُتَأَلِّمَةً مِنْ مُصابِها بِاَبيها، مُتَظَلِّمَةً مِمّا حَلَّ بِها مِنْ غاصِبيها، ساخِطَةً عَلى اُمَّةٍ لَمْ تَرْعَ حَقَّكَ في نُصْرَتِها، بِدَليلِ دَفْنِها لَيْلاً في حُفْرَتِها، الْمُغْتَصَبَةِ حَقُّها، الْمُغَصَّصَةِ بِريقِها**))[٣].

من خلالِ توظيف الإشارة التاريخية اللامحة، يحاول الإمام (ع) أن يُثيُر مسألةً فكريةً ذات بُعْدِ عقائديٍّ وسياسيٍّ وفقهيٍّ وغير ذلك من الوجوهِ المتعلقةِ بها فقط من خلالِ ذكر حادثةً تاريخيةً مع توظيف الاستراتيجية الاقناعية عبر عرض المسألة وتقديم الدليل أو الحجة على صحتها. وذلك في بيان مظلومية الزهراء (ع) والحيف الذي تعرضت له سواء من قبل الحكم الرسمي في وقتها آنذاك وأخذ (فدك) منها– على الرغم من تقديمها ما يثبت أحقيتها بها وبأنّها ورثتها عن أبيها (ص وآله)– أم من قبل الأُمة التي شهدت هذا الحيف ولم تنصر بنت نبيها (ص وآله)، فماتت وهي غاضبة على الطرفين ودليل ذلك أنّها

(١) ينظر: مناقب أمير المؤمنين: ١٥٢– ١٥٥، رقم الحديث ١٤٠.

(٢) ينظر: سيرة الائمة المعصومين (ع): ٥٠٦– ٥٣٨.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٧٠.

أوصت أن تدفن سراً وفي ضبح الليل ولا يشهد أحد بتشييعها[١] وهي (سلام الله عليها) بذلك تحاول أن تربط الأذهان باحاديث أبيها (ص وآله) في حقها كقوله (ص وآله): ((**إنّما فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني**))[٢]، وقوله (ص وآله): ((**فاطمة بضعة منّي يربيني ما رابها ويؤذيني ما آذاها**))[٣]، وقوله (ص وآله): ((**إنَّ الله ليغضب لغضبَ فاطمة ويرضى لرضاها**))[٤]. وهذا الربط هو الذي يقف أيضاً وراء توظيف الإمام (ع) لهذه الحادثة التاريخية في دعائه هذا، وهو ربط نقف وراءه بإشارة بعيدة تتعلق ببيان الحكومة القائمة في زمن الزهراء (ع) والإلماح على أنّها حكومة غير عادلة وأن الأمة خرجت عن وصية الرسول (ص وآله) لعلي (ع) من بعده.

فهذا التداخل مع الإشارة التاريخية كان أقوى حجة وظفها الإمام (ع) في خطابه المضاد، فالسلطة الحاكمة في عهده عمدت إلى طمسِ آثارَ أهلِ البيتِ (ع) وفي تزيِّيف أحاديثٍ عنهم، فكان الإمام (ع) في ذكره لهذه الإشارة التاريخية هي لتعميق الفكرة الصحيحة وهي حقيقة الولاية في بيت النبي (ص وآله) إلا أن الأمة عملت عكس ذلك، فاغتصبت الولاية من علي (ع) وأخذهم فدّك، وهي اشارة آخرى، فكانت للرسول (ص وآله) خاصة به "فهي فيء خصَّه به الله لأنّ المسلمين لم يأخذوها بقتال، فلا تُقسم قسمة الغنائم لأنّها لا يوجف عليها بخيل ولا ركاب...، وكان الصحابة من قبل طلبوا من الرسول (ص وآله) أن يُقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة بينهم، فذكر الله الفرق بين الامرين في سورة الحشر، وقد غرس (ص وآله) بعض النخيل في فدك وجعلها لفاطمة الزهراء وكانت (ع) تتصدق بخراجها بعد أن تستقي ما يسدُّ الحاجة، ورأى ابو بكر أن تكون فدك بيد ولي الامر–أي بيده– يوزع اخراجها الناس"[٥].

فالإمام الهادي (ع) بخطابه هذا وبإشارته، يكون قد حاجج المجتمع كافة (الحاكم والمحكوم) فهذه الحجة لا يستطيع أحد نُكْرانها لكونها حادثة جرت أمام العيان والكُلّ يعرف قضية حرق الدار وما آلت إليه من مجريات آخرى. فيكون الإمام قد حقق غايته من الدعاء، وهي نشر فضائل آل البيت (ع) وبيان مصائبهم ليعرف المتلقي الذي لم يكن معهم في وقت الاحداث، فعن طريق الدعاء أوجزَ الإمام أحداثاً كثيرة وهامة في الدين الإسلامي بأسطرٍ قليلة لكن معناها أكبر وتأثيرها أقوى، في تعديل الرؤيا الصحيحة

(١) ينظر: بحار الأنوار: مج ١٠١/٢٢–١٢٨.

(٢) فضائل علي أمير المؤمنين (ع): ٤٧٧– ٤٨٠، رقم الحديث٣٧٢، وينظر: بحار الأنوار: مج ٢٦/٢٢.

(٣) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ١٨٥–١٨٦، رقم الحديث١٣٣، وينظر: بحار الأنوار: مج ٢٦/٢٢.

(٤) بحار الأنوار: مج ٢٢/ ١٥–١٦، رقم الحديث ٤.

(٥) الموسوعة الكبرى فاطمة الزهراء، اسماعيل الانصاري الزنجاني الخوئيني: ج٢٧/١٢، رقم الحديث٦.

عن آل البيت (ع) وشيعتهم الموالين لهم. وفي نموذج آخر من دعاء الإمام العسكري (ع) (في الصلاة على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام): **((اللّهُمَّ صَلِّ عَلى الصِّدّيقَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ الزَّكِيَّةِ، حَبِيبَةِ نَبِيِّكَ، وَأُمِّ أَحبائِكَ وَأَصْفِيائِكَ، الَّتِي انْتَجَبْتَها، وَفَضَّلْتَها، وَاخْتَرْتَها عَلى نِساءِ العالَمِينَ، اللّهُمَّ كُنِ الطَّالِبَ لَها مِمَّنْ ظَلَمَها، وَاسْتَخَفَّ بِحَقِّها، وَكُنِ الثَّائِرَ لَها (اللّهُمَّ) بِدَمِ أَوْلادِها))**[1].

ففي هذا النموذج أيضاً إشارة تاريخية (كُنِ الطَّالِبَ لَها مِمَّنْ ظَلَمَها وَاسْتَخَفَّ بِحَقِّها) وهي إشارة لما جرت عليها من مظلومية من أُمة أبيها وخاصة أصحاب رسول الله (ص وآله) فهم قد انكروا وصايا الرسول (ص وآله) وظلموا ابنته (ع) واعتدوا على دارها وعصروها خلف الباب[2]، فهذه حجة أُولى أحتج بها الإمام لِيُعَرِفَ المتلقين في زمانه منْ هي فاطمة (ع)؟ وما تعرضت إليه من أُمة أبيها، الذين نسوا مقربتها من الرسول (ص وآله) وظلموها، وذكر إشارة تاريخية آخرى (وَكُنِ الثَّائِرَ لَها اللّهُمَّ بِدَمِ أَوْلادِها) وهي إشارة آخرى لحادثة كبرى التي لولاها لما قام دين محمّد (ص وآله) على الوجه الصحيح حتى يومنا هذا، فهي إشارة إلى الفاجعة الكبرى بحق ولدها الإمام الحسين (ع) وعياله من قتله وسبيِّ عياله وذبح رضيعه فهذه الحادثة في التاريخ الإسلامي التي مهما حاول أعداء أهل البيت (ع) كتمانها وتشويه صورتهم (ع) وعدم نشر فضائلهم، أوجزها الإمام بعبارة قصيرة جداً ولكنها حركت أذهان المتلقين للمعرفة والتذكير بالحادثة العظمى بحق أولادها (ع) وكلمة (الثائر) دلالة على ظهور القائم (عج) والذي يخرجه الله سبحانه وتعالى ليأخذ الثأر لمقتل الإمام الحسين(ع) فهذه الإشارة للتأكيد على أن الإمام الأخير من صلبه وأن الثأر على يديه يكون وعلى المتلقي في عصره الانتظار لخروج القائم (عج) وتهيئة النفوس لذلك الخروج.

ونموذج آخر: للإمام العسكري(ع): **((اللّهُمَّ انَّكَ مُنْزِلُ الْقُرْآنِ، وَخالِقُ الْإِنْسِ وِالْجانِّ، وَجاعِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِحُسْبانٍ،...، اَسْالُكَ بِمُحَمَّدٍ،...، وَبالإمام الثِّقَةِ الْحَسَنِ بْنِ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذي طُرِحَ للسِّباعِ فَخَلَّصْتهُ مِنْ مَرابِضِها، وَامْتُحِنَ بِالدَّوابِّ الصِّعابِ، فَذَلَّلَتْ لَهُ مَراكِبَها، اَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ...))**[3].

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠٧.

(٢) ينظر: بحار الأنوار: مج ١٠١/٢٢- ١٢٨، وينظر: مقتل فاطمة الزهراء عليها السلام، الشيخ منتظر الواعظ: ٢٣-٢٨.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٤٦.

وفيه يذكر لنا حادثة خاصة بالإمام العسكري (ع) بالإشارة اللفظية القصيرة المراد منها، أو الغاية من توظيفه لهذه الإشارة ولهذه الحادثة بالذات للتأكيد على إمامته وعصمته ومنزلته عند الله تعالى وهي حادثة سجنه مع السباع لأجل التخلص من الإمام العسكري (ع)، إلا أنّها لم تقترب منه،... وخضعت أمامهُ، وفي الصباح جاء الحراس ليروا هذه المكيدة الفاشلة للقضاءِ على الإمام (ع)، ولكنهم لم يَّعوا من هذه الحادثة فالحيوان المفترس لم يقترب من الإمام لأكله –وهو قائمٌ يصلي– اعترافاً منها بإمامته وخوفها من غضب الله تعالى[1]، فكيف اولئك البشر الذين أكرمهم الله بالعقل ولم يؤمنوا بإمامةِ الإمام العسكري (ع) والأئمةَ المعصومينِ جميعاً! فالحيوان أقرّ بالإمامة ومنزلته العظيمة عند الله تعالى والبشر شغلهم حبّ الدنيا (السلطة والجاه والمال) فابتعدوا عن الدين. فهذه الإشارات التاريخية وظفها الأئمة (ع) في خطابهم المضاد للسلطة ودعاويهم إلى جانب القرآن الكريم والحديث الشريف، لكونها حجة قوية لأنّها ذكرت في كتب الرواة (رواة الأئمة عليهم السلام) وتوارثها جيل بعد جيل عبر الرواية والتذكير في خطبهم وأقوالهم وأحاديثهم وأخيراً في أدعيتهم حتى يسلط الضوء على الدور الاصلاحي للأئمة المعصومين (ع) وما تعرضوا لأجل صلاح الأمة من مظلومية حاول أعداؤهم منع الأئمة من بثها في خطابهم المباشر مع أنصارهم.

٢– آلية التتابع السببي:

إلى جانب الآليات الفنية الآنفة الذكر (آلية التناص الديني والتاريخي) نجد أيضاً ما يعرف بـ (آلية التتابع السببي) وهذه الآلية من ضروب الحِجج المؤسسة على بنية الواقع، حيث تستخدم "للربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلماً بها وذلك بجعل الأحكام المسلم بها والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كلّ واحد يجمع بينها بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلم بالآخر"[2] وللتتابع السببي أو الوصل السببي، ثلاثة ضروب من الحجاج:

١– "حجاج يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي، مثال: أجتهد فنجح.

٢– حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سبب أحدثه وأدّى إليه، مثال: نجح لأنه أجتهد.

---

(١) ينظر: الاصول من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرّازي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفّاري: ٥١٣/١، وينظر: بحار الأنوار: مج ٣٤٩/٢٥

(٢) في نظرية الحجاج: ٤٩.

٣- حجاج يرمي إلى التكهن بما سينجز عن حدث ما من نتائج، مثال: هو يجتهد فسينجح"[١].

إذ ينطلق الحجاج عبر آلية التتابع السببي من السبب إلى النتيجة أو من النتيجة إلى السبب، والمتكلم هو الذي يحدد اتجاه آلية التتابع السببي سواء أكان من السبب إلى النتيجة أم بالعكس، وفي النموذج الآتي: سنبين ما الفائدة من آلية التتابع السببي؟ في دعاء الإمام الرضا (ع): ((**الِهي بَدَتْ قُدْرَتُكَ، وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةٌ لَكَ، فَجَهِلُوكَ وَقَدَّرُوكَ، وَالتَّقْديرُ عَلى غير ما بِه شَبَّهُوكَ، فَأَنَا بَريءٌ -يا اِلهي- مِنَ الَّذينَ بالتَّشْبيهِ طَلَبُوكَ، لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ، وَلَنْ يُدْرِكُوكَ، ظاهِرُ ما بِهِمْ مِنْ نِعْمَتِكَ، دَلَّهُمْ عَلَيْكَ لَوْ عَرَفُوكَ، وَفي خَلْقِكَ يا اِلهي مَنْدُوحَةٌ إنْ يَتَناوَلوكَ، بَلْ شَبَّهُوكَ بخلقك، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ، وَاتَّخَذُوا بَعْضَ آياتِكَ رَبّاً فَبِذلِكَ وَصَفُوكَ، فَتَعالَيْتَ يا اِلهي، وَتَقَدَّسَتْ عَمّا بِهِ الْمُشَبِّهُونَ نَعَتُوكَ، يا سامِعَ كُلِّ صَوْتٍ، وَ يا سابِقَ كُلِّ فَوْتٍ، يا مُحْيِ الْعِظامِ وَهِيَ رَميمٌ، وَمُنْشِئَها بَعْدَ الْمَوْتِ،...**))[٢]. حيث نجد الدُّعاء قائماً على آلية التتابع السببي فهو يربط بين السبب والنتيجة والإمام الرضا (ع) عمد إلى هذه الآلية لتفسير وتوضيح الأسباب التي دفعت بعض المنتمين إلى عقيدة الاسلام – التي تؤمن بوحدانية الله تعالى– إلى البحث عن الله تعالى في عالم الوجود عالم المحسوسات؛ فشبهوه بخلقهِ وقالوا بأنّ الله تعالى مثلنا، وذلك بسبب تفسير لبعض آياته الكريمة على الظاهر اللفظي لكلماته سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى: ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[٣]، فقالوا إن الله سبحانه وتعالى له يدٌ واستدلوا بآيات كريمة آخرى على تجسيم الله تعالى وتشبيهه بخلقه لأنّهم أخذوا بظاهر اللفظ وإنّما المعنى الباطن للآية هو أن الله تعالى فوق كُلِّ شيءٍ للدلالة على قوته وقدرته ومن الأسباب الآخرى للتشبيه هو أنّهم لم يعرفوه ولن تدركه الأعيان البشرية، وإنّما هو سبحانه وتعالى يُدركُ بالبصيرة (بصيرة القلب) وكان ترتيب الحجج كما هو موضح في الجدول الآتي:

السبب	النتيجة
١- **بَدَتْ قُدْرَتُكَ، وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةٌ لَكَ .**	- **فَجَهِلُوكَ .**
٢- **وَقَدَّرُوكَ .**	- **وَالتَّقْديرُ عَلى غير ما بِه شَبَّهُوكَ .**
٣- **شَبَّهُوكَ بخلقك .**	- **فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ .**
٤- **وَاتَّخَذُوا بَعْضَ آياتِكَ رَبّاً .**	- **فَبِذلِكَ وَصَفُوكَ .**

(١) في نظرية الحجاج: ٥٠، وينظر: بلاغة الاقناع: ١٧١.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة:٢٠، وينظر أيضاً: ١٦٢.

(٣) الفتح: ١٠.

وفي دحض هذا الوهم الحاصل من قبل بعض المشبهين لله تعالى اتبع الإمام (ع) الآلية نفسها، وهي (التتابع السببي) كما موضح في الجدول الآتي:

النتيجة	السبب
١- **فَأَنَاَ بَرِيءٌ -يا اِلهي- مِنَ الَّذينَ بالتَّشْبيهِ طَلَبُوكَ** ٢- **فَتَعالَيْتَ يا اِلهي وَتَقَدَّسَتْ عَمّا بِهِ الْمُشَبِّهُونَ نَعَتُوكَ.**	- **لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ، وَلَنْ يُدْرِكُوكَ، ظاهِرُ ما بِهِمْ مِنْ نِعْمَتِكَ، دَلَّهُمْ عَلَيْكَ لَوْ عَرَفُوكَ.** - **يا سامِعَ كُلِّ صَوْتٍ، وَ يا سابِقَ كُلِّ فَوْتٍ، يا مُحْيِ الْعِظامِ وَهِيَ رَميمٌ، وَمُنْشِئَها بَعْدَ الْمَوْتِ.**

وهنا نلمس الرد على المشبهة والمجسمة لله تعالى، من خلال أن الإمام (ع) بّرأَ نَفْسَهُ من الذين شبهوا الله تعالى، فتناص مع القرآن الكريم باقتباسه المباشر لقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[١]، فكانت حجته الأولى للرد عليهم حجّة قوية تمثل حجة سلطة النص، وهي (سلطة النص القرآني) لكونه يمثل المعرفة المشتركة بين المتكلم/الإمام، والمتلقي/الجمهور المستمع. والحجّة التالية إنّهم لم يعرفوا قدرته في الخلق والإيجاد بهذه الصورة التامة، ولو نظروا إلى أنفسهم وبما أنعم الله تعالى علينا من نعمة البصر والسمع والنطق والعقل...إلخ، لأدركوا أن وراء ذلك خالقاً أعظمَ من أن يحدّهُ حدٌ أو وصفٌ. والحجّة الأخيرة هي الحجّة بذكر صفاته وقدراته الكبرى إلى جانب خالقيته (عزّ وجلّ)، فهو سامع كُلّ صوت وهذا يدلّ على إنّه غير محدود مثلنا، فالبشر لا يمكنهم أن يسمعوا كلّ صوت، فالله سبحانه وتعالى يسمع صوت مخلوقاته عامة وفي أيَّ مكان وزمان كان، فهذا يدلّ على أنّه تعالى مطلق غير محدود، (يا مُحْيِ الْعِظامِ وَهِيَ رَميمٌ، وَمُنْشِئَها بَعْدَ الْمَوْتِ)[٢]، فهذه صفات تدلّ على قدرته على الخلق من العدم، والاحياء بعد الموت. فكانت لهذه الآلية المتبعة في الدعاء قدرة على إقناع المتلقي باستخلاص الفكرة المقصودة أو النتيجة النهائية من الدعاء وهي أن تشبيه الله تعالى وتجسيمه، يُعد كُفراً بالله تعالى؛ لأنّه لو كان مثل مخلوقاته فذلك يستدعي وجود من خلقه سبحانه وتعالى فبيّن الإمام الرضا (ع) وَهَمّ من أخضع الله تعالى لأطُرِهِ الفكرية المحدودة والمقيّدة، عبر آلية التتابع بين السبب والنتيجة وبالعكس، فيصل المتلقي إلى الاقناع بفكرة نفي التشبيه.

(١) الشورى: ١١.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠.

وفي دعاء آخر نجد إتباع الآلية نفسها في نفي قضية الجبر والتفويض[١] وهذه القضية من القضايا الفكرية الآخرى التي تعرض لها الإسلام، وانقسم فيها المسلمون على ثلاثة اقسام: قسمٌ يرى أنّ العبد لا اختيار له في أتباع الحلال وتجنب الحرام لكونه مجبراً على ذلك قد كتبه الله تعالى عليه، وما يرتكبه العبد من ذنوب يكون بعلم الله تعالى، وقسمٌ آخر يقول: بأنّ العبد مخير لا مجبر فهو يرتكب الذنب بإرادته ولا يعني ذلك أن الله قد كتبه له وقضى به عليه، أمّا مدرسة أهل البيت (ع) فقد وقفت موقفاً وسطاً من هذه المسألة فلم يؤيد أئمة أهل البيت جانب الجبر ولا مسألة التخيير، وإنّما ذهبوا (عليهم السلام) إلى القول بالأمر بين أمرين وهذا ما عبر عنه الإمام الصادق (ع) بقوله: ((**لا جبرٌ ولا تفويضٌ، بل أمرٌ بين الأمرين**))[٢] وهذه القضية قد اثارت الفتن بين المسلمين ونجد الإمام الجواد (ع) متعرضاً لهذه القضية مشيراً إليها في أحد أدعيته التي ضمتها الصحيفة المباركة كقوله (ع): ((**أَنْشَأْتَنا لا لِعِلَّةٍ اِقْتِساراً، وَاخْتَرَعْتَنا لا لِحاجَةٍ اِقْتِداراً، وَابْتَدَعْتَنا بِحِكْمَتِكَ اِخْتِياراً، وَبَلَوْتَنا بِأَمْرِكَ وَنَهْيِكَ اِخْتِباراً،...**))[٣].

ففي فقراتِ الدعاءِ أو مقاطعهِ الأولى وظفها الإمام(ع) في نفي قضية الجبر والتفويض عبر آلية التتابع السببي وباتجاه يبدأ من الأسباب، وهي هنا (صفات الله تعالى وقدرته) إلى النتيجة، وهي (نفي الجبر والتفويض) كما في الجدول الآتي:

الاسباب	النتيجة
١- **أَنْشَأْتَنا لا لِعِلَّةٍ اِقْتِساراً، وَاخْتَرَعْتَنا لا لِحاجَةٍ اِقْتِداراً.**	- تنزيه الله وتفرده بالربوبية.
٢- **وَابْتَدَعْتَنا بِحِكْمَتِكَ اِخْتِياراً، وَبَلَوْتَنا بِأَمْرِكَ وَنَهْيِكَ اِخْتِباراً.**	- نفي الجبر والتفويض.
٣- **وَأَيَّدْتَنا بِالْآلاتِ، وَمَنَحْتَنَا الْأَدَواتِ، وَكَلَّفْتَنَا الطّاقَةَ، وَجَشَّمْتَنَا الطّاعَةَ.**	- **فَأَمَرْتَ تَخْييراً، وَنَهَيْتَ تَحْذيراً.**
٤- **وَخَوَّلْتَ كَثيراً، وَسَأَلْتَ يَسيراً.**	- **فَعُصِيَ اَمْرُكَ فَحَلُمْتَ .**
٥- **جُهِلَ قَدْرُكَ.**	- **فَتَكَرَّمْتَ.**

(١) ينظر: تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني:٣٠٩، وينظر: الأحتجاج، العلامة الخبير أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي: ٢/٢١٦-٢٢٠.

(٢) الأحتجاج: ٢/٢١٦.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٣.

	- فَاَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ وَالْبَهاءِ، وَالْعَظُمَةِ وَالْكِبْرِياءِ، وَالْإِحْسانِ وَالنَّعماءِ، وَالْمَنِّ وَالْالاءِ، وَالْمَنْحِ وَالْعَطاءِ، وَالْإِنْجازِ وَالْوَفاءِ

فالتتابع السببي له أهمية في رفد الجانب الحجاجي بقوة حجاجية مما يصل المتلقي إلى الاقتناع بدعوى الإمام وهي (نفي الجبر والتفويض)، حيث فسر الإمام الأسباب الكافية لنفي الجبر والتفويض، وهذا التتابع السببي يشد ذهن المتلقي ويحركه للتفكير بكلّ حجة مكونة من سبب ونتيجة إلى أن يصل المتلقي للنتيجة النهائية والمقصودة من هذا الترابط والتتابع بين الحجج السببية.

وفي الدعاء نفسه نجد فقرة تالية يذكر الإمام فيها جملة من الأسباب المتتابعة أيضاً ليصل بالمتلقي إلى النتيجة وهي غير مصرح بها في الدعاء وإنّما جاءت ضمنية، بعض الجمل تدلّ على النتيجة وهي نفي التجسيم والتشبيه لله تعالى بخلقه، وهي **((لا تُحيطُ الْقُلُوبُ لَكَ بِكُنْهٍ، وَلا تُدْرِكَ الْأَوْهامُ لَكَ صِفَةً، وَلا يُشْبِهُكَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِكَ، وَلا يُمثَّلُ بِكَ شَيْءٌ مِنْ صَنْعَتِكَ، تَبارَكْتَ أَنَ تُحَسَّ أَوْ تُمَسَّ، أَوْ تُدْرِكَكَ الْحواسُّ الْخَمْسُ، وَأَنَّى يُدْرِكُ مَخْلُوقٌ خالِقَهُ، وَتَعالَيْتَ يا إِلهى عَمّا يَقُولُ الظّالِمُونَ عُلُوّاً كَبيراً))**[1] كما هو موضح في الجدول الآتي:

السبب	النتيجة
- **لا تُحيطُ الْقُلُوبُ لَكَ بِكُنْهٍ، وَلا تُدْرِكُ الْأَوْهامُ لَكَ صِفَةً، وَلا يُشْبِهُكَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِكَ، وَلا يُمثَّلُ بِكَ شَيْءٌ مِنْ صَنْعَتِكَ، تَبارَكْتَ أَنَ تُحَسَّ أَوْ تُمَسَّ، أَوْ تُدْرِكَكَ الْحواسُّ الْخَمْسُ**	نفي التجسيم والتشبيه لله تعالى بخلقه .

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٣.

٣-آلية الروابط الحجاجية:

تعد هذه الآلية من الآليات اللغوية المهمة في ترتيب الحجج وتنظيم العلاقات الحجاجية، إذ لولا هذه العناصر اللغوية لَمْ يَقم الخطاب -أيًّا كان نوعه- على درجة عالية من الانسجام، وبالتالي لا تتحقق النتيجة المرجوة من الخطاب وهي "الدفع باتجاه تحقيق الإقناع عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم، بمعنى أنها عناصر لغوية تلعب دوراً أساسياً في اتساق النص وانسجامه، وربط أجزائه شكلاً ومضموناً من أجل تحقيق الوظيفة التوجيهية الحجاجية للملفوظات"(١) وبذلك يعرف الرابط بأنّه: "هو كُلّ لفظ يُمكّن من ربط قضيتين أو جملتين أو أكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة"(٢).

وقد اهتم بعض باحثين الغرب في دراسة هذه العناصر اللغوية وتمركزت أبحاثهم على تلك العناصر التي تربط بين الحجج فهي إلى جانب دورها في ربط اجزاء الكلام وتحقيق انسجامه تضطلع بوظيفة آخرى، هي وظيفة حجاجية، حيث تقوم بالربط بين الحجّة والنتيجة (المقدمات والنتائج) فهي لذلك تعد شرطاً أساسياً لتحقيق الحجاج، وهذه الروابط متنوعة فهي تشمل: اسماء، افعال، وحروف، ولكلّ واحد منها دوره في الخطاب الحجاجي وعند استعمالها في الخطاب يتطلب أن تكون ملائمةً لدلالة الخطاب وقصد المخاطِب ووضعها في المكان المناسب بين الحجج التي تنبئ عن تسلسل حجج الخطاب، وهذه الروابط "ليست هي حجج بعينها، كما أنّها لا تستوعبها كلّها، وإنّما هذه الأدوات هي قوالبٌ تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق"(٣) إذن فالروابط الحجاجية "هي التي تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح، وتسند لكُلّ قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة"(٤).

وتصنّف هذه الروابط تصنيفات عديدة منها:

---

(١) الروابط الحجاجية في توقيع الإمام أبي محمد الحسن العسكري إلى اسحق بن اسماعيل النيسابوري، عبد الاله عبد الوهاب (بحث): ٣٨.

(٢) التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، تر: د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، ومراجعة د. لطيف زيتوني: ٢٦٥.

(٣) استراتيجيات الخطاب: ٤٧٧.

(٤) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي:٢٧.

١- "الروابط المدرجة للحجج مثل (حتى، بل، لكن مع ذلك، لأن...) والروابط المدرجة للنتائج مثل: (إذن، لهذا، وبالتالي...).

٢- الروابط التي تدرج حججاً قوية (حتى، لكن، بل، لاسيما...) والروابط التي تدرج حججاً ضعيفة.

٣- روابط التعارض الحجاجي: (بل، لكن، مع، ذلك...) وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما...) [١]".

أ- الرابط لكن:

والرابط لكن هو "حرف استدراك، ومعنى الاستدراك أن تنسب حكماً لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنّك لما أخبرت عن الأول بخبرٍ خفت أن يتوهم في الثاني، مثل ذلك فتداركت بخبره سلباً أو إيجاباً... ولا تقع لكن إلا بين متنافيين بوجه"[٢] ولذلك فهي تربط بين قولين متعارضين.

كما في دُعاء الإمام الرضا (ع): ((**اِلهي وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَمَدَدْتُ يَدي اِلَيْكَ، مَعَ عِلْمي بِتَفْريطي في عِبادَتِكَ، وَاِهْمالي لِكَثيرٍ مِنْ طاعَتِكَ، وَلَوْ انّي سَلَكْتُ سَبيلَ الْحَياءِ لَخِفْتُ مِنْ مَقامِ الْطَّلَبِ وَالدُّعاءِ، وَلكِنّي يا رَبِّ لمّا سَمِعتُكَ تُنادِي الْمُسْرِفينَ إلى بابِكَ، وَتَعِدهُمْ بِحُسْنِ اِقالَتِكَ وَثَوابِكَ...**))[٣].

فالحجة الأولى قبل الرابط (لكن) يصرح بارتكاب العبد للذنوب سواء بإهمال واجبات الطاعة أو التفريط في أمور العبادة فهذه الحجة تخدم النتيجة الضمنية التي يصل إليها المتلقي، وهي توجيه المتلقي للتغيير في سلوكه المقصّر بعبادته سبحانه وتعالى، وإن ارتكاب الذنوب سبب في ردّ الدعاء، وأمّا الحجة الثانية بعد الرابط (لكن) فهي لم تخرج عن الموضوع نفسه ولكنها صرحت بالحجج القوية، وهي أن الله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين ينادي المسرفين والمقصرين في عبادته للتوجه إليه بالصلاة والدعاء وأن الله سبحانه وتعالى يقبل الدعاء رغم ذنوب العبد، لماذا؟

لأنّه أ- نادى عباده جميعاً للتوجه إليه بالدعاء، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ اَدْعُونِي اَسْتَجِبَ لَكُمْ**﴾[٤]، ب- ولأنّه ارحم الراحمين، ج- ولأنّ العبد قدّم بين يديه وتوجه بمحمد نبيه (ص وآله) وأهل بيته فهم الوسيلة المحققة للشفاعة وإجابة الدعاء.

---

(١) التحاجج طبيعته، مجالاته، وظائفه وضوابطه، حمو النقاري: ٦٥-٦٦.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدّين قبَاوةَ، ومحمَّد نَديم فَاضِل: ٥٩.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠ -٢١.

(٤) غافر: ٦٠.

ب- **الرابط الواو:**

وهو حرفُ عطفٌ ويكون له دور حجاجي، في ترتيب الحجج وجعلها مترابطة ومتسلسلة في سلّم حجاجي تام يخدم النتيجة المرجوة، يعمل الواو "على رص الحجج وتماسكها وتقويتها فضلاً عن التدرجية أو السلّمية في ترتيب الحجج وعرضها"[١]. فنلاحظ الحجج التي جاء (الواو) رابطاً بينها كالآتي:

١- **((وَقَدْ تَوَجَّهْتُ اِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهِ، الَّذي فَضَّلْتَهُ عَلى أَهْلِ الطّاعةِ، وَمَنَحْتَهُ بِالْإِجابَةِ وَالشَّفاعةِ.**

٢- **وَبِوصِيِّهِ المُخْتارِ...**

٣- **وَبِفاطِمَةَ سَيِّدَةِ النِّساءِ.**

٤- **وَبِأَبْنائِهَا الْاَوْلِياءِ الْاَوْصِياءِ.**

٥- **وَبِكُلِّ مَلَكٍ خاصَّةٍ يَتَوَجَّهُونَ بِهِمْ اِلَيْكَ.**

٦- **وَيَجْعَلُونهُمُ الْوَسيلَةَ في الشَّفاعةِ لَدَيْكَ، وَهوُلاءِ خاصَّتُكَ، فَصَلَّ عَلَيْهِمْ))**[٢]

فهي حجج مترابطة متتابعة توصل المتلقي إلى نتيجة يستشعرها ضمناً وهي قبول الدعاء وسرعة الإجابة وكلّ ذلك جاء بهذه الصورة الوجدانية التي مزجت بين البعد العقلي للحجاج وبين سياقه العاطفي الوارد ضمن بنية الدّعاء.

ج- **الرابط ثم:**

وفي دعاء آخر نجد الإمام الجواد (عليه السلام) يقدم جملة من الاسباب المتصلة برابط سببي وهو (ثم) -"ومعناها العطف، وهي تدلّ على التراخي والمهلة"[٣]- والنتيجة واحدة وذلك في توحيد الله تعالى والثناء عليه ونفي الشريك عنه: **((يَا ذَا الَّذِي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ يَبْقَى وَيَفْنى كُلُّ شَيْءٍ،...))**[٤] إذ أفاد الرابط (ثم) في الدعاء ترتيب الحجج للوصول إلى النتيجة المرجوة وهي (لا اله يعبد غيره) نفي الشريك مع الله تعالى ببيان قدراته تعالى وصفاته.

---

(١) الروابط الحجاجية في توقيع الإمام أبي محمد الحسن العسكري إلى اسحق بن اسماعيل النيسابوري: ٤٢.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢١.

(٣) معاني الحروف، مُذيلاً بالإعجاز اللغوي لحروف القرآن المجيد، الإمام أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ) حققه وخرج حديثه وعلق عليه: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي: ١١٩.

(٤) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١١٧.

د- **الرابط حتى:**

وتتمثل الحجج المرتبطة بالرابط الحجاجي (حتى) بأنّها حججٌ قويةٌ، فضلاً عن أنّها "ينبغي أنْ تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنّها تخدم نتيجة واحدة، ثم إنَّ الحجة التي ترد بعد [هذا الرابط تكون] هي الأقوى،... ولذلك فإنَّ القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي"(١).

كما في الدعاء الآتي: ((**اَللّهُمَّ اِنِّي اَسْأَلُكَ لَهُمْ تَوْفيقَ أَهْلِ الْهَدى، وَأَعْمالَ أَهْلِ الْيَقينِ وَمُناصَحَةَ أَهْلِ التَّوْبَةِ، وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّبْرِ، وَتَقِيَّةَ أَهْلِ الْوَرَعِ، وَكِتْمانَ الصِّديقينَ حَتّى يَخافُوكَ- اَللّهُمَّ- مَخافَةً تَحْجُزُهُمْ عَنْ مَعاصِيكَ، وَحَتّى يَعْمَلُوا بِطاعَتِكَ لِيَنالُوا كَرامَتَكَ، وَحَتّى يُناصِحُوا لَكَ وَفيكَ خَوْفاً مِنْكَ، وَحَتّى يُخْلِصُوا لَكَ النَّصيحَةَ في التَّوْبَةِ حُبّاً لَكَ، فَتُوجِبَ لَهُمْ مَحَبَّتَكَ الَّتي أَوْجَبْتَها لِلتَّوابينَ، وَحَتّى يَتَوَكَّلُوا عَلَيْكَ في أُمُوْرِهِمْ كُلِّها حُسْنَ ظَنٍّ بِكَ، وَحَتّى يُفَوِّضُوا إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثِقَةً بِكَ**))(٢).

ففي هذا الدعاء نجد بناء عباراته على درجة من الدقة في عرض صورة تُبين لنّا الصفات الفعلية، أي أفعالهم الحركية التي يرغب الإمام الهادي (ع) أن يتحلى بها مُحبيهم ومواليهم، فاستعمل الرابط (حتى) للربط بين أكثر من حجة تخدم نتيجة واحدة والمتمثلة بطلب وسؤال الإمام (ع) من الله سبحانه وتعالى لمواليهم ومحبيهم بـ(تَوْفيقَ أَهْلِ التَّوْبَةِ، وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّبْرِ، وَتَقِيَّةَ أَهْلِ الْوَرَعِ، وَكِتْمانَ الصِّديقينَ) التي وردت هنا بمعنى (كي) أي كي يخافوك.. وكي يعملوا بطاعتك.. للإشارة إلى دخول ما بعدها في حكم ما قبلها وهكذا نجد للروابط الحجاجية دوراً في سياق الكلام وهو ترتيب العبارات الحجاجية وانتقاء مواضعها في الخطاب النصي المحققة لمقاصد المتكلم من خطابه، لذلك أعطى توظيفها في أدعية الأئمة الأطهار(عليه السلام) دوراً كبيراً في تأدية المعنى وانسجام الكلام، لتنحصر وظيفتها الحجاجية داخل اللغة مما يمنح الخطاب الدعائي دفعاً قوياً ومؤثراً، وتحصيل فعل التأثير الاقناعي لدى المتلقي (السامع والقارئ) للدعاء، لتناسق وانسجام جمل وعبارات الدعاء بفضل الآليات اللغوية والفنية المحققة للفعل التأثير الاقناعي لدى المتلقي(٣).

---

(١) اللغة والحجاج: ٧٣.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٥.

(٣) الروابط الحجاجية في توقيع الإمام أبي محمد الحسن العسكري إلى اسحق بن اسماعيل النيسابوري: ٤٤.

وخلاصة لما ذكرناه في الاستراتيجية الاقناعية التي تمثلت في خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة عبر آليات (التناص الأدبي، التتابع السببي، الروابط الحجاجية) فبالنسبة لآلية التناص لمسنا كثرة تداخل نصوص أدعية الصحيفة المباركة مع نصوص آخرى، وهي نصوص تقوي من سلطة الخطاب في الدعاء وتعزز من ابراز المعنى بالحجج النصية الساندة للرأي أو الفكرة المعروضة في الدعاء، كما وجدنا ذلك في نماذج أعلنت حق الولاية للإمام (علي ابن أبي طالب) ونشر فضائله والتذكير بأمور عقائدية سبق ذكرها وتفصيلها في النصوص السابقة كالنص القرآني ونص الحديث الشريف فضلاً عن أثر التناص التاريخي بذكر إشارات مختزلة لأحداث سبق وقعها آنذاك كما في حادثة وفاة النبي الأعظم (ص واله) وما آلت بعده من صيحات كاذبة في سلب الولاية من الإمام (علي بن أبي طالب عليه السلام) الذي عينه النبي (ص وآله) بأنّه الإمام المتبع بعده في إدارة شؤون الأمة الإسلامية في الدين والدنيا، وأما بالنسبة لآلية التتابع السببي فإنّها إذ استعملت للربط بين الحجج القوية والساندة للنتيجة المرجوة وهو ربط يكون من السبب إلى النتيجة وبالعكس، واتضح عبر نماذج من الصحيفة المباركة أثر هذه الآلية وقدرتها في اقناع المتلقي باستخلاص الفكرة المقصودة أو النتيجة النهائية من الدعاء كما في قضايا الرد على التشبيه والتجسيم ووحدانية الله جلّ وعلا، بينما كان لاستعمال آلية الروابط الحجاجية في أدعية الصحيفة دورٌ كبيرٌ في تأدية المعنى وانسجام الكلام، فضلاً عن أثرها في تدريج الحجج من الأضعف إلى الأقوى وهكذا. فعلى الرغم من كون هذه الآليات تدلّ على استخدامها الحداثوية لعلم البلاغة المعاصرة (البلاغة الحجاجية، الاقناعية) وبقية العلوم المستحدثة فإن البحث لم يخرج عن إطاره المعرفي في تتبع جماليات الخطاب فالجماليات متحققة في الخطاب الدعائي سواء أكان على صعيد عنصر البناء الفني أم على صعيد العنصر الفكري؛ فالخطابات المذكورة في هذا المبحث وفي بقية المباحث كما سنشاهد لاحقاً. عكست للمتلقي مُلامسة المرسِل (الإمام) لأبعاد الفكر الإسلامي ملامسة جمالية أبعدتها عن اللغة التقريرية إذ غلبت عليها اللغة الأدبية التي كان لها أثر في طبع الدعاء بوظيفتي الإمتاع والاقناع، فنشهد تناسب عنصري البناء الفني والفكري في خلق جماليات الخطاب.

المبحث الثاني

الاستراتيجية التوجيهية

أولا: مفهوم الاستراتيجية التوجيهية

ذكرنا في توطئة الفصل الأول مفهوم الاستراتيجية وما تحمله من معان عدة، ومنها هي الطريقة المتبعة لتحقيق هدف ما عبر استعمالها لأدوات ووسائل تُعين على تحقيق الهدف، والاستراتيجية بصورة عامة واستراتيجية الخطاب تخضع لتخطيط ذهني مسبق قبل تبلورها في الصورة النهائية للخطاب، وهناك عوامل مؤثرة في اختيار الاستراتيجية المناسبة للخطاب، يراعيها المرسِل قبل التلفظ بخطابه، ليضمن تحقيق مقصده وهدفه من الخطاب، وهي تشمل: (طبيعة المرسَل إليه وأحواله، وموضوع الخطاب، وهدف الخطاب، وسياق العملية الخطابية، فضلاً عن دور السلطة والمقاصد) في تحديد الاستراتيجية المتبعة في الخطاب(١).

فـ"الاستراتيجية التوجيهية من الاستراتيجيات الخطابية التي يختارها المرسل لاعتبارات يفرضها المقام والسياق تارة، والعلاقة بين طرفي الخطاب تارة آخرى"(٢). كما "يمكننا تعريف الاستراتيجية التوجيهية بأنها الاستراتيجية التي يرغب المرسِل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسَل إليه ..."(٣)، وعُرفتَ بالتوجيهية، لأنّ المرسِل يهدف من خطابه ارسال رسالة توجيهية للمتلقي، يتطلب إنجازها عملاً مستقبلاً سواء لصالح المرسِل أو المرسَل إليه(٤).

ولذلك "فان الخطاب ذا الاستراتيجية التوجيهية يعد ضغطاً وتدخلاً ولو بدرجات متفاوتة، على المرسَل إليه وتوجيهه لفعل مستقبلي معين"(٥) حيث يولي المرسِل في خطابه أهمية تبليغ المحتوى بالطريقة الواضحة والمباشرة التي لا تحمل اكثر من معنى، ليكون أمر التنفيذ واضحاً عند المرسَل إليه، وتأتي مرتبة تهذيب الخطاب بالمقام التالي، أي بعد مقام تبليغ المحتوى(٦).

---

(١) ينظر: توطئة الفصل الأول: ٢٠-٢٣.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب القرآني سورة آل عمران انموذجاً: ١٠٠.

(٣) الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية: ٥٤١.

(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٣٩.

(٥) م – ن: ٣٢٢ -٣٢٣.

(٦) ينظر: م – ن: ٣٢٣.

وقد عمد الأئمة المعصومون (عليهم السلام) إلى استثمار فاعلية الاستراتيجية التوجيهية المبثوثة عبر أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة من أجل الوصول إلى الغاية المرتبطة بالوظيفة القيادية التي يحملونها (ع) مع ضرورة ملاحظة ارتباط معظم موارد تجلي هذه الاستراتيجية في أدعية الصحيفة ضمن السياقات ذات السمة الأخلاقية والعبادية المحضة، لارتباط هذه السياقات بالبعد الرقابي والتربوي الذي يشكل مسؤولية الأئمة (ع) أمام الأمة الإسلامية ومعالجة انحرافاتها الأخلاقية والعبادية، فضلاً عن سمة مهمة جداً تخص هذه الاستراتيجية هنا وتتمثل هذه السمة بورود التوجيه فيها بصورة غير مباشرة توافقاً مع الطبيعة البنائية للدعاء المتوجهة بالمخاطبة إلى المتلقي الأول وهو الله جلّ وعلا.

ثانيا: مسوغات استعمال الاستراتيجية التوجيهية:

هناك عددٌ من المسوغاتِ التي تُرجح استعمالها دون غيرها من الاستراتيجيات، ومنها نذكر ما يتلاءم مع متن دراستنا هذه عن الصحيفة الرضوية الجامعة:

١- عدم التشابه في عدد من السمات، مثل السمة المعرفية،... فاستعمال هذه الاستراتيجية التوجيهية هو لاختلافهم في مراتب طرفي الخطاب وبالتالي اختلافهم في السمة المعرفية، فالمرسل وهو (الإمام) صاحب سلطة إلهية وقدرة معرفية عالية يرسل خطابه إلى من هو أقل منه وهو المتلقي الثاني/المرسَل إليه للأمة الإسلامية، فمعرفة الإمام تشمل أمور الدين والدنيا، العالمُ بما جرى على الأمم السابقة وما سيجري لاحقاً، فأفعاله الأوامرية هي لصالح المتلقي/المرسَل إليه في زمن الإمام (ع) وفي كلّ العصور.

٢- الشعور بالتفاوت في مستوى التفكيري بين طرفي الخطاب، مما يؤثر في فهم كلّ منهما لطبيعة الآخر، فمستوى تفكير الأئمة المعصومين (ع) فوق مستوى تفكير المجتمع أو الناس جميعاً مما يتطلب بيان الأمور الفكرية والأخلاقية العامة للناس عبر آلية النصح والارشاد[١].

٣- "أصرار المرسِل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل، وعلى حصول أقصى مقتضى خطابه، والتأكيد على أنّه لا يتوانى عن تعقب خطابه والتمسك بمدلوله؛ فمدلوله الحرفي هو الفيصل عند اللّبس أو التوهم في ذهن المرسَل إليه، وبالتالي فإن استعمال تلك الاستراتيجية يُعد احترازاً من سوءِ الفهم أو التأويل الخاطئ"[٢] .

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٢٨ .

(٢) م – ن:٣٢٩.

٤- "رغبة المرسِل في حصول المنفعة عند المتلقي وذلك بعد أن ينجز المتلقي مقتضى الرسالة التوجيهية، فالتوجيه عادةً يأتي لغرض نفعي يخص المتلقي وأحياناً يشمل المرسِل، وهذه المنفعة لا تتحقق إلا بعد قيام المتلقي بالفعل الانجازي،... وقد كانت دعوات الأنبياء لأقوامهم من هذا القبيل لمنفعة قومهم، إذ أن غرض النبي من الرسالة هو هداية قومه، وثمار هذه الهداية تعود مباشرة على المؤمنين"[١] كذلك الحال مع الأئمة (ع) إذ يتجلى دورهم الرسالي في المحافظة على تعاليم الإسلام ونشرها بين الناس للإخذ بها في معاملاتهم اليومية، وهنا تتحقق المنفعة للمتلقين لرسالة الأئمة (ع).

٥- "ورغبة المرسِل في حصول الاستفادة بمضمون التوجيه، إن الأثر المتوقع من التوجيه، وهو العمل الانجازي يمكن أن يحصل من قبل المتلقي كما يمكن أن لا يحصل، وفي هذه الحالة الثانية يكون هدف المرسِل إبراء ذمته بعد إبلاغه المضمون التوجيهي، وكما قالت العرب قديماً في هذا المعنى "قد أعذر من أنذر" فالمنذر يقدم خطاباً توجيهياً ينتظر منه فعل إنجازي قد يحصل وقد لا يحصل"[٢]، فالإمام (ع) يقدم توجيهاً للمتلقي وخاصة في الدعاء من غير إلزام صارم، وإنّما توجيهه يتسم بعدم الإلزامية بقدر ما فيه من فعل تحذيري ونصح ووعظ وحث للمتلقي بما يصلحه في دينه ودنياه فإن أنجز هذا الفعل التوجيهي فلنفسه فائدته، وإن لم يُنجز فالإمام قد أفاد المتلقي بمضمون التوجيه بشكل جليّ وواضح (البلاغ المبين).

ثالثا: وسائل الاستراتيجية التوجيهية:

لكلّ استراتيجية خطابية وسائل وآليات لغوية وفنية متنوعة يوظفها المرسِل في خطابه لتحقيق هدفه الخطابي، وفي الاستراتيجية التوجيهية تكون وسائلها اللغوية مقسمة إلى قسمين: الأول تتعلق في حصول المنفعة للمرسِل لكونه ذا سلطة أعلى من المرسَل إليه، وخاصة في (فعل الأمر بأدواته المختلفة) فالذي يأمر لإنجاز فعل ما لابدّ أن يكون صاحب سلطة تخوله لإصدار الأوامر والتوجيهات. والثاني تتعلق في حصول المنفعة للمرسَل إليه، ووسائلها تتمثل في (التحذير، الاغراء، ذكر العواقب) فضلاً عن أثر السياق في تحديد المنفعة لأي من الطرفين المرسِل أم المرسَل إليه؟ ومن هذه الوسائل نذكر منها ما يأتي:

(١) استراتيجيات الخطاب القرآني: ١٠٨.

(٢) م – ن: ١٠٩.

١- الأمر:

وهو من أبرز الأساليب اللغوية (الطلبية) التي يعتمدها المرسِل في خطابه و" هو طلب حصول الفعل من المُخاطَب على وجه الاستعلاء مع الإلزام"(١) والمقصود بالاستعلاء هو أن يكون الآمر أعلى درجة ورتبة من المخاطَب وأرفع منه شأناً، فيكون لذلك على المخاطَب تنفيذ فعل الأمر إلزاماً لا يمكنه التأخر عنه، لأنّه أمر صادر ممن هو أعلى منه رتبة وأرفع منه شأناً.

فالأمر هو "طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى، حقيقية أو ادعاء، أي سواء أكان الطالب أعلى في واقع الأمر أم مدَّعياً لذلك، وللأمر صيغ: صيغة فعل الأمر (افعل)، والمضارع المقترن بلام الطلب، اسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر"(٢) فضلاً عن صيغ آخرى للأمر لكونه من أكثر وسائل الاستراتيجية التوجيهية التي يستعملها المرسِل في خطابه، وهذه الصيغ والأدوات تأتي متوافقة مع سلطة المرسِل وتحقيق المنفعة له وهي صيغ الاخبار من مرسِل ذي سلطة، وألفاظ مخصوصة للوجوب مثل، يجب، ينبغي، لابدّ من، والصيغ الصرفية مثل الفعل المبني للمجهول، وشبه الجملة(٣).

٢- النهي:

وهو الأسلوب الطلبي الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد أسلوب الأمر، فهذانِ الأسلوبانِ يَعُدانِ من أبرز الأساليب في الاستراتيجية التوجيهية، لكونهما يمثلانِ أفعالاً صريحة مباشرة متأتية من صيغهما الواضحة (افعل) و(لا تفعل) فضلاً عن صيغهما الآخرى، فالنهي "هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وصيغته واحدة، وهي (لا تفعل) كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى**﴾(٤) والأصل في النهي أن يكون لطلب الكف على سبيل التحريم كما في الآية المتقدمة وقد يأتي لمعانٍ أُخِر تفهم من المقام"(٥).

ولا يختلف النهي عن الأمر في كونهما يصدرانِ من الطرف الأول الأعلى رتبة وأرفع شأناً إلى الطرف الثاني الأدنى منه رتبة، ويمثلانِ طلب حصول الشيء، وطلب الترك والكف على وجه الاستعلاء

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي: ٧٩، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب:٣١٣/١، وينظر: الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: ١٧٦.

(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون: ١٤.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٤٤.

(٤) الاسراء: ٣٢.

(٥) الأساليب الإنشائية في النحو العربي:١٥.

والإلزام[١]، أما إذا خرج النهي من الأدنى إلى الأعلى تضمن دلالات آخرى تدلّ عليها القرائن اللفظية في السياق الكلامي، ومنها: الدعاء، كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾[٢]، والالتماس، والإرشاد، والتوبيخ، وبيان العاقبة، والتمني، والتحقير...إلخ[٣]، وفي الخطاب التوجيهي يستعمل النهي للتحذير والإرشاد، ولترك شيء ما وهناك ألفاظ معجمية يستعملها المرسِل للنهي، وتسمى ألفاظ النهي، وهي تشمل كلّ الألفاظ الدالة على النهي وهي منع، حرم، حظر، ونهى، ومشتقاتها، وهناك صيغ أمر دالة على النهي مثل دعْ، كف، وكذلك الألفاظ الدالة على عدم الحلّ بأسلوب النفي، مثل:

- لا يحل لك من هذا المال شيئاً.
- ولا يجوز لك ان تتقاعس عن أداء العمل[٤] .

٣- الاستفهام:

وهو من الأساليب التوجيهية الذي يحمل دلالات آخرى إلى جانب دلالته الأولى، وهي "طلب الفهم"[٥] و"طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل"[٦] وذلك "بوساطة أداة من أدواته وهي: الهمزة، هل، من، ما، متى، أين، أيان، كيف، كم، أي"[٧]. والاستفهام يكون حقيقياً ومجازياً و"الاستفهام الحقيقي: إذا كان لفظه الظاهر موافقاً لمعناه الباطن عند سؤالك عما لا تعلمه، فنقول: (ما عندك؟) و(من رأيت؟)... ولكن الاستفهام قد يخرج عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الافهام"[٨]، ويكون قصد المتكلم المستفهم العالم بالشيء هو تفهيم المتلقي المخاطَب، معنى ما يدلّ عليه سياق الكلام، فقد يكون: للنهي، أو الأمر، والانكار، والتحقير، و التعظيم، والاستبعاد، والتوبيخ، والتعجب، والتقرير، والتنبيه...[٩].

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٤٩.

(٢) البقرة: ٢٨٦ .

(٣) ينظر: جواهر البلاغة: ٨٤ .

(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٥١.

(٥) مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الانصاري المصري، تحقيق: محمد مُحي الدين عبد الحميد:١/ ١٩.

(٦) جواهر البلاغة: ٨٦.

(٧) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٨.

(٨) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس اسماعيل الأوسي: ٣٠٩ – ٤١١.

(٩) ينظر: جواهر البلاغة: ٩٤ –٩٥، وينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤١١.

٤- الاغراء والتحذير:

وَيُعدانِ من الأساليبِ التي يَعمد المرسِلُ إليهما في خطابهِ التوجيهِي، وذلك "لينزه نفسه عن تهمة التلاعب بعواطف الآخرين، كما أنه يعطي خطابه قبولاً من خلال حضور الصراحة، التي تدلّ المرسَل، إليه على صدق المرسِل في التوجيه وبالتالي تكسبه الثقة في خطابه"(١). والتحذير "هو تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه"(٢)، وأما تعريف الاغراء " تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله"(٣)، وفي أسلوب الاغراء والتحذير تتجه المنفعة إلى المرسِل اليه في تحذيره من أمر مكروه، أو حثه واغرائه على فعل محمود، لذلك يشتركانِ في "بنيتهما التركيبية، إذ يتكون الخطاب العميق في أساليب التحذير والاغراء، من ثلاثة عناصر وهي:

١- المرسِل (المحذّر، أو المغري) الذي يوجه الخطاب.

٢- والمرسَل إليه (المحذَّر، أو المُغرَى).

٣- والعنصر الثالث هو المحذور، أي المحذَّر منه أو المغرى به" (٤).

٥- العرض والتحضيض:

وهو "طلب الشيء، لكن (العرض) طلب بلين و(التحضيض) طلب بحثّ"(٥)، فالعرض هو "الطلب بلين ورفق. وأدواته ألا كقولك: ألا تنزل ضيفاً عندنا، والتحضيض الطلب في حثٍّ وازعاج، وأدواته هلا، وألَا، ولوما، ولولا، وألَّا"(٦)، وللفرق بينهما "يقول المرادي: التحضيض أشد توكيداً من العرض، والفرق بينهم، أنك في "العرض" تعرض عليه الشيء لينظر فيه، وفي "التحضيض" تقول: الأولى لك أن تفعل فلا يفوتنَّك"(٧).

---

(١) استراتيجيات الخطاب: ٣٥٥ .

(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٥٢.

(٣) م – ن: ١٥٢.

(٤) استراتيجيات الخطاب: ٣٥٥.

(٥) أسلوب الطلب في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، عبد الرحمن مضوي عبد الرحيم الهادي (ماجستير): ٤٠.

(٦) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٦.

(٧) الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٨٢- ٣٨٣.

٦- النداء:

وهو من أساليب الطلب التي يستعملها المرسِل في بعض الحالات في خطابه لتنبيه المرسَل اليه (المنادى) على إن الفعل التوجيهي موجه إليه سواء أكان فعل أمر أم نهي. وهو "تنبيه المدعو ليقبل عليك..."[١]، و "هو المنادى بحرف نائب عن أدعو. والأصل في مناداة القريب أن تكون بالهمزة أو أي، وفي نداء البعيد أن يكون بغيرهما"[٢] و"يعد النداء توجيهاً، لأنه يحفز المرسَل اليه لردة فعل تجاه المرسِل"[٣]، فضلاً عّما ذكرناه من الأساليب المستخدمة في التوجيه فهناك وسائل آخرى، منها:

١- التوجيه بألفاظ المعجم.

٢- التوجيه المركب.

٣- والتوجيه بذكر العواقب، ولا تقف الأساليب التوجيهية عند هذا الحد فيمكن أن تكون وسائل وأساليب آخرى توجيهية على حسب السياق وقصد المرسِل منها في خطابه[٤].

وهذه الأساليب اللغوية عُرِفت في الدرس اللغوي الغربي الحديث بنظرية الافعال الكلامية التي أهتمت بها أبحاث التداولية ودراساتها وعُرِفت بعد ذلك الأفعال الكلامية بالأفعال الإنجازية وقد عرفها (دومينيك مانغونو) بأنّها "الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد،...) غايته تغيير حال المتخاطبين، إن المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل التلفظ"[٥].

ويعد (أوستن) المؤسس الأول لنظرية أفعال الكلام، "فلقد أنكر أوستن أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفاً يكون إمّا صادقاً وإمّا كاذباً وأطلق عليه المغالطة الوصفية "[٦]، وذهب إلى القول بأن هناك نوعاً آخر من العبارات تشبه العبارات السابقة وهي التي تصف وقائع العالم وتحتمل الصدق أو الكذب كأن يقول رجل مسلم لأمرأته: أنت طالق، أو يقول أحد التلاميذ: أكملتُ كتابةَ القصيدةِ،

(١) الأصول في النحو، بن سهل السّراج النحوي البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي: ١/ ٣٢٩.

(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٧.

(٣) استراتيجيات الخطاب: ٣٦٠.

(٤) ينظر: م – ن: ٣٦٠ – ٣٦٦.

(٥) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن: ٧.

(٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة: ٤٣.

فهذه العبارات وأمثالهما يكون الناطق بها قد أدى فعلاً، أو أنجز فعلاً ما[١]، وقسم الأفعال الكلامية على نوعين: أفعال إخبارية وأفعال ادائية إنشائية وما يَعُنينا هنا القسم الثاني: فهي أفعال إنجازية قد تكون بصورة مباشرة أفعال صريحة لإنجاز فعل ما، وقد تكون بصورة غير مباشرة لإنجاز الفعل[٢].

ولا يختلف عنه (سورل) حيث ميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وبين الأفعال الإنجازية غير المباشرة، وبين أن الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم أي يكون ما يقوله مطابقاً لما يعنيه، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة وفيها يقصد المتكلم إلى فعل كلامي مغاير إلى ما يريد إنجازه من المخاطَب ومثال على ذلك إذا قال أحدهم لصديقه على المائدة: هل تناولني الملح؟ فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدلّ على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، لكن الاستفهام هنا– قصد به المتكلم إلى إنجاز فعل آخر بطريقة غير مباشرة ومهذبة تؤدي فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح[٣].

ووفقاً لما ذكره (أوستن) بأنّ الفعل الكلامي يتضمن ثلاثة أفعال تكونه ولا تنفصل إلا لغرض الدراسة، وهي:

١– الفعل اللفظي: "وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي وله مرجع يحيل إليه.

٢– الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.

٣– الفعل التأثيري: وهو يقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع"[٤].

فوجه عنايته إلى الفعل الإنجازي، لكوننا نتكلم لأجل إنجاز فعل ما نطلبه من الطرف المشارك في العملية الاتصالية، فقسم أفعال الكلام على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف، وهي:

١– أفعال الاحكام: ويراد بها كلّ فعل يدلّ على حكم يصدره حكمٍ أو قاضٍ.

٢– أفعال القرارات: وهي أفعال اتخاذ القرارات ضد شخص ما أو لصالحه .

٣– أفعال التعهد: وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء، مثل الوعد، والضمان، والتعاقد، والقسم.

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٣.

(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي: ٤٠ – ٤٥.

(٣) ينظر: الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجا، عيسى تومي (ماجستير): ١٦.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٤٦.

٤- أفعال السلوك: وهي التي تكون رد فعل لحدث ما كالاعتذار، والشكر، والمواساة ، والتحدي.

٥- أفعال الإيضاح: وهي الافعال المعبرة عن وجهات النظر، أو بيان رأي أو حجج مثل: الاعترض، والتشكيك، والاستفهام، والانكار...[١]

وأما (سيرل) تلميذ (أوستن) فقدم تصنيفاً مغايراً بعض الشيء عن تصنيف (أوستن) للأفعال الكلامية، مستنداً على ثلاثة أسس منهجية، وهي:

١- الغرض الإنجازي: ويعني به هو الغاية من الفعل فمثلاً الغرض الإنجازي من الأمر هو محاولة التأثير في السامع ليقوم بفعل ما، بينما يكون الغرض من الوعد إلزام المتكلم نفسه فعل غرض ما وهكذا.

٢- اتجاه المطابقة بين العلامات اللغوية والعالم الواقعي (الخارجي): فمثلاً تكون بعض الأفعال اللغوية تطابق العالم الخارجي مطابقة تامة كالإخباريات، وبعضها الآخر تكون مطابقة نسبية (بعضية) كأفعال الوعد والرجاء.

٣- شرط الإخلاص: ويتحقق عندما يكون المتكلم مخلصاً في إنجاز الفعل فلا يقول غير ما يعتقد ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع فعله كما في أفعال الوعد والوعيد حيث يكون المتكلم فيها عازماً على إنجاز الفعل فيما يكون راجياً في الأمر ونادماً في الندم[٢].

وعلى أساس هذه الأسس المنهجية، صنف الأفعال الكلامية وجعلها خمسة أيضاً:

١- **الاخباريات:** "والغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها"[٣].

٢- **التوجيهات:** يحاول المتكلم دفع السامع إلى فعل شيء ما لفظي أو غير لفظي، مثل: يسأل، يتحدّى، يصرّ، يسمح ...إلخ وتحاول التوجيهات أن تجعل العالم الخارجي يطابق الكلمات، فضلاً عن الإخلاص والرغبة في حصول الفعل، ويدخل فيه الاستفهام والأمر والرجاء والاستعطاف والدعوة والنصح والإذن[٤].

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٤٦، وينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان و فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة: ٦٢.

(٢) ينظر: م – ن: ٤٨– ٤٩، وينظر: م – ن:٦٣–٦٤، وينظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (ع): ١٢٩.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٩.

(٤) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، أ. د. بشرى البستاني: ٤٨، وينظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (ع): ١٣١.

٣- **التعهدات أو الالتزاميات:** "وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد ويدخل فيها الوعد، والوصية"(١).

٤- **التعبيرات:** وهي أقل وضوحاً من الاصناف الآخرى، اذ لا توجد هنا علاقة متحركة بين الكلمات والعالم الخارجي، فغرضها الإنجازي هو التعبير عن حالة نفسية تحددها شرط صدق النية، ومنها: الشكر، والاعتذار، والتهنئة والترحيب...(٢).

٥- **الاعلانيات (الحكميات):** "حيث يكون الهدف منها إحداث واقعة، وحيث التوافق بين الكلمات والعالم مباشر دون تطابق مع تحفظ المشروعية المؤسسية أو الاجتماعية، مثال ذلك: أعلن الحرب عليكم"(٣). وعلى الرغم من تقسيم هذه الأفعال، إلا أنّها قد تتداخل مع بعضها البعض وذلك حسب السياق والقصد الذي يحدد المتكلم ويفهمه السامع.

وأمّا الأفعال التي سوف نبحث عنها ضمن الاستراتيجية التوجيهية في الصحيفة الرضوية الجامعة هي (أفعال التوجيهات) على حسب الدرس التداولي، والوسائل اللغوية للاستراتيجية التوجيهية كما ذكرناها سابقاً، فكيف يمكن البحث عن هذه الوسائل في الصحيفة المباركة ؟ الاستراتيجيات الخطابية بشكل عام في خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة من الصعب الوقوف على وسائلها وآلياتها، لأنّه خطاب مع متلقٍ سلطته أعلى من سلطة المتكلم/الداعي (الإمام)، فالمتلقي الأول للدعاء هو الله سبحانه وتعالى لذلك يكون الخطاب مع الله تعالى على درجة عالية من التأدب وفصاحة ألفاظه ووضوح العبارة وبلاغتها وهو يتضمن الطلب والتوسل والتضرع لله تعالى لقبول الدعاء مع ما يلحقه من شروط تخص آداب الدعاء، لكي يضمن المتكلم قبول دعائه، والأفعال التي يشتملها الدعاء هي أفعال الأمر والنهي والاستفهام والتمني...إلخ الخارجة عن معناها الحقيقي في طلب حصول فعل ما على وجه الاستعلاء والإلزام، إلى معناها المجازي وهو الدعاء.

والاستراتيجية التوجيهية -كما مرّ بنا سابقاً في المدخل النظري من ذكر مسوغاتها ووسائلها اللغوية (الأمر، النهي، الاستفهام، النداء، التحذير، الاغراء، العرض والتخصيص، وألفاظ المعجم، وذكر العواقب) - تكون موجهة في الخطاب التوجيهي إلى المرسَل إليه، ليقوم بإنجازها فهو الطرف الأدنى في

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٥٠.

(٢) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي: ٤٨.

(٣) التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٦٦.

الخطاب، فيتلقى أمراً سلطوياً من المتكلمِ/الطرف الأعلى صاحب السلطة الاجتماعية أو المعرفية...إلخ. فيكون المتلقي مُلزماً لإنجاز فعله الطلبي، أمّا في الدعاء فتكون أفعال (الأوامر والطلبيات) قد مثلتْ أوامر مجازية خَرجتْ للدعاءِ من الطرفِ الأدنى إلى الطرفِ الأعلى، فكيف يكون التوجيه في الدعاء؟

– نقول تكون الاستراتيجية التوجيهية في الدعاء بوسائل غير مباشرة وغير صريحة نجدها من خلال الوصول إلى "الهدف الكلي من الخطاب"[١]، ومتضمنة في هدف الدعاء غير المباشر الموجه للمتلقي الثاني البشري، فيفهم فعل التوجيه من موضوع الدعاء أو الخطاب كاملاً. فلما كان خطاب الدعاء في حقيقته لمتلقين لا يمكن المقارنة بينهما، يتمثل المتلقي الأول: الله سبحانه وتعالى، والثاني: وهو المتلقي البشري الخاص في زمن الأئمة المعصومين (ع) والمتلقي الكوني في كلّ الأزمنة، فلذلك يكون التوجيه للمتلقين متفاوتاً على حسب مكانة المرسَل إليه، وسواء أكان هذا التوجيه مباشراً أم غير مباشر، فالأفعال الطلبية للمتلقي الأول تنزاح عن فعلها الحقيقي إلى فعلها المجازي وهو هنا لأجل الدعاء.

هذه الأوامر والطلبيات تتحول عند المتلقي الثاني إلى أفعال توجيهية يتطلب إنجازها بعد لحظة التلفظ بالدعاء، وإنجازها الفعلي يكون غير مباشر أو عندما يتوجه المتلقي إلى فعل هذا العمل، مثال ذلك: فعل الصلاة فالمتلقي يصلي كُلّ يوم، وعندما يكون قد تلقي دعاء للإمام (ع) في الصلاة أو بخصوص الصلاة، في كيفية إتيانها على أتمِ وجه، وبالصورة الصحيحة الكاملة، يتوجه بعد ذلك المتلقي لِدُعاء الإمام (ع) فيأخذ في استعداده للصلاة هذه التوجيهات ويحاول إنجازها، كما في النموذج الآتي: حيث تمثل في توجيه الإمام العسكري (عليه السلام) للمتلقين: ((**اللَّهُمَّ لَكَ صَلَّيْتُ، وَإِيَّاكَ دَعَوْتُ، وَفِي صَلاتِي وَدُعَائِي مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ النُّقْصَانِ وَالْعَجَلَةِ وَالسَّهْوِ وَالغَفْلَةِ، وَالكَسَلِ وَالفَتْرَةِ وَالنِّسْيانِ وَالمُدَافَعَةِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَالرَّيْبِ وَالْفِكْرَةِ وَالشَّكِّ وَالمَشْغَلَةِ، وَاللَّحْظَةِ المُلْهِيَةِ عَنْ إقامَةِ فَرَائِضِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ مَكَانَ نُقْصَانِهَا تَمَاماً، وَعَجَلَتِي تَثْبِيْتاً وَتَمَكُّناً، وَسَهْوِي تَيَقُّظاً، وَغَفْلَتِي تَذَكُّراً، وَكَسَلِي نَشَاطاً، وَفُتُوري قُوَّةً، وَنِسْيَانِي مُحَافَظَةً، وَمُدَافَعَتي مُوَاظَبَةً، وَرِيَائِي إخْلاصاً، وَسُمْعَتِي تَسَتُّراً، وَرَيْبِي بَيَاناً، وَفِكْرِي خُشُوعاً، وَشَكِّي يَقِيْناً، وَتَشَاغُلي فَرَاغاً، وَلِحَاظِي خُشُوعاً**))[٢].

(١) استراتيجيات الخطاب : ١٦٣.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة : ٢٤٠.

فهذا الدعاء هو خطاب الإمام مع الله تعالى عِبر الدعاء لطلب إتمام نواقص الصلاة من العجلة والغفلة والكسل...، ونحن على معرفة أن الأئمة (ع) معصومون عن الخطأ في كلّ أفعالهم، وموضوع الخطاب الدعائي هو (طلب إكمال الصلاة الناقصة) فمن غير المعقول أن الإمام (ع) ولي الأمة الإسلامية وهو بمنزلة القدوة الحسنة للاقتداء به في التمسك بتعاليم الدين الإسلامي، وتكون صلاته على هذه الدرجة من النقصان!! فعلى حسب ما ذكره الإمام من أمور تجعل من الصلاة حركات جوفاء يؤديها المصلي، لذلك فالإمام يخاطب المتلقي من البشر للتنبيه على صلاتهم وذلك لأهميتها في حياتهم، فالصلاة الصحيحة المقبولة هي مفتاح لكلّ عمل خير يقصده بعد ذلك الإنسان في حياته، فيكسب رضا الله تعالى في الدنيا والآخرة، فكانت الآلية المتضمنة في الدعاء والتي أفادت قصد التوجيه هي **ثنائية الأضداد،** بين نواقص الصلاة وبين إتيان الصلاة كاملة ومقبولة، كما في الجدول الآتي:

الصلاة الناقصة	الصلاة الكاملة
١- **النقصان**	- **التمام**
٢- **عَجَلَتِي**	- **تَثْبِيْتاً وَتَمَكُّناً**
٣- **السَهْوِ**	- **تَيَقُّظاً**
٤- **غَفْلَتِي**	- **تَذَكُّراً**
٥- **كَسَلِي**	- **نَشَاطاً**
٦- **فُتُوري**	- **قُوَّةً**
٧- **نِسْيَانِي**	- **مُحَافَظَةً**
٨- **مُدَافَعَتي**	- **مُوَاظَبَةً**
٩- **رِيَائِي**	- **إخْلاصاً**
١٠- **سُمْعَتِي**	- **تَسَتُّراً**
١١- **وَرَيْبِي**	- **بَيَاناً**
١٢- **فِكْرِي**	- **خُشُوعاً**
١٣- **شَكِّي**	- **يَقِيْناً**
١٤- **تَشَاغُلي**	- **فَرَاغاً**
١٥- **لِحَاظِي**	- **خُشُوعاً**

فالإمام (ع) وجه المتلقي غير المباشر(في عصره وفي كل العصور) لإحداث فعل حاضر ومستقبلي وهو إتيان الصلاة كاملة؛ بذكره لنواقص الصلاة، مما يتطلب من المتلقي المصلي الاستعداد لإتيان الصلاة كاملة بعيدة عن النقص. وفي الفقرة الثانية للدعاء حَثَّ الإمام (ع) على إتيان الصلاة والمواظبة عليها عن طريق (**آلية ذكر العواقب**) وهي آلية ذكر العواقب الحسنة للفعل المراد إنجازه من قبل المتلقي للخطاب[1]، لذكره ثواب الصلاة عند الله تعالى لعبده المؤمن المصلي، وهي ((**وَاجْعَلْ لِي في صَلاَتِي وَدُعَائِي رَحْمَةً وَبَرَكَةً تُكَفِّرُ بِهَا سَيِّئَاتِي، وَتُضَاعِفُ بِهَا حَسَنَاتي، وَتَرْفَعُ بِهَا دَرَجَتي، وَتُكْرِمُ بِهَا مَقَامي، وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهي، وَتَحُطُّ بِهَا وِزْرِي...**))[2]، فثواب الصلاة وآثارها تُغري وتحث العبد على إتيان الصلاة على أتم وجه.،

والنموذج الثاني: في دعاء الإمام الجواد (ع) الخاص في (أول ليلة من شهر رمضان) نجد برنامجاً عبادياً متكاملاً يخص هذا الشهر المبارك في ليله ونهاره أورده الإمام (ع) في دعائه، ليشدّ ذهن المتلقي الثاني غير المباشر ويوجهه إلى أهمية هذه المسائل المذكورة في هذا الدعاء: ((**اَللّـهُمَّ يا مَنْ يَمْلِكُ التَّدْبيرَ، وَهُو عَلى كُلِّ شَيء قَديرٌ،...، اَللّـهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ نَوى فَعَمِلَ، وَلا تَجْعَلْنا مِمَّنْ شَقِيَ فَكَسِلَ، وَلا مِمَّنْ هُوَ عَلى غَيْرِ عَمَل يَتَّكِلُ، اَللّـهُمَّ صَحِّحْ اَبْدانَنا مِنَ الْعِلَلِ، وَاَعِنّا عَلى ما افْتَرَضْتَ عَلَيْنا مِنَ الْعَمَلِ، حَتّى يَنْقَضِيَ عَنّا شَهْرُكَ هذا وَقَدْ اَدَّيْنا مَفْرُوضَكَ فيهِ عَلَيْنا، اَللّـهُمَّ اَعِنّا عَلى صِيامِهِ، وَوَفِّقْنا لِقِيامِهِ، وَنَشِّطْنا فيهِ لِلصَّلاةِ، وَلا تَحْجُبْنا مِنَ الْقِراءَةِ، وَسَهِّلْ لَنا ايتاءَ الزَّكاةِ، اَللّـهُمَّ لا تُسَلِّطْ عَلَيْنا وَصَباً وَلا تَعَباً وَلا سُقَماً وَلا عَطَباً. اَللّـهُمَّ ارْزُقْنا الإفْطارَ مِنْ رِزْقِكَ الْحلالِ،...، وَاجْعَلْ صِيامَنا مَقْبُولاً، وَبِالْبِرِّ وَالتَّقْوى مَوْصُولاً، وَكَذلِكَ فَاجْعَلْ سَعْيَنا مَشْكُوراً وَقِيامَنا مَبْرُوراً، وَقُرْآنَنا مَرْفُوعاً، وَدُعاءَنا مَسْمُوعاً، وَاهْدِنا لِلْحُسْنى، وَجَنِّبْنَا الْعُسْرى، وَيَسِّرْنا لِلْيُسْرى، وَاَعِلْ لَنَا الدَّرَجاتِ، وَضاعِفْ لَنا الْحَسَناتِ، وَاقْبَلْ مِنَّا الصَّوْمَ وَالصَّلاةَ، واسْمَعْ مِنَّا الدَّعَواتِ، وَاغْفِرْ لَنَا الْخَطيئاتِ، وَتَجاوَزْ عَنَّا السَّيِّئاتِ، وَاجْعَلْنا مِنَ الْعامِلينَ الْفائِزينَ، وَلا تَجْعَلْنا مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّالّينَ، حَتّى يَنْقَضِيَ شَهْرُ رَمَضانَ عَنّا وَقَدْ قَبِلْتَ فيهِ صِيامَنا وَقِيامَنا، وَزَكَّيْتَ فيهِ اَعْمالَنا، وَغَفَرْتَ فيهِ ذُنوبَنا، وَاَجْزَلْتَ فيهِ مِنْ كُلِّ خَيْر نَصيبَنا، فَاِنَّكَ الإلـهُ الْمجيبُ، وَالرَّبُّ الرَّقيبُ، وَاَنْتَ بِكُلِّ شَيْء مُحيطٌ**))[3]

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٦١– ٣٦٢.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٤٠.

(٣) م – ن: ١٥٠–١٥١.

ففيه توجيه إلى أول شرط لقبول الصيام وهو انعقاد النية للصوم (قُرَّبة إلى الله تعالى) فالنية هي أساس كُلِّ عملٍ صالحٍ وبعدها ذكر فائدة الصيام، وهي (اَللّهُمَّ صَحِّحْ اَبْدانَنا مِنَ الْعِلَلِ) فتصحيح البدن من العلل والأمراض، وبعدها ذكر أعمال ليالي شهر رمضان من القيام في لياليه للتعبد من إتيان الصلاة، وتلاوة القرآن، وإيتاء الزكاة (اَللّهُمَّ اَعِنّا عَلى صِيامِهِ، وَوَفِّقْنا لِقِيامِهِ، وَنَشِّطْنا فيهِ لِلصَّلاةِ، وَلا تَحْجُبْنا مِنَ الْقِراءَةِ، وَسَهِّلْ لَنا فيهِ ايتاءَ الزَّكاةِ...) وحث الصائمين على الإفطار من الرزق الحلال وفي فقرة ثانية من الدعاء ذكر آثار إتيان الصوم لهذا الشهر الفضيل على الوجهة الصحيحة وهي:

١- قبول صيامه.

٢- غفران الذنوب، ففي شهر رمضان تُفْتَحُ أبواب السماءِ لقبول التوبة وتغفر الذنوب وتُعْتَقَ الأعناقُ من النارِ.

٣- قراءة القرآن الكريم مرفوعة لله تعالى وتسجيل الثواب لقارئه.

٤- والدعاء فيه مستجاب.

٥- ومضاعفة الحسنات فيه.

النموذج الثالث: دعاء الإمام الجواد (ع) في المناجاة لطلب التوبة، والآلية التوجيهية التي استعملها الإمام لتوجيه المتلقين هي **(آلية ذكر العواقب)** لحث المتلقين على طلب التوبة من الله تعالى إذ نجد الإمام بدأ بمقدمة لطلبه وهي تتمثل بقوله: **((اللَّهُمَّ إِنِّي قَصَدْتُ إِلَيْكَ بِإِخْلَاصِ تَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَتَثْبِيتِ عَقْدٍ صَحِيحٍ، وَدُعَاءِ قَلْبٍ جَرِيحٍ، وَإِعْلَانِ قَوْلٍ صَرِيحٍ))**[1]، وبعدها بدأ الإمام التصريح بطلب قبول التوبة: **((اللَّهُمَّ رَبِّ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنابَةَ مُخْلِصِ التَّوْبَةِ، وَإِقْبَالَ سَرِيعِ الْأَوْبَةِ وَمَصَارِعَ تَخَشُّعِ الْحَوْبَةِ،...))** فهذا الدعاء واضح لطلب قبول التوبة والدليل على أن الإمام قصد بدعائه توجيه المتلقين توظيفه لآلية ذكر العاقبة الحسنة لفعل التوبة وبيان آثارها الحسنة وهي:

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٠.

طلب التوبة	آثار التوبة
١- **وَقابِلْ رَبِّ تَوْبَتي**	**١- جَزيلِ الثَّوابِ** **٢- وَكَريمِ المَآبِ، وَحَطِّ العِقابِ، وَصَرْفِ العَذابِ وَغُنْمِ الْاَيابِ، وَسَتْرِ الحِجابِ.** **٣- [ومسح الذنوب، وغسل العيوب]** **٤- جالِيَةً لِرَيْنِ قَلْبي، شاحِذَةً لِبَصيرَةِ لُبّي، غاسِلَةً لِدَرَني، مُطَهِّرَةً لِنَجاسَةِ بَدَني، وَمُصَحِّحَةً [فيها الضمير]**

والمورد الثاني الذي قصد الإمام (ع) فيه الحث على طلب التوبة هو ذكره لشروط آداب التوجه لطلب التوبة، وهي كالآتي:

١- الصدق والإخلاص في نية الطالب للتوبة.

٢- يدلّ على تصحيح البصيرة.

٣- واثبات على حسن اعماله وصفاء سيرته.

٤- وإن تدلّ على امتثاله لطاعة الله تعالى فيما أمر ونهى.

وهذه الشروط تمثلت في قوله: ((**وَاقْبَلْ رَبِّ تَوْبَتِي، فَإِنَّهَا بَصِدْقٍ مِنْ إِخْلَاصِ نِيَّتِي، وَمَحْضٍ مِنْ تَصْحِيحِ بَصِيرَتِي، وَاحْتِفَالٍ فِي حُسْنِ طَوِيَّتِي وَاجْتِهادٍ فِي نَقَاءِ سَرِيرَتِي، وَتَثْبِيت إِنَابَتِي، وَمُسَارِعَةٍ إِلى أَمْرِكَ بِطَاعَتِي**)) وبعدها يذكر الإمام (ع) مرة اخرى، آثار التوبة على العبد التائب: ((**وَاجْلُ-اللَّهُمَّ رب - عَنِّي بِالتَّوْبَةِ ظُلْمَةَ الْإِصْرارِ، وَامْحُ بِهَا مَا قَدَّمْتُهُ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَاكْسُنِي بِها لِبَاسَ التَّقْوَى، وَجَلَابِيبَ الْهُدَى**))[1]. فكان هدف الإمام (ع) من هذا الاستعراض الكامل لحيثيات موضوع (طلب التوبة) هو للحث على طلبِ التوبةِ والمسارعةِ في ذلك الطلب من خلال بيان أبعادها وآثارها في الدنيا والاخرة.

النموذج الرابع: في دعاء الإمام الجواد (ع) في (التوسل به (ع) في الساعة التاسعة من صلاة العصر) نجد فيه دعوة إلى التزام المؤمن بالتوجه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى وحده، دون غيره فهو الرحمن الرحيم: ((**اَسْالُكَ بِحَقِّ وَلِيِّكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (ع) حُجَّتِكَ البالِغَةِ، وَنِعْمَتِكَ السّابِغَةِ وَمَحَجَّتِكَ الْواضِحَةِ، وَاُقَدِّمُهُ بَيْنَ يَدَيْ حَوائِجي، وَرَغْبَتي اِلَيْكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَاِلِ مُحَمَّدٍ، وَاَنْ تَجُودَ عَلَيَّ مِنْ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢١.

فَضْلِكَ أَوْ تَتَفَضَّلَ عَلَيَّ مِنْ وُسْعِكَ بِما اسْتَغْنى بِه عمّا في اَيْدي خَلْقِكَ، وَاَنْ تَقْطَعَ رَجائي الّا مِنْكَ، وَتُخَيَّبَ آمالي الّا فيكَ))[1].

فهذا المقطع من الدعاء نجده يحمل في داخله دعوة إلى المتلقين في التوجه بطلب الرجاء من الله تعالى وحده لأنّه لا يخيب ظن من دعاه وقصد إليه بقلب منكسر مهموم مُقر بوحدانيةِ اللهِ تعالى ذاكراً إليه أحوال أموره كافة في (السراء والضراء) فربّما يكون الأنسان مهموماً ومبتلى من ضيق عيش لا يقدر على سد حاجاته وحاجات عياله، فيتوجه إلى شخص غني قادر على تقديم المساعدة، فَيُخيب ظنّه بهذا الشخص ويرجع خالي الوفاض وقد أذل نفسه من دون جدوى، فنجد هذا المقطع من الدعاء فيه دعوة إلى العباد جميعاً بالتوجه إلى الله تعالى والطلب منه في حاجات الدنيا والآخرة، وفيه حث على الالتزام بالدعاء إلى الله تعالى لانّ رجاءه لا ينقطع ولا يخيب من دعاه ، قال الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإِنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[2]. وهكذا نرى الصحيفة- وجميع أدعية الأئمة المعصومين (ع)- مليئة بصور مخاطبة العباد عن طريق الدعاء لتعليمهم وتوجيههم في كيفية التوجه والدعاء إلى الله تعالى وتوجيههم في أمور حياتهم كافة وعلى العبد المؤمن الالتزام بها وإتيانها بالصورة الصحيحة ليكسب رضا الله تعالى عليه لذكر كيفية إتيان الصلاة والحث على الدعاء وذكر الصوم وآدابه، والأخلاق الحميدة، فالدعاء عند الأئمة يقع ضمن مشروعهم الإصلاحي التربوي وهو وسيلة ناجحة لتثقيف المجتمع الإسلامي في كلّ عصر.

النموذج الخامس: دعاء الإمام الجواد (ع): **((اَللّهُمَّ رَبَّ الْاَرْواحِ الْفانِيَةِ، وَالْاَجْسادِ الْبالِيَةِ، اَسْأَلُكَ بِطاعَةِ الْاَرْواحِ الرّاجِعَةِ إلى اَجْسادِها، وَبِطاعَةِ الْاَجْسادِ الْمُلْتَئِمَةِ بِعُرُوقِها، وَبِكَلِمَتِكَ النّافِذَةِ بَيْنَهُمْ، وَاَخْذِكَ الْحَقَّ مِنْهُمْ، وَالْخَلائِقُ بَيْنَ يَدَيْكَ يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ قَضائِكَ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَكَ وَيَخافُونَ عِقابَكَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلِ النُّور في بَصَري، وَالْيَقينَ في قَلْبي، وَذِكْرَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ عَلى لِساني، وَعَمَلاً صالِحاً فَارْزُقْني))**[3]

وفيه وجه الإمام (ع) المتلقين في زمنه وفي كلّ زمن، بأسلوب التحذير غير المباشر من خلال آلية ذكر العواقب لبعض مشاهد يوم الحساب من ذكره رجوع الأرواح إلى أجسادها، والوقوف أمام خالقها

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٨.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٩.

منتظرة الحساب وفصل الجزاء بحقها، أفي الجنة أم في النار، سيكون جزاؤها وعقابها؟ فكان الغرض من تذكيره لهذه الوقفة ليوم الحساب هي لتحذير الناس جميعاً للمسارعة إلى العمل الصالح وثبات الإيمان بالله تعالى وذكره تعالى من خلال المحافظة على الصلاة، وكلّ ما يمكن أن يخفف على الإنسان في وقفته للحساب.

النموذج السادس: للإمام الهادي (ع) (في مناجاة الله تعالى) نجد فيه دعوة وتوجيه للالتزام بصفاتٍ شخصها الإمام(ع) في دعائه لشيعته الموالين وهي كما تمثلت في قوله: ((**أَسأَلُكَ اَللّهُمَّ...أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَجْعَلَ شِيعَتِي مِنَ الَّذِينَ حُمِّلُوا فَصَدقُوا، وَاسْتُنْطِقُوا فَنَطَقُوا آمِنينَ وَمَأْمُونينَ ...**))[1] فالإمام (ع) يخاطب الله سبحانه وتعالى، ويدعو شيعته بأنّ يكونوا من الحافظين للأسرار، والناطقين بالحق والحافظين للأمانة، وهم مسالمون وآمنون فيما بينهم في معاملاتهم اليومية، وفي هذه الفقرة بيان وتوجيه منه (ع) إلى أنّ من كان شيعياً موالياً له (ع) فعليه أن يتحلى بهذه السمات الخلقية العليا، وحث مواليه على الالتزام بتلك السمات والصفات وذلك عبر استعماله (**آلية سلسلة الأفعال المتعاقبة**) كما هو موضح في الجدول الآتي:

الموالي	صفاته
شِيعَتِي مِنَ الَّذِينَ:	١- **حُمِّلُوا/ فَصَدقُوا** ٢- **اسْتَنْطَقُوا/ فَنَطَقُوا** ٣- **آمِنينَ / [لم يخونوا الامانة]** ٤- **مَأْمُونينَ**/ [في تعاملهم اليومي]

النموذج السابع: في دعاء الإمام العسكري (ع): ((**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَجِدُ هذِهِ النُّدْبَةَ امْتَحَتْ دَلالَتُها، وَدَرَسَتْ أَعْلامُها، وَعَفَتْ إِلّا ذِكْرُها، وَتِلاوَةُ الْحُجَّةِ بِها، اَللَّهُمَّ إِنّي أَجِدُ بَيْني وَبَيْنَكَ مُشْتَبِهاتٍ تَقْطَعُني دُونَكَ، وَمُبْطِئاتٍ تَقْعُدُ بي عَنْ إِجابَتِكَ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنّي عَبْدُكَ، وَلا يُرْحَلُ إِلَيْكَ إِلّا بِزادٍ وَأَنَّكَ لا تَحْجُبُ عَنْ خَلْقِكَ إِلّا أَنْ تَحْجُبَهُمُ الْأَعْمالُ دُونَكَ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ زادَ الرَّاحِلِ إِلَيْكَ عَزْمُ إِرادَةٍ يَخْتارُكَ بِها، وَيَصيرُ بِها إِلى ما يُؤَدّى إِلَيْكَ، اَللَّهُمَّ وَقَدْ ناداكَ بِعَزْمِ الْإِرادَةِ قَلْبي، فَاسْتَبْقِني نِعْمَتَكَ بِفَهْمِ حُجَّتِكَ لِساني، وَما تَيَسَّرَ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٥.

لي مِنْ إرادَتِكَ))[1] نجد توجيه الإمام (ع) هنا للمتلقي في بيان سبب حجب الدعاء فالبعض يقول ويردد أن دعائي غير مستجاب، أو دعائي غير مسموع وحتى في وقتنا الحاضر يقول الداعي إني أدعو وأتوجه إلى الله تعالى لكن دعائي غير مستجاب، فالإمام بين سبب حجب الدعاء فالذي يسبب في حجب الدعاء يصرح الإمام (ع) بأنها أعمال العبد الداعي، فانّ الله تعالى لا يُحجب عن خلقه، وإنّما أعمال العبد هي التي تحجب الدعاء والمقصود بـ(الْأَعْمالُ دُونَكَ) الأعمال الدنيوية التي يجهد الإنسان في القيام بها وانجازها، وَبُعدهِ عن الأعمال العبادية التي تقرّبه إلى الله تعالى، أو هي الأعمال التي تخالف ما أمر الله تعالى في كتابه العزيز(فقد تكون أعمال الربا، أو بيع ما حرمه الله تعالى، أو معاملته الشديدة مع أهل بيته، أو مع المساكين والمحتاجين،...إلخ). إذن فليقف الإنسان مع نفسه وقفة يُراجع فيها أعماله، ليرى ما سبب حجب دعائه وليصحح نفسه وأعماله بعد ذلك، وفيه دعوة لطلب ترك الظن والقول بأنّ الله لا يرانا، وأنّه تعالى لا يستجيب دعاءَنا، فقد يكون تأخير استجابة الدعاء لصالحنا ونحن في غفلة عن ذلك، وقد تكون أعمالنا السيئة المخالفة للشريعة الإسلامية هي السبب في حجب الدعاء.

النموذج الثامن: في دعاء الإمام المهدي المنتظر(عج) (في مطالب الدنيا والاخرة): **((اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ، وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَصِدْقَ النِّيَّةِ وَعِرْفَانَ الْحُرْمَةِ، وَأَكْرِمْنَا بِالْهُدَى وَالِاسْتِقَامَةِ، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا بِالصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَامْلَأْ قُلُوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَطَهِّرْ بُطُونَنَا مِنَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاكْفُفْ أَيْدِيَنَا عَنِ الظُّلْمِ وَالسِّرْقَةِ، وَاغْضُضْ أَبْصَارَنَا عَنِ الْفُجُورِ وَالْخِيَانَةِ، وَاسْدُدْ أَسْمَاعَنَا عَنِ اللَّغْوِ وَالْغِيبَةِ،...))**[2]

نجده قدم مقدمات أخلاقية لابدّ من التمسك والتحلي بها، فالقصد من ذكره لهذه المطالب للدنيا والآخرة هو لتوجيه المتلقي السامع والقارئ للدعاء إلى الالتزام بها وهي ما أمر الله تعالى بها عباده من أخلاق حميدة جاء بها الدين الإسلامي وتضمن سعادة الفرد والمجتمع وأول هذه الأخلاق:

١- طاعة أوامر الله تعالى.

٢- الابتعاد عن ارتكاب المعاصي.

٣- صدق النية في كلّ الاعمال.

٤- معرفة ما حلّلهُ وحرمّه.

٥- الهداية والاستقامة على الدين الصحيح.

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٣٧.

(٢) م - ن: ٢٥٧-٢٥٨.

٦- القول الصادق الصحيح والبعد عن القول الكاذب.

٧- حثهم على العلم والمعرفة .

٨- اجتناب أكل الحرام والشبهة (العمل الحرام المشبوه).

٩- الابتعاد عن الظلم والسرقة.

١٠- غض البصر عما حرم الله تعالى، وعدم الخيانة.

١١- وذم الغيبة وسماعها....

فيمكن القول بأنّ الدعاء قدَّم برنامجاً أخلاقياً على مستوى الفرد والمجتمع، ودعا الإمام بعد ذلك لكلّ فئة من المجتمع وذكر لهذه الفئات بدءاً بالعالم وانتهاءً بالرّعيةِ، فتارة نجده يدعو لهم بالرحمة والشفاء ((عَلَى مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ بِالشِّفَاءِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلَى مَوْتَاهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَى مَشَايِخِنَا بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ))، وتارة آخرى نجده يوجه كلّ فئة إلى ما يجب أن تكون عليه، لكونها جزءاً من المجتمع **((وَتَفَضَّلْ عَلَى عُلَمَائِنَا بِالزُّهْدِ وَالنَّصِيحَةِ، وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ بِالْجُهْدِ وَالرَّغْبَةِ، وَعَلَى الْمُسْتَمِعِينَ بِالإِتِّبَاعِ وَ وَالْمَوْعِظَةِ، وَعَلَى مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ بِالشِّفَاءِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلَى مَوْتَاهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَى مَشَايِخِنَا بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَعَلَى الشَّبَابِ بِالإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَعَلَى النِّسَاءِ بِالْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ، وَعَلَى الْأَغْنِيَاءِ بِالتَّوَاضُعِ وَالسَّعَةِ، وَعَلَى الْفُقَرَاءِ بِالصَّبْرِ وَالْقَنَاعَةِ، وَعَلَى الْغُزَاةِ بِالنَّصْرِ وَالْغَلَبَةِ، وَعَلَى الْأُسَرَاءِ بِالْخَلَاصِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْعَدْلِ وَالشَّفَقَةِ، وَعَلَى الرَّعِيَّةِ بِالإِنْصَافِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ...))**[1]

فوجه العلماء إلى إن يكونوا من الزاهدين في الدنيا لخدمة الدين الإسلامي بتقديم النصيحة للأفراد الآخرين، وحث المتعلمين على المثابرة وبذل الجهد والرغبة في التعلم، وعلى المستمعين لأي قول باتباع الأقرب للطريق الصحيح وتقديم الموعظة للآخرين، وعلى النساء وما يجب أن يتحلينّ به من الحياء والعفة...إلخ. وكان توجيهه (ع) بأسلوب واضح يَسْهلُ معرفة القصد من كلّ فقراته، في قالبٍ فني جميل أبعده عن فعل التوجيه الصارم الذي يتطلب فعله من المتلقي برغبة وقناعة أو بغير رغبة، فقدم برنامج أخلاقي للعباد وترك الحرية للمتلقين للأخذ بها وتطبيقها من غير تعسفٍ ولا فرض أو قهر.

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٥٧-٢٥٨.

النموذج التاسع: دعاء الإمام المهدي(عج): ((**وَأَحْيِنِي مَا أَحْيَيْتَنِي مَوْفُوراً، وَأَمِتْنِي مَسْرُوراً وَمَغْفُوراً، وَتَوَلَّ أَنْتَ نَجَاتِي مِنْ مُسَاءَلَةِ الْبَرْزَخِ، وَادْرَأْ عَنِّي مُنْكَراً وَنَكِيراً وَارِ عَيْنَى مُبَشِّراً وَبَشِيراً، وَاجْعَلْ لِي إِلى رِضْوَانِكَ وَجِنَانِكَ مَصِيراً، وَعَيْشاً قَرِيراً، وَمُلْكاً كَبِيراً، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِه كَثِيراً**))[1]

حيث وظف آلية التذكير بمشهدٍ من مشاهِد الحسابِ في عالمِ البرزخِ وما يسأله منكرٌ ونكيرٌ، وبشدة الموقف وما يعتري الإنسان من خوف فيه وأهوال في ذلك العالم، فمن الْمُنجي للإنسان (المحاسب) في تلك اللحظة؟ فالْمُنجي للإنسان أعماله الصالحة التي تعكس مدى تمسكه في تعاليم الدين الإسلامي في حياته الدنيوية تنفعه في تلك اللحظة، فَذِكْر هذه المشاهد في عالم البرزخ لغرض تحذير المتلقين من غفلتهم وانشغالهم في أهواء الدنيا وملذاتها، فلابدّ من إعمال خير تنفع لذلك العالم المفزع.

فمن خلال ما لمسّناه في نماذج مختارة من الصحيفة الرضوية الجامعة للاستراتيجية التوجيهية، نجد أنّها قد تعددت وسائلها وآلياتها وانمازت باختلافها عن وسائل وآليات الاستراتيجية التوجيهية التي حددها الباحثون كما ذكرنا في المدخل النظري، فعلى حسب نماذجنا كانت الوسائل والآليات المتبعة هي كالآتي:

١- آلية ثنائية الاضداد.

٢- آلية سلسلة الافعال المتعاقبة.

٣- آلية ذكر العواقب.

هذا وبإمكان المتلقين لأدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام التماس الجانب التوجيهي في أغلب أدعيتهم المباركة بوسائل وآليات آخرى تتوقف معرفتها أو استخلاصها من الدعاء على حسب تركيز المتلقي (السامع والقارئ) للدعاء؛ لكون الغاية العامة المشتركة بين الأئمة الأطهار (ع) في نتاجاتهم الأدبية المتنوعة ما بين أقوال وخطب ورسائل وأدعية وزيارات وأحاديث، هي تحقيق المنفعة للمتلقين عبر توجيههم للقيام بأمورٍ ترجع فائدتها لصالح الفرد والمجتمع من (الحث على الصلاة والصوم وايتاء الزكاة، وتحبيبهم لفعل الخير ومساعدة المحتاج...، وترغيبهم للتوجه لله تعالى في كلّ الأحوال، واجتناب الأفعال التي تضرهم والتي لا تَمُّت لشريعة الإمة الإسلامية وأولها الشرك بالله تعالى وتستتبعها

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٩٦.

الأفعال المحرمة الآخرى التي ذكرها الله جلّ وعلا في كتابه العزيز وفسرها الرسول (ص وآله) في سنته الشريفة، وأكدها أهل بيته (ع) من بعده (ص وآله) في مسيرتهم التبليغية الإصلاحية.

وهناك غاية خاصة لكلّ دعاء وهي تتعلق بقدر ما يبثه الأئمة (ع) من مضامين خطابية تستهدفُ متلقيها الخاص في زمن الأئمة (ع)، ويكون توجيههم عبر النصح والإرشاد عن أمور تخص البعد الاجتماعي والسياسي، إلى جانب البعد العقائدي الذي يكون التوجيه فيه لأجل المتلقي الخاص وفي كلّ الأزمنة، لأن الشرائع العقائدية ثابتة لا تبدل، لكونها تعد أساس لكلّ الأعمال الصالحة فيما بعد.

المبحث الثالث

الاستراتيجية التأثيرية

أولاً: مفهوم الاستراتيجية التأثيرية

وهي من الاستراتيجيات الخطابية التي يختارها المرسل في خطابه، لصياغته بطريقة جمالية مؤثرة في نفسية المتلقي (المرسَل إليه) لأجل شد انتباهه لذلك الأثر الجمالي لموضوع الخطاب وهذه الاستراتيجية تتفق مع بقية الاستراتيجيات الخطابية في استعمالها لآليات ووسائل لغوية بلاغية وأساليب أدبية آخرى، لأجل تحقيق هدف مقصود، فالاستراتيجيات كُلِّها تتفق في أحداث تأثير ما في المتلقي، ولكنها تختلف في نوع فعل التأثير المقصود لدى المتلقي بعد تلقيه للخطاب، وللتوضيح أكثر نقول الاستراتيجية الاقناعية يُقصد بها إلى أحداث تأثير إقناعي بالوسائل المعبرة عن قوة وسلطة المرسِل لأجل التأثير في المتلقي للفكرة المعروضة وإقناعه فيها، بإيراد حجج قوية لها القدرة على إقناع المتلقي وأما الاستراتيجية التوجيهية فالتأثير فيها لأجل توجيه المتلقي لإنجاز فعل ما أو تجنبه وهذا التأثير التوجيهي يتم بوسائل لغوية فيها دلالة على التوجيه الإلزامي وغير الإلزامي، وأما الاستراتيجية التأثيرية فالمقصود بالتأثير هنا؛ إحداث أثرٌ جمالي في وجدان المتلقي لكون الفكرة أو القضية التي يطرحها المرسل في خطابه هي قضية وجدانية تُخَاطب وجدان ونفسية المتلقي وعاطفته، فلابد من إتباع واستعمال وسائل وآليات فنية وجمالية لها القدرة على أحداث تأثير وجداني في نفس المتلقي، ليتفاعل مع الأثر الخطابي الوجداني.

إذن يمكن تعريف الاستراتيجية التأثيرية بأنّها الطرق والوسائل المتبعة في الخطاب والمحققة لغرض المرسِل من خطابه المتمثل بأحداث أثر جمالي في نفس المتلقي، فيتفاعل مع الخطاب تفاعلاً جمالياً وذلك عبر آليات فنية مقصودة لتحقيق ذلك الأثر.

ثانياً: مسوغات استعمال الاستراتيجية التأثيرية:

لكلّ استراتيجية خطابية عدد من المسوغات التي ترجح استعمالها دون غيرها، ومن هذه المسوغات التي ترجح استعمال الاستراتيجية التأثيرية، هي كالآتي:

١- قدرة المرسل الإبلاغية والبلاغية: والمقصود بها إثبات المرسِل (الإمام عليه السلام) لقدرته الأدبية العالية، فبإمكانه الإبلاغ عن الفكرة المعروضة في خطابه بأكثر من وسيلة لغوية وفنية فتارة نجده (ع)

يمارس وسائل متنوعة لقصد الإقناع وذلك بتوظيفه حجج قوية، وتارة آخرى يُمارس فعل التوجيه بطريقةٍ غير مباشرة كما مر بنا سابقاً، وهنا نجده يستهدف في الدعاء الجانب الجمالي، دلالة على وعيه بأساليب القول والكلام وما يستدعيه المقام والسياق والموضوع من توظيف أساليب فنية مقصودة ليتعامل المتلقي مع الدعاء وفقراته تعاملاً جمالياً متلذذاً بتلاوته، فالأئمة (عليهم السلام) هم أهل البلاغة والفصاحة فكيف لا يكون كلامهم على قدرٍ من الجمالية الفنية التي تستهوي نفوس المتلقين لكلامهم.

٢- طبيعة الموضوع: أغلب موضوعات الدعاء هي موضوعات وجدانية (التوحيد والثناء لله تعالى وتحميده وتمجيده والتوبة والمناجاة والتوسل بالدعاء...) فتتطلب هذه المفاهيم لفهمها واستيعابها آليات ووسائل وجدانية تتناسق وتتوافق فنياً مع تلك الموضوعات.

٣- الذائقة النفسية: فالذي يحدد اختيار هذه الاستراتيجية هي ذائقة نفسية المتلقين بصورة عامة فكلّ مرسِل يرغب إلى تحقيق هدف تأثيري والوسيلة الناجحة لشيوع خطابه وتحقيق هدفه هي أتباع وسائل تستثير الذائقة النفسية وتجعلها في حالة انتعاش واستهواء لكلّ ما يعرض عليها من أفكار وقضايا وجدانية أم غير وجدانية كانت.

ثالثاً: وسائل الاستراتيجية التأثيرية وآلياتها:

الدعاء هو كلام العبد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى، أو هو "طلب الأدنى من الأعلى: على جهة الخضوع والاستكانة"[١]، وهو يتمثل عبر المحاورة التي يقوم بها العبد الداعي مع الله تعالى المعبود في محاورة وجدانية، لأن الداعي يعبر عن انفعالاته وأحاسيسه وعواطفه تجاه خالقه تعالى، يجسده الكلام المذكور في الدعاء[٢] فيعد الدعاء شكلاً فنياً متميزاً بمظهرهِ الخارجي القائم على المحاورة، ومظهره الوجداني[٣] والذي يقوم بالحوار هو الإمام (ع) المصوغ الشرعي للدعاء، ويقدمه للمتلقي بعد ذلك ليتمثله وكأنه من نتاج ذاته[٤]. والحوار هو أهم عنصر يتبناه المتكلم في أي موقف (صراع، استفسار، سؤال، وجواب...) إذ به تتشكل الاحداث، وتنمو وتتفاعل ليصل المحاور إلى تحقيق غايته من المحاورة، أي أنه يتم بين طرفين القصد منه الوصول إلى معرفة حقيقة ما، وينقسم الحوار إلى قسمين الحوار الديالوجي

(١) الدعاء حقيقته، آدابه، آثاره، مركز الرسالة: ١١.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الاسلامي: ٢٣٤.

(٣) ينظر: م – ن: ٢٣٦.

(٤) ينظر: الإسلام والفن: ١٧٠.

(الخارجي) والحوار المونولوجي (الداخلي أو الذاتي والانفرادي)[١]. وأصل الحوار في الدعاء قائم على طلب الحاجة سواء أكانت حاجة دنيوية أم حاجة آخروية، ويكون الداعي في حالة خشوع وتذلل وخضوع وتوسل في طلب الحاجة، لينال استجابة الدعاء في قبول دعائه، فضلاً عن شروط آداب الدعاء التي تذكُرها كُتب الأدعية[٢].

فالحوار يُعد التقنية الأولى والأساسية في بناء وصياغة الدعاء، ويتخلله تقنيات آخرى تُضيفَ إلى الحوار الفردي جماليات مُساندة لصياغته ليكون بالصورة النهائية المؤثرة، صياغة فنية وأدبية عالية لها القدرة على إثارة عواطف المتلقين للدعاء (المتلقي الإنساني) ودخوله إلى عالم الدعاء، وهو "عالم متخيل، نستوعبه ونعيش فيه بمقدار قدرة النص على نقلنا إليه وتأثيره فينا"[٣]، وهذا ما يتحقق بفضل صياغته الفنية الجمالية في بنائه التركيبي والإيقاعي في الدعاء وسنقف عند أهم الجماليات التأثيرية في الدعاء بوصفها وسائل للاستراتيجية التأثيرية لقصد أحداث أثر وجداني عند المتلقي، وهي:

١- آلية السرد .

٢- آلية الفنون البلاغية .

٣- آلية العنصر الإيقاعي.

١- آلية السرد:

قد ذكرنا سابقاً أنّ الدعاء قائم على عنصر المحاورة الانفرادية وقد يتداخل أسلوب السرد أحياناً مع جانب الحوار لتحقيق الهدف التأثيري من الدعاء، فالسرد هو التقنية المساندة في البناء الفني للدعاء، لأن الدعاء "قوامه الحوار مع الله سبحانه تعالى وفي هذا الحوار تُسرد إشارات إلى بعض ما يمكن أن يُثير العواطف الرحمانية أو الأشواق الإنسانية، والحوار في الدعاء كُلّه مونولوج (حديث الفرد الواحد) ويستغرق كُلّ الأدعية وهو من أكثر تقنيات الحوار حضوراً"[٤]، فأسلوب السرد أو (آلية السرد) هي آحدى وسائل وآليات الاستراتيجية التأثيرية الموظفة في الدعاء، والمقصود بالسرد هو "الطريقة التي تُحْكَى بها

(١) ينظر: لمع السرد، دراسات دراسات حول السرد الوامض بالمغرب قراءة في متون، محمد مختاري(نسخة الكترونية)

(٢) ينظر: الدعاء حقيقته، آدابه، آثاره: ٢٥، و ينظر: الدعاء عند أهل البيت (ع)، محمد مهدي الآصفي،: ٧٥.

(٣) الدعاء في الصحيفة السجادية، قراءة نفسية، أ. د. حيدر كريم سكر، و أ. م. فرحان محمد حمزة البيضاني (بحث): ١.

(٤) الإيقاع وأنواعه في دعاء العرفة: ٨.

[الأحداث] القصة"[١]، أو "الكيفية التي تروى بها القصة"[٢] وللسرد ثلاثة عناصر: "القصة والسارد (الراوي) والمسرود له (المروي له) ففي كلّ سرد يتم التواصل بين مرسِل للسرد (السارد) ومتقبل له (المسرود له)"[٣] وآلية السرد وعناصرها في متن الصحيفة (محل الدراسة) تتمثل في كيفية عرض وسرد الأحداث الخاصة بفعل الدعاء من قبل السارد وهو هنا الإمام (ع)، وهو أيضاً الشخصية التي تقوم بالحدث وفي زمان ومكان مفترضين من قبل الإمام (السارد)، وفي بعض الأحيان تكون محددة للزمان والمكان وخاصة حينما يسرد لنا الإمام بعض الأحداث التاريخية من حياته الشخصية، والمسرود له يكون المتلقي الثاني للدعاء (المتلقي الإنساني).

فنجد في أدعية الصحيفة توظيف آلية السرد متمثلة في (سرد الحدث) بطريقة بسيطة غير معقدة تتلاءم مع الطابع الوجداني الغالب في الدعاء، ولذلك عدّه الدارسون والباحثون أحد أنواع الإيقاع في الدعاء، وإيقاع السرد في الدعاء وفي بقية الفنون الأدبية الآخرى تدلّ عليه (الصيغة السردية) فنجد في افتتاحية الدعاء في الغالب بأسلوب سرد هادئ وبطيء لكونه سرداً خاصاً بحمد الله تعالى والثناء عليه بذكر صفاته أو الحمد بأسمائه الحسنى أو بذكر قدراته في الخلق ويتصاعد إيقاع السرد بعد ذلك في الحوار الفردي الذي يقوم به الداعي على حسب موضوع الدعاء، وما يتضمنه من بث أمور ومفاهيم مقصودة للمتلقي العادي، فيتصاعد إيقاع السرد وتدلّ عليه صيغ الأفعال المضارعة والمستقبلية، وتبطئ حركته وتدلّ عليه الأفعال الماضية[٤] وهكذا كما سنشير إلى ذلك في تحليل النماذج المختارة من الصحيفة الرضوية الجامعة.

النموذج الأول: للإمام الرضا (ع) حيث يبدأ الدعاء بالحوار الذي يقوم به الداعي الإمام (ع) بسرد الحدث الدُعائي مباشرةً دون مقدماتٍ في الحمد والثناء لله تعالى، وإنما تضمن الحمد والثناء داخل الأحداث السردية، فالفقرة الاولى من الدعاء: ((**اِلهي وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَمَدَدْتُ يَدي اِلَيْكَ، مَعَ عِلْمي بِتَفْريطي في عِبادَتِكَ وَاِهْمالي لِكَثيرٍ مِنْ طاعَتِكَ، وَلَوْ انّي سَلَكْتُ سَبيلَ الْحَياءِ لَخِفْتُ مِنْ مَقامِ الْطَّلَبِ وَالدُّعاءِ**))[٥].

(١) تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزة: ٧١.

(٢) بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني: ٤٥.

(٣) ينظر: تحليل النص السردي: ٧٢.

(٤) ينظر: الإيقاع وأنواعه في دعاء العرفة : ٨-١٠.

(٥) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠.

فالدعاء لم يأتِ بناؤهُ على شكلِ فقراتٍ ترتبطُ بعباراتٍ أو كلماتِ الربطِ التي سَيقفُ البحثُ عندها لاحقاً وإنما جاء على شكل فقرة واحدة مترابطة أو بناء واحد متكامل، وسوف نقسمه إلى فقرات لأجل تحليله، فالفقرة الأولى تُمثل لحظةَ حدثاً بسيطاً سريعاً يَقوُم بِه الداعي لأجل طلبِ الحاجةِ، إلا أن الإمام سرد أكثر من فعل حركي (حدثي) يقوم بهِ الداعي في الوقوف للمناجاة وكأنّهُ حدثِ قصةٍ أو حدثِ ماضٍ وَقعَ فيسردهُ لنا السارد (الإمام) بعد لحظةِ وقوعه. فكأنّهُ سرد استرجاع لأحداث ماضية وسابقة[١] الذي يدلّ على إنّهُ سرد استرجاعي هي الأفعال الماضية (وقفتُ، مددتُ، سلكتُ، خفتُ) فبدأ الدعاء بمقطع سردي يرق له القلب وكأنّ الداعي (الشخصية السردية) قام بفعل الوقوف ومد اليدين لطلب الحاجة والوقوف (بين يديك) كناية عن رحمته الواسعة (سبحانه وتعالى) و(مد اليد) دلالة على حالة العبد الذليل المحتاج المسكين، العالم بتفريطه في عبادته لارتكابه الذنوب "ورفع اليدين هي علامة الاستكانة والحاجة وهذا ما له تأثير ايحائي في ترقيق القلب وإزالة القسوة عنه، وتَخْلِيصهُ وتَحضِيرهُ بين يديهِ تباركَ وتعالى"[٢]، فكانت العبارات الأولى من الوقوف ومد اليدين هي لأجل تحضير القلب وطرح الذنوب والمعاصي على جنبٍ، والتوجه إلى الله تعالى فبابه مفتوح للسائلين وعبر الإمام في حوارهِ السردي عن هذا المعنى بطريقة تمس القلب وهي ((**وَلكِنّي يا رَبِّ لَمّا سَمِعْتُكَ تُنادِي الْمُسْرِفينَ إلى بابِكَ، وَتَعِدُهُمْ بِحُسْنِ إقالَتِكَ وَثَوابِكَ**)) فسماعه هذا كأنّه استذكار لِحدث ماضٍ، يَرفدهُ بعدها استذكار فعل آخر ماضٍ من المجيئ والتوجه لطلب الدعاء بوسائل تشفع له عند الله وهذا المقطع السردي يمكن وصفه بالحدث البطيء ((**جِئْتُ مُمْتَثِلاً لِلنِّداءِ، وَلائِذاً بِعَواطِفِ أَرْحَمِ الرُّحَماءِ وَقَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاِلِه، الَّذي فَضَّلْتَهُ عَلى أَهْلِ الطّاعَةِ، وَمَنَحْتَهُ بِالْإِجابَةِ وِالشَّفاعَةِ، وَبِوَصِيِّهِ الْمُخْتارِ، الْمُسَمّى عِنْدَكَ بِقَسيمِ الْجَنَّةِ وَالنّارِ، وَبِفاطِمَةَ سَيِّدَةِ النِّساءِ، وَبِأَبنائِهَا الْأَوْلِياءِ الْأَوْصِياءِ، وَبِكُلِّ مَلَكٍ خاصَّةٍ يَتَوَجَّهُونَ بِهِمْ إِلَيْكَ، وَيَجْعَلُونَهُمُ الْوَسيلَةَ في الشَّفاعَةِ لَدَيْكَ،...**))(٣).

وبعد هذا المقطع السردي المتمثل بالذهاب إلى الله تعالى، يأتي مقطع آخر سردي لما تشتمل عليه رحلة الذهاب إلى الله تعالى بأسلوبِ تصويريٍ رائعٍ يَجذبُ ذائقةُ المتلقي ويهزُّ كيانه: ((**فَمالِكٌ رَأى مِنْ مَمْلُوكِه ذُنُوباً فَطَرَدَهُ عَنْ بابِه، وَسَيِّدٌ رَأى مِنْ عَبْدِه عُيُوباً فَأَعْرَضَ عَنْ جَوابِه، يا شَقْوَتاهُ إِنْ ضاقَتْ عَنّي سَعَةُ رَحْمَتِكَ، إِنْ طَرَدْتَني عَنْ بابِكَ عَلى بابِ مَنْ أَقِفُ بَعْدَ بابِكَ؟!**))[٤] فهنا سردٌ يُهيمنُ عليهِ حالة الحزن والخوف من عدم قبول الدعاء والتي تجلت في هذا الاستفهام.

---

(١) ينظر: تحليل النص السردي: ٨٩.

(٢) الدعاء عند أهل البيت (ع): ٨٨.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢١.

(٤) م – ن:٢١.

النموذج الثاني: دعاء للإمام الجواد (ع) إذ بدأ بسردٍ إخباريّ يَذكرُ ما للعبدِ من ذنوبٍ ومعاصٍ التي تَسْتُوجبُ أليم العذابَ، فهذا المقطع تمثل فيه نمط السرد الاستباقي وهو "يستعملُ للدلالةِ على كُلِّ مقطعٍ حكائيٍّ يَرّوي أو يُثير أحداثاً سابقةً عن أوانِها أو يُمْكِنُ توقع حدُّوثِها"(١)، فالحوار بدأَ بِذكْر الرّجاءَ لسعةِ رحمته (تعالى) وقُرّبهَ سبحانه وتعالى للعبادِ في جميع الأحوال شجعه على طلبِ الامن والعفوِ والحوار قائِم على سرد استباقي يدلّ على حالة العبد اليائس من رحمة الله تعالى لكثرة الذنوب التي يَحملها على ظهرِهِ كما يتوضح ذلك في قوله: **((اللّهُمَّ إِنَّ الرَّجاءَ لِسَعَةِ رَحْمَتِكَ أَنْطَقَنِي بِاسْتِقالَتِكَ، وَالاَمَلَ لإِناتِكَ وَرِفْقِكَ شَجَّعَنِي عَلى طَلَبِ أَمانِكَ وَعَفْوِكَ، وَلِيَ يا ربِّ ذُنُوبٌ قَدْ وَاجَهَتْها أَوْجُهُ الانْتِقامِ، وَخَطايا قَدْ لاحَظَتْها أَعْيُنُ الاصْطِلامِ وَاسْتَوْجَبْتُ بِها _عَلى عَدْلِكَ_ أَليمَ العَذابِ، وَاسْتَحْقَقْتُ بِاجْتِراحِها مُبيرَ العِقابِ، وَخِفْتُ تَغْويقَها لِإجابَتي، وَرَدَّها إيّايَ عَنْ قَضاء حاجَتي وَإبْطالَها لِطَلِبَتي، وَقَطْعَها لِأَسْبابِ رَغْبَتي، مِنْ أَجْلِ ما قَدْ أَنْقَضَ ظَهْري مِنْ ثِقْلِها، وَبَهَظَني مِنَ الاسْتِقْلالِ بِحَمْلِها))**(٢).

فهنا يسرد لنا الإمام لما سيقع في المستقبل الذي مثّل ذلك الحدث اللحظة الأولى للداعي المُدرك لعدل الله تعالى فاعترافه بالذنوب وجزاؤها الأليم دلالة على وعيه بما ستجره ذنوبه في المستقبل والتي تكون سبباً في عدم استجابة الدعاء وردّه وعدم القبول للدعاء، ثم أعقبهُ الإمام بسردٍ للحظةِ الحاضرِ الذي غير مجرى الأحداث من حدث الخيبة واليأس لعدم استجابة الدعاء إلى حالة آخرى مثلها بِأجمل صورة وتعبير وهي حالةِ استشراقٍ وبهجةٍ ولهفةٍ وشوقٍ للوقوفِ أمام الله تعالى الذي دَفْعهُ للطلب والدعاء فضلاً عن الثقة بالله تعالى والتوكل عليه الذي كان بمثابة الحافز للتعبير عن هذه الفسحة التأملية في نفس الداعي كما في قوله: **((ثُمَّ تَراجَعْتُ رَبِّ إلى حِلْمِكَ عَنْ الْعاصينَ، وَعَفْوِكَ عَنْ الخاطِئينَ، وَرَحْمَتِكَ للمُذْنِبينَ، فَأَقْبَلْتُ بِثِقَتي مُتَوَكِّلاً عَلَيْكَ، طارِحاً نَفْسي بَيْنَ يَدَيْكَ، شاكِياً بَثّي إلَيْكَ، سائِلاً رَبِّ ما لا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْ تَفْريجِ الغَمِّ، وَلا أَسْتَحِقُّهُ مِنْ تَنْفيسِ الهَمِّ، مُسْتَقيلاً رَبِّ لَكَ، وَاثِقاً مَوْلايَ بِكَ))**(٣).

فموضوع الدعاء هو (مناجاة الله تعالى) فَصاغَ الإمام الجواد (ع) الدعاءَ على قضيةِ الموضوعِ وهي هنا (قضية وجدانية) فَلامَس الإمام (ع) هذه القضية أو طلب الدعاءِ بلمسة أدبية جمالية جاءَتْ عن طريق توظيف آلية أو تقنية السرد مع الحوار الدعائي (حوار العبد الفردي الذاتي) فجمالية السرد تَحققتْ

(١) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: ١٣٢.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١١٩.

(٣) م – ن: ١١٩.

في الدعاءِ من خلالِ ما يَذْكَرهُ الحوار السردي من حدثٍ لسرد استرجاع لأحداثٍ ماضيةٍ مما يُثير خيال المتلقي (المسرود له) ورسمه لهذه الاحداث وتصويرها في ذهنه.

وفي النموذج الثالث: تمثل الدعاء في سرد لوقائع وأحداث تأريخية واقعة في حياة الإمام الهادي (ع) مع أحد حكام العصر المُنتزِع للسلطة من صاحبها الحقيقي وهو الإمام المعصوم (عليه السلام) وما تضمنه من سرد استذكاري أو استرجاعي فهو النمط السردي الملائم لسرد حدث تأريخي واقع في زمن ماضٍ أو استرجاعِ لحدث قريب من حاضر السرد وهذا هو النمط الأول للسرد ويعرف بـ(السرد الاسترجاعي أو الاستذكاري) وهو استرجاع أحداث سابقة على الزمن الحاضر، حاضر السرد، ونمط آخر استباقي استشرافي لأحداث لاحقة[١] كما سيتضح معنا في مقاطع الدعاء الآتية:

الفقرة الأولى: ((**اَللهُمَّ اِنَّكَ أَنْتَ الْمِلكُ الْمُتَعَزِّزُ بِالْكِبرِياءِ، الْمُتَفَرِّدُ بِالْبقاءِ، الْحَيُّ الْقَيُّوْمَ، الْمُقْتَدِرُ الْقَهّارُ، الَّذي لا إِلهَ إِلَّا أَنْت**))[٢]، حيث بدأ الدعاء بالحوار الوصفي بذكر صفات واسماء الله الحسنى الدالة على عظمته وقدرته تمهيداً لما يطلبه الداعي من حاجة عند الله تعالى.

والفقرة الثانية: ((**اَنا عَبْدُكَ وَأَنْتَ رَبّي، ظَلَمْتُ نَفْسي، وَاعْتَرَفْتُ بِإِساءَتي وَاَسْتَغفِرُ اِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبي (فَاغْفِرْ لي) اِنَّه لا يَغْفِرُ الذَّنُوبَ اِلّا أَنْتَ**))، نجده يُخاطب (عزّ وجلّ) باعترافه بارتكاب الذنوب والمعاصي ويطلب غفران الذنوب منه تعالى فأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وفي الفقرة الثالثة: ((**اللّهُمَّ إِنّي وَفُلانَ بْنَ فُلانَ عَبْدانِ مِنْ عَبيدِكَ، نَواصينا بِيَدِكَ تَعْلَمُ مُسْتَقَرَّنا، وَمُسْتَوْدَعَنا، وَتَعْلَم مُنْقَلَبَنا وَمَثْوانا، وَسِرَّناَ وعَلانِيَتَنا، وَتَطَّلِعُ عَلى نِيّاتِنا، وَتُحيطُ بِضَمائِرِنا، وَعِلْمُكَ بِما نُبْديهِ كَعِلْمِكَ بِما نُخْفيهِ، وَمَعْرِفَتُكَ بِما نُبْطِنُهُ كمعرفتك بِما نُظْهِرُهُ وَلا يَنْطوي شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنا، وَلا يَسْتَتِرُ دُونَكَ حالٌ مَنْ أَحْوالِنا... فَمَعاذَ الْمَظْلُومِ مِنّا بِكَ، وَتَوَكُّلُ الْمَقْهُورِ مِنّا عَلَيْكَ، ورُجُوعُهُ إِلَيْكَ وَيَسْتَغيثُ بِكَ إِذا خَذَلَهُ الْمُغيثُ، وَيَسْتَصْرِخُكَ إِذا قَعَدَ عَنْهُ النَّصيرُ وَيَلُوذُ بِكَ إِذا نَفَتْهُ الْاَفْنِيَةُ، وَيَطْرُقُ بابَكَ إِذا أُغْلِقَتْ عَنْهُ الْأَبْوابُ الْمُرتَجَةُ وَيَصِلُ إِلَيْكَ إِذَا احْتَجَبَتْ عَنْهُ الْمُلُوكُ الْغافِلَةُ، تَعْلَمُ ما حَلَّ بِه قَبْلَ أَنْ يَشْكُوهُ إِلَيْكَ، وَتَعْرِفُ ما يُصْلِحُهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوكَ لَهُ فَلَكَ الْحِمْدُ سَميعاً بَصيراً، لَطيفاً قَديراً**))[٣].

---

(١) ينظر: تحليل النص السردي: ٨٩ .

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٨٨ – ١٨٩.

(٣) م – ن: ١٨٩.

ويستمر الحوار الخاص بالحمد والثناء لله تعالى ولكن في هذه الفقرة يتداخل حوار الحمد مع السرد بشكل سريع إذ صرحَ هنا بالشخصيات السردية في الدّعاء وهي الشخصية الأولى المتمثلة بالإمام الداعي والسارد أيضاً (الإمام الهادي عليه السلام) وهي الشخصية التي قامت بسرد حكايتها مع الشخصية الثانية وهو الحاكم العباسي (المتوكل)[١] ولكن الإمام في داخل السرد لم يذكر اسمه المتوكل الحاكم وإنما (فلان بن فلان) فالشخصية الأولى وهي الإمام واضحة بضمير المتكلم (اللّهمَّ انّي، وأنا عبدك...) والثانية غير ظاهرة بالاسم حتى لا يثير انتباه الطرف المعادي للإمام ولكن سرده لأفعال هذه الشخصية تحددها بالمتوكل ستتضح معنّا أفعاله المذكورة في الدعاء وسرده هنا لحمده تعالى بأفعال مُضارعةِ تدلّ على الاستمراريةِ والتجديديةِ والحركيةِ[٢] فعلمهُ سبحانه وتعالى بِماَ يقوُم بِه الْشخص من أعمالٍ مُعْلنة وما يخفيه فعندهُ سبحانه علمٌ لا يُخفى عليه شيئاً وبعدها يذكر عبارة ((**فَمَعاذُ الْمَظْلُومِ مِنّا بِكَ، وَتَوَكُّلُ الْمَقْهُورِ مِنّا عَلَيْكَ... وَتَعْرِفُ ما يُصْلِحُهُ قَبْلَ اَنْ يَدْعُوكَ لَهُ**))[٣] بتقنية السرد الملخص لأحداثٍ استباقية فهو لَمْ يُصرح مَنْ الظّالم والمظّلوم؟ وهذا لغرض إثارة انتباه المتلقي وتشويقه لمتابعة الدعاء ومعرفة ذلك بنفسهِ – مع العلم بأن الموالين لآل البيت وخاصة في زمن الإمام الهادي (ع) يعرفون بأنّ المظلوم هو الإمام (ع) والظالم هو الحاكم المتوكل لكن عدم ذكره مباشرة للظالم هو دلالة على معرفة الإمام (ع) بأساليب القول والعبارة المؤدية لمكانتها في هذا البناء الفني المتميز في الدعاء، فالدعاء صِيْغَ بِصيغٍ وتقنيات السرد الحديثة المعاصرة وهذا ما يَدلُّ على صياغةِ الدعاءِ، صياغةً فنيةً وجماليةً عاليةً– لما سَيُسرَد من أحداثٍ تَفصحُ عن شخصيةِ الظّالمِ والمظلومِ.

فالسرد الملخص أو التلخيصي هو سردٌ استباقي للأحداث سوف تقع في نهاية القصة المحكية بإيجازٍ وتكثيفٍ لإثارة انتباه المتلقي وتشويقه، وهو "أن نلخص حدثاً حصلَ أو سيحصل في حاضرٍ أو مستقبلِ القصةِ"[٤] والجمل الدالّة على هذا السرد الاستباقي (الاستشرافي) هي الجمل الفعلية فعل الشرط وجوابه إذا حدث الفعل الأول فلابد من حدوث جوابه، كما في قوله: ((**وَيَسْتَغيثُ بِكَ إِذا خَذَلَهُ الْمُغيثُ،**

(١) ينظر: المنتخب من سيرة المعصومين: ٤٢٩، وينظر: الإمام الرضا (عليه السلام) بين نصوص الرسالة وسلطة الرأي والقبيلة: ١٤٠-١٤٩.

(٢) ينظر: الإيقاع وأنواعه في دعاء العرفة: ٩.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٨٩.

(٤) بنية الشكل الروائي: ١٤٥.

وَيَسْتَصْرِخُكَ إذا قَعَدَ عَنْهُ النَّصيرُ وَيَلُوذُ بِكَ إذا نَفَتْهُ الْأَفْنِيَةُ، ويَطْرُقُ بابَكَ إذا أُغْلِقَتْ عَنْهُ الْأَبْوابُ الْمُرتَجَةُ وَيَصِلُ إلَيْكَ إذَا احْتَجَبَتْ عَنْهُ الْمُلُوكُ الْغافِلَةُ)).

وبعد هذا السرد الاستشرافي لما ستقع من أحداث في مستقبل القصة، يبدأ بالفقرة التالية بتقنية السرد أيضاً وهو ما يمكن عدّه نمط استرجاع لأحداث بداية القصة المحكية والتي يَسْرُدُّها الإمام(ع) باعتبارهِ الشخصيةَ الشاهدةَ لأحداث القصة التأريخية الواقعة ما بينه وبين المتوكل الحاكم الظالم ويبدأ هذا المقطع السردي بقوله (ع) : **((اللّهُمَّ إنَّهُ قَدْ كانَ في سابِقِ عِلْمِكَ، وَمُحْكَمِ قَضائِكَ، وَجاري قَدَرِكَ، وَماضي حُكْمِكَ، وَنافِذِ مَشِيَّتِكَ في خَلْقِكَ أَجْمَعينَ- سَعيدِهِمْ وَشَقِيِّهِمْ وَبَرِّهِمْ وَفاجِرِهِمْ- أَنْ جَعَلْتَ لِفُلانِ بْنِ فُلانٍ عَلَيَّ قُدْرَةً، فَظَلَمَني بِها، وبَغى عَلَيَّ لِمَكانِها، وَتَعَزَّز (وَاسْتَطالَ) عَلَيَّ بِسُلْطانِهِ الَّذي خَوَّلْتَهُ، إيّاهُ، وَتَجَبَّرَ (وَافْتَخَرَ) عَلَيَّ بِعُلُوِّ حالِهِ (الَّتي جَعَلْتَها له) وَغَرَّهُ إمْلاؤُك لَهُ، وَأَطْغاهُ حِلْمُكَ عَنْهُ فَقَصَدَني بِمَكْرُوهٍ عَجَزْتُ عَنِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَتَعَمَّدَني بِشَرٍّ ضَعُفْتُ عَنِ احْتِمالِه (وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْانْتِصارِ مِنْهُ لِضَعْفي وَالْانْتِصافِ مِنْهُ لذلّي)، فَوَكَلْتُهُ إلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ في أَمْرِه عَلَيْكَ، وَتَوَعَّدْتُهُ بِعُقُوبَتِكَ، وَحَذَّرْتُهُ سَطْوَتَكَ، وَخَوَّفْتُهُ نِقْمَتَكَ))**[1]

باسترجاع أو سرد استذكاري كما يُسميه (حسن بحراوي) وهو "يتشكل من مقاطع استرجاعية تحيلنا على أحداث تخرج عن حاضر النص لترتبط بفترة سابقة على بداية السرد"[2] حيث استرجع ما أنعم الله تعالى به على المتوكل، ومنها (السلطة) فَمارسَ المُتوكّلُ بِفضلِ سلطته العليا (الحاكم) أفعال الظُّلِم والاضْطّهاد بِحق الإمام الهادي (ع) فلَمْ تَردعهُ مكانة الإمام (ع) الدينية في المجتمع الإسلامي فهو إمام واجب الطاعة فَسردَ لنا الإمام عِبْرَ تَقنية الاسترجاع أحداثاً ماضيةً من حياتهِ (ع) مع المتوكل، بِسردٍ مُختزلٍ للأحداث الماضية دون ذكر لتفاصيلها وبعدها يستمر الإمام في سردهِ كما في المقطع التالي: **((فَها أَنَا ذا يا سَيِّدي، مُسْتَضْعَفٌ في يَدَيْهِ، مُسْتَضامٌ تَحْتَ سُلْطانِه، مُسْتَذَلٌّ بِعِقابِه مَغْلُوبٌ مَبْغِيٌّ عَلَيَّ مَغْضُوبٌ، وَجِلٌ، خائِفٌ مُرَوَّعٌ مَقْهُورٌ، قَدْ قَلَّ صَبْري، وَضاقَتْ حيلَتي، وَانْغَلَقَتْ عَلَيَّ الْمَذاهِبُ إلاّ إلَيْكَ، وَانْسَدَّتْ عَلَيَّ الْجِهاتُ إلاّ جِهَتُكَ، وَالْتَبَسَتْ عَلَيَّ أُمُوري في دَفْعِ مَكْرُوهِه عَنّي، وَاشْتَبَهَتْ عَلَيَّ الأراء في إزالَةِ ظُلْمِه، وَخَذَلَني مَنْ اسْتَنْصَرْتُهُ مِنْ عِبادكَ، وَأَسْلَمَني مَنْ تَعَلَّقْتُ بِه مِنْ خَلْقِكَ))**.

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٩٠.

(٢) بنية الشكل الروائي: ١١٩.

في هذا المقطع السردي يتصاعد حدث السرد عن الأحداث الماضية الأولى المذكورة في السرد الاسترجاعي لأحداث القصة الماضية، ولكن لا يبتعد كثيراً عن الأحداث السابقة فهو لا يزال في نمط الاسترجاع ولكنه هنا استرجاعه للحظة الحاضر[١] التي تدلّ عليه العبارة (فَها أَنَا ذا يا سَيِّدي، مُسْتَضْعَفٌ في يَدَيْهِ،...) حيث سَردَ حالِهُ من بعد ما تَعرضَ لِظُلْمٍ واضطهادٍ شديد فلشدّة الموقف عليه إذ لم يَعد أحدٌ يَنْصِرهُ فما كان عليه إلا التوجه إلى ربهِ سبحانهِ وتعالى.

والفقرة التالية للدعاء: ((**وَاسْتَشَرْتُ نَصيحي، فَأَشارَ عَلَيَّ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَاسْتَرْشَدْتُ دَليلي فَلَمْ يَدُلَّني إِلاّ عَلَيْكَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْكَ يا مَوْلايَ صاغِراً راغِماً مُستَكيناً عالِماً أَنَّهُ لا فَرَجَ لي إِلاّ عِنْدَكَ، وَلا خَلاصَ لي إِلّا بِكَ أَنْتَجِزُ وَعْدَكَ في نُصْرَتي، وَإِجابَةِ دُعائي، فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذي لا يُرَدُّ وَلا يُبَدَّلُ: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ﴾**))[٢].

صيغت بطريقةٍ مؤثرةٍ ومشوقةٍ للمتلقي وهي أحداثٌ تَدلُّ عليها أفعال الحركة والاستمرارية والتجدد المُجسدة للسرد الحدثي، فهذا المقطع في حدّ ذاته قصة قصيرة جميلة ذائبة في الدعاء فيها من أحداث الذهاب إلى شخص آخر لطلب المساعدة فَيرْشدُهُ إلى الذهاب لصاحب العونِ والمساعدةِ فَيرجَعُ إلى الطلب منهُ سبحانه وتعالى. ويمكن عدّ هذا المقطع السردي ذا السمة الجمالية والفنية على درجة رفيعة فيها من عنصر التشويق والإثارة لمعرفة مَنْ القادر على مساعدة الإمام بعد ما عجز عن مُحَاربةِ أهل الفساد والطغيان وقلَّة أنصاره؟ فما كان عليه سوى الانقطاع والتوجه إلى الله تعالى وحده وعدم الاعتماد على غيره وهي الدلالة الخطابية للدعاء فختم الإمام (ع) دُعاءهُ بآيةٍ كريمة مُنسجمة مع سرده الحُكائي الجمالي المتعلق بحدث (التوجه والانقطاع إلى الله تعالى) لطلب النُّصرةِ من الله (عزّ وجلّ) بعد ما ضاقت الأمور عليه ﴿**وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ**﴾[٣].

وفي المقاطع السردية الأخيرة من الدعاء الغالب عليها نمط السرد الاستباقي لأحداث ستقع في المستقبل وهي من فعل الله تعالى بحق الظالم الحاكم فيما إذا لَمْ يَتراجع عن ظُلِم الإمام (ع) ويكف عن آذاه كما في قوله: ((**وَقَدْ أَضَرَّني يا رَبَّ حِلْمُكَ عَنْ فُلانِ بْنِ فُلانٍ، وَطُولُ أَناتِكَ لَهُ وَإِمْهالُكَ إِيّاهُ، وَكادَ الْقُنُوطُ يَسْتَوْلي عَلَيَّ لَوْلاَ الثِّقَةُ بِكَ وَالْيَقينُ بِوَعْدِكَ فَإِنْ كانَ في قَضائِكَ النّافِذِ، وَقُدْرَتِك الْماضِيَةَ، أَنْ**

(١) ينظر: تحليل النص السردي:٨٩.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٩١.

(٣) الحج:٦٠.

يُنيبَ أَوْ يَتُوبَ أَوْ يَرْجِعَ عَنْ ظُلْمي، أَوْ يَكُفَّ عَنْ مَكْرُوهي وَيَنْتَقِلَ عَنْ عَظيمِ ما رَكِبَ مِنّي فَصَلِّ (اَللّهُمَّ) عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ، وَأَوْقِعْ ذلِكَ في قَلْبِهِ السّاعَةَ، السّاعَةَ...، وَإِنَ كانَ عِلْمُكَ بِه غَيْرَ ذلِكَ، مِنْ مُقامِه عَلى ظُلْمي،... فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ، وَخُذْهُ مِنْ مَأْمَنِه أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَافْجَأْهُ في غَفْلَتِه مُفاجَأَةَ مَليكٍ مُنْتَصِرٍ، وَاسْلُبْهُ نِعْمَتَهُ وَسُلْطانَهُ وَافْضُضْ عَنْهُ جُمُوعَهُ وَأَعْوانَهُ، وَمَزِّقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ وَفَرِّقْ أَنْصارَهُ كُلَّ مُفَرِّقٍ،...، وَأَنْزِعْ عَنْهُ سِرْبالَ عِزِّكَ الَّذي لَمْ يُجازِهِ بِالْإِحْسانِ وَاقْصِمْهُ يا قاصِمَ الْجَبابِرَةِ،...))[1]

إذن تميزت آلية السرد في الصحيفة الرضوية المباركة بأنّها جاءت بصورة بسيطة وواضحة وسهلة تتوافق مع طبيعة البناء الفني الخاص بالدعاء وكذلك تتلاءم مع طبيعة السمة الوجدانية التي تُغلف الجو العام للدعاء .

٢- آلية الفنون البلاغية:

تعد هذه الآلية من الآلياتِ الفنية للاستراتيجية التأثيرية الموظفة في الدعاءِ، لأجل صياغته صياغةً فنيةً جماليةً وتكمن تأثيرية الفنون البلاغية فيما تَضفي على الكلام بصورةٍ عامة، والخطاب الأدبي بأنواعهِ (الشعري والنثري)، والدعاء بصورةٍ أخص من "جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي"[2]، وجعله يتفاعل مع موضوعه الخطابي، وسنقف على بعض الآليات الفنية البلاغية التي ساهمت مساهمة كبيرة في صياغة الدعاء، صياغة فنية ذات تأثير وجداني في نفس المتلقي ومنها: (الاستعارة، وهي من فنون البيان، والجناس والطباق من ألوان أو فنون البديع).

أ- الاستعارة:

تعدّ الاستعارة من أبرز الوسائل البيانية الموظفة في الدعاءِ، وخاصة في متنِ دراستِنا (الصحيفة الرضوية الجامعة) وتأتي أهمية الاستعارة في الدعاء، لخلق صور فنية تنبض بالحياة في ثنايا فقراته وتعمل على مُحاكاةِ ذهن المتلقي في جعل هذه الصور غير المرئية _المنطوقة أو المكتوبة_، مرئية ومحسوسة يُشاهدُها المتلقي في مُخيلتِه، وكأنّها صورٌ حقيقيةٌ، فالاستعارة تقوم على التشبيه ولكنها أبلغ من التشبيه، لأنّها تقتضي حذف أحد أركانها (المشبه والمشبه به) "فهي ضربٌ من التشبيه، ونمطٌ من

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٩٢- ١٩٤.

(٢) الحجاج في الشعر العربي: ١٢٠.

التمثيل"[١]. فكانت الاستعارة هي الآلية التأثيرية البارزة التي أعتمدها الأئمة (ع) في صياغة موضوع الدعاء صياغة فنية جميلة ومؤثرة، لما لها من وقع في نفس السامع، وخلق صور جميلة وجذابة تستهوي السامع وتجذبه للموضوع أو الفكرة المطروحة[٢] ونلحظُ هذه الصياغة الفنية في الفقرة التالية من الدعاء: **((وَقابِلْ رَبِّ تَوْبَتي بِجَزيلِ الثَّوابِ وَكَريمِ المَآبِ، وَحَطِّ العِقابِ، وَصَرْفِ العَذابِ،...، وَسَتْرِ الْحِجابِ))**[٣].

وَظفَ الإمام الجواد (ع) آليةَ الاستعارة في بيانِ وتصويرِ آثارِ التوبةِ من خلال هذه الصور الاستعارية الجميلة التي تؤثر في نفسية السامع وتستهويه لفكرة الموضوع الرئيسة، وأول هذه الصور الاستعارية (وحطَّ العقاب) استعارة مكنية، استعارة للعقاب صورة الثقل على الظهر، وحطَّ بمعنى (إنزال) فحذف المشبه به (الحمل) وبقي المشبه (المستعار له) فهي استعارة مكنية وهي "أن تذكر المشبه، وتريد به المشبه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهي أن تُنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به"[٤]، وهذه استعارة مؤثرة، حيث قدمت لنا صورة كثرةِ المعاصيِّ والذنوبِ التي يحملها الإنسان على ظهره، فكأنّها حمل، فعندما يتوجه العبدُ المذنبُ لطلبِ التوبةِ وبشروطٍ تُحقق قبولها، فمن آثارِ قبولِ التوبة، هنا إنزال الحمل (الذنوب) عن ظهره.

والصورة الثانية (وَسَتْرِ الْحِجابِ) استعارة الحجاب للستر (ستر الله على الإنسان، وهو معنوي) فهي استعارة تصريحية، والمتعارف أن الحجاب هو الستر للإنسان والحاجز له ما بين الصواب والخطأ والحلال والحرام، لكن في الدعاء جاءت استعارة لستر الله، فستر الله للعبد كحجاب وحاجز ما بين أعماله الظاهرة والخفية، والخفية في ستر الله محجوزة ومخفية عن البشر وهذا فضلٌ من الله تعالى على عبدهِ.

والصور الآخرى أيضاً في بيان آثار التوبة: **((وَامْحُ اللّهُمَّ رَبِّ بالتَّوبةِ ما ثَبَتَ مِنْ ذُنُوبي، وَاغْسِلْ بِقَبُولِها جَميعَ عُيُوبي، وَاجْعَلْها جالِيَةً لِرَيْنِ قَلْبي،...))**[٥] والاستعارة هنا–(وَاغْسِلْ بِقَبُولِها جَميعَ عُيُوبي)–مكنية، حذف المشبه به (الأوساخ) وأداة التشبيه ووجه الشبه، وقد دلت لفظة (غسل) على لازم من لوازم المشبه به أو صفة من صفاته (الغسل) وهو فعل الغسل بالماء. وفي قوله (ع) (وَاجْعَلْها جالِيَةً

(١) اسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح: السيد محمَّد رشيد رضا: ١٥.

(٢) ينظر: الخطاب الاعلامي في شعر التشيع في العصر الأموي: ٦١.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة:١٢٠.

(٤) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور: ٣٨٧.

(٥) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٠ .

لِرَيْنِ قَلْبي) هنا استعارة تصريحية استعارة (الرين) للحالةِ المعنويةِ وهي الذنوب الكثيرة تَحدث على القلب كرينٍ، والرين الصدأ، فشبه آثار الذنوب بالصدأ على القلب ثم حذف المشبه وأبْقى المشبه به ليخلق لنا هذه الصورة الاستعارية الحيّة.

وهكذا تتوالى الاستعارات ما بين تصريحية ومكنية في هذا الدعاء فالسمة الفنية الغالبة على الدعاء هي آلية الاستعارة، لكونها تجعل غير المحسوسِ وغير المرئي مرئيًا ومحسوساً بما يتوافق مع الطبيعة الوجدانية لموضوع التوبة وملامسته لعاطفة المتلقي فجاءت هذه الصياغات الاستعارية المصّورة لإنارة مكان التأمل الجمالي والعاطفي في أعماق الداعي.

ومن أمثلة الاستعارة ذات المنحنى التوجيهي أيضاً قوله (ع) (شَاحِذَةً لِبَصِيرَةِ لُبِّي) استعارة صورة (السكين) للبصيرة الميتة بالذنوب، فَتُشحذْ السكين لتكون حادة تقطع بها الاشياء فتأتي التوبة فتعمل وتشحذ البصيرة فتميز بين الصح والخطأ، فهذه العبارة على اقتصارها فهي متكونة من ثلاثة كلمات، لكنها تحمل أكثر من صورة للمتلقي، فكثرة الذنوب تُميت بصيرة الإنسان فلا يستطيع أن يُميَز ما بين الصح والخطأ، وقبول التوبة، هي كإعادة احياء للبصيرة فهي الآن شاحذة كالسكين تستطيع أن تميز بين الصح والخطأ، والحلال والحرام فالعلاقة الاستعارية ما بين السكين وإعادة البصيرة هي مسألة القطع والتفريق بين الحق والباطل، وهذه صورة استعارية رائعة لما حملته من تصوير فني للأمور غير المرئية والظاهرة (البصيرة، القلب)، فكانت من فضائل الاستعارة هنا، الإيجاز وكما قال عنها عبد القاهر الجرجاني: "أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ"[1]. وصورة استعارية آخرى يمكن أن نمر بها في قوله (ع) (غَاسِلَةً لِدَرَنِي)، استعارة مكنية (الدرن كالخطايا في أنهما يزالان بالماء) فحذف المشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه وجيء بلازم أو صفة من صفات الماء وهو الغسل (غاسلة لدرني) فهي استعارة مكنية وفي قوله (ع): ((**وَاكْسُنِي بِها لِباسَ التَّقْوى، وَجَلابيبَ الْهُدى، فَقَدْ خَلَعْتُ رِبْقَ الْمَعاصي عَنْ جِلْدي، وَنَزَعْتُ سِرْبالَ الذُّنُوبِ عَنْ جَسَدي، مُتَمَسِّكاً رَبِّ بِقُدْرَتِك،...**)) وهنا (وَاكْسُني بِها لِباسَ التَّقْوى) استعارة مكنية، استعارة صورة اللِبّاس للتقوى، فكما اللِبّاس هو الزينة الظاهرة والخارجية للإنسان، فاستعارها للتقوى بقصد أنّ التقوى هي زينةُ المؤمنِ والعبُد الصالحِ، فكانت صورة في مُنتهى الروعةِ والجمالِ، فكأنّه يقول: اعطني واكسني وزيني بالتقوى كما تُكسنِي لباساً.

(١) اسرار البلاغة: ٣٣.

وفي الاستعارةِ الأخيرةِ من الدعاءِ والتي تَعدُ من أجمل الصور الاستعارية والتي عَملت على تحويل المعنوي غير الظاهر والخفي، إلى الصورة المحسوسة والملموسة، فقوله (ع): ((**فَقَدْ خَلَعْتُ رِبْقَ الْمَعاصي عَنْ جِلْدي، وَنَزَعْتُ سِرْبالَ الذّنُوبِ عَنْ جَسَدي**))[١] وفيه استعارة صورة خَلعِ الحبلِ من العُنُقِ للمعاصي، فكأنّ المعاصي كالحبلِ المشدودِ في عنقِ البهائِم، فالمعاصي حبلٌ تَجرُ الإنسان وراءها ويَصبح لكثرة المعاصي مشدوداً ومنقاداً لها ممّا يَدلُّ على فقدانِ الإنسان لإرادته تُسِيرهُ المعاصي كما الحبل يُسير ويُحدد السيرَ للبهائِم، فهذه صورة موحية معبرة عن صورة الإنسان المطّوق بالمعاصي كحبلٍ مشدودٍ إلى عنقه. والصورة الآخرى المساندة لها هي قوله (ع): (وَنَزَعْتُ سِرْبالَ الذّنُوبِ عَنْ جَسَدي)، استعارة السربال (القميص) للذنوب، فكأنّ الذنوب التي تُسيطر على الإنسان كسربالٍ يرتديهِ لشدة التصاق الذنوب بجسدِ الإنسانِ أو بكيانهِ بصورةٍ عامةٍ فشبه صورة نزع الذنوب كالسربال الذي يرتديه فينزعهُ وفيها استثمار لصورة الحركة السريعة لنزع الذنوب وتركها. وهذه الصور الاستعارية المتتالية في فقراتِ الدُّعاءِ كُلّها صورٌ جميلةٌ موحيةٌ مُعبرةٌ عن الدلالةِ الخطابيةِ للدعاءِ في بيانِ آثارِ التوبةِ تلكَ القضيةُ الوجدانيةُ، فكانت صياغةُ الإمام (ع) لهذه القضية صياغةٌ فنيةٌ مؤثرةٌ من خلالِ توظيفهِ للاستعارةِ التي عملت على إحداثِ أثرٍ وجداني في المتلقي، وعملت هذه الصور الاستعارية على تجسِيم صورةِ التوبةِ وجعلها صورةً محسوسةً عَملت على شد انتباه المتلقي وتحريك ذهنه ليتفاعل مع الدعاءِ.

ولنقف عند نموذج دعائي آخر للكشف عما تقوم به الاستعارة من وظائف آخرى في موضوعِ خطابِي آخر، وهو في دعاء الإمام الجواد (ع) في المناجاة للاستخارة، ويفتتح الدعاء بقوله: ((**اللّهُمَّ اِنَّ خِيرَتَكَ فيما اَسْتخيرُكَ فيهِ تُنيلُ الرَّغائِبَ، وَتُجزِلُ الْمَواهِبَ، وَتُغْنمُ المَطالِبَ، وَتُطيِّبُ المَكاسِبَ، وَتَهْدي إلى اَجْمَلِ المَذاهِبِ، وَتَسُوقُ إلى اَحْمَدِ الْعَواقِبِ، وَتَقى مَخُوفَ النَّوائِبِ**))[٢] وهنا نلمسُ فناً بلاغياً تصويرياً يتمثل في ما يعرف بـ(التجسيد) وهو أحدُ أشكال الاستعارة المكنية حيث شبه الاستخارة وهي معنوية بالإنسان الذي يقوم بأفعال حركية، فاستعارة أفعال الإنسان العاقل للشيءِ المعنوي (الاستخارة) "والاستعارة المكنية من الوسائل الفنية التي تساعد المبدعين على التصوير وتضفي على الاشياءِ من الصفاتِ ما يجعلها تَتحركُ وتنطقُ كأنّها شخوصٌ"[٣] ونلمسُ هذه الأفعال التي أُلقيت على الاستخارة

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢١.

(٢) م – ن: ١٢١.

(٣) في البلاغة العربية، فنون التصوير البياني، د. توفيق الفيل: ٢٣٦.

وكأنّها كائنٌ حيٌ يَتحرك ويَنفعل (تُنيلُ، تُجزِلُ، تُغْنمُ، تُطيِّبُ، تَهْدي، تَسُوقُ، تَقى) والجانب الخطابي الذي حملهُ الدعاءَ يتمثل في بيان وشرح للآثار المعنوية والروحية للاستخارة على اعتبار إن الاستخارة نوع من الإخلاص في العمل مع الله تعالى مع الإشارة إلى آثار الخيّرة، في حياة الإنسان وفي أعمالِه.

وفي نموذج آخر نجدُ شكلاً آخر من صور التجسيد، في دعاء (مناجاة لطلب الحاجة) فالاستعارة المكنية هنا من خلال تَجْسّيدها للحاجةِ المعنويةِ في قوله: ((**وَلِيَ اللّهُمَّ حاجَةً قَدْ عَجَزَتْ عَنْها حيلَتي، وَكَلَّتْ فيها طاقَتي، وَضَعُفَتْ عَنْ مَرامِها قُدْرَتي، وَسَوَّلَتْ لي نَفْسي الاَمّارَةُ بِالسّوءِ وَعَدُوّي الغَرورُ الَّذي أَنا مِنْهُ مَبْتلى**))[1]، والاستعارة هنا جُسِّدتْ في الأفعالِ (عَجَزَتْ، كَلَّتْ، ضَعُفَتْ، سَوَّلَتْ) التي مَنحتْ المعنوياتِ صورةً مجسدةً مثلُ أيِّ كائنٍ حيٍّ ذي أرادة يريد ويتحرك حُذف فيها جميعاً المشبه به وبقيت أفعاله. وفي المقطع التالي نجدُ أيضاً صوراً من الاستعارة المكنية في قوله: ((**وَأَحْيَيْتَ بِالرَّجاءِ لَكَ قَلْبي، وَأَزَلْتَ خُدْعَةَ عَدُوّي عَنْ لُبّي**))[2]،

فجاءت الاستعارةُ التصريحية هنا في صورة احياء القلب الذي أماتهُ اليأس والخوف واحياه الرجاء فشبه (ع) يأس القلب بموته وشبه الرجاء بأحياءِ القلبِ الميت. وكذلك في استعارة هيئة الحجاب الحاجز والقائها على خداعِ ووسوسةِ الشيطانِ التي تحجبُ نورُ العقلِ وتضلّل العبد وتخدعه. ومن الواضح جداً ما تتضمنه هذه الصور الاستعارية من دلالات خطابية وتوجيهية استثمرت القيم التأثيرية التي تخلقها فنية البناء الاستعاري وجماليات التصوير البلاغي في تحقيق اهدافها الخطابية.

ب- الجناس :

يُعدّ الجناسُ من الآليات والوسائل الفنية البارزة في النصوص الأدبية عامة والنصوص النثرية بخاصة، الذي يُميز النصوص الأدبية بجماليةِ صياغتها الفنية وأحداثه للإثر الجمالي عند المتلقي لتلك النصوص ويعرّف الجناس بأنّه: "تشابه اللفظين في حروفها مع اختلافها في المعنى"[3] والجناس يعد من الوسائل الفنية المساهمة في خلقِ الموسيقى الداخلية فضلاً عن العناصر الآخرى الخالقة للموسيقى الداخلية في النص النثري خاصة، وذلك متأتّ من تكرارهِ لكلمتينِ متفقتينِ في الحروفِ والترتيبِ وما إلى

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٥.

(٢) م – ن: ١٢٥.

(٣) وشى الربيع بالوان البديع ، في ضوء الأساليب العربية، د. عائشة حسين فريد: ١٦١، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٦٠/٢.

ذلك مع اختلافها في المعنى، فهذا التكرار يعزز الجانب الإيقاعي للنصّ النثري ويحقق موسيقى مؤثرة مما تُثير حس المتلقي وتجذب ذائقته ليستشعر مواطن الجمال ويتلذذ بما طَرقَ آذنه المصغية(١).

فهو أحدُ الألوانُ البديعيةُ (اللفظية) التي تُحسنَ النص وتُجَمْله من خلال هذا التوافق التام بحروفها وشكلها وترتيبها التي تُوهِم السامع لها للكلمةِ الثانية على أنّها تكرارٌ للأولى فما أن يَكملُ سماعه للكلمة الثانية حتى يتغير ذهنه لمعنى آخر مقصود دون المعنى الأول، فمن مفاتن الجناس ومحاسنه تأثيره البليغ، وجذب المتلقي وشد انتباهه للإصغاء والتلذذ بإيقاعه العذب، وجعل العبارة على الأذن سهلة ومُسْتَساغة، فتجد من النفس القبول وتتأثر به أيّ تأثير؟ وتقع في القلب أحسن موقع(٢).

والجناس أنواع، منها تام وغير تام وفي كلّ نوع منها في داخله أصناف آخرى للجناس وهي لا تخرج عن اختلاف في ترتيب الحروف بالزيادة أو النقصان في حروفها، وهيئتها وكُلِّها تسهم في أحداث إيقاع نغمي مخصوص في العبارةِ المتجانسةِ، وأيضاً في خلقِ إيقاعِ النصِ كاملاً متكاملاً مع العناصر الآخرى. وقد وَردَ الجناس في متن الصحيفة المباركة في أغلب الأدعية لكونه أحد عناصر الإيقاع البارزة في الدعاء التي تدلّ على صياغة الدعاء صياغة فنية متميزة، فمجيء الجناس والسجع وغيرها من الألوان البديعية في الدعاء التي تدلّ على امتلاك المتكلم (الإمام) لقدرات لغوية وبلاغية فنية عالية، وتمكنه من أساليب القول فلَمْ يكن مَجَيؤها في الدعاءِ تكلفاً وصنعةً، وإنما دلّت على براعة الإمام الأدبية العالية، فكان الجناس إحدى الآليات الفنية للاستراتيجية التأثيرية التي تهدف إلى أحداث أثر وجداني للمتلقي كما في تلقي خطاب الصحيفة الرضوية المباركة. ومن الأدعية التي نجد فيها توظيفاً للجناس، المناجاة لطلب الحج للإمام الجواد (ع)، وجاء فيه: ((**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الْحَجَّ الَّذِي فَرَضْتَهُ عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَاجْعَلْ لِي فِيهِ هَادِياً، وَإِلَيْهِ دَلِيلًا، وَقَرِّبْ لِي بُعْدَ الْمَسَالِكِ، وَأَعِنِّي فِيهِ عَلَى تَأْدِيَةِ الْمَنَاسِكِ، وَحَرِّمْ بِإِحْرَامِي عَلَى النَّارِ جَسَدِي**))(٣) فالجناس في (حَرِّمْ – بِإِحْرَامِي) هو الجناس غير التام لعدم تطابق اللفظين وهنا في الأولى فعل أمر(حرِّمْ) بمعنى التحريم والثانية جار ومجرور (بإحرامي) بمعنى ملابس الإحرام، فالجناس هنا أعطى دلالة لأحد أبعاد الحج الروحية والمعنوية فالذي يُحرَم بالحج يَلبسُ ملابسَ الإحرامِ البيضاءَ، وما تحمله من دلالة على الصفاءِ ونقاءَ الروح والجسد بملابس الإحرام، وهذه العبارةُ

(١) ينظر: جمالية التجنيس في الحديث النبوي الشريف، أ. د. شاكر هادي حمود التميمي، و م. حازم كريم عباس (بحث): ٧٩.

(٢) ينظر: وشى الربيع بالوان البديع: ١٦١.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٣.

المتجانسةُ عملتْ على ترسيخ هذا البعد الروحي (لحظة لِبس ملابس الإحرام)، أحد الأبعاد الروحية لمناسك الحج الجميلة، وهي لحظة ينتظرها الحاج بشوقٍ ولهفةٍ، فهي اللحظة التي يُمحى فيها السواد ويَطغى البياضُ، فنقل الإمام هذه الصورة أو هذا الشعور الرائع والمؤثر بالصياغة الجميلة المتأتية بالعبارة المتجانسة.

ونجد جناس الاشتقاق في قوله: ((**وَاَصْدِرْنِي رَبِّ مِنَ مَوْقِفِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ إلى مُزْدَلِفَةِ الْمَشْعَرِ، وَاجْعَلْها زُلْفَةً إلى رَحْمَتِكَ، وَطَرِيقاً إلى جَنَّتِكَ**)) فالكلمة الأولى (مُزْدَلِفَةِ) مكان مَبيت الحجاج بعد نزولهم من عرفاتِ ويقضي الحُجّاجُ هذه الليلة في المُزدلفةِ بالصلاة والتسبيح تقرباً لله تعالى، والكلمة الثانية (زُلْفَةً) تعني قُربة، فأصل الكلمتينِ تحملانِ معنى التّقرب والقربة، ولكن اختلافهما من حيث ترتيب الحروف ومعناهما في الدعاء فالأولى تدلّ على آحدى مناسك الحج و(مُزْدَلِفَةِ) مكان ما بين عرفات ومنى، والثانية (زُلْفَةً) قُربة، أي عملنا هذا (وهو المبيت في المُزدلفة) قصد التوجه والتقرب لله تعالى. ونجد في قوله: ((**وَقِفْني مَوْقِفَ الْمَشْعَرِ الْحَرام، وَمَقامَ وُفُودِ الْإِحْرامِ**))، جناس غير تام (ناقص) وهو الجناس الذي يختلف اللفظانِ فيه بعدد الحروف ويتفقانِ في ترتيبها، وهيئتها ونوعها وجاء الجناس الناقص هنا بزيادة حرف واحد (الألف) الاحرام– الحرام، الأولى مكان المشعر الحرام (المزدلفة) والثانية (الأحرام) يعني وفود الحجاج. ونجد مثالاً آخر للجناس التام المماثل في دعاء الآتي: ((**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ السَّلَامُ**))[1] فالجناس في الكلمات المتكررة والمتماثلة: **السَّلَامُ– السَّلَامُ– السَّلَامُ**، والجناس المتماثل هو أتفاق الكلمات المتجانسة في عدد الحروف وترتيبها وهيئتها من الحركات والسكنات وفي النوع، أي أن يكونان متماثلين (فعلين، أو اسمين، أو حرفين) مع اختلاف في المعنى[2]. فالسَّلَامُ الأولى تعني أحد اسماء الله الحسنى، وفي تكرارِها ثانيةً حَملتْ معنى جديداً وهو (الأمان) وفي الثالثة تعني رجوع تحية السّلام إلى الله تعالى، وجمالية الجناس المماثل هنا في اضفاء إيقاع نغمي متكرر بصوت واحد مما يوهم المتلقي في الوهلة الأولى أن اللفظة الثانية هي تأكيد للأولى وما أن يتم سماعه للجملة كاملة، يَصلُ إلى معرفةِ الدلالةِ الجديدةِ المقصودةَ للفظةِ الثانيةَ، وكذلك في تكرارها مرة آخرى فالجناس المتماثل يعمل على تحقيق عنصر المفاجأة في ذهن المتلقي، ويتسبب في إضفاء لذة سمعية بالترديد المتكرر، ولذة معنوية بالدلالة المختلفة للفظة أو الكلمة الواحدة، وهذا ما يمنح النص سمة الإبداع

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢١٣.

(٢) ينظر: وشي الربيع بالوان البديع: ١٦٣.

والتفرد[١]. فتوظيف الجناس بأحد أنواعه في النص الأدبي يسهم في خلقِ إيقاعٍ نغميٍّ مخصوصٍ من خلالِ ألفاظِه المتكررةِ على وتيرةٍ واحدةٍ مع اختلاف في دلالة الكلمتينِ المتجانستينِ ويمكن تسمية إيقاع الجناس بـ (إيقاع المفاجأة) وهو ما تلقيه الكلمات المتجانسة من أحداث مفاجأة في أذنِ السامعِ وشدِّ انتباهه لتذوق الكلمة المتكررة الثانية ففي اللحظة الأولى لسماعه للكلمة الثانية يتوهم بأنّها تأكيد لدلالة الأولى وما أن يكمل لحظة اصغائه حتى ينتبه ويتفاجأ بأن الكلمة يُقصد بها دلالة آخرى فهنا تَخلقُ الكلمةُ المتجانسةُ عنصر المفاجأة عند السامع وإكساب العبارة أو النص هذا الإيقاع النغمي المؤثر، فَيبعثُ تشويقاً للمتلقي في إكمالِ النص للكشفِ عن حالاتٍ آخرى مُتجانسة، وذلك بسبب "التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلاً تاماً أو ناقصاً، فيُطْرِب الأَذن، ويهز أوتار القلوب"[٢].

ج- الطباق:

وهو من ألوان البديع المعنوية التي تقوم على جمع الاضداد، "وأما التطبيق: فأمره أبين؛ وكونه معنوياً أجلى وأظهر، فهو مقابلة الشيء بضده؛ والتضاد بين الألفاظ المركبة محال..."[٣] والأثر الذي تحدثهُ هذه الأضداد في الدعاءِ هو أثرٌ جماليٌّ، فكثرةُ الأضدادِ في أيِّ نصٍ تَخلقُ موسيقى نغميةً متأتيةً من "الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة"[٤] كما في الدعاء الآتي: ((**اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي يَخْلُقُ، وَلَمْ يُخْلَقْ وَيَرْزُقُ وَلا يُرْزَقُ، وَيُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ، وَيُميتُ الاْحياءَ، وَيُحْيِي الْمَوْتى، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ**))[٥]. وهذا مقطعٌ من دعاءِ الافتتاح للإمام المهدي (عليه السلام)، نجدُ صياغة عباراته على وتيرةٍ واحدة وهي بنية الأضداد؛ لإفادة وترسيخ عظمة الله سبحانه وتعالى عند السامع ودلَّ المتكلم على عظمة الله سبحانه وتعالى بذكر صفات وقدرات خاصة به بمقطعٍ إيقاعي شَكْلتُه كثرةَ الأضدادِ في هذا المقطع، والطباق هنالك كان من خلالِ ترديد الكلمة نفسها مع فارقٍ واحد فالأولى مثبتة والثانية منفية مما خلق طرفي نقيض تتجلى بينهما عظمة الخالق جلّ وعلا.

---

(١) ينظر: جمالية التجنيس في الحديث النبوي الشريف: ٨١.

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم ابراهيم محمد المعطى: ٢/ ٤١٢.

(٣) اسرار البلاغة: ١٥.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، جلال الدّين أبو عبدالله محمّد ابن قاضي القُضاة سعد الدّين أبي محمّد عبدالرحمن القزويني: ٣٤٨ .

(٥) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٠٣.

طباق السلب	طباق الايجاب
وهو: "الذي يكون بالجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والاخر منفي"[١].	تعريفه: "وهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد"[٢]. كما في الكلمات الآتية:
- يَخْلُقُ _____ وَلَمْ يُخْلَقْ	- وَيُميتُ الأحياءَ _____ وَيُحْيِي الْمَوْتى
- وَيَرْزُقُ _____ وَلا يُرْزَقُ	- حَيٌّ _____ يَمُوتُ
- يُطْعِمُ _____ وَلا يُطْعَمُ	

فهذه الأضداد تَعزُّز ابراز المعنى بوضوحٍ وتركيزهُ في ذهن المتلقي وإيصاله إلى قلبه بمنتهى الشفافية والوضوح. كما نلمس ذلك في دعاء آخر: ((**اَللّهُمَّ اِنَّ الْغَنِيَّ مَنِ اسْتَغْنى بِكَ وَافْتَقَرَ اِلَيْكَ، وَالْفَقيرَ مَنِ اسْتَغْنى بِخَلْقِكَ عَنْكَ**))[٣] (الغني- الفقير) (استغنى بك- استغنى بخلق) وفي الدعاء نفسه نجد في نهاية المقطع مقابلة من خلال طباق الأضداد فالمقابلة هو "ان يؤتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل"[٤] في قوله (ع): ((**اَللّهُمَّ اِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ قَنَطَ، وَاَمامَهُ التَّوْبَةُ، وَوَراءَهُ الرَّحْمَة، وَاِنْ كُنْتُ ضَعيفَ الْعَمَلِ، فَاِنّي في رَحْمَتِكَ قَوِيُّ الْاَمَلِ، فَهَبْ لي ضَعْفَ عَمَلي لِقُوَّةِ اَمَلي**)). فالمقابلة هنا بين (اَمامَهُ التَّوْبَةُ- وَراءَهُ الرَّحْمَة) (ضَعيفَ الْعَمَلِ- قَوِيُّ الْاَمَلِ)، والجانب الخطابي المتضمن لهذه الألوان البديعية (الطباق، المقابلة) يتمثل في بيان إنّ التوكل على الله تعالى يغني الإنسان عن كلّ شيء والذي يقنط فهو قد انشغل بارتكاب المعاصي أو الانشغال في الدنيا وملذاتها فالخطاب موجه إلى أي شخص مقصر في التسرع لطلب التوبة، وهي من نعم الله تعالى على العبد، ودلالة على رحمته الواسعة سبحانه وتعالى.

(١) جواهر البلاغة: ٣٧٧.

(٢) م- ن: ٣٧٧.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٣٣.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٥٤ .

٣- آلية العنصر الإيقاعي:

وهو عنصرٌ متحققٌ في جميع الفنون الأدبية التي غايتها هي إيصال الفكرة أو الموضوع أو الرأي المعروض بصورةٍ جمالية ومؤثرة عند المتلقي مما يتطلب صياغتها صياغة فنية وجمالية عالية، ويعد العنصر الإيقاعي العنصر المسؤول عن تلذذ الأذن السامعة وتحريك عاطفة السامع ليتفاعل بعد ذلك مع الفكرة المعروضة، وهو "أهم عنصر جمالي في النص نظراً لارتباطه بطبيعة التركيبة العصبية للبشر من حيث استجابتها لما هو منظم... فإن اقتران ما هو منتظمٌ من الأفعالِ بما هو منتظم من الأصوات سيضاعف من فاعلية العنصر الإيقاعي ويكسب أهمية خاصة"(١)، وينقسم الإيقاع على قسمين: الإيقاع الخارجي، والإيقاع الداخلي، فالإيقاع الخارجي: "يشمل التوزيع التفعيلي (في الشعر) والتوزيع المقطعي (في النثر)، إلى جانب القافية الشعرية التي تقابل السجع في النثر"(٢).

ويتولد الإيقاع الداخلي في النثر "عن طريق... توازن التراكيب وتنوع الحركات والتنويع المنتظم للجمل الطويلة"(٣) فضلاً عن إسهام فنون البديع أيضاً في توالده، ونجد العنصر الإيقاعي في الصحيفة الرضوية الجامعة قائماً على جملة من الترديدات الصوتية للكلمات المتجانسة والأحرف المسجوعة، فضلاً عن تكرار بعض الأساليب النحوية وترتيب الجملة في عبارتين أو أكثر مما تولد هذه التكرارات والترديدات الصوتية إيقاعاً نغمياً مخصوصاً. سنتناول هذه الوسائل والأساليب المولدّة للإيقاع في الدعاء على قسمين:

أ- الإيقاع الخارجي:

ويتمظهر في الدعاء من خلال ما يعرف بـ(القرار الايقاعي)(٤)، وهو ما يؤديه السجع من دورٍ في خلقِ إيقاع خارجي للدعاء من خلال توافق قرارات الأدعية بالحرف الأخير أو بالوزن والحرف الأخير. والسجع هو "تماثل الحروف في مقاطع الفصول"(٥)، وهو "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد

(١) البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الاسلامي، د. محمود البستاني: ١٣٥.

(٢) أدبية النص القرآني، دراسة جمالية، مولود محمد زايد البيضاني (دكتوراه): ١٧٨.

(٣) المعجم المفصل في الأدب، د. محمّد التونجي: ١/ ١٤٩.

(٤) ينظر: الإسلام والفن: ١٧٢.

(٥) سر الفصاحة، أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي:١٧١.

[وكما قال السكاكي] الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر"[١] وهو على ثلاثة أنواع: المطرف، المتوازي، المرصع. ولكلّ منها دور في خلق إيقاع نغمي للعبارات المسجوعة، وفي الصحيفة الرضوية الجامعة يتجلى توظيف السجع بسلاسة تامة فالسامع للدعاء والقارئ له يستشعر بالموسيقى المتميزة من خلال توافق القرار لكلّ فقرة وعبارة فيه وتلائمه مع طبيعة الموضوع الذي يكتنفه ونأخذ نماذج من الأدعية لكي يتضح معنا هذا المعلم الإيقاعي:

١- **((اَللَّهُمَّ مَنائِحُكَ مُتَتابِعَةٌ، وَاَياديكَ مُتوالِيَةٌ، وَنِعَمُكَ سابِغَةٌ، وَشُكْرُنا قَصيرٌ، وَحَمْدُنا يَسيرٌ، وَاَنْتَ بِالتَّعَطُّفِ عَلى مَنْ اعْتَرَفَ جَديرٌ))**[٢].

ففي هذه الفقرات نجد المعلم الإيقاعي تولد بفضل السجع القائم على تماثل قرار كل فقرة وهو إيقاع نغمي ملائم لبيان دلالة خطابية حسية وهي في التحميد والثناء لله تعالى وشكره على نعمه الواسعة فأحدثت هذه الكلمات المسجوعة أثراً جمالياً لدى المتلقي، والسجع المطرف وهو "أن تختلف الفاصلتانِ في الوزن وتتفقا في حروف السجع [أي التقفية]"[٣] كما في الكلمات الآتية (مُتَتابِعَةٌ، مُتوالِيَةٌ)، وفي (قَصيرٌ، يَسيرٌ، جَديرٌ) نَجد سجعاً متوازياً وهو "أن يتفقا وزناً وتقفيةً، ولم يكن ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية في الوزن والقافية"[٤]، وفي العبارتين (وَشُكْرُنا قَصيرٌ، وَحَمْدُنا يَسيرٌ) سجعٌ مرصعٌ وهو "ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثر وزناً وتقفيةً [أي أن تركيب الفقرة الأولى مثل ما يقابلها في الفقرة الثانية]"[٥] فنجد في الفقرة السابقة تعاضد الكلمات المسجوعة بأنواعها المختلفة مما ضاعف من فاعلية تحقق العنصر الإيقاعي بشكلٍ لافتٍ للنظر.

٢- وفي دعاءٍ آخر يتولد إيقاعه النغمي- المتلائم مع موضوعة طلب قبول حاجة الداعي- من كلماته المسجوعة بنوعيه المطرف والمرصع **((وَاَرْسِلِ اَللَّهُمَّ اِجابَتي، وَاَنْجِحْ فيهِ طَلِبَتي، وَاقْضِ حاجَتي، وَاقْطَعْ عَوائِقَها، وَامْنَعْ بَوائِقَها))**[٦].

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٤٠٢.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٢.

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل جلال الدّين عبد الرَّحمن أبي بكر السُّيوطي، ضبطه وصحَّحه أحمد شمس الدّين: ٣٩.

(٤) م – ن: ٣٩.

(٥) وشى الربيع بألوان البديع: ٢٠٤.

(٦) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٢.

٣- وفي مقطعٍ آخر من دعاء الافتتاح: ((**اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لا يُهْتَكُ حِجابُهُ، وَلا يُغْلَقُ بابُهُ، وَلا يُرَدُّ سائِلُهُ، وَلا يُخَيَّبُ آمِلُهُ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي يُؤْمِنُ الْخائِفينَ، وَيُنَجِّي الصّالِحينَ، وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرينَ، وَيُهْلِكُ مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ آخَرينِ**))[١].

نجد اتفاق فواصل أو قرارات كلّ عبارة بالثانية (حِجابُهُ، بابُهُ، سائِلُهُ، آمِلُهُ) و(الْخائِفينَ، الصّالِحينَ، الْمُسْتَضْعَفينَ، الْمُسْتَكْبِرينَ، آخَرينِ) على طول المقطع مما يدلّ على إن موضوع الدعاء في بيان قضية أو عرض فكرة واحدة فلذلك استمر السجع المتوازي على عبارات المقطع كله تقريباً (وَلا يُغْلَقُ بابُهُ، وَلا يُرَدُّ سائِلُهُ، وَلا يُخَيَّبُ آمِلُهُ، يُؤْمِنُ الْخائِفينَ، وَيُنَجِّي الصّالِحينَ، وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرينَ).

ب- الإيقاع الداخلي:

وهو الإيقاع الذي يتولد بفضل "التجانسات الصوتية والصرفية داخل النص والترجيع القائم على تكرار بعض الأساليب النحوية، إلى جانب الدور الذي تؤديه فنون البديع في ذلك"[٢] والعامل الذي يعطي لتلك الأساليب والفنون البديعية دوراً في خلق إيقاعٍ نغميٍّ مخصوصٍ هو عامل التكرار، فيعتبر التكرار العامل الرئيس لخلق الإيقاع بنوعيه (الخارجي، والداخلي) للنص الشعري والنثري، ومن أنواع الإيقاع الداخلي في الصحيفة الرضوية الجامعة:

١- إيقاع التماثلات والتجانسات الصوتية:

وهو الإيقاع النغمي الذي يُظهر في النّص عبر تكرار صوت واحد متماثل في الجمل أو مجموعة أصوات متجانسة في كلمات الجمل والعبارات، فتسهم في رفد النص بزيادة فاعليته الإيقاعية عبر جملٍ متناسقة في البنية والدلالة[٣] كما في الأمثلة الآتية: ((**اللَّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِعَزيزِ تَعْزيزِ اعْتِزَازِ عِزَّتِكَ، بِطَوْلِ حَوْلِ شَديدِ قُوَّتِكَ، بِقُدْرَةِ مِقْدَارِ اقْتِدَارِ قُدْرَتِكَ، بِتَأْكِيدِ تَحْميدِ تَمْجِيدِ عَظَمَتِكَ بِسُمُوِّ نُمُوِّ عُلُوِّ رَفْعَتِكَ، بِدَيْمُومِ قَيُّومِ دَوَامِ مُدَّتِكَ، بِرِضْوَانِ غُفْرَانِ أَمَانِ رَحْمَتِكَ، بِرَفِيعِ بَدِيعِ مَنِيعِ سَلْطَنَتِكَ، بِسُعَاةِ صَلَاةِ بِسَاطِ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٠٣.

(٢) أدبية النص القرآني: ١٧٩.

(٣) ينظر: م - ن: ٢٢٣.

رَحْمَتِكَ، بِحَقَائِقِ الْحَقِّ مِنْ حَقِّ حَقِّكَ، بِمَكْنُونِ السِّرِّ مِنْ سِرِّ سِرِّكَ، بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ عِزِّ عِزِّكَ، بِحَنِينِ أَنِينِ تَسْكِينِ الْمُرِيدِينَ، بِحَرَقَاتِ خَضَعَاتِ زَفَرَاتِ الْخَائِفِينَ، بِآمَالِ أَعْمَالِ أَقْوَالِ الْمُجْتَهِدِينَ،...))[1].

حيث نجد بناء الدعاء على طريقة أسلوبية متميزة فقد شكلت عباراته إيقاعاً نغمياً بترديد أصوات متماثلة على طول العبارة وانسجام تلك الأصوات مع دلالة العبارات وهي: تمجيده تعالى وتعظيمه بذكر صفاته الخاصة به دون غيره، فهذا التكرار للأصوات المتماثلة والكلمات المتجانسة أسهم في رفد كلّ عبارة بإيقاعٍ نغمي متناسق ومتجانس مع دلالة العبارة الواحدة كما هو موضح في المخطط الآتي:

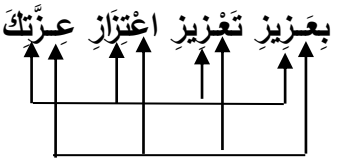

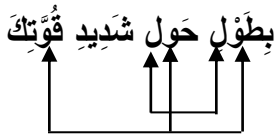

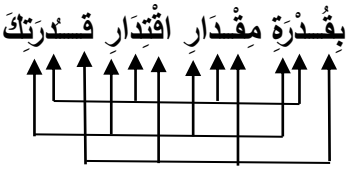

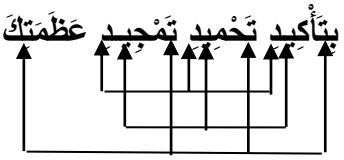

٢- إيقاع الموازنات الصوتية:

وهو الإيقاع الذي نجده بكثرة في أغلب أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة، الذي يُسهم في خلق إيقاع نغمي متوافق ومنسجم مع دلالة خطابية معينة يبثّها النّص الدعائي وهو "يتمثل في توازن العبارات هندسياً من حيث توازن عدد المفردات في كل فقرة مع سائر الفقرات المنتهية بالقرار الايقاعي المذكور- من حيث جمالية الجرس المذكور- بنحو مدهش دون أدنى شك"[2].

والتوازن أو الموازنات تعرف بأنّها "عبارة عن تردُّد الصوامت (التجنيس) والصوائت (الترصيع) اتصالاً وانفصالاً في مستويات من التام والنقص حسب تعبير القدماء وتشكل القافية [الفاصلة] جزءاً من هذا النظام باعتبارها تكرار صائت وصامت على الاقل..."[3] وللموازنات مظاهر وتجليات يمكن أن نستتبعها في الصحيفة على قسمين، هما:

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٦١ -٢٦٢.

(٢) الإسلام والفن: ١٧٢.

(٣) الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، د. محمد العمري: ٩.

أ- توازن المفردة:

وهو يتحقق من ترديد كلمات متوافقة في الوزن والتقفية كما في السجع المتوازي، في الأدعية السابقة في ظاهرة السجع المتوازي وفي النموذج الآتي: ((**اللّهُمَّ إنِّي قَصَدْتُ إلَيْكَ بِإخْلاصِ تَوْبَةٍ نَصوحٍ، وَتَثْبيتِ عَقْدٍ صَحيحٍ، وَدُعاءِ قَلْبٍ قَريحٍ، وَإعْلانِ قَوْلٍ صَريحٍ**)) [1] حيث توازنت المفردات بالوزن (فعيل) وبالحرف الأخير (الحاء): صَحيحٍ، قَريحٍ، صَريحٍ.

ب- توازن التركيب:

حيث نجد في فقراتٍ من الأدعية أنّها تقوم على هذه التوازنات؛ لما لها من أثر في تسهيل الحفظ للدعاءِ ويكون أثبتُ في الذهن من غيره، لأن النفس تهوى وتستلذ بسماع التوافقات الصوتية مع اختلافها في المعنى فالجمال الذي تحدثه هذه التوازنات وغيرها من التوازنات أنها تُثير الدهشة عند المتلقي لكونها تَطْرقُ آذان سمعهِ لكلمات متماثلة في السمع ولكنها مع ذلك تَحملُ دلالاتٍ ومعان مختلفة وتنسجُ إيقاعاً نغمياً قائماً على هذه التوقعات الصوتية [2]، ومنها في مناجاة لطلب الحاجة للإمام الجواد (ع): ((**وَلِيَ اللّهُمَّ حاجَةً قَدْ عَجَزَتْ عَنْها حيلَتي، وَكَلَّتْ فيها طاقَتي، وَضَعُفَتْ عَنْ مَرامِها قُدْرَتي، وَسَوَّلَتْ لي نَفْسي الاَمّارَةُ بِالسّوءِ وَعَدُوّي الغَرورُ الَّذي أَنا مِنْهُ مَبْتلى**))[3] حيث تكررت صيغة الفعل الماضي عند بداية كلّ فقرة من فقرات الدعاء مما عملت على تنبيه السامع أنّهَ لا يزالُ يسمعُ صيغ الأفعال السردية في زمنٍ واحداً وهو فيما مضى، وهي: (عَجَزَتْ- وَكَلَّتْ) (وَضَعُفَ- وَسَوَّلَتْ).

وفي الدعاء نفسه: ((**فَوَقَفْتُ اللّهُمَّ رَبِّ بَيْنَ يَدَيْكَ سائلاً لَكَ، ضارِعاً إلَيْكَ، وَاثِقاً بِكَ مُتَوَكِّلاً عَلَيْكَ في قَضاءِ حاجَتي، وَتَحْقيقِ أُمْنِيَّتي، وَتَصْديقِ رَغْبَتي**)) تكرار صيغة (فاعل) في (سائلاً- ضارعاً - واثقاً) أي ترديد وتكرار تركيب الجملة الأولى في الفقرة الثانية، وهو يحدث من تقابل جملة العبارة الأولى مع الثانية وهكذا[4] ولو نأخذ النموذج السابق حيث نجد التقابلات الصوتية في قوله (ع):

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٠

(٢) ينظر: علاقة الايقاع بنوع التوازي التركيبي من خلال دلالته، دراسة في أدعية الإمام علي (ع)، أ. م. د. محمد صبار نجم (بحث): ٥.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٥.

(٤) ينظر: علاقة الإيقاع بنوع التوازي التركيبي من خلال دلالته: ٦.

فعل ماضي	جار ومجرور	فاعل
عَجَزَتْ	**عَنْها**	**حيلَتي**
وَكَلَّتْ	**فيها**	**طاقَتي**
وَضَعُفَتْ	**عَنْ مَرامِها**	**قُدْرَتي**
وَسَوَّلَتْ	**لي نَفْسي**	**وَعَدُوّي**

حيث تكرر تركيب الجملة: فعل _ فاعل وكذلك في الصور الآتية:

(تداركتني _ رأفتك)

(بادرتني _ رحمتك)

وفي مقطع آخر نجد بناء الجمل المتقابلة بين العبارات على تركيبٍ واحدٍ مما أحدث إيقاعاً صوتياً متوازناً:

فعل + فاعل	مفعول به	جار ومجرور
وَرَدَدْتَ	**عَلَيَّ عَقْلي**	**بتطوّلك**
وَأَلْهَمْتَنَ	**ي+ رُشْدي**	**بِتَفَضُّلِكَ**
وَأَزَلْتَ	**خُدْعَةَ عَدُوّي**	**عَنْ لُبّي**

والجمل المكونة من فعل ماضٍ وفاعل وجار ومجرور ومفعول به [1]

فعل ماضي+ فاعل	جار ومجرور	مفعول به
وَصَحَّحْتَ	**بالتأميل**	**فِكْري**
وَشَرَحْتَ	**بِالرَّجاءِ لِإسْعافِكَ**	**صَدْري**

فهذه الموازنات الصوتية تلقي في حدسِ السامعِ (المتلقي) أثراً نفسياً يؤهله لمنح النّص صفته الحقيقية، فالإيقاع المتوازن بين العناصر والعبارات يجعلنا قادرينَ على رؤية الاشياء من منظورٍ متميز أكثر رحابة ودقة مما ألفناه في أدراكنا العادي، فضلاً عما تدلّ عليه من قدرة منتج النص وامتلاكه وتمكنه

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٥.

لمفاتيح الصياغة الفنية المتميزة[١]، وفقرة آخرى من الدعاء نجدها متوازنة أيضاً: ((**فَوَقَفْتُ اللّهُمَّ رَبِّ بَيْنَ يَدَيْكَ سائلاً لك، ضارعاً اِلَيْكَ، واثقاً بِكَ، متوكلاً عَلَيْكَ فَي قَضاءِ حاجَتي،...**))

حال	جار ومجرور
سائلاً	**لك**
ضارعاً	**اِلَيْكَ**
واثقاً	**بِكَ**
متوكلاً	**عَلَيْكَ**

وهكذا تتوالى الجمل المتوازنة في أغلب أدعية الصحيفة ففي كل دعاء نجد توازناتً صوتيةً متنوعةً ما بين المفردة، وتكرار الصفة، وأساليب نحوية آخرى تكررت فشكلتْ إيقاع صوتي متوازن. ففي دعاء آخر نجد إيقاعه تولد من تقابل العبارات وتناظرها بالتركيب النحوي، المترابطة بالفاء العاطفة أو ما يعرف بالسبب والنتيجة كما في دعاء التوسل للإمام الجواد عليه السلام[٢]:

السبب	النتيجة
- **دَعاهُ الْمُضْطَرُّونَ**	- **فَاَجابَهُمْ.**
- **وَاَلْتَجَاَ اِلَيهِ الْخائِفُونَ**	- **فَاَمَنَهُمْ.**
- **وَعَبَدَهُ الطّائِعُونَ**	- **فَشَكَرَهُمْ.**
- **وَشَكَرَهُ الْمُؤْمِنُونَ**	- **فَحَباهُمْ.**
- **وَاَطاعُوهُ**	- **فَعَصَمَهُمْ.**
- **وَسَاَلُوهُ**	- **فَأَعْطاهُمْ.**
- **وَنَسُوا نِعْمَتَهُ**	- **فَلَمْ يُخْلِ شُكَرَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ.**
- **وَامتَنَّ عَلَيْهِمْ**	- **فَلَمْ يَجْعَلْ اسْمَهُ مَنْسِيّاً عِنْدَهُم.**

فكان لتركيب الجمل على هذه الطريقة في كلّ فقرة دور في تركيز المعنى في ذهن السامع وبيان العبادة الخالصة لله تعالى والدعوة إلى التوجه إليه في كلّ الأحوال في الطلب والحمد والشكر.

(١) ينظر: علاقة الايقاع بنوع التوازي التركيبي: ٥.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٨.

٣- إيقاع الأساليب:

وهو إيقاع نغمي حيث ينبعثُ من تكرار بعض الأساليب في فقرات الأدعية، إلى جانب القرار الإيقاعي في نهاية كل فقرة، وأيضاً يسهم في رفد النص بالإيقاع الداخلي النغمي، ومنها:

أ- النداء:

وهو من الأساليب الانشائية التي خلقت توازنات صوتية لتكرارها في الدعاء، حيث عملت تلك الأساليب على زيادة الفاعلية الإيقاعية بما تضيفه من تأثيرٍ على تولد الدلالة العامة كما في الدعاء الآتي: **((يا اَسْمَعَ السّامِعينَ، وَ يا اَبْصَرَ الْمُبْصِرينَ، وَ يا اَعَزَّ النّاظِرينَ، وَ يا اَسْرَعَ الْحاسِبينَ، وَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ، وَ يا اَحْكَمَ الْحاكِمينَ))**[١] ونجد أن التوازن هنا تحقق من تكرار حرف النداء (يا)- الذي حمل في طياته نبرات الترجي لطلب حاجته بعد ذلك- والمنادى المضاف والمضاف إليه.

ب- الاستفهام:

ونجد تكرر الاستفهام في أكثر من دعاء نظراً لقوته في إيصال التأثير المخصوص، ونوع التأثير هنا يقف على المعاني المجازية التي يخرج إليها الاستفهام فقد يكون تأثير أعجاب، أو تأثير استنكار، أو تقريراً، أو نفياً، أو تشويقاً وإلخ[٢]. كما في المقطع الآتي: **((وَاَيُّ راحِلٍ رَحَلَ اِلَيْكَ فَلَمْ يَجِدْكَ قَريباً؟ اَوْ اَيُّ وافِدٍ وَفَدَ عَلَيْكَ فَاقْتَطَعَتْهُ عَوائِقُ الرَّدَّ دُونَكَ؟ بَلْ اَيُّ مُحْتَفِرٍ مِنْ فَضْلِكَ لَمْ يُمْهِه فَيْضُ جُودِكَ؟ وَاَيُّ مُسْتَنْبِطٍ لِمَزيدِكَ اَكْدى دُونَ اسْتِماحَةِ سِجالِ عَطِيَّتِكَ؟))**[٣].

فتكرار السؤال الاستفهامي يحمل دلالة على نعم الله الواسعة على العبد، فالأثر الذي أحدثه تكرار السؤال وبالأداة نفسها، اثر إيقاعي خاصة بالأداة (أيّ) التي تعمل على تحريك ذهن المتلقي وشد انتباهه لمعرفة السؤال بعدها. ففي السؤال الأول خرج الاستفهام إلى النفي للدلالة على فضل الله تعالى وقدرته، وفي داخلِ كُلّ سؤالٍ صياغةً فنيةً متأتيةً من الاستعارة فهذا المقطع الدعائي مكتنز بأكثر من آلة فنية مؤثرة الأولى: الاستفهام والثانية: الاستعارة التي أعطتْ صوراً استعاريةً في منتهى الروعة والجمال التي تمثلت في رسم صورة للعبد المتوجه بالطلب والدعاء لله تعالى ولا يرد خائباً فهو (أجود الأجودين، أكرم الأكرمين) فنعمه لا تَنفذ.

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢١٧.

(٢) ينظر: جواهر البلاغة: ٩٤.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٣٠.

ج- أداة الحصر والقصر:

كما في الفقرة الآتية من دعاء الإمام العسكري (ع): ((**اَللّهُمَّ وَلا تَدَعْ منْهُ بَقِيَّةً اِلّا اَفْنَيْتَ، وَلا بَنِيَّةً اِلّا سَوَّيْتَ، وَلا حَلَقَةً اِلّا فَصَمْتَ، وَلا سِلاحاً اِلّا اَكْلَلْتَ، وَلا حَدّاً اِلّا فَلَلْتَ، وَلا كُراعاً اِلّا اجْتَحْتَ، وَلا حامِلَةَ عَلَمٍ اِلّا نَكَّسْتَ**))[1] فأداة الاستثناء تكررت أكثر من مرة مما ضاعفت العنصر الإيقاعي فضلاً عن أثرها في تعزيز المعنى المقصود القدرة لله تعالى فهو القادر على فناء المخلوقات ومن يتوهم أنّه صاحب قوة وقدرة لا يقدر عليه أحد سوى الخالق فالاستثناء المتكرر أفاد التأكيد على مدى قدرة الله تعالى وتمكنه منّا وغيرها من الأساليب التي أسهمت في زيادة فاعلية العنصر الإيقاعي في الصحيفة المباركة.

٤- إيقاع الطباق والمقابلة:

وقد ذكرناهما سابقاً مع (آلية الفنون البلاغية) ودورهما في أحداث أثر جمالي لدى المتلقي، فهي تؤثر في المتلقي من خلال تزويد العبارات بإيقاع نغمي خاص يقدر على استمالة عقلية المتلقي لتلك الكلمات المتطابقة عبر(بنية الأضداد) والكلمات المتقابلة في معانيها[2] فيتفاعل المتلقي مع إيقاعها النغمي وما يوحيه من دلالة معينه وهدف مخصوص، كما في النماذج الآتية: ((**فَلَمْ اَرَ مَوْلىً كَريماً اَصْبَرَ عَلى عَبْدٍ لَئيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ، يا رَبِّ اِنَّكَ تَدْعُوني فَأُوَلّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ اِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ اِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ اِلَيَّ فَلا اَقْبَلُ مِنْكَ، كَاَنَّ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لي، وَالاِحْسانِ اِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ**))[3]. ففي هذا المقطع الدعائي نجد أن الايقاع النغمي قد تولد عبر بنية الاضداد (مَوْلىً كَريماً – عَبْدٍ لَئيمٍ، اِنَّكَ تَدْعُوني– فَأُوَلّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ اِلَيَّ– فَأَتَبَغَّضُ اِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ اِلَيَّ– فَلا اَقْبَلُ مِنْكَ)

وفي مقطعٍ آخر من الدعاء نفسه نجد تشكلات صوتية لبنية الأضداد والمقابلة أسهما في تزويد عبارات الدعاء بإيقاعٍ نغمي مخصوص في جملٍ متناسقةً ومنسجمةً مع الدلالةِ وهو: ((**اَلْحَمْدُ للهِ خالِقِ الْخَلْقِ، باسِطِ الرِّزْقِ، فالِقِ الاِصْباحِ ذِي الْجَلالِ وَالاِكْرامِ وَالْفَضْلِ وَالاِنْعامِ، الَّذي بَعُدَ فَلا يُرى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوى تَبارَكَ وَتَعالى، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعادِلُهُ، وَلا شَبيهٌ يُشاكِلُهُ، وَلا ظَهيرٌ يُعاضِدُهُ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الاَعِزّاءَ، وَتَواضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَماءُ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ ما يَشاءُ**))[4].

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة:: ٢٣٢.

(٢) ينظر: جواهر البلاغة: ٣٧٨.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٠٢.

(٤) م – ن: ٣٠٢.

فكان الطباق في الكلمات (بَعُدَ- قَرُبَ، فَلا يُرى- فَشَهِدَ) والمقابلة تمثلت في الفقرتين الاخيرتين (لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعادِلُهُ- وَلا شَبيهٌ يُشاكِلُهُ- وَلا ظَهيرٌ يُعاضِدُهُ ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الاَعِزّاءَ- وَتَواضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَماءُ).

إذن فالعنصر الإيقاعي بنوعيه يتحقق بفضل عامل التكرار سواء أكان تكراراً لأصواتٍ خارجية كما هو متحقق في القرار الإيقاعي أم تكراراً لأساليب بديعية ونحوية، كما لاحظنا ذلك في الطباق والمقابلة والتوازنات الصوتية (المفردة والتركيب)، فالإيقاع- بصورة نهائية- يتولد في الدعاء من خلال عنصر التكرار، وهذا التكرار قد يكون صوتاً واحداً من خلال الكلمات المسجوعة والمتجانسة فضلاً عن تكرار كلمة أو صيغة نحوية أو صرفية التي لاحظناها في مقاطع معينة من الدعاء التي يغلب عليها الدلالة الخطابية. ويتميز الإيقاع بنوعيه في الدعاء بعدمِ الانتظامِ على وتيرةٍ وقالب واحد مخصوص عكس بناء القصيدة الذي يتميز بانتظام تكرار تفعيلة واحدة على طول القصيدة، وإنّما في النّص النثري وخاصة (الدعاء) نجد التزام كلمات مسجوعة في فقرتين أو ثلاث، لكن دون انتظامها على طول الدعاء وإنّما يتميز إيقاعه بالتشكيلات الصوتية المتنوعة (أصوات خارجية أو داخلية).

وخلاصة لما ذكرناه في الاستراتيجية التأثيرية التي تمثلت في أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة عبر آليات (آلية السرد، آلية الفنون البلاغية، آلية العنصر الإيقاعي) ولمسنا كيفية مساهمة كلّ آلية لأحداث أثر جمالي في وجدان المتلقي التي انسجمت مع جمال الفكرة أو الموضوع الوجداني في الخطاب الدعائي، فآلية السرد قد تمثلت في الصحيفة المباركة عبر عنصر المحاورة ، فالحوار عنصر تَرتكزُ عليه صياغة الدّعاء وهو أحد عناصر السرد الرئيسة التي ينطلق منها السارد في بناء نصوصه الحكائِية. وأهم ما يُميز آلية السرد في الصحيفة الرضوية الجامعة أنها جاءتْ بصورة بسيطة وواضحة وسهلة توافقتْ مع طبيعة البناء الفني الخاص بالدّعاء ومتلائمة مع طبيعة السمة الوجدانية التي تُغلَفَ الجو العام للدّعاء، لذلك لم نشهد السرد في متون الأدعية بصيغته الواسعة والمتداخلة، وبعناصره المُتْشَعِبةَ وإنما تكاد تقتصر على الحدث والشخصية لما لهذه العناصر السردية من علاقةٍ ببيان الغاية الوجدانية المرتبطة بموضوع الدّعاء، وجمالية السرد في الدّعاء نلمسها من خلال ما يذكره الحوار السردي لأحداث ماضية

عن حاضر السرد أو ستقع في المستقبل مما يُثيرَ خيال المتلقي حيث يبدأ برسمٍ لهذه الأحداث وتصويرها في ذهنه.

وأما بالنسبة لآلية الفنون البلاغية (الاستعارة، الجناس، الطباق) فقد تحقق تأثيرها في أدعية الصحيفة المباركة من خلال ما تضفيه على نص الدعاء من أثر جمالي متنوع (صوري وإيقاعي)، ففي الاستعارة لمسنا أثرها في خلقها لصور فنية، تنبض بالحياة تعمل على مُحاكاة ذهن المتلقي في جعل تلك الصورة غير المرئية (المكتوبة أو المنطوقة) مرئية محسوسة يُشاهدها المتلقي في مُخِيْلتهِ، وكأنّها صورٌ حقيقية، وكذلك الحال مع الجناس الذي حسن النّص من خلال توافق الكلمات المُتجانسةَ في ترتيب حروفها بالزيادة أو النقصان وكُلّها لها إيقاعٌ مخصوصٌ تَحَدثهُ في الفقرات المُتجَانِسةَ فضلاً عن تأثيره البليغ في جذب المتلقي وشد انتباهه للإصغاء، والتلذذ بإيقاعه العذب، وجعل العبارة على الأذن سهلة ومُسْتَساغة، فتجد من النفس القبول وتتأثر به أيُّ تأثير؟ وتقع في القلب أحسن موقع؟ فضلاً عن مساهمة الكلمات المتطابقة عبر بنية الأضداد والمتقابلة في المعنى بالأثر الذي أحدثته في أدعية الصحيفة المباركة وهو أثر جمالي متأت من خلقها لموسيقى نغمية لها القدرة على مُخاطَبة وجدان المتلقي، فضلاً عن فائدة استعمال الكلمات المتماثلة عبر بنية الأضداد والمقابلة في المعنى في الجمل والفقرات أنها تعزُّزُ من ابراز المعنى بوضوح وتركيزه في ذهن السامع وإيصاله إلى قلبه بمنتهى الشفافية والوضوح.

واما بالنسبة للعنصر الإيقاعي نجده بنوعيه (الخارجي، والداخلي) تتحقق بفضل عامل التكرار، وهذا التكرار قد يكون صوتاً واحداً من خلال الكلمات المسجوعة والمتجانسة فضلاً عن تكرار كلمة أو صيغة نحوية أو صرفية التي لاحظناها في مقاطع معينة من الدعاء التي يغلب عليها الدلالة الخطابية. ويتميز الإيقاع بنوعيه في الدعاء بعدمِ الانتظامِ على وتيرةٍ وقالب واحد مخصوص، وانما نجد التزام كلمات مسجوعة في فقرتين أو ثلاث، لكن دون انتظامها على طول الدعاء.

الفصل الثانـي

سلطة الخطاب في

الصحيفة الرضوية الجامعة

- المبحث الأول: سلطة المرسِل
- المبحث الثانـي: سلطة المرسَل إليه

توطئة:

في هذا الفصل يتناول البحث دراسة مفهوم السلطة وتمظهراتها في الخطاب الدعائي، وتجليها من جانب المرسِل ومن ثم تجليها من جانب المرسَل إليه/المتلقي. وفي بادئ الأمر وقبل الخوض في تفاصيل تجلي السلطة وتمظهرها في الخطاب الدعائي، نقف أولاً عند بيان مفهوم السلطة في الفكرين الغربي والعربي.

أولا: مفهوم السلطة:

يُعدّ مفهوم السلطة من المفاهيم المتشابكة والمعقدة التي يصعب تحديدها ضمن تعريف جامع مانع؛ بسبب تنوع السلطة واختلافها لتنوع الأنساق واختلاف المنظومات الاجتماعية والسياسية والمعرفية...إلخ، التي تنتجها وتتفاعل معها، وتؤثر فيها وتتأثر بها[١]، وتعدد تعريفاتها يرجع إلى تعدد وجهات نظر الباحثين والدارسين في تناولهم للسلطة ضمن مجالاتهم المتنوعة، فكلّ باحث ودارس ينظر إلى السلطة ويعرفها ضمن زاوية نظره المنبثقة من مجال تخصصه (العلمي، والمعرفي، والفلسفي، والاجتماعي...وغيرها).

والمعنى الرئيس والأساس الملتصق بالسلطة والذي يتبادر إلى الأذهان عن السلطة وعلاقاتها وكيفياتها يرتبط بمفاهيم عامة تدور حول عناوين منها الدولة، الحكومة، الرجل الحاكم، أي صاحب سلطة سياسية من مميزاتها إخضاع الآخرين للالتزام بقوانين الدولة وأنظمتها من دون نقاش أو اعتراض. لذلك لا تقتصر السلطة على سلطة الدولة وأجهزتها الإكراهية، إذ يمارس أولئك الذين يختزلون السلطة في تعبيراتها ومظاهرها القانونية، على ممارسة العنف الشرعي لكونهم رجالاً يحمون سياسة الدولة من الانهيار بإخضاع الآخرين (من المجتمع) لقوانينهم خوفاً من ممارسة العنف بنوعيه (العنف القانوني، والعنف الجسدي) ضدهم[٢].

فالسلطة "تتجاوز ذلك...، لتعبر عن ذاتها في كل مجالات الوجود البشري: فإلى جانب السلطة السياسية، وفي تفاعل وثيق معها، توجد السلطة الثقافية: سلطة الحقيقة، وسلطة المعرفة، وسلطة الخطاب. بل إنّ السلطة في نظر فوكو تتخلل الوجود البشري جملةً وتفصيلاً، فهي لا توجد في هذا

(١) ينظر: السلطة في الرواية العراقية، د. أحمد رشيد الددة: ٢٠.

(٢) ينظر: في سوسيولوجيا الخطاب، من سوسيولوجيا التمثّلات إلى سوسيولوجيا الفعل، د. عبد السلام حيمر: ١٧٨.

المكان أو ذاك، بل توجد في كلّ مكان مهما كبر أو صغر"[١]. فالسلطة عند فوكو، هي "علاقات قوى، وهي على الأصح، علاقة سلطة"[٢] فهذه العلاقات تتواجد في كلّ ضروب الوجود البشري وحقوله بدءاً من أبسط علاقة اجتماعية تواصلية بين أثنين، مروراً بمؤسسات المجتمع المدني، وانتهاء بمؤسسات المجتمع السياسي[٣].

ويعد المفكر الفرنسي (ميشيل فوكو) أبرز مفكر قدَّمَ تصوراً واضحاً عن السلطة وعلاقتها بالخطاب، "فالسلطة عنده استراتيجية لأنها ليست في ملكِ أحدٍ، وهي محايثةٌ لأنّها تخترق كلَّ أجزاء المجتمع؛ وهي إجرائية لكونها مجموعة من الإجراءات الواضحة والخفية في الوقت نفسه"[٤] لذلك فالسلطة على حسب تعبير فوكو، بأنّها استراتيجية، ومحايثة، وإجرائية تستلزم طرفين: الآمر والمأمور[٥] فهي أقرب ما يكون إلى مفهوم الخطاب، فالخطاب يتطلب لقيامه طرفين اثنين، هما: المخاطِب/المتكلم، والمخاطَب/السامع وحتى يتمكن المتكلم أو المتلفظ بالخطاب من التأثير في الطرف الآخر (المخاطَب) لابدّ من أتباع وسائل وآليات وتقنيات عبر استراتيجية معينة يقصدها المخاطِب في خطابه ويعرف الخطاب بأنّه: "كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[٦] ويعرف (ج– بيتي) السلطة: "هي القدرة على التأثير في الاشخاص ومجريات الأحداث باللجوء إلى مجموعة من الوسائل تتراوح بين الاقناع والاكراه"[٧] وعرفها (مان) بأنّها: "القدرة على متابعة الاهداف وتحقيقها"[٨]، وعُرفت السلطة أيضاً بأنّها: "تشير إلى مجموعة من السمات والممتلكات التي لا تشترك بالضرورة فيما بينها ماعدا نفعها في تحقيق أية أغراض إنسانية أو أية أغراض آخرى..."[٩].

---

(١) في سوسيولوجيا الخطاب: ١٧٨.

(٢) المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، جيل دلوز، ترجمة: سالم يفوت: ٧٧.

(٣) ينظر: في سوسيولوجيا الخطاب:١٧٨.

(٤) المنظور الفلسفي للسلطة عند ميشيل فوكو، جوده محمد إبراهيم ابو خاص (دكتوراه): ٦.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ١٢١.

(٦) تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين: ١٩.

(٧) ميشال فوكو المعرفة والسلطة، عبد العزيز العيادي: ٤٣.

(٨) خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو، باري هندس، ترجمة: ميرفت ياقوت: ٤٤.

(٩) م – ن: ٢٩–٣٠.

وهكذا تباينت تعريفات المفكرين والباحثين للسلطة، فبعض التعريفات تتعلق فقط بالسلطة السياسية، وبعضها الآخر عرفها بصورة عامة ويمكن إطلاقها على أيّة علاقة اجتماعية، كون السلطة كما قال فوكو "موجودة في كلّ مكان" وهنا، بعد ما بيّنا أهم محدّدات مفهوم السلطة وأهم تعريفاتها، ينبري أمامنا سؤال مهم هو: ما مدى ارتباط السلطة بالخطاب؟ وماهي علاقة السلطة بالخطاب؟ وكيف يمكن أن تتمظهر في الخطاب؟ وسوف يدورُ حديثنا حول هذه الإشكاليات الاستفهامية، ونقف أولاً عند بيان الجوانب المرتبطة والمتفقة ما بين السلطة والخطاب من خلال التعريفات السابقة التي استعرضها البحث:

أ- لا يمكن أن تتم عملية خطابية تواصلية، دون توافر طرفيها (المخاطِب والمخاطَب، المرسِل والمرسَل إليه) وكذلك الأمر بالنسبة للسلطة "كونها ظاهرة اجتماعية، يتوصل إليها الآمر من خلال علاقات تقام مع الآخرين للحصول على خدمات الآخرين، أو الظفر بطاعتهم"[1]، إذن فالسلطة علاقة قوى تتواجد بين طرفين، الأول صاحب السلطة والحق، والآخر يكون خاضعاً له بحرية مطلقة أو يكون مرغماً على ذلك الخضوع.

ب- يهدف المخاطِب/المرسِل من خطابه إلى إفهام الآخر المخاطَب/المرسَل إليه موضوعاً ما، أو فكرة معينة، أو قضية...إلخ، والتأثير فيه وكذلك الأمر في علاقة القوى (علاقات السلطة) إذ يهدف الطرف الأول بكونه مسؤولاً عن مؤسسة ما (اجتماعية، حكومية، دينية، اقتصادية،...) إلى عرض قوانينه وأوامره على الطرف الآخر ومن ثم إخضاعه لها.

ج- يستعمل المخاطِب/المرسِل لغرض التأثير في الآخر، جملة من الوسائل والآليات المتبعة في استراتيجية معينة يوظفها المخاطِب في خطابه على حسب الهدف من الخطاب سواء أكان هدفه توجيه الآخر أم لإقناعه في موضوع ما، فلكلِّ استراتيجية وسائل وآليات خاصة بها لتحقيق هدف الخطاب.

وفي السلطة نجد الطرف الأول (الآمر) لا يخرج في علاقة ما مع الطرف الآخر إلا إذا كان معتمداً على وسائل وآليات تثبت قدرته لتنفيذ أمرٍ ما، وهي وسائل تجعله صاحب سلطة وقوة في طلب تنفيذ ذلك الأمر، ومنها مكانته الاجتماعية، أو وظيفته الاجتماعية والشرعية، وسمات تتعلق بشخصيته من ذكاء ومهارة وحفظه لمعلومات كثيرة...إلخ، فضلاً عمّا يمكن أن يعتمد عليه من أمور آخرى تتجلى فيها سلطته وذلك من خلال اهتمامه بتشكيل خطاباته وصياغة أقواله على وفق قواعد وإجراءات تدلّ على

(١) ميشال فوكو المعرفة والسلطة: ٤٤.

امتلاكه للسلطة[١]. ولمعرفة مدى ارتباط الخطاب بالسلطة والسلطة بالخطاب، ننطلق من زاوية نظر في الخطاب نفسه "فالخطاب يرتبط بالسلطة ارتباطاً وثيقاً على نحو جعل من الخطاب نفسه سلطة ما تنفك تفرض شروطها على المتخاطبين به أو المتداولين له باستمرار"[٢].

ونجد هذه الإشكالية (علاقة الخطاب بالسلطة) قد ناقشها أحد الباحثين في فصلين كاملين: سلطة الخطاب وسلطة النص، وبدأ بعرض جملة من الإشكاليات الاستفهامية في بيان طبيعة العلاقة بين الخطاب والسلطة؛ وهي "هل يشكل الخطاب في ذاته سلطة قائمة (بذاتها) كسلطة اللغة؟ أم أن سلطته مقرونة بالمؤسسة، أو بالذات أو بقوى سياسية أو اجتماعية معينة؟ أم يجب فهم الخطاب كما فهمه فوكو، حين نظر إليه بوصفه حاملاً للسلطة ومنتجها لذلك فهو يقوي السلطة، ولكنه أيضاً يلغمها ويفجرها، يجعلها هزيلة، ويسمح بإلغائها"[٣]. فيذكر لنا أن الخطاب لا ينفصل عن السلطة، بل هو على علاقة تلازمية (بل جدلية) معها وعلى حسب ما عدّه فوكو بشأن الخطاب، بوصفه حاملاً للسلطة ومنتجها، فلذلك يحتوي الخطاب على آليات سلطوية تمكنه من الهيمنة من جهة ثانية، ومن إنتاج ممارسات خاصة به فالخطاب يتحرك وينتج السلطة.

وإذا كانت العلاقة بين الخطاب والسلطة هي علاقة تلازمية، فتلازمها متأتٍ من حقيقة، أنّ كّلاً من هدف صاحب الخطاب (المتكلم) وهدف الشخص الآمر الذي يمتلك السلطة والحق في تنفيذ أمره، أو في محاولة لإكساب فعله الأمري السلطة والقدرة على اخضاع الآخر لتنفيذ فعله؛ يشتركان في دخولهما في علاقة صراع وسجال مع الآخر وعلاقة تأثير، لأجل تحقيق هدفهما وهو التأثير في الآخر، أو إخضاعه لما يمليه عليه الآمر[٤].

وطرفا الخطاب والسلطة بوصفها "ظاهرة اجتماعية"[٥]، ينطلقان من اعتمادهما وسيلة أساسية للتواصل مع الآخرين –الطرف المشارك في العملية التواصلية (السلطوية، أو الخطابية التفاعلية)– وهي اللغة سواء أكان التواصل شفوياً أم كتابياً فيتجلى الخطاب والسلطة للطرف الآخر من خلال النص الشفوي أو الكتابي فالنص إذن هو الكائن الظاهر والكاشف عن تمظهر الخطاب فيه ومن ثم تتجسد

(١) ينظر: خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو: ٥٩.

(٢) الخطاب والنص : ١٨٥.

(٣) م – ن: ١٨٦.

(٤) ينظر: م – ن: ١٨٧–١٨٨.

(٥) ميشال فوكو المعرفة والسلطة: ٤٤.

السلطة بالخطاب على اعتبار أنّ الأخير يمثل عملية تجسيد أو تعبير عن حضور تلك العلاقات، علاقات السلطة في داخله[1].

فالخطاب الذي يتمكن من فرض رؤيته أو فكرته، إنّما يكون لامتلاك صاحب الخطاب قدرة ما مكنته من فرض رؤيته والتأثير على الآخرين استناداً إلى فوكو الذي عرّف السلطة بأنها "علاقة قوى، وأن كلّ علاقة قوى هي بالضرورة، علاقة سلطة"[2]، إذن كيف تتمظهر السلطة في الخطاب (سواء أكان سياسياً، أم اجتماعياً، أم اقتصادياً، أم أدبياً....إلخ)؟ وهذا ما سنقف عنده لنبين كيفية تجلي السلطة في الخطاب الدعائي من خلال طرفي الخطاب: المرسِل والمرسَل إليه.

(١) ينظر: الخطاب والنص: ٢٠٣.

(٢) م – ن: ١٨٨.

المبحث الأول

سلطة المرسِل

للحديث عن سلطة المرسِل لابدّ من بيان العملية التي تتمظهر فيها سلطة المرسِل، فنقول في البدء أن في أية عملية تواصل وتفاعل تقف عناصر معينة يتم من خلالها أحداث أثر تواصلي وتفاعلي مخصوص، وهي:

المرسِل _____الرسالة _____المرسَل إليه

وهي العناصر التي استمدها النقاد من نظرية الاتصال عند (رومان جاكبسون)، التي تشكل العناصر أو العوامل الأساسية في كُلِّ سيرورةٍ لسانيةٍ أو فعل تواصلي لفظي، حيث يعمل المرسِل على توجيه رسالة إلى المرسَل إليه، وحتى تكون تلك الرسالة فاعلة فأنّها تقتضي بادئ ذي بدء سياقاً أي (مرجعاً) سياقاً قابلاً لأن يدركه المرسَل إليه، وهو إمّا أن يكون لفظياً أو قابلاً لأن يكون كذلك، وتقتضي الرسالة بعد ذلك سنناً مشتركةً كلياً أو جزئياً، بين المرسِل والمرسَل إليه... ويتمّ ذلك الاتصال بين المرسِل والمرسَل إليه عبر قناة فيزيقية تسمح بإقامة التواصل والحفاظ عليه[1] وهذه العناصر لا يمكن أن تستغني عنها أية عملية تواصلية كما موضحة في الخطاطة الآتية[2]:

سياق

مرسِل _____ رسالة _____ مرسَل إليه

اتصال

سنن

فالمرسِل هو الطرف الأول الذي يقوم بإرسال رسالة نصية شفوية أو مكتوبة إلى الطرف الثاني المستقبل لمضمون تلك الرسالة ويسمى بالمرسَل إليه فالمرسِل والمرسَل إليه، يشيران في مفهوميهما العام، إلى فاعلي التواصل، اللذينِ يطلق عليهما في نظرية الإعلام (بالمرسِل والمرسَل إليه)... ويعدّان فاعلينِ، ضمنيينِ بحيث يعرفان في الخطاب المعبر بـ(أنا/أنت) وجميع التمثيلات التي تُنْجَز عبر(المرسِل، المرسَل إليه) وكذلك يعرفانِ بالمخاطِب والمخاطَب، فالأول: هو الشخص المتكلم الذي ينتجُ خبراً، والثاني:

(١) ينظر: مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، حسن ناظم: ٩٠.

(٢) ينظر: قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ترجمة: محمد الوالي ومبارك حنون: ٢٧.

هو الشخص الذي يتوجه إليه الكلام، أي المتلقي[١]. وقد بين (رومان جاكبسون) أنّ لكلّ عامل من العوامل التي أوضحها في خطاطته السابقة، وظيفة معينة يحدثها في عملية الاتصال تتلاءم مع موقعه فيها، فالمرسِل نتيجة لمركزه الأول في عملية التواصل سواء أكانت عملية تواصل شفوية أم مكتوبة فهو يقوم بـ(الوظيفة الانفعالية أو التعبيرية) وهي الوظيفة التي يقوم المرسِل من خلالها بالتعبير عن عواطفه وانفعالاته ومواقفه أزاء الموضوع الذي يعبر عنه، وتتجلى عن طريق النطق مثلاً أو بأدوات لغوية تفيد الانفعال كالتأوه أو التعجب أو دعوات الثلب أو صيحات الاستنفار[٢].

وأما المرسَل إليه فيؤدي وظيفة افهامية وتكشف عنها الرسالة باحتوائها على الأساليب الأنشائية الطلبية التي لها القدرة في التأثير على المتلقي كما في صيغة الدعاء وصيغة الأمر وهما صيغتانِ متميزتانِ بتركيبهما وادائهما ونبرة وقعهما[٣].

وأما الرسالة فوظيفتها هي الوظيفة الشعرية أو الأدبية "التي تكون فيها الرسالة غاية في حدّ ذاتها لا تُعبر إلا عن نفسها فتصبح هي المعنية بالدرس..."[٤].

وقد ذكر(جاكبسون) أنّ كلّ رسالة مهما كانت غايتها وهدفها لا تخلو من وظيفة شعرية، إلاّ أنّ درجة هذه الوظيفة تختلف من نصٍ لآخرٍ، وتتوضح هذه الوظيفة في الرسالة اعتماداً على قيام المرسِل بعمليتين أساسيتين لإتمام الرسالة وهما عمليتا الاختيار والتأليف، حيث يقوم المرسِل في الأولى باختيار ألفاظه ومفرداته، وفي الثانية يقوم بتركيب مفرداته في جمل وعبارات يحدد من خلالها المرسِل غاياته وما يتبعه من تغيرات أسلوبية (تقديم وتأخير، وحذف...إلخ) [٥].

والسياق "يولد الوظيفة المرجعية...، وهي الوظيفة المؤدية للأخبار باعتبار أنّ اللغة فيها تُحيلنا على اشياء وموجودات"[٦]، تتحدث عنها الرسالة عن طريق اللغة. فبعد ما بينا ابرز العوامل المكونة لعملية التواصل الأدبي التي لا يمكن أن تستغني عنها، فضلاً عن وظائفها المختلفة التي حددها

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش: ٨٥ –٩٩.

(٢) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٨، وينظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي: ١٥٨.

(٣) ينظر: النص والأسلوبية، بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل: ٣٣، وينظر: الأسلوبية والأسلوب: ١٥٩.

(٤) معجم مصطلحات النقد الحديث: ١٤١/١.

(٥) ينظر: م – ن: ١/ ١٤٢–١٤٤.

(٦) الأسلوبية والأسلوب: ١٥٩.

(جاكبسون) تتصدى دراستنا في بيان سلطة المرسِل في خطابه الأدبي، وقبل الخوض في كيفية تمظهرها في الخطاب، ومن أين يستمدها؟ نقف أولاً في بيان علاقة المرسِل مع بقية عوامل الاتصال الآخرى، وعلى أساس درجة علاقاته مع العوامل الآخرى، يمكن لنا تحديد سلطته في الخطاب.

أولاً: علاقة المرسِل مع بقية عناصر عملية التوصيل:

إنّ كلّ عملية تواصل لفظي تمثل مجموعة من العلاقات بين العناصر أو العوامل المكونة لها فالعلاقة تشكل منطق الصلات بين الاشياء والرموز والمفاهيم والإدراكات[١] ولهذا فلكلّ عامل وعنصر علاقات(صلة) مع بقية العناصر الآخرى فنجد أن المرِسل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعوامل الآخرى الملتحمة معه لإتمام عملية التواصل الأدبي، ونجد كذلك الارتباط ذاته مع بعضها البعض، أي (المرسِل– المرسَل إليه– الرسالة – السياق)، فعلاقة المرسِل بالمرَسل إليه، هي علاقة تأثير ولذلك يعمل المرسِل على تقديم إبداعه الأدبي بالصورة المؤثرة، ليؤثر في الآخرين (المتلقين لعمله الإبداعي) من خلال عنايته باختيار موضوعه المؤثر فيهم، وألفاظه ومفرداته المتعارفة فيما بينهم وبالمقابل يتفاعلون معه، فيحرص على مخاطبة وجدانهم ومشاعرهم، بل يطمح إلى أكثر من ذلك، إلى التأثير في عقول متلقيه وأفكارهم[٢].

وأمّا علاقته برسالته (عمله الإبداعي) فهي علاقة أوثق وأقوى من تلك السابقة، لأنّها علاقة خلق وابتداع، فهو الذي يقوم بخلقها وتكوينها وتشكيلها بالشكل النهائي، فالرسالة تبدأ أولاً من مجرد فكرة حاضرة في ذهن المرسِل وتصير هاجسه، إلى أن تشكل في ذهنه صورة أولية لها وبعد ذلك يحولها من إبداع ذهني إلى إبداع مادي مسموع أو مرئي، أي إكسائها شكلاً لفظياً يصوغها بأسلوبه الذي يدلّ على قدراته ومهارته في الإبداع الأدبي.

وأما علاقته بالشفرة (اللغة) فهي علاقة انتفاع وإخضاع فهو الذي يُعينها لتكون الوسيط اللفظي التي يستعملها لإيصال أفكاره وآرائه وانفعالاته، وهنا يمكن للمرسِل أن يبرز نفسه على المبدعين الآخرين، من خلال قدرته ومدى تمكنه من استحداث استعمالات لغوية غير موظفة من قبل الآخرين في إبداعاتهم، وتكون في نفس الوقت معلومة أو معروفة عند المتلقين (المرسَل إليه) ويمكن تسمية علاقة المرسِل بشفرتهِ علاقة سلطة أيضاً إذ أن المرسِل المبدع يتصرف في استعمالهِ لها، فينتقي بعضاً من مفرداتها ويعزف

(١) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ١٥٧.

(٢) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث، سحر كاظم حمزة الشجيري (ماجستير): ٧٢.

عن استعمال بعض ويوظف ذلك الأسلوب في التعبير ويترك غيره وهكذا. وأما علاقته بالسياق سواء أكان ذلك السياق هو الواقع أم المجتمع أم العصر الذي ينتمي إليه المرسل فعلاقته بالسياق الاجتماعي، هي علاقة وصف وتعبير، لأن المرسِل فردّ من المجتمع، فيصفه ويعبر عنه في أدبه فهو عندما يعبر عن أفكاره ومشاعره، فإنّه لا يعبر عنها بمعزلٍ عن الواقع الاجتماعي المحيط به(١).

وأخيراً علاقته بقناة اتصاله بالمرسَل إليه الناقلة لرسالته وهي علاقة اختيار وانتقاء، "فالمبدع يمتلك القدرة على نقل أفكاره في أشكال وطرق متنوعة"(٢)، لأنّه يختار الوسيلة المناسبة لنقل رسالته إلى الآخرين (المرسَل إليه) بما يتلاءم مع طبيعة الرسالة المراد إيصالها ونقلها وطبيعة المرسَل إليه، فيختار إما طريقة الكلام شفوية (ألفاظ منطوقة) أو مكتوبة (ألفاظ مكتوبة) فضلاً عن إمكانية ازدواجها، وإلحاقها بالإشارات والرسوم(٣).

وكلّ ما تحدثنا عنه سابقاً حول علاقات المرسِل بالعناصر الآخرى، تحيلنا إلى الحديث عن سلطة المرسِل في الخطاب الإبداعي، فمن خلال علاقاته الوثيقة بالعناصر الآخرى، يمكننا القول: أن المرسِل يمتلك سلطة كاملة على خطابه الإبداعي، والعلاقة التي تبرز سلطته هي العلاقة الأولى كونه يُعدّ جزءاً من الكُلِّ أو فردٍ من المجتمع، فلا يمكن لمرسلٍ ما مخاطبة جمهورٍ مختلف عن مجتمعه:

الجزء _____ الكل

المرسِل _____ المرسَل إليه

فهي العلاقة التي يبني المرسِل على أساسها سلطته وتحكمه بالعناصر الآخرى للعملية التواصلية، فعلاقة التأثير هي التي فرضت على المرسِل إثبات سلطته وهذا يتوقف على مدى:

١- تمكنه من لغتهِ (شفرته)، لكونها تمثل الأداة التي تكشف عن الأساليب الفنية والأساليب المبتدعة، والتي تدلّ على قدرة المرسِل وتمكنهُ من لغتهِ، فعلى الرغم من سلطة اللغة على المرسِل/المتكلم في عدم الخروج عن قواعدها وأنظمتها، إلّا أنّها تمده بسلطة ذاتية تتحقق عند استعمالهِ للغة أي (شفرته الخاصة) من خلال بعض الانزياحات التي يقوم بها المرسِل في سبيل إيصال خطابه بلغة مفهومة وواضحة، وتدلّ على تمكنه من سلطة اللغة(٤).

---

(١) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ٧٢-٧٤.

(٢) البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب: ٢٢١.

(٣) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ٧٤-٧٥.

(٤) ينظر: آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، د. جودي حمدي منصور(بحث): ٨٦.

٢- اختياره للجنس الأدبي الذي يصب في داخله خطابه أو رسالته المخصوصة مثلاً: (قصيدة، خطبة، حكمة، رسالة، دعاء، مثال...) فلكلّ جنس أساليب معينة يهدف من خلالها المرسِل التأثير في المتلقي، فيطوع أساليب مخصوصة للتأثير بالمرسَل إليه.

٣- اختياره للفكرة أو المعلومة، أو لرأي ما في أي موضوع مراد نقله وتوصيله للمرسَل إليه، أن تكون قريبة من اهتمامات المرسَل إليه وميوله وأولوياته، حتى ينفعل معها، فضلاً عن تحديده للسياق المناسب (الظروف المحيطة بالعمل، الواقع، المجتمع، العصر، وهكذا) وتسهم الوسيلة التي ينقل عن طريقها رسالته أيضاً في الكشف عن تجلي سلطة المرسل في أيّة عملية تواصلية.

فسلطة المرسِل على خطابه الأدبي هي سلطة كاملة فهو الذي يقوم بتشكيل وإنتاج رسالته أي خطابه، فينظمهُ بطريقة مخصوصة تدلّ على تحقيق الهدف من خطابه[١]. أي أنّه يقوم بكافة الإجراءات المتبعة لإنتاج عمله الإبداعي بدءاً من تحديده للفكرة أو المعلومات المراد إيصالها للمرسَل إليه، واختياره للألفاظ والمفردات وترتيبها ونظمها في جمل وتراكيب متلائمة ومنسجمة مع موضوع خطابه الإبداعي، فضلاً عن قدرته وتمكنه من إخضاع عناصر الاتصال الآخرى لتحقيق غاياته ومقاصده.

فسلطة المرسِل تتجلى في نصه الخطابي من خلال زاويتين يمكنهما أن تكشفا عن سلطته، الأولى هي زاوية استعمالهِ للأساليب اللغوية المتنوعة، والتي تدلّ على مدى نجاحه في استعمال أساليب لغوية توحي بالانزياحات المختلفة (انزياح لفظي، انزياح تركيبي، انزياح صوري،...) التي أجراها المرسِل لإكساب خطابهِ لمسة فنية مخصوصة لأجل جذب المتلقي وشدّ ذهنه ليتفاعل مع خطابه ويتأثر به ويؤثر فيه، والزاوية الثانية حصيلة المرسِل المعرفية والثقافية الواسعة إذ يعمل على توزيعها في خطابه بالصورة الواضحة للعيان لتدلّ على معرفته الثقافية الواسعة –البارزة على ثقافة المرسَل إليه– الخاصة بالموضوع والفكرة المعروضة مما يوسع المعرفة العامة لدى المرسَل إليه. إذن فسلطة الخطاب وسلطة المرسِل الخارجية– أي المتعلقة بمكانته الاجتماعية ووظيفته الاجتماعية من حيث كونه رجل دين أو رجل سياسة أو ذات ناطقة باسم المؤسسة التي ينتمي إليها وهكذا[٢]– تتحركان سوية حركة واحدة في بعض الخطابات الإبداعية وهذا ما لَمسناهُ في بحثنا عن سلطة المرسِل (الإمام) في خطابه الدعائي ولاسيما في مدونة دراستنا (الصحيفة الرضوية الجامعة).

---

(١) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي: ١٥٥.

(٢) ينظر: الخطاب والنص: ٢٠٩.

فسلطة الخطاب الدعائي هي سلطة تتجلى للعيان بطريقة غير مباشرة لا كما هو حال بقية الخطابات الأدبية والاجتماعية والسياسية فهي طريقة وجدانية، لأنّها سلطة مُذابة في الدعاء لكون عالم الدعاء، هو عالم الفيض الوجداني، وكيف لا يكون وجدانياً وهو في الأصل قائم على محاورة قدسية مع الله عزّ وجلّ خالق الكون، فضلاً عن كونه صادراً عن مرسلٍ غير عاديٍّ كلامه فوق كلام البشر ودون كلام الخالق فسلطة الإمام (المرسِل) في الدعاء سلطة لا تدلّ على تسلط وإخضاع الآخرين (المرسَل إليه) وإنّما يمكن تسميتها بسلطة التملك الجذابة التي يهوى إليها المتلقي (المرسَل إليه) ويكون خاضعاً بإرادته تحت ملكيتها. وسيحاول البحث الوقوف على سلطة المرسِل (الإمام) في خطابه الدعائي من خلال عدة محاور.

ثانياً: محاور سلطة المرسِل في خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة:

وتتجلى محاور سلطة المرسِل الإمام (ع) في الخطاب الدعائي وخاصة في الصحيفة الرضوية الجامعة عبر عناصر عدة، أهمها ما يأتي:

أ- السلطة الفنية:

ونعني بها جملة الأساليب اللغوية والبلاغية الموظفة في الدعاء، وهي سلطة تدلّ على قدرة المرسِل (الإمام) وتمكّنهِ من إيصال خطابه المقصود في الدعاء إلى المرسَل إليه بمنتهى الشفافية والوضوح؛ وذلك عبر استعماله لأساليب فنية (لغوية وبلاغية وأدبية) لصياغة الدعاء بهذه الصياغة الفنية المؤثرة لإحداث أثرٍ روحي وجمالي في نفسية المرسَل إليه (المتلقي للدعاء) فتكون سلطة المرسِل بارزة من خلال ما يحدثه من انزياح لأساليب اللغة وهو انزياح يتحقق من خلالِ تحويل الكلام من كلام عادي إلى كلام أدبي (لغة أدبية) مؤثرة، هذه الانزياحات يعتمدها المرسِل في بناء خطابه الأدبي، ومن ثمَّ يكون قد فرض سلطته على اللغةِ أولاً، لإكساب خطابه المؤهلات الكافية ليفرض سلطته الخطابية على المرسَل إليه ثانياً، أو بعبارة آخرى إكساب خطابه قدرة التأثير لتفاعل المرسَل إليه معه وتمكينه من إنجاز فعل ما وهذا يتوقف على مدى كفائته التواصلية، إذ إنَّ القدرة على الإذعان لقواعد اللغة وقيودها أو خرقها أو التلاعب بها هي كفاءة تواصلية يستعملها المرسِل ليؤثر في سلوك الآخرين، إذ ينصب من نفسه الإنسان المرجع في مجتمعه فإننا نتحدث عن تأثيرات تنمّ عن دهاء، والمرسِل لا يقوم بهذه الانزياحات لأساليب اللغة ويوظفها في خطابه إلاّ بالقدر المتعارف عليه عند المرسَل إليه، أي أنّه يأخذ في الحسبان معرفة المرسَل إليه لهذه الأساليب فحتى ينجح المرسِل في إيصال خطابه للآخرين عليه أن ينطلق أولاً من اللغة

المتعارف عليها والمشتركة بينهما فلا يمكن التلفظ بخطابٍ غير مفهومٍ، وما هذه التغييرات لقواعد وأنظمة اللغة و(الانزياحات) إلاّ وسلية للنهوض بخطاب أدبي متميز يمتلك القدرة على الإمتاع والتأثير والافهام(١).

ونقف عند النموذج الأول من الصحيفة الرضوية المباركة، لدعم ما فصلّناهُ سابقاً في تجلي السلطة الفنية في الخطاب الدعائي وهو (دعاء الندبة) للإمام المهدي (عج) نجد أن المرسِل (الإمام) قد صاغ الدعاء صياغة لغوية فنية مؤثرة؛ لكونها انمازت باستعمال أساليب اللغة المعدول بها والمنزاحة عن حقيقتها إلى الصورة المجازية وهنا للندب والدعاء، كما في المقطع الآتي: **((فَعَلَى الْاَطايِبِ مِنْ اَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَالِهِما فَلْيَبْكِ الْباكُونَ، وَاِيّاهُمْ فَلْيَنْدُبِ النّادِبُونَ، وَلِمِثْلِهِمْ فَلْتُذْرَفِ الدُّمُوعُ، وَلْيَصْرُخِ الصّارِخُونَ، وَيَضِجَّ الضّاجُّونَ، وَيَعِجَّ الْعاجُّونَ، اَيْنَ الْحَسَنُ اَيْنَ الْحُسَيْنُ اَيْنَ اَبْناءُ الْحُسَيْنِ، صالِحٌ بَعْدَ صالِحٍ، وَصادِقٌ بَعْدَ صادِقٍ؟ اَيْنَ السَّبيلُ بَعْدَ السَّبيلِ؟ اَيْنَ الْخِيَرَةُ بَعْدَ الْخِيَرَةِ؟ اَيْنَ الشُّمُوسُ الطّالِعَةُ؟ اَيْنَ الْاَقْمارُ الْمُنيرَةُ؟ اَيْنَ الْاَنْجُمُ الزّاهِرَةُ؟ اَيْنَ اَعْلامُ الدّينِ وَقَواعِدُ الْعِلْمِ؟ اَيْنَ بَقِيَّةُ اللهِ الَّتي لا تَخْلُو مِنَ الْعِتْرَةِ الْطّاهِرَةِ؟ اَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دابِرِ الظَّلَمَةِ؟ اَيْنَ الْمُنْتَظَرُ لِإقامَةِ الْاَمْتِ وَالْعِوَجِ؟ اَيْنَ الْمُرْتَجى لِإزالَةِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوانِ؟ اَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْديدِ الْفَرائِضِ والسُّنَنِ؟ اَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لِإعادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّريعَةِ؟ اَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِإحْياءِ الْكِتابِ وَحُدُودِهِ؟...))**(٢).

ففي هذا المقطع الدعائي نجد أنّ المرسِل قبل توظيفه لآلية لغوية متكررة بشكل لافت للنظر وهي الأداة (أين) الاستفهامية، والتي خرجت على حقيقة استعمالها للاستفهام والسؤال عن المكان إلى غرض مجازي وهو (الندبة والنداء) فالمرسل (الإمام) مهّد لهذه الآلية المتكررة، بذكر الفاجعة المؤلمة لما جرى على أهل بيت النبوة صلوات الله وسلامه عليهم وأردفها بالأفعال المدلّة على الحزن والتوجع والحسرة لفقدان الأحبة، وهي (فليبكِ– لتذرف الدموع– يصرخ– يضجَّ– يَعجَّ) هذه الأفعال على ما تحتويها من معانٍ نفسية تمسُّ نفس المتلقي (السامع/ القارئ) لتؤثر فيه فتشده لمتابعة الخطاب، وبعد ذلك وظّف آلية فنية مؤثرة عبر استعمال الأداة (أين) لتحقيق غرض الندبة والتحسر على فقدان أهل البيت (ع)، إلاّ أنّ الإمام بثّ في داخلها وعبر هذه الآلية التي شكلت سلطة فنية مؤثرة، خطابه التأملي للمرسَل إليه القارئ/السامع بأنّ هناك إماماً متنظراً والدليل على ذلك ذكر ما يقوم به (عليه السلام) عند خروجه بإذن

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٢٢٥-٢٢٦

(٢) م – ن: ٣١٥ – ٣١٨.

الله تعالى من أعمال إصلاحية لدولةِ الإسلام التي غُيرتْ سُننُّها وفرائِضُها على يد الحاكمين الذين انشغلوا بملذات الدنيا وابتعدوا عن الدين، فلمْ يبقَ منه سوى اسمه.

فالمرسل بثّ خطابه المقصود بالدعاء لقيام الإمام المنتظر(عج) والتذكير والتعريف بفضائله وأعماله الإصلاحية بصياغة فنية مؤثرة فتكرار الأداة (أين) هذه الاستفهامات تعمل على شدّ ذهن (السامع والقارئ) المرسَل إليه، وتسيطر على تفكيره وتحريك ذهنه للبحث عن دلائل ملموسة لهذه الحقائق المبثوثة في داخل العبارات الاستفهامية (أين–؟) فضلاً عن تعزيزه ما مهّد إليه الأنبياء والائمة بذكر(القائم) (عج) وإن الارض لا تخلو من قائمٍ، فهو السبب المتصل بين الأرض والسماء: ((**اَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْاَرْضِ وَالسَّماءِ؟ اَيْنَ صاحِبُ يَوْمِ الْفَتْحِ وَناشِرُ رايَةِ الْهُدى؟ اَيْنَ مُؤَلِّفُ شَمْلِ الصَّلاحِ وَالرِّضا؟ اَيْنَ الطّالِبُ بِذُحُولِ الْاَنْبِياءِ وَاَبْناءِ الْاَنْبِياءِ؟ اَيْنَ الطّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلاءِ؟ اَيْنَ الْمَنصُورُ عَلى مَنِ اعْتَدى عَلَيْهِ وَافْتَرى؟ اَيْنَ الْمُضْطَرُّ الَّذي يُجابُ اِذا دَعا؟ اَيْنَ صَدْرُ الْخَلائِقِ ذُو الْبِرِّ والْتَّقْوى؟ اَيْنَ ابْنُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفى، وَابْنُ عَلِيٍّ الْمُرتَضى، وَابْنُ خَديجَةَ الْغَراءِ، وَابْنُ فاطِمَةَ الْكُبرى؟...**))[1].

فالدعاء هنا مرسِل من الإمام المهدي (عج) وقد ذكر فيه مقربته النورانية وأعماله الاستشرافية من قيام دولته العادلة والحديث عن انصاره وكيفية نصره،...إلخ، فالإمام المهدي (عج) خاطب الطرف الآخر المتلقي حول هذا الموضوع (ظهوره عليه السلام) بتعبير أسلوب (الاستفهام) عمل على استمالة الآخر/المتلقي والتأثير فيه، فضلاً عن الحالة التي يكون فيها المتلقي (القارئ والسامع) للدعاء من صفاءِ الذهن وانفتاح النفس الإنسانية لسماع وتقبلُ كُلّ ما يُطرح عبر هذه الصياغة المتميزة، فيبتعد عن كلّ ما يشتت الذهن أو يشغله بأمور دنيوية إلى الإبحار في فلكِ الدعاء والارتواء من عذبِ أنفاسه الصافية فهذه الحالة المتمثلة بقدرة المرسِل على استمالة المتلقي والتأثير فيه، تتوقف على مدى كفاءة المرسِل اللغوية والتلاعب بها وتطويعها بما يخدم موضوعه، وبما تتشكل عند المرسَل إليه بمعرفتها، فهي سلطة ذاتية، نابعة من ذات الفرد المرسِل وكفايته ومهارته.

وفي نموذج آخر: نجد أنّ المرسِل (الإمام المهدي عليه السلام) ارتكز في إيصال خطابه على سلطته الفنية في صياغة الدعاء صياغة فنية مؤثرة، ومتلائمة مع روح الفكرة التي عرضها في داخله، وهذا مقطع منه: ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا رَاحِمَ الْعَبَرَاتِ، وَ يَا كَاشِفَ الْكُرُباتِ أَنْتَ الَّذِي تَقْشَعُ سَحَائِبَ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣١٦.

الْمِحَنِ وَقَدْ أَمْسَتْ ثِقَالاً وَتَجْلُو ضِبَابَ الْفِتَنِ وَقَدْ سَحَبَتْ أَذْيَالاً، وَتَجْعَلُ زَرْعَهَا هَشِيماً وَبُنْيَانَهَا هَدِيماً، وَعِظَامَهَا رَمِيماً، وَتَرُد الْمَغْلُوبَ غَالِباً، وَالْمَطْلُوبَ طَالِباً، وَالْمَقْهُورَ قَاهِراً، وَالْمَقْدُورَ عَلَيْهِ قَادِراً))[1].

فنجد المقطع الأول من الدعاء قد صاغهُ الإمام صياغةً فنيةً جماليةً تحققت بفعل توظيفه للاستعارة والتي عملت على إكساءِ الدّعاء صوراً فنيةً بمنتهى الروعة، فبدلّ من أن يُصرِحَ بالفكرة أو المعلومات المطروحة في الدعاء بكلام مباشر قد يحدث أثراً جمالياً عند المتلقي وقد لا يحدث؛ لكون الذائقة النفسية تستهويها في الأغلب القوالب الفنية المؤثرة التي تبعد الخطاب عن مطلبه وفعله الإنجازي المباشر والصريح فيكون المتلقي للخطاب في صياغته المُميزة والمؤثرة يتفهمهُ ويتأثر به ويَعيشُ معه حالةً شعوريةً جميلةً فهو لم يشعر بأنه مقيدٌ ومجبرٌ على إنجاز فعل ما، وإنما يقوم على إنجازه بقناعةٍ صادرة عن نفسه وخاصة إذا كان الفعل الإنجازي يتعلق بتعديلٍ من سلوكه وتغيير توجهاته الحياتية وما شابه ذلك.

فعملت هذه الصياغة الفنية على تعزيز مطلب المرسِل بطريقةٍ غير مباشرةٍ وهي طريقةٌ محببةٌ تعمل على تقريبِ المعنى المجرد والمعنوي وتوضيحه للسامع والقارئ[2]. فالإمام(ع) صوّر لنا عن طريق الاستعارة قدرة الله تعالى على حلّ المشاكل والمِحَن التي يتعرض لها الإنسان: ((أَنْتَ الَّذِي تَقْشَعُ سَحَائِبَ الْمِحَنِ وَقَدْ أَمْسَتْ ثِقَالاً وَتَجْلُو ضِبَابَ الْفِتَنِ وَقَدْ سَحَبَتْ أَذْيَالاً،...)) في الدلالة على سرعة الاستجابة، وصورة آخرى في الدلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى في حلِّ أمور الإنسان الحياتية، فمن المشاكل الاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع مشكلة (الفتن) وآثارها الوخيمة على الفرد والمجتمع فصور لنّا الإمام بالاستعارة، فشبه قدرة الله تعالى على حلّ مشكلة الفتن وآثارها الوخيمة كما يجلي سبحانه الضباب بسرعة ويجعل الرؤية واضحة، ففيها دعوة إلى تجنب الفتن، والتوجه لله تعالى بالدعاء والتضرع إليه في كلّ الحالات التي يشعر بها الإنسان بضعفه وعدم مقدرته على حلِّ مشاكله فهو (سبحانه وتعالى) وحده القادر على كُلِّ شيء فهذا النموذج ممتلئ بالصياغة الفنيةُ المؤثرة.

وفي مقطعٍ ثانٍ نلمس توظيفه لأسلوب أدبي آخر: ((**فَكَمْ يا إِلَهِي مِنْ عَبْدٍ نَادَاكَ: ﴿رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ فَفَتَحْتَ لَهُ مِنْ نَصْرِكَ أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ، وَفَجَّرْتَ لَهُ مِنْ عَوْنِكَ عُيُوناً فَالْتَقَى**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٨٣.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن البياني، ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٣٤٢.

الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ، وَحَمَلْتَهُ مِنْ كِفَايَتِكَ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ))[1] نجد أنّ (الإمام) المرسِل ما يزال في عرض الفكرة الرئيسة لموضوع الدعاء في بيان عظمة الله تعالى على عباده، ومنها في (استجابة الدعاء)، فهذه الصورُ الفنيةُ الجميلةُ ما هي إلّا وسيلةٌ وآليةٌ وظّفها الإمام في خطابه الدعائي لحمل المتلقي على فعل التوجه لله تعالى في الطلب والدعاء، فهو أرحم الراحمين، وأقدر القادرينَ، قَادِر على كل شيء.

وهذه الآلية، هي آلية (التناص الأدبي) وهي آلية فنية لها دلالة على مدى قدرة المرسِل الأدبي والعادي على توظيفه لنصوصٍ أدبيةٍ آخرى في داخل نصهِ الجديد وانسجامها مع خطابه المقصود إيصاله للمرسَل إليه، فتناص النص الدعائي مع النص القرآني، بطريقة مباشرة مع قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِر، فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ**﴾[2] عبر اقتباس بعض ألفاظ الآية الكريمة مع تغيير بسيط فيها، والآيات الكريمة من السورة نفسها (القمر) لم يُصرَح بها مباشرة، وإنّما عمل على تذويبها في خطابه الدعائي سوى بعض الكلمات الدالة على أنّه هناك نصّ ذائبُ في داخل النص الدعائي.

وما هذه الطريقة إلا وسيلة في الدلالة على قدرة الإمام وسلطته على اللغة وأساليبها عبر توظيف أساليب أدبية تحدث أثراً جمالياً وإقناعياً في نفوس المتلقين فما هذه النصوص المتداخلة مع نصه سوى وسيلة للتدليل أيضاً على صحة الفكرة المطروحة في نصه الدعائي (المتناص) معها، وهي التأكيد على نعمته سبحانه وتعالى الواسعة على عباده في جميع الأحوال، وهنا يُذكرنا الإمام (ع) بالنبي نوح (ع) حينما بَلْغَ قومه رسالته ولم يصدقوه فدعا ربّه، انّي مغلوب فانتصر بإذن الله تعالى عندما أُغرق قومه وأنْجاهُ الله تعالى من الغرقِ ومن آمن معه (السفينة)، فهذا خطابٌ لِكُلِّ (سامع وقارئ) يشعر بأنه مغلوبٌ ومظلومٌ، فليقوي إيمانه بالله تعالى وليتوجه إليه فهو الذي ينصره ويغلبه على من كان غالبه في الأمس وظالمه فنلمس توافق سياق الآية مع سياق الدعاء.

وفي المقطع الآتي من دعاء العبرات: ((**الَهِي فَحِفْظاً حِفْظاً لِغِرَائسَ غَرْسُهَا بِيَدِ الرَّحْمَنِ، وَشُرْبُهَا مِنْ مَاءِ الْحَيَوَانِ، وَنَجَاتُهَا بِدُخُولِ الْجِنَانِ، أَنْ تَكُونَ بِيَدِ الشَّيْطَانِ تُحَزُّ وَبِفَأْسِهِ تُقْطَعُ وَتُجَزُّ، إِلَهِي فَمَنْ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٨٣.

(٢) القمر: ٩-١٠.

أَوْلَى مِنْكَ بِأَنْ يَكُونَ عَنْ حَرِيمِكَ دَافِعاً، وَمَنْ أَجْدَرُ مِنْكَ بِأَنْ يَكُونَ عَنْ حِمَاكَ حَارِساً وَمَانِعاً إِلَهِي إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ هَالَ فَهَوِّنْهُ، وَخَشُنَ فَأَلِنْهُ، وَإِنَّ الْقُلُوبَ كَاعَتْ فَطَمِّنْهَا وَالنُّفُوسَ ارْتَاعَتْ فَسَكِّنْهَا))[1].

وهنا مثّل خُلْقَ الإنسانِ بِغرائسِ الزرعِ أي (البذرة) فكما أنّ الزرع يُغْرِسَ بذرة وتُسْقى وتُراعَى لتنضج بعد ذلك وتصبح ثمرة، فهذه صورة استعارية جيدة لتقريب ولتوضيح كيفيّة خَلقَ اللّه تعالى الإنسانَ، وهذه الثمرة الناضجة يَقطفها المُزارع الذي زرعها واهتم بها، فكيف لإنسان خلقه الله تعالى أن يتركه يُحز ويُقطع بيد الشيطان؟ أي يتركه لمكائد الشيطان يتصيده ليقطفه من يدِّ الرحمن، فهذه صياغةٌ فنيةٌ بمنتهى الروعةُ والجماليةُ عبر الصورة الاستعارية (لِغرَائسَ غَرْسُهَا بِيَدِ الرَّحْمَنِ) (أَنْ تَكُونَ بِيَدِ الشَّيْطَانِ تُحَزُّ وَبِفَأْسِهِ تُقْطَعُ وَتُجَزُّ) فضلاً عن إيقاعه النغمي المتولد من تكرار أحرف صوتية معينة (الفاء والسين والحاء والشين والزاي...) فضلاً عن التوازي الصوتي الذي خلقه تكرار التركيب النحوي نفسه في العبارتين (فَمَنْ أَوْلَى مِنْكَ بِأَنْ يَكُونَ عَنْ حَرِيمِكَ دَافِعاً– وَمَنْ أَجْدَرُ مِنْكَ بِأَنْ يَكُونَ عَنْ حِمَاكَ حَارِساً) و (الْقُلُوبَ كَاعَتْ فَطَمِّنْهَا – وَالنُّفُوسَ ارْتَاعَتْ فَسَكِّنْهَا) قد تضافرت في الدلالةِ على رحمة الله تعالى الواسعة بدءاً من قُدرتهِ على خلق الإنسان وتسخيره الأرض للعيش فيها والتكسب من خيراتها، فكيف بعد كلّ ذلك أن يتركه (بيد الشيطان) دون أن تتداركه رحمته الواسعة؟!

فهذا خطابٌ لصاحبِ الهموم والمنشغل بالذنوب التي ارتكبها بوسوسة الشيطان، فالوسيلة لكشفها هي التوجه إلى الله تعالى والاعتراف له بكلّ ما ارتكبه من معاصٍ وذنوبٍ، فكُلّ همّ ينزاح عن الإنسان بالتقرب من الله تعالى، وهكذا تتوالى الصور الفنية لتقريب المعنى وتوضيحه للمتلقي (السامع– القارئ) بأسلوب فني مؤثر يمس الجانب الروحي والنفسي للمتلقي وفي الفقرة الثالثة وظف الإمام (المرسِل) آلية فنية آخرى هي أسلوب الاستفهام الذي خرج إلى غرض مجازي كما في قوله: **((فَهَلْ يُحْسِنُ مِنْ عَدْلِكَ يَا مَوْلَايَ أَنْ تَدَعَهُ فَرِيسَةَ الْبَلَاءِ وَهُوَ لَكَ رَاجٍ؟))**[2] هنا استفهام لغرض مجازي (النفي)، أي ما يُحسِن من عدل الله على عبدهِ المتوسل إليه في طلب النجاة من مشكلة ما أن يتركه، وفيها وجه آخر، هو حث المتلقي على التوجه لله تعالى في السراء والضراء.

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٨٤.

(٢) م – ن: ٢٨٤.

والاستفهام الثاني يحمل المعنى نفسه، فتكرار الاستفهام هو لتدعيم غرض المرسِل في عرض فكرته، فضلاً عن دوره في خلق إيقاع نغمي مخصوص: ((**أَمْ هَلْ يَجْمُلُ مِنْ فَضْلِكَ أَنْ يَخُوضَ لُجَّةَ الْغَمَّاءِ وَهُوَ إِلَيْكَ لَاجٍ ؟**))[1].

وفي الفقرة الرابعة: ((**مَوْلايَ اِنْ كُنْتُ لَا أَشُقُّ عَلَى نَفْسِي فِي التُّقَى، وَلَا أَبْلُغُ فِي حَمْلِ أَعْبَاءِ الطَّاعَةِ مَبْلَغَ الرِّضَا، وَلَا أَنْتَظِمُ فِي سِلْكِ قَوْمٍ رَفَضُوا الدُّنْيَا، فَهُمْ خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الطَّوَى، ذُبْلُ الشِّفَاهِ مِنَ الظَّمَاءِ، وَعُمْشُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، بَلْ أَتَيْتُكَ بِضَعْفٍ مِنَ الْعَمَلِ، وَظَهْرٍ ثَقِيلٍ بِالْخَطَايَا وَالزَّلَلِ وَنَفْسٍ لِلرَّاحَةِ مُعْتَادَةٍ، وَلِدَوَاعِي الشَّرِّ مُنْقَادَةٍ أَمَا يَكْفِينِي- يَا رَبِّ وَسِيلَةً إِلَيْكَ، وَذَرِيعَةً لَدَيْكَ- أَنَّنِي لِأَوْلِيَاءِ دِينِكَ مُوَالٍ، وَفِي مَحَبَّتِهِمْ مُغَالٍ، وَلِجِلْبَابِ الْبَلَاءِ فِيهِمْ لَابِسٌ وَلِكِتَابِ تَحَمُّلِ الْعَنَاءِ بِهِمْ دَارِسٌ؟ أَمَا يَكْفِينِي أَنْ أَرُوحَ فِيهِمْ مَظْلُوماً، وَأَغْدُوَ مَكْظُوماً، وَأَقْضِيَ بَعْدَ هُمُومٍ هُمُوماً، وَبَعْدَ وُجُومٍ وُجُوماً؟ أَمَا عِنْدَكَ يَا مَوْلَايَ بِهَذِهِ حُرْمَةٌ لَا تُضِيعُ، وَذِمَّةٌ بِأَدْنَاها تُقْتَنَعُ؟ فَلِمَ لَا تَمْنَعُنِي يَا رَبِّ، وَهَا أَنَا ذَا غَرِيقٌ، وَتَدَعُنِي هَكَذَا، وَأَنَا بِنَارِ عَدُوِّكَ حَرِيقٌ؟**))[2]

فهنا عرض لنا الإمام (المرسِل) بأسلوب الاخبار الوصفي بيان حال المنشغلين بالدنيا فقلَّت أعمالهم الصالحة، وبيان حال الذين أعلنوا رفضهم لحبّ الدنيا والمراد بهم الأنبياء وأوليائه الصالحين وتحديداً أهل البيت (ع) بذكر صفات تدلّ عليهم (فَهُمْ خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الطَّوَى، ذُبْلُ الشِّفَاهِ مِنَ الظَّمَاءِ، وَعُمْشُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ) فما من ميزةٍ أو حسنةٍ للعبد المُقصر المُذْنب التي تشفع له عند التوجه لله تعالى في الدعاء، سوى أنّه (موالٍ) لأهل البيت (ع) فهي الحسنة المضاعفة في ميزان حسناته، والاستفهامات المتوالية المتبقية من الدعاء لغرض تنبيه المتلقي للتمسك بولاية أهل البيت (ع) الائمة المعصومين فهم الوسيلة لنا، فلا يُرِدَ الدُّعاء بِذكرهم والسؤال بهم، وذلك لمنزلتهم العظيمة عند الله تعالى.

وفي نموذج دعائي آخر نجد للسلطة الفنية أثراً في إيصال خطاب المرسِل (الإمام) للمرسَل إليه (المتلقي) بأسلوبٍ فني مؤثر أبعدته عن كونه خطاباً مباشراً من الإمام (الولّي الخليفة، المفترض الطاعة في كلّ أقواله وأفعاله) إلى ترك الحرية للمرسَل إليه (المتلقي) في تفهم الخطاب، وهو دعاء الإمام المهدي (عج) في دفع الشدائد والمهمّات: ((**رَبِّ مَنْ ذَا الَّذِي دَعَاكَ فَلَمْ تُجِبْهُ، وَمَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَكَ فَلَمْ تُعْطِهِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي نَاجَاكَ فَخَيَّبْتَهُ، أَوْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ فَأَبْعَدْتَهُ؟**))

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٨٤.

(٢) م – ن: ٢٨٤–٢٨٥.

أفتتح المرسِل(الإمام) خطابه الدعائي بأسلوب استفهامي مجازي فهو لم يستفهم في طلب العلم عن شيء مجهول، وإنّما هو في طلب العلم لشيء معروف، ولكن لغرض ما يعرف من السياق[١]، وهنا الاستفهام خرج للنفي وبعد ذلك ذكر الإمام حجته الثانية للمرسل إليه للتأكيد على استجابة الدعاء للعبد الداعي سواء أكان مؤمناً أم غير مؤمنٍ: **((رَبِّ هَذَا فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ مَعَ عِنَادِه وَكُفْرِه وَعُتُوِّه وَادِّعَائِهِ الرُّبُوبِيَّةَ لِنَفْسِه، وَعِلْمِكَ بِأَنَّهُ لَا يَتُوبُ، وَلَا يَرْجِعُ، وَلَا يَؤوبُ وَلَا يُؤْمِنُ، وَلَا يَخْشَعُ، اسْتَجَبْتَ لَهُ دُعَاءَهُ، وَأَعْطَيْتَهُ سُؤْلَهُ كَرَماً مِنْكَ وَجُوداً، وَقِلَّةَ مِقْدَارٍ لِمَا سَأَلَكَ عِنْدَكَ، مَعَ عِظَمِه عِنْدَهُ أَخْذاً بِحُجَّتِكَ عَلَيْهِ، وَتَأْكِيداً لَهَا حِينَ فَجَرَ وَكَفَرَ وَاسْتَطَالَ عَلَى قَوْمِه وَتَجَبَّرَ، وَبِكُفْرِه عَلَيْهِمْ افْتَخَرَ، وَبِظُلْمِه لِنَفْسِه تَكَبَّرَ وَبِحِلْمِكَ عَنْهُ اسْتَكْبَرَ، فَكَتَبَ وَحَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ جُزْأَةً مِنْهُ: إِنَّ جَزَاءَ مِثْلِه أَنْ يُغْرَقَ فِي الْبَحْرِ فَجَزَيْتَهُ بِمَا حَكَمَ بِهِ عَلَى نَفْسِه))**[٢]، وهذا في الدلالة على منزلة الدعاء العظيمة عند الله تعالى ورحمته الواسعة على عبده. وهكذا تتوالى الشواهد في الصحيفة كغيره من الصحف الدُّعائية– على تجلي السلطة الفنية في صياغة الأدعية كلّها فلا يمكن أن يكون هناك دعاءٌ غير قائم على صياغة فنية فأصل الدعاء هو ممارسة وجدانية فلابدَّ من استعماله لأساليب لغوية وأدبية تُخاطِب الروح قبل العقل.

ب– السلطة الدّينيّة:

وتعرف بأنّها السلطة التي تستمد قوة إرادتها من التفويض الإلهي عن طريق الوحي الذي أنزله الله تعالى على أنبيائه، ولسنن الرسل وقرارات المجامع المقدّسة واجتهادات الائمة[٣].

وهذه السلطة نجدها متجسدة في أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة متخصصة في بيان أمور دينية وأخلاقية لغرض الإصلاح والتعديل من سلوك الفرد المؤمن، لكي يتلاءم سلوكه ويتفق مع تعاليم الدين الإسلامي وبما يرضي خالقهم (عزّ وجلّ) ومصدر هذه السلطة عند المرسِل (الإمام) متأتية من منصبه الإلهي لكونه إماماً معصوماً، وعلى دراية بتعاليم الدين الإسلامي، أوكلَ الله تعالى إليه رعاية أمور المسلمين الدينية (العقائد– الشرع– التوحيد– الصلاة– الحج...الخ) والدنيوية، عبر توجيهات أخلاقية

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ٩٣ –٩٤.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٦٤.

(٣) ينظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا: ٦٧٠.

تتجلى في معاملات الفرد مع مجتمعه، وكلمة (أخلاقية) تُشير إلى صفات الفرد المؤمن المتمسك بتعاليم الإسلام، والمتوافقة مع طبيعة الأعراف العامة التي تحكم كُلّ مجتمع، في حدودهِ التربويةِ والأخلاقية.

إذن فالسلطة الدينية نجدها قد تمثلت في خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة في الجانب العبادي، وهي الأمور التي تبني شخصية الإنسان، المؤمن التقي، كذلك نجدها في أدعية (المناجاة– الاستغفار– الشكر– التحميد– أدعية بعد الفرائض...) فهذه الأدعية متضمنة خطابات دينية تحث المتلقي على الأخذ بها، لكونها صادرة عن إمام حريص على بناء الشخصية الإسلامية على أتمّ وجه.

كما في النموذج الآتي للإمام الجواد (ع) في التوسل به عليه السلام: ((**يَا مَنْ دَعاهُ الْمُضْطَرّونَ فَاَجابَهُمْ، وَالْتَجَاَ اِلَيهِ الْخائفُونَ فَامَنَهُمْ، وَعَبَدَهُ الطّائِعُونَ فَشَكَرَهُمْ، وَشَكَرَهُ الْمُؤمنُونَ فَحبِاهُمْ، وَاَطاعُوهُ فَعَصَمَهُمْ، وَسَأَلُوهُ فَاَعْطاهُمْ، وَنَسُوا نِعْمَتَهُ فَلَمْ يُخْلِ شُكْرَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَامْتَنَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَجْعَلْ اسْمَهُ مَنْسِيّاً عِنْدَهُمْ**))[1] نجد الإمام الجواد (ع)/المرسِل يحثّ في خطابه على التوجه لله تعالى في الدعاء والتوسل إليه والالتجاء إليه عند كلّ مشكلة، لأنّه تعالى يستجيب الدعاء، كما نجد في القرآن الكريم، آيات كريمة في حثّ المتلقي وترغيبه في الدعاء، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[2]. إلى جانب الحثّ على الدعاء، ذكر الإمام (ع) صفات العبد المؤمن كما في قوله (ع): ((يَا مَنْ دَعاهُ الْمُضْطَرّونَ فَاَجابَهُمْ، وَالْتَجَاَ اِلَيهِ الْخائفُونَ فَامَنَهُمْ، وَعَبَدَهُ الطّائِعُونَ فَشَكَرَهُمْ، وَشَكَرَهُ الْمُؤمنُونَ فَحبِاهُمْ، وَاَطاعُوهُ فَعَصَمَهُمْ، وَسَأَلُوهُ فَاَعْطاهُمْ، وَنَسُوا نِعْمَتَهُ فَلَمْ يُخْلِ شُكْرَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَامْتَنَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَجْعَلْ اسْمَهُ مَنْسِيّاً عِنْدَهُمْ)) حيث نجد السلطة الدينية فيه تتمثل بما يأتي:

١– ضرورة التوجه لله تعالى في الدعاء والمسائلة: (يَا مَنْ دَعاهُ الْمُضْطَرّونَ فَاَجابَهُمْ).

٢– الالتجاء إليه تعالى في حالة الخوف: (وَالْتَجَاَ اِلَيهِ الْخائفُونَ فَامَنَهُمْ).

٣– إطاعة الله تعالى في ما حلّل وحرّم: (وَعَبَدَهُ الطّائِعُونَ فَشَكَرَهُمْ)، (وَاَطاعُوهُ فَعَصَمَهُمْ).

٤– الشكر والتحميد والثناء إليه: (وَشَكَرَهُ الْمُؤمنُونَ فَحبِاهُمْ).

وفي دعاء آخر للإمام الجواد(ع) في أول ليلة من شهر رمضان: ((**اَللّـهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ نَوى فَعَمِلَ، وَلا تَجْعَلْنا مِمَّنْ شَقِيَ فَكَسِلَ، وَلا مِمَّنْ هُوَ عَلى غَيْرِ عَمَلٍ يَتَّكِلُ. اَللّـهُمَّ صَحِّحْ اَبْدانَنا مِنَ الْعِلَلِ،**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٨.

(٢) البقرة ١٨٦.

وَاَعِنّا عَلى ما افْتَرَضْتَ عَلَيْنا مِنَ الْعَمَلِ، حَتّى يَنْقَضِيَ عَنّا شَهْرُكَ هذا، وَقَدْ اَدَّيْنا مَفْرُوضَكَ فيهِ عَلَيْنا اَللّـهُمَّ اَعِنّا عَلى صِيامِهِ، وَوَفِّقْنا لِقِيامِهِ، وَنَشِّطْنا فيهِ لِلصَّلاةِ، وَلا تَحْجُبْنا مِنَ الْقِراءَةِ، وَسَهِّلْ لَنا ايتاءَ الزَّكاةِ اَللّـهُمَّ لا تُسَلِّطْ عَلَيْنا وَصَباً وَلا تَعَباً، وَلا سُقَماً، وَلا عَطَباً. اَللّـهُمَّ ارْزُقْنا الإفْطارَ مِنْ رِزْقِكَ الْحلالِ، اَللّـهُمَّ سَهِّلْ لَنا ما قَسَمْتَهُ مِنْ رِزْقِكَ، وَيَسِّرْ ما قَدَّرْتَهُ مِنْ اَمْرِكَ، وَاجْعَلْهُ حَلالاً طَيِّباً، نَقِيّاً مِنَ الاثامِ خالِصاً مِنَ الاصارِ وَالاَجْرامِ، اَللّـهُمَّ لا تُطْعِمْنا اِلاّ طَيِّباً، غَيْرَ خَبيثٍ وَلا حَرامٍ، وَاجْعَلْ رِزْقَكَ لَنا حَلالاً، لا يَشُوبُهُ دَنَسٌ وَلا اَسْقامٌ يا مَنْ عِلْمُهُ بِالسِّرِّ كَعِلْمِهِ بِالْاَعْلانِ، يا مُتَفَضِّلاً عَلى عِبادِه بِالإحْسانِ، يا مَنْ هُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ وَبِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ خَبيرٌ اَلْهِمْنا ذِكْرَكَ، وَجَنِّبْنا عُسْرَكَ، وَاَنِلْنا يُسْرَكَ، وَاَهْدِنا لِلرَّشادِ، وَوَفِّقْنا لِلسَّدادِ، وَاعْصِمْنا مِنَ الْبَلايا، وَصُنّا مِنَ الاَوْزارِ وَالْخَطايا، يا مَنْ لا يَغْفِرُ عَظيمَ الذُّنُوبِ غَيْرُهُ، وَلا يَكْشِفُ السُّوءَ إلّا هُوَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ،...))[1]

نجد المرسِل (الإمام) بثّ في خطابه الدّعائي الأعمال الخاصة بالشهر الفضيل، فالمرسَل إليه (المتلقي) للدعاء يجد أو يحصل على التوجيهات والتعليمات الخاصة بشهر رمضان في فقرات الدعاء، فأول الأعمال العبادية هي: النية، وما يستتبعه بعد ذلك من أعمال خاصة بإحياء ليالي هذا الشهر بالصلاة وتلاوة القرآن وايتاء الزكاة وذكر الله تعالى في الاستغفار والتسبيح وما إلى ذلك.

ونجد سلطة المرسِل الدينية في أدعية الاستغفار والحمد والشكر والمناجاة في طلب الرزق والحاجات، أو دفع المكائد وحلّ المشاكل والهموم، ففيها يوجه المرسِل (الإمام) المرسل إليه ويحثّهُ على الالتزام بهذه الجوانب العبادية، فلابدّ للمرءِ المسلم في جميع حالاته من التوجه لله تعالى في حمده وشكره على كلّ شيء، والاستغفار من الذنوب والمعاصي، والتأدب في التوجه بالدعاء قبل الطلب والسؤال فهذه جملة من الخطابات الدُّعائية التي تبني الجانب الديني وتعززهُ وتقويه لدى المتلقي، وعند الالتزام بهذه الأمور العبادية (التوجه لله تعالى) في كلّ شيء تصبح جزءاً من شخصية (العبد الداعي) وتنمي سلوكه السّوي.

وفي دعاء آخر للإمام العسكري (ع) نجد في أحد مقاطعه ممارسة المرسِل (الإمام) سلطته الدينية: **((اَللّهُمَّ افْتَحْ لي اَبْوابَ رَحْمَتِكَ وَتَوْبَتِكَ، واَغْلِقْ عَنّي اَبْوابَ مَعْصِيَتِكَ، وَاجْعَلْني مِنْ زُوّارِكَ وَعُمّارِ مَساجِدِكَ وَممَّنْ يُناجيكَ بِاللَّيلِ وَالنَّهارِ، وَمِنَ الَّذينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ، وَادْحَرْ عَنّي الشَّيْطانَ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة : ١٥٠-١٥١.

الرَّجيمَ، وَجُنُودَ اِبْليسَ اَجْمَعينَ))[1] نجد هذا المقطع من الدعاء (عند دخول المسجد) قد حمل أكثر من إشارة دينية، أشار اليها المرسل (الإمام) وهي كالآتي:

١- التذكير بأن ابواب رحمته مفتوحة للسائلين وقبوله التوبة: (اَللهُمَّ افْتَحْ لي اَبْوابَ رَحْمِتِكَ وَتَوْبَتِكَ، واَغْلِقْ عَنّي بابَ مَعْصِيَتِكَ)

٢- والحث على زيارة مساجد الله، للصلاة فيها والمشاركة في بنائها واعمارها لكونها من الأماكن المقدسة التي يتعلم فيها العبد المؤمن من رجالِ الدينِّ ومشايخِ المساجدِ كلّ ما يتعلق باستفساراتهم الشرعية (وَاجْعَلْني مِنْ زُوّارِكَ وَعُمّارِ مَساجِدِكَ)

٣- المحافظة على الصلاة، والمناجاة والابتعاد عن وسوسة الشيطان وجنوده: (وَممَّنْ يُناجيكَ بِاللَّيلِ وَالنَّهارِ، ومِنَ الَّذينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ، وَادْحَرْ عَنّي الشَّيْطانَ الرَّجيمَ، وَجُنُودَ اِبْليسَ اَجْمَعينَ)

وفي نموذج آخر للإمام العسكري (ع): **((اَللَّهُمَّ لَكَ صَلَّيْتُ وَاِيَّاكَ دَعَوْتُ، وَفي صَلاتي وَدُعائي ما قَدْ عَلِمْتَ مِنَ النُّقْصانِ وَالْعَجَلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ، وَالْكَسَلِ وَالْفَتْرَةِ وَالنِّسْيانِ وَالْمُدافَعَةِ وَالرِّياءِ وَالسُّمْعَةِ، وَالرَّيْبِ وَالْفِكْرَةِ وَالشَّكِّ وَالْمَشْغَلَةِ، وَاللَّحْظَةِ الْمُلْهِيَةِ عَنْ اِقامَةِ فَرْضِكَ، فَصَلَّ عَلى مُحَمَّدٍ وَاِلِهِ، وَاجْعَلْ مَكانَ نُقْصانَها تَماماً، وَعَجَلَتي تَثْبيتاً وَتَمَكُّناً، وَسَهْوي تَيَقُّظاً، وَغَفْلَتي تَذَكُّراً، وَكَسَلي نَشاطاً، وَفُتُوري قُوَّةً، وَنِسْياني مُحافَظَةً، وَمُدافَعَتي مواظَبَة، وَرِيائي اِخْلاصاً، وَسُمْعَتي تَسَتُّراً، وَرَيْبي بَياناً، وَفِكْري خُشُوعاً، وَشَكّي يَقيناً، وَتَشاغُلي فَراغاً، وَلِحاظي خُشُوعاً فَاِنّي لَكَ صَلَّيْتُ، وَاِيّاكَ دَعَوْتُ، وَوَجْهَكَ اَرَدْتُ، وَاِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ، وَبِكَ امَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَما عِنْدَكَ طَلَبْتُ...))**[2].

فالمرسِل في خطابه الدُّعائي هذا سلَّطَ الضوء على مشكلة تَمس الركن العبادي الأول (الصلاة) وهي مشكلة (الصلاة غير المقبولة) فقد يكون المرء غافلاً عن كيفية إتيان الصلاة على أتمّ وجه والحصول على قبوليتها عند الله تعالى، فذكر الإمام في دُعائِه للمتلقي جملةً من مبطلاتِ الصلاةِ والتي لابدّ من تجنبها وهي (العجلة، والسهو، والغفلة، والكسل، والنسيان في عدد الركعات، والرَّياء والتباهي، والشك في الصلاة...إلخ) كما هو واضحٌ في المقطع الأول من الدعاءِ، وفي المقطع الثاني بيّن الإمام (ع) الوجهة الصحيحة للصلاة، من تمسكَ بها يكون قد حفظ صلاته من المبطلات (وَاجْعَلْ مَكانَ نُقْصانِها تَماماً، وَعَجَلَتي تَثْبيتاً وَتَمَكُّناً، وَسَهْوي تَيَقُّظاً، وَغَفْلَتي تَذَكُّراً، وَكَسَلي نَشاطاً، وَفُتُوري قُوَّةً، وَنِسْياني

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة:٢٢٨.

(٢) م - ن: ٢٤٠.

مُحافَظَةً، وَمُدافَعَتي مُواظَبَةً، وَرِيائي اِخْلاصاً، وَسَمْعَتي تَستُّراً، وَرَيْبي بَياناً، وَفكْري خُشُوعاً، وَشَكّي يَقيناً، وَتَشاغُلي فَراغاً، وَلحاظي خُشُوعاً).

وهكذا نجد تمثل سلطة المرسِل الدينية في أدعية الصحيفة الرضوية المباركة في رصدها لبعض التحركات اليومية التي يتحركها المرءُ سواءً أكانت للعبادةِ (كالصلاة، والصوم) أم في التوجه لمكاسب العيش فهناك جملة من الأدعية نلتمسها عند الائمة جميعاً (ع) والمراد منها تعويد المتلقي (المرسَل إليه) الفرد المؤمن على أن لا تخلو أعماله اليومية من ذكر الله تعالى في دعاءٍ أو استغفارٍ أو مناجاةٍ، فهناك أدعية قبل الصلاة كما في دعاء الإمام الرضا (ع): **((اَللّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التّامَّةِ، وَالصَّلاةِ الْقائِمَةِ، بَلِّغْ مُحَمَّداً -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- الدَّرَجَةَ وَالْوَسيلَةَ، وَالْفَضْلَ وَالْفَضيلَةَ، وبِاللَّهِ اَسْتَفْتِحُ وَبِاللَّهِ اَسْتَنْجِحُ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ وَالِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ اَتَوَجَّهُ، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَاجْعَلْني بِهِمْ عِنْدَكَ وَجيهاً في الدُّنْيا وَالاْخِرَةِ، وَمِنَ الْمُقَرَّبين))**[1]

وأدعية آخرى للإمام الرضا (ع) عقيب الفرائض لطلب الرزق: **((يا مَنْ يَمْلِكَ حَوائِجَ السّائِلينَ، وَيَعْلَمُ ضَميرَ الصّامِتينَ، لِكُلِّ مَسْألَةٍ مِنْكَ سَمْعٌ حاضِرٌ وَجَوابٌ عتيدٌ، وَلِكُلِّ صامِتٍ مِنْكَ عِلْمٌ باطِنٌ مُحيطٌ، اَسْأَلُكَ بِمَواعيدِكَ الصّادِقَةِ، وَأياديكَ الْفاضِلَةِ، وَرَحْمَتِكَ الْواسِعَةِ وَسُلْطانِكَ الْقاهِرِ، وَمُلْكِكَ الدّائِمِ وَكَلِماتِكَ التّامّاتِ، يا مَنْ لا تَنْفَعُهُ طاعَةُ الْمُطيعينَ، وَلا تَضُرُّهُ مَعْصيَةُ الْعاصينَ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآل مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْني، وَاَعْطِني فيما تَرْزُقُني الْعافِيَةَ من فضلك، بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ))**[2].

وعند الخروج من المنزل: **((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، خَرَجْتُ بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِه، لا بِحَوْلٍ مِنّي وَلا قُوَّة ...))** دعاء آخر: **((بِسْمِ اللهِ خَرَجْتُ وَبِسْمِ اللهِ وَلِجْتُ، وَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّة اِلّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ))**[3] فهذه الأدعية كلّها تضمنت بيان مضامين خطابية دينية وأخلاقية تبني من شخصية الإنسان السوي المؤمن المتمسك بفرائض دينه في أصغر الأمور وأكبرها.

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٦٢.

(٢) م – ن: ٦٢ –٦٣.

(٣) م – ن: ٦٦.

ج- السلطة المعرفية (الفكرية):

وهي السلطة المتأتِّية من امتلاك المرسِل وأحاطته بأبعاد معرفية أو علمية أو ثقافية لها أثرها الفاعل في نفس المتلقي تجعل ما يتلقاه المتلقي عن هذا المرسِل منتسئ بالقّطعية والثبات والمصداقية التي تشكل سلطة معنوية لا يَسع المتلقي أمامها إلّا الإذعان والانصياع لأثرها الفكري والتأثيري وهذا ما ينطبق تماماً وبجميع آفاقه وجوانبه على أئمة أهل البيت (ع) الذين كانوا أعلم أهل زمانهم وأحقهم بخلافة الرسول (ص) وبوراثة علومه ومعارفه تشهد بذلك سيرتهم (ع) ومناظراتهم بل وما روي عن الرسول الخاتم (ص وآله) في حقهم[1]، فعلم الإمام (المرسِل) فوق علم أهل عصره ونجد لهذه السلطة المعرفية تجسيداً في أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة وسنلتمس نماذج منها في الدلالة على تواجد تلك السلطة فيها.

النموذج الأول: دعاء الإمام الرضا (ع): ((**الِهي بَدَتْ قُدْرَتُكَ، وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةٌ لَكَ، فَجَهِلُوكَ، وَقَدَّرُوكَ، وَالتَّقْديرُ عَلى غير ما بِه شَبَّهُوكَ فَأَنَا بَريءٌ -ياالِهي- مِنَ الَّذينَ بالتَّشْبيهِ طَلَبُوكَ، لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ، وَلَنْ يُدْرِكُوكَ، ظاهِرُ ما بِهِمْ مِنْ نِعْمَتِكَ دَلَّهُمْ عَلَيْكَ لَوْ عَرَفُوكَ، وَفي خَلْقِكَ ياالِهي مَنْدُوحَةٌ إنْ يَتَناوَلُوكَ، بَلْ شَبَّهُوكَ بِخَلْقِكَ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ، وَاتَّخَذُوا بَعْضَ آياتِكَ رَبّاً فَبِذلِكَ وَصَفُوكَ، فَتَعالَيْتَ يا الِهي، وَتَقَدَّسَتْ عَمّا بِهِ الْمُشَبِّهُون نَعَتُوكَ،...**))[2].

فهؤلاء الذين ذهبوا في البحثِ عن الله تعالى في عالمِ الوجودِ شبهوه بخلقهِ وقدروهُ، فلم يعرفوه، وذلك لإصرارهم على تجسيده، فلمْ يدركوا الله تعالى بالبصيرة (بصيرة القلب) فبيّن الإمام بسلطته المعرفية سبب انحراف هذه الفِرق التي شبهت الله تعالى وجسمته، لأنّهم قدروهُ، ولم يبحثوا عن قُدراتهِ العليا، فلو نظروا إلى أنفسهم وكيفية خلقهم بهذه الصورة التامة، لدّلهم ذلك على ربَّهم سبحانه وتعالى، فكان خطاب المرسِل (الإمام) في الردّ عليهم بذكر أسباب هذه القضية التي شغلت العقول كي يُغير المتلقي ويعدلَ من توجهاتِه العقلية الفكرية في هذه الشبهة فتمثلت مُعالِجة الإمام في إعلانهِ بأنّه بريءٌ منهم كي يتابعه المتلقي في ذلك خضوعاً لسلطة الإمام المعرفية.

---

(١) قال رسول الله (ص واله): ((من أحب أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين فليوال علياً بعدي وليعاد عدوّه وليأتمن بالأئمة الهداة من ولده فإنّهم خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي، وسادة أمتي، وقادة الأتقياء إلى الجنة، حزبهم حزبي، وحزبي حزب الله وحزب أعدائهم حزب الشيطان، وصلى الله على رسوله محمد واله وسلم)) أمالي الصدوق: ٢٦، رقم الحديث ٥.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠.

النموذج الثاني: دعاء (في الثناء على الله عزّ وجلّ) حيث نجد المرسِل (الإمام الجواد) يبث خطابه المعرفي في قضية توحيد الله تعالى ونفي الشريك معه في الملك وذلك بذكر الصفات الموجبة والمدُّلة على عبادتِه وتوحيدِه، وذلك في قوله: **((يَا ذَا الَّذِي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ يَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ، وَ يَا ذَا الَّذِي لَيْسَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَلَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى وَلَا فَوْقَهُنَّ، وَلَا بَيْنَهُنَّ، وَلَا تَحْتَهُنَّ إِلَهٌ يُعْبَدُ غَيْرُه))**[1]

فالإمام قدم للمرسَل إليه (السامع والقارئ) الاسباب الموجبة لعبادته وحده لا شريك له:

١- وجوده قبل كل شيء: (يَا ذَا الَّذِي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ).

٢- قدرته على خلق كلّ شيء: (ثُمَّ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ).

٣- بقاءهُ بعد فناء كلّ شيء: (ثُمَّ يَبْقَى وَ يَفْنى كُلُّ شَيْءٍ).

٤- ليس هناك إله يَعبدُ غيره: (وَ يَا ذَا الَّذِي لَيْسَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَلَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى وَلَا فَوْقَهُنَّ، وَلابَيْنَهُنَّ، وَلا تَحَتَهُنَّ، اِلهٌ يُعْبَدُ غَيْرُهُ). وهي أسباب لها قيمتها الإقناعية النابعة من المصداقية المعرفية للإمام (ع).

ودعاء آخر للإمام الجواد (ع) وهو خطاب دُعائي قصيرٌ موجزٌ ولكنه ثري عرض فيه المرسِل قضية التوحيد ونفي التشبيه لله تعالى، فأدى الفكرة واضحة للمتلقي دون شغل ذهنه بطول الخطاب فَيبْتعدُ عن الفهمِ المقصود منه كما في الدعاء الآتي: **((يامَنْ لا شَبيهَ لَهُ وَلا مِثالَ، اَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا اَنْتَ، وَلا خالِقَ اِلّا اَنْتَ، تُفْنِى الْمَخْلُوقينَ وَتَبْقى اَنْتَ))**[2].

ويمكننا أن نلمس تجلي مسألة نفي التشبيه عن الله عزّ وجلّ أيضاً في المثال التالي الذي يمثلُ حوارية وجدانية بين العبد وخالقه إلاّ أنّها تنطوي على أبعاد خطابية لها قيمتها الكبيرة من حيث سياقها التاريخي وخصوصية تلقيها ضمن سياق تلك المرحلة التي عجّتُ فيها مختلفِ مظاهرِ الصراع الفكري الدخيل أو المنحرف والذي نتج عنه مختلف الشبهات العقائدية وفي مقدمتها شبهة التشبيه والتجسيم كما في النموذج الثالث للإمام الجواد (ع) في القنوت وللإستعداء على الظالمين بعد ثناء الله تعالى: **((لا تُحيطُ الْقُلُوبُ لَكَ بِكُنْهٍ، وَلا تُدْرِكُ الْاَوهامُ لَكَ صِفَةً، وَلا يُشْبِهُكَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِكَ، وَلا يُمَثَّلُ بِكَ شَيْءٌ مِنْ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١١٧.

(٢) م – ن: ١١٧.

صَنْعَتِكَ، تَبارَكْتَ أَنْ تُحَسَّ أَو تُمَسَّ، أَو تُدْرِكَكَ الْحَواسُّ الْخَمْسُ، وأنّى يُدْرِكُ مَخْلُوقٌ خَالِقَهُ، وَتَعالَيْتَ يا اِلهي عَمّا يَقُولُ الظّالِمُونَ عُلُوّاً كَبيراً))[1].

فهذه القضايا الفكرية قد تناولها الائمة (ع) في أكثر من خطابٍ وفي أكثر من دعاء ونشهد في كلّ خطاب دعائي سواء في افتتاحية الدعاء أم ضمن فقراته التذكير والتعريف بوحدانية الله تعالى وتمجيده بصفاته العظيمة وقدراته الواسعة في لمسة باثه لإشارات تشكل خطاباً متجهاً إلى المتلقي غير المباشر يؤسس لمنظومة فكرية وعقائدية تتوافق مع الخط الإسلامي النقي الذي تَبْنى حمله ونشره أئمة أهل البيت (ع) في مواجهة الانحرافات الفكرية الآخرى.

ونقف عند نماذج آخرى تبرز فيها السلطة المعرفية في كون المرسِل (الإمام) عارفاً بِكُلِّ ما جرى من أحداثٍ على الأمم السابقة وبما سيجري في عصره وفي البعيد الأبعد، ومعرفته تمثلت ما بين أمور دنيوية حدثت قد تناساها البعض وبين أمور دينية عقائدية فتذكيره (ع) بها دلالة على خزينه المعرفي الواسع والثابت لم تغيره الأوضاع فالإمام ترجع ثقافته الفكرية والمعرفية الشاملة من (أمور الدين والدنيا وعلوم شتى) إلى سلسلة الأئمة (ع) الآباء والأجداد للمحافظة على نهج الأئمة المعرفي العقدي.

كما في النموذج الرابع: للإمام الهادي (ع) في الصلاة على النبي وآله نجد فيه الإمام الهادي (ع) يبثّ سلطته المعرفية في ذكر فضائلهم ومنزلتهم التي أكرمهم الله تعالى فَذكرها هنا لتعريف المرسَل إليه (المتلقي) وتذكيره بمنزلتهم ومكانتهم العظيمة عند الله تعالى وما عملوا من أجلِ تبليغ رسالات ربِّهم وفي المحافظة على نشر تعاليم الإسلام، وسنذكر فقرات من الصلاة للدلالة على الأحداثِ البارزةِ في حياتهم الكريمة وفي تاريخ الدين الإسلامي تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيلٍ (أي خطاب الأدعية) فقراءة أو سماع هذه الأدعية تكفي الفرد السامع والقارئ عن مُراجعة الكثير من الكتبِ المؤرخة لحياة النبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم فضلاً عن تداخل خطابه مع خطابات دينية آخرى (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) في تعزيز ما يذكره المرسِل/الإمام الهادي عليه السلام:

١- **((اَللّهُمَّ اجْعَلْ اَفْضَلَ صَلَواتِكَ وَاَكْمَلَها،...، عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَجِيِّكَ وَوَلِيِّكَ وَرَضِيِّكَ وَصَفِيِّكَ، وَخِيَرَتِكَ وَخاصَّتِكَ، وَخالِصَتِكَ وَاَمينِكَ الشّاهِدِ لَكَ، وَالدّالِّ عَلَيْكَ، وَالصّادِعِ بِأَمْرِكَ، وَالنّاصِحِ لَكَ وَالْمُجاهِدِ في سَبيلِكَ، وَالذّابِّ عَنْ دينِكَ، وَالْمُوضِحِ لِبَراهينِكَ وَالْمَهْديِّ إلى طاعَتِكَ، وَالمُرْشِدِ إلى مَرْضاتِكَ، وَالْواعي لِوَحْيِكَ وَالْحافِظِ لِعَهْدِكَ، وَالْماضي عَلى اِنْفاذِ اِمْرِكَ، المُؤَيَّدِ بِالنُّورِ الْمُضيءِ وَالْمُسَدَّدِ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٣.

بِالْأَمْرِ الْمَرْضيِّ، الْمَعْصُومِ مِنْ كُلِّ خَطَأٍ وَزَلَلٍ، الْمُنَزَّهِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَخَطَلٍ، وَالْمَبْعُوثِ بِخَيْرِ الْاَدْيانِ وَالْمِلَلِ مُقَوِّمِ الْمَيْلِ وَالْعِوَجِ، وَمُقيمِ الْبَيِّناتِ وَالْحُجَجِ...))[1]

٢- **((اَللهُمَّ وَصَلِّ عَلى وَلِيِّكَ، وَدَيّانِ دينِكَ، وَالْقائِمِ بِالْقِسْطِ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّكَ عَلي بْنِ اَبي طَالِبٍ اَميرِ الْمُؤْمنينَ وَاِمامِ الْمُتَّقينَ، وَسَيِّدِ الْوَصيّينَ وَيَعْسُوبِ الدّينِ، وَقائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلينَ، وَقِبْلَةِ الْعارِفينَ وَعَلَمِ الْمُهْتَدينَ، وَعُرْوَتِكَ الْوُثْقى، وَحَبْلِكَ الْمَتينِ...))**[2]

٣- **((اَللهُمَّ وَصَلِّ عَلى الطّاهِرَةِ الْبَتُولِ الزَّهْراءِ، اِبْنَةِ الرَّسُولِ، اُمِّ الْاَئِمَّةِ الْهادينَ، وسَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمينَ، وارِثَةِ خَيْرِ الْاَنْبِياءِ، وَقَرينَةِ خَيْرِ الْاَوْصِياءِ، الْقادِمَةِ عَلَيْكَ مُتَأَلِّمَةً مِنْ مُصابِها بِابيها، مُتَظَلِّمَةً مِمّا حَلَّ بِها مِنْ غاصِبيها، ساخِطَةً عَلى اُمَّةٍ لَمْ تَرْعَ حَقَّكَ في نُصْرَتِها، بِدَليلِ دَفْنِها لَيْلاً في حُفْرَتِها، الْمُغْتَصَبَةِ حَقُّها، الْمُغَصَّصَةِ بِريقِها))**[3]

النموذج الخامس: للإمام المهدي (عج) (في دعاء الندبة)[4] نلمس سلطة المرسِل المعرفية فهي سلطة متحققة عند (الإمام) لأنّه إمام ومعرفته أوسع من كُلّ أهل عصره وكونه دُعاءً وارداً عن (الإمام الغائب المنتظر عج) فذكره لإشارات تخص الانبياء والائمة دلالة على أنّه الإمام الثاني عشر وأنّه على علمٍ بِكُل ما جرى على الانبياء والائمة، فهناك من يشكك بوجود إمام غائب عن نظرنا، فخطابه الدعائي هذا، هو في نُدبهِ لتعجيل الفرج بصياغةٍ وجدانية تُخاطب القلوب وتستهويها النفس وترشد العقل للصواب فما من قارئ وسامع للدعاء يمكنه أن يصمد أمام هذه الصياغة الفنية التي عملت على تغليف الدعاء بلمسة الشعور الوجداني المُحمل بالإشارات المعرفية.

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٧.

(٢) م – ن: ١٦٩-١٧٠.

(٣) م – ن: ١٧٠-١٧١.

(٤) م – ن: ٣١١ – ٣٢٠.

د- السلطة السياسية والاجتماعية:

وهي السلطة التي يمارسها صاحب السلطة الشرعية أي المعترف بها في القانون بتفويضٍ من المجتمع ليكون رئيساً عليهم في إدارة أحوالهم الاجتماعية والسياسية والخضوع لقواعده وقوانينه لتنظيم المجتمع على وفق المصلحة العامة[١] ونشهد أن الأئمة في الصحيفة الرضوية المباركة استمدوا هذه السلطة بإقرار وتفويض إلهي وبتفويضٍ من بعض مجتمعهم (الموالين) الذين أسلموا للإرادة الإلهية كما في حادثة غدير خم ويوم المباهلة بإعلان الولاية للإمام علي بن أبي طالب علي السلام وأولاده المعصومين (ع)[٢] لإدارة أمور المسلمين الدينية (كما مرّ بنا سابقاً) والدنيوية، فلابدّ من الالتزام بكلّ ما يصدر عنهم من تعليمات وتوجيهات، رغم منعهم (ع) عن ممارسة سلطتهم السياسية والاجتماعية من قبل ساسة العصر الذين أعلنوا سلطتهم الشرعية بالقوة والأخذ، إلا أن الأئمة (ع) لم يتركوا فرصة إلا بثوا فيها تعليماتهم وتوجيهاتهم عن طريق أتباعهم والمقربين منهم.

وهذا ما نلمسه في النموذج الآتي من دعاء الإمام العسكري (ع) في القنوت: ((**اَللّهُمَّ وَقَدْ شَمِلَنا زَيْغُ الْفِتَنِ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْنا عَشْوَةُ الْحَيْرَةِ وَقارَعَنَا الذُّلُّ وَالصَّغارُ، وَحَكَمَ عَلَيْنا غَيْرُ الْمَأْمُونينَ عَلى دينِكَ وَابْتَزَّ أُمُورَنا مَعَادِنُ الْأُبَنِ مِمَّنْ عَطَّلَ حُكْمَكَ، وَسَعَى فِي إِتْلَافِ عِبَادِكَ وَإِفْسَادِ بِلَادِكَ اللَّهُمَّ وَقَدْ عَادَ فَيْئُنَا دُولَةً بَعْدَ الْقِسْمَةِ، وَإِمارَتُنَا غَلَبَةً بَعْدَ الْمَشُورَةِ وَعُدْنَا مِيراثاً بَعْدَ الِاخْتِيَارِ لِلْأُمَّةِ، وَاشْتُرِيَتِ الْمَلَاهِي وَالْمَعَازِفُ بِسَهْمِ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ (وَرَعى في مالِ اللهِ مَنْ لا يَرْعى لَهُ حُرْمَةً) وَحَكَمَ فِي أَبْشَارِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُ الذِّمَّةِ، وَوَلِيَ الْقِيَامَ لِلْيَتِيمْ بِأُمُورِهِمْ فَاسِقُ كُلِّ قَبِيلَةٍ، فَلَا ذَائِدَ يَذُودُهُمْ عَنْ هَلَكَةٍ، وَلَا رَاعٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، وَلَا ذُو شَفَقَةٍ يُشْبِعُ الْكَبِدَ الْحَرَّى مِنْ مَسْغَبَةٍ، فَهُمْ أُولُوا ضَرَعٍ بِدَارِ مَضِيعَةٍ، وَأُسَرَاءُ مَسْكَنَةٍ، وَخُلَفَاءُ كَآبَةٍ وَذِلَّةٍ اللَّهُمَّ وَقَدِ اسْتَحْصَدَ زَرْعُ الْبَاطِلِ، وَبَلَغَ نِهَايَتَهُ، وَاسْتَحْكَمَ عَمُودُهُ، وَاسْتَجْمَعَ طَرِيدُهُ وَخَذْرَفَ وَلِيدُهُ، وَبَسَقَ فَرْعُهُ وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ...**))[٣] فنجد الإمام بَثّ لنا في خطابهِ الدُعائي أهمّ المرتكزات البارزة في الحكومة الفاسدة، وذلك لأجل تنبيه المحكومين (المجتمع) وخاصة الموالين لآل البيت (ع) بأنَّ إتباعِهمْ لهذه الحكومة وسياستها الفاسدة، يُعد مشاركاً معها في الفساد، وبيّن لهم وجه

---

(١) ينظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية: ٦٧٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران: ٦١.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٣٠-٢٣٢.

الحكومة العادلة التي ستقام في عهد الإمام المنتظر (عج) وذكر حال المجتمع في حكومته العادلة كما موضحاً في الجدول الآتي للدعاءِ:

الحكومة الفاسدة	الحكومة العادلة
اَللهُمَّ وَقَدْ شَمِلَنَا زَيْغُ الْفِتَنِ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْنَا عَشْوَةُ الْحَيْرَةِ وَقَارَعَنَا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ، وَحَكَمَ عَلَيْنَا غَيْرُ الْمَأْمُونِينَ عَلى دينِكَ وَابْتَزَّ أُمُورَنَا مَعَادِنُ الْأُبَنِ مِمَّنْ عَطَّلَ حُكْمَكَ، وَسَعَى فِي إِتْلَافِ عِبَادِكَ وَإِفْسَادِ بِلَادِكَ اللَّهُمَّ وَقَدْ عَادَ فَيْئُنَا دُولَةً بَعْدَ الْقِسْمَةِ، وَإِمَارَتُنَا غَلَبَةً بَعْدَ الْمَشُورَةِ وَعُدْنَا مِيرَاثاً بَعْدَ الِاخْتِيَارِ لِلْأُمَّةِ، وَاشْتُرِيَتِ الْمَلَاهِي وَالْمَعَازِفُ بِسَهْمِ الْيَتِيمِ وَ الْأَرْمَلَةِ...	**وَأَسْفِرْ لَنَا عَنْ نَهَارِ الْعَدْلِ، وَأَرِنَاهُ سَرْمَداً لَا ظُلْمَةَ فِيهِ، وَنُوراً لَا شَوْبَ مَعَهُ، وَأَهْطِلْ عَلَيْنَا نَاشِئَتَهُ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا بَرَكَتَهُ، وَأَدِلْ لَهُ مِمَّنْ نَاوَاهُ، وَانْصُرْهُ عَلَى مَنْ عَادَاهُ، اللَّهُمَّ وَأَظْهِرْ بِهِ الْحَقَّ، وَأَصْبِحْ بِهِ فِي غَسَقِ الظُّلَمِ وَبُهَمِ الْحَيْرَةِ، اللَّهُمَّ وَاَحْيِ بِهِ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ، وَاجْمَعْ بِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُتَفَرِّقَةَ وَالْآرَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَأَقِمْ بِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ، وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ، وَأَشْبِعْ بِهِ الْخِمَاصَ السَّاغِبَةَ وَأَرِحْ بِهِ الْأَبْدَانَ الْمُتْعَبَةَ...**

ففي خطابه حول الحكومة الفاسدة انتقد الإمام السياسة الظالمة القائمة رغم سطوة الدولة الحاكمة، فقوة خطابه متأتية من مكانته ومركزه الاجتماعي لكونه (الإمام الولي) صاحب السلطة الشرعية الإلهية فقدَّمَ بانتقادهِ للدولة الحاكمة وصفاً لمّا قامت به من أعمال أبعدتْ المجتمع عن أحكام الدّين وألْهَتْهمْ بمُلذات الدنيا (واشتريت الملاهي والمعازف) وهذا الخطاب لا يحتاج إلى التوضيح، فكلماته وألفاظه وطريقة نظمها سهلة واضحة ليس فيها ما يحتاج للتأويل وإنما الكلّ يفهمهُ ويفهم قصد الإمام(ع) المُجّسد في (أيقاظ الأمة من الغفلةِ).

وفي نموذج آخر للإمام العسكري (ع) لطلب قضاء الحوائج، نَجد في داخل الدعاء معالم خطاب في انتقاد السلطة الحاكمة: ((**إِنَّهُ قَدْ عَلَا الْجَبابِرَةُ فِي أَرْضِكَ، وَظَهَرُوا فِي بِلادِكَ، وَاتَّخَذُوا أَهْلَ دِينِكَ خِوَلاً، وَاسْتَأْثَرُوا بِفَيءِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنَعُوا ذَوَى الْحُقُوقِ حُقُوقَهُمْ، الَّتِي جَعَلْتَها لَهُمْ، وَصَرَفُوها فِي الْمَلاهِي والْمَعازِفِ وَاسْتَصْغَرُوا آلاءَكَ، وَكَذَّبُوا أَوْلِياءَكَ، وَتَسَلَّطُوا بِجَبْرِيَتِّهِمْ لِيُعِزُّوا مَنْ أَذْلَلْتَ، وَيُذِلُّوا مَنْ أَعْزَزْتَ، وَاحْتَجَبُوا عَمَّنْ يَسْأَلُهُمْ حاجَةً، أَوْ مَنْ يَنْتَجِعُ مِنْهُمْ فائِدَةً**))[1]

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢١٣.

فهذا الدُعاءُ يَصْدرُ حكماً وتقييماً للحكوماتِ الظالمةَ المُستبدةَ في زمن الإمام العسكري (ع) وإعلاناً مضاداً يكشف للمتلقي المعاصر في سياقهِ التاريخي وللمتلقي في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، طبيعة الحكم في هذه الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية وأنّها حكوماتٌ ظالمةٌ للعبادِ، وبعيدةٍ عن تَعالِيَمْ الدّين الإسلامي **(وَاسْتَأْثَرُوا بِفَيءِ الْمُسْلِمينَ، وَمَنَعُوا ذَوَى الْحُقُوقِ حُقُوقُهَمْ، الَّتي جَعَلْتَها لَهُمْ، وَصَرَفُوها في الْمَلاهي والْمَعازِفِ وَاسْتَصْغَرُوا آلاءَكَ، وَكَذَّبُوا أَوْلِياءَكَ،...)** فقيمة التصديق الإخباري لهذه الإشارات الخطابية التي اشتركت في بَثِّها الكثير من أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة متأتية من السلطة المعرفية التي يتقلد بها أئمة أهل البيت (ع) الذي لا يستطيع أحد أن ينكر مكانتهم العلمية والدينية.

وخلاصة ذلك إذن للمرسل سلطةٌ تَخولهُ للحديث في أيِّ موضوعٍ كان، ولكي يتمكن من فرض سلطته على الطرفِ الآخر يَتطلبُ منه تمكنه من سلطة اللغة حيث إنّ اللغة بقواعدها ومقاييسها تعدّ بمثابةِ سلطةٍ، وما على الجميع إلّا التمسك بقواعدها حتى يضمن المسير على وفق اللغة المتعارف عليها عند الطرفِ الآخر، فتغيير بعض أساليب اللغة باستعمالها في محلٍ آخر غير المحلِ الأصلي لها في اللغة تدلّ على تمكن المرسل من اللغة وإعلانه على تملكه للغة وأساليبها فضلاً عن أهمية المكانة الاجتماعية للمرسل فهي تعتبر الوجهة المساندة لسلطته في الخطاب وإخضاع الآخر لخطابه دون نقاش. وقد مرّ بنا معالجة البحث لتمظهر سلطة المرسِل في الخطاب سواء أكانت الخارجية منها أم الداخلية فنجد قد تعاضدتْ السلطتانِ (الخارجية والداخلية) في ابراز الخطاب الدُعائِي.

المبحث الثاني

سلطة المرسَل إليه

مرّتَ بنا سابقاً في المبحث الأول سلطة المرسِل ودوره في عملية التوصيل وعلاقاته مع بقية عناصر العملية، وأما المرسَل إليه فهو الطرف الثاني في عملية التوصيل الذي يوجه إليه المرسِل خطابه عمدا أو وهو الشخص الذي يستقبل رسالة المرسِل ويقوم بفك تلك الرسالة(١)، وقد تعددت المصطلحات المستعملة– من قبل النقاد– في الدلالة على المرسَل إليه(٢) وهي كلّها تقصد الشخص الذي يستقبل النص أو الرسالة ويعمل على تفكيك رموزها لفهمها وتأويلها(٣) لينتج النص بصورته المنفتحة على تعدد دلالاتها فكُلِّ شخصٍ يستقبل النص وخاصة (النص الأدبي) يعمل على تأويله بحسب فهمه ومعرفته لذلك النص والجنس الذي يحويه، وموضوعه الذي يرغب في إيصاله.

فالوظيفة التي يقوم بها المرسَل إليه، وهي– كما حدّدها له (رومان جاكبسون) في نظرية التوصيل– هي الوظيفة الإفهامية التي تسعى لإفهامه مضمون الرسالة أو التأثير فيه(٤)، فكما إن المرسِل وظيفته انفعالية– تعبيرية، أي هو الذي يقوم بعملية بناء وتركيب العمل الأدبي والتعبير فيه عن انفعالاته وأحاسيسه تجاه الموضوع أو الحدث الذي يرغب في إيصاله إلى الطرفِ الآخر(المرسَل إليه) كذلك يقوم المرسَل إليه بدورٍ إفهامي في فهم رسالة أو مضمون العمل الأدبي وتفكيكها من بنيتها الفوقية (اللغوية) إلى البنى العميقة (الدلالات الكامنة والخفية) وتتجسد هذه الوظيفة الإفهامية أو الخطابية في الرسالة أو النص بصيغة الدعاء والأمر وغير ذلك من الأساليب المماثلة المعبرة عن دور المرسَل إليه في فهم الرسالة(٥) وفي متن دراستنا (الصحيفة الرضوية الجامعة) فإنّ الوظيفة الإفهامية متجسدة في خطابات

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٧، وينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو: ١٦٤.

(٢) ينظر: معجم مصطلحات النقد الحديث: ١٤٠/١، وينظر: الأسلوبية والأسلوب: ١٣٣، وينظر: نظرية الاستقبال، مقدمة نقدية، روبرت سي هول، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد: ٧١– ١٠٢، وينظر: نظرية الأدب في القرن العشرين، ك. م نيوتن، ترجمة: د. عيسى علي العاكوب: ٢٣٠– ٢٤٢.

(٣) ينظر: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، عبد الناصر حسن محمد: ٦٥.

(٤) ينظر: معجم مصطلحات النقد الحديث: ١٤١/١.

(٥) ينظر: الأسلوبية والأسلوب: ١٥٨– ١٥٩.

الأدعية العقدية (العقائدية) والأخلاقية والسياسية، وبأساليب لغوية كحرف النداء (يا) فهو حرف يعمل على شدِّ ذهن المرسَل إليه لسماع ما يأتي بعده من عبارة ومعرفة مضمونها كما في الدعاء الآتي: ((**يا خَيْرَ مَدْعوًّ، يا خَيْرَ مَنْ أعْطى، يا خَيْر مَنْ سُئِلْ، يامَنْ أضاءَ بِاسْمِهِ ضَوْءُ النَّهارِ، وَأظْلَمَ بِهِ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَسالَ بِإسْمِهِ وَابِلُ السَّيْلِ، وَرَزَقَ أوْلياءَهُ كُلَّ خَيْرٍ، يا مَنْ عَلا السَّماواتِ نورُهُ، وَالارضَ ضوءُهُ، وَالشَّرْقَ وَالغَرْبَ رَحْمَتُهُ، يا واسِعَ الجودِ...**))[1]

ففي هذا المقطع من الدعاء نجد تكرار حرف النداء (يا) مع عبارات كُلّها متسلسلة ومترابطة لإفهام السامع والقارئ بأن (الله عزّ وجلّ) ليس هناك أحدٌ أرحمٌ منه وأرأف بعبادهِ فهو المدعو والمُعطي والمسؤول... فهذا التكرار (يا) يعمل على شد انتباه السامع والقارئ لفهم كلّ عبارة وتواصلها مع الأُخرى، فضلاً عما لها من دورٍ في خلق الإيقاع الصوتي، الذي يثير حالة من الإثارة العاطفية. ومثله أيضاً تكرار عبارة (اَللهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلهُ) و(اَللهُمَّ) في مقاطع الأدعية وفقراته وهي صيغ عبارية متكررة لقصد تنبيه السامع والقارئ للتهيئة لسماع الجمل المضمونية بعدها– وهذا ما سيقف عنده البحث لاحقاً مفصلاً الكلام عنه والأمثلة عليها كثيرة؛ لكون تلك العبارات خاصة في بناء الأدعية، فضلاً عن تكرار بعض الأساليب الطلبية فمثلاً نجد في (دعاء الندبة)[2] تكرار (أين) لها دور في استمرار القارئ على المتابعة والاصغاء للدعاء؛ لكونه يستعرض حقائق متسلسلة وصادقة تخص (المتلقي المؤمن الموالي) ولها علاقة بدينه وأوليائه، ونشهد في دعاء (في أيام الغيبة) للإمام المهدي (عج) تكرار (اَللهُمَّ) في الحديث عن موضوع واحد فنجد في الفقرة الواحدة ترابطاً وانسجاماً، كما في المقطع الآتي: ((**اللَّهمَّ عَرِّفني نَفْسَكَ، فَانَّكَ إنْ لَمْ تُعرِّفْني نَفْسَكَ لَمْ أعرِفْ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْني رَسُولَكَ، فَإنَّكَ إن لَمْ تُعرِّفْني رَسولَكَ لَمْ أعرفْ حُجَّتَكَ ، اللَّهُمَّ عَرِّفْني حَجّتَكَ فَإنَّكَ إن لَمْ تُعرِّفْني حُجّتَكَ ضَلَلْتُ عَن دِيْني**))[3]

ففي هذا المقطع القصير عرض لنّا الإمام الوجهة الصحيحة للإسلام وهي الايمانُ بالله عزّ وجلّ وبرسولهِ وبالإمام الحُجَّة على المسلمين فهو الولي والخليفة من بعد الرسول، فهذا هو الايمانُ الحقُ والمعرفةُ التامةُ والكاملةُ، وهنا يبدأ المتلقي بمحاورة نفسه لمعرفة ما المقصود من ذلك ويبدأ بمحاولة الوصول إلى قصد ومضمون الدعاء وهكذا نجد فقرات الدعاء مترابطة مع بعضها البعض ومنسجمة مع الفقرات التالية للدعاء، وهذا ما لمسناهُ في بناء أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة خاصة، فهذه الأساليبُ المتبعةُ في الدعاءِ تَدلُّ على الوظيفةِ الإفهاميةِ ولكن بطريقة مغايرة تماماً عن بقية النصوص الخطابية

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١١٤.

(٢) م – ن: ٣١١ –٣٢٠.

(٣) م – ن: ٣٢٠ –٣٢٦.

التي تكون فيها الوظيفة الإفهامية واضحة للعيانِ بالوسائلِ والأساليبِ المعروفة (صيغ الأمر وصيغ الدعاء).

فالمرسَل إليه يقوم بدوره الوظيفي سواء بأساليب تَدُّلُ على تلك الوظيفةَ التي تتطلب منه دلالة على فهمه إنجاز عمل ما أو يصل إلى فهم فحوى الخطاب من النص كاملاً، وأما في الخطاب الدعائي فالمرسِل (الإمام) يَصوغُ الدعاءَ بطريقةِ المحاورةِ (ذات الصوت الواحد) فهو الذي يدعو ويأمر وينهى ولكن بطريقةٍ غير مباشرةٍ القصد منها هو إفهامُ المرسَل إليه، ما يدعو إليه الإمام من حثٍّ على التزام أوامرِ ما ونهيٍّ عن أوامر وأفعال أخرى وهكذا فحينما تُسجل الوظيفةُ الإفهاميةُ قدراً لابأسَ بهِ من التواجدِ في رسالةِ المبدعِ، فإنّها تكون ادعى لِجلب انتباه المرسَل إليه نحوها، فَيحَقْقُ المرسلُ ما يبتغيهِ من الاهتمام برسالتهِ[١].

ولكي نُشرع في دراسة سلطة المرسَل إليه في الخطاب وكيفية تمظهرها في الخطاب الأدبي؟ ومن أين يستمدها؟ نقف الآن وقفة غير مطّولة تُسهم في دراسةِ سلطةِ المرسَل إليه، ألا وهي دراسة علاقة المرسَل إليه مع بقية عناصر عملية التوصيل، وعلى أساسها يمكن لنا أن نستند على مفهوم أولي لسلطته وتمظهرها في الخطاب الأدبي.

أولاً: علاقة المرسِل إليه مع بقية عناصر عملية التوصيل:

وسنذكر ابرز العلاقات التي تتضح عبرها سلطة المرسِل إليه

أ- علاقة المرسَل إليه مع المرسِل وهو الطرف الأول المنشئ والمنتج للخطاب الأدبي (النص الأدبي) فهو الذي أنتجه بصياغةٍ وتركيبٍ وبناءٍ مخصوصٍ يَدلُّ على قدرِ سلطتهِ في الخارجِ وتجسدها في داخل نصه الأدبي[٢]، وأما المرسَل إليه، فهو الطرف الثاني الذي لا يقل أهمية عن الطرف الأول (المرسِل)؛ إذ لولا وجوده لمّا أنشأ المرسِل نصه (رسالته)، فهو الطرفُ المقابلُ للمرسلِ والذي بدورهِ تتمّ حقيقة أو فعلية إنتاج النص الأدبي مرة آخرى، فهو ينتجهُ أيضاً من خلال دورهِ في عملية فهم معنى النص وتأويله وخاصة في النص الذي يقبل أكثر من دلالة واحدة[٣] فالتأويل والتفسير عمليتان يقوم بهما المرسَل إليه، وهما تدلانِ على مشاركة المرسَل اليه في إنتاج النص الأدبي أي إنتاج دلالاته وتأويلها.

(١) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ٨٨.

(٢) ينظر: المبحث الأول: ١٢٢-١٤٥.

(٣) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ٨٩.

فعلاقه المرسَل إليه بالمرسِل هي علاقة حضور وهيمنة ذهنية وهذه العلاقة تَدلُّ على أنّ في ذهنِ كُلّ شخصِ مرسِل صورة للمرسَل إليه (الشخص المتلقي) لنصه الأدبي، وفي هذه العلاقةُ نلمس أُولى ملامح الحضور لسلطةِ المرسَل إليه في الخطاب الأدبي، فحضوره في مُخيلة المرسِل تدلّ على تَدخلهِ بطريقةٍ غير معلنةٍ في إنتاجِ النصِ الأدبي، ونلمس ذلك، عندما يُقْدم المرسِلُ على إنتاج نصه على قدرِ عقل متلقيه (المرسَل إليه) وثقافته ليحصل التفاعل ويكسب استمالة المتلقي ورضاه. وهذه العلاقة يمكن تسميتها بعلاقة تلازم، فما دام للمرسَل إليه حضور في ذهن المرسِل فهو ملازم له في عميلة الإنتاج، بدءاً من مرحلةِ حضورِ نصهِ فكرة مجردة في ذهنه ووصولاً إلى مرحلته النهائية (المكتوبة، المنطوقة، المسموعة)[1] في مرحلة إنتاج النص:

علاقة تلازم ⟷ المرسِل ⟵ الرسالة

المرسَل إليه

وفي مرحلة التلقي للإنتاج الأدبي نشهد استقرار الاطراف الثلاثة في مكانهما المحدد لهما في عملية التوصيل:

المرسِل ⟵ الرسالة ⟵ المرسَل إليه ⟵ الطرف المشارك في إنتاج تأويلات الرسالة.

ب- علاقته مع الرسالة، وعلاقته بالنص تبدأ قبل تلقيه وبعده، وأما علاقته الأولى (القبلية) فهي عملية انتقاء، فالمرسَل إليه (المتلقي) هو الذي يقوم بانتقاء، أي باختيار الرسالة الإبداعية أي (العمل الأدبي) فالمرسِل ينتج مختلف الرسائل الإبداعية باختلاف أجناسها الأدبية وباختلاف المرسِلين، وما على المرسَل إليه سوى اختيار النص الذي يقرؤه، وذلك على وفق أمور تتحكم وتتدخل في علاقته الانتقائية ومنها: "أمور تتعلق بالمرسِل- أي أحكام وانطباعات المرسَل إليه عن ذلك المرسِل، وأمور تتعلق بالرسالة مثل: (زمنها وجنسها الأدبي، وموضوعها، ولغتها، ووسيلة نقلها وتوصيلها)، وأمور تتعلق بالمرسَل إليه (مثل عمره، وثقافته، وحالاته النفسية، وجنسه،...) فقد ينتقي المرسَل إليه في شبابه مالا ينتقيه في مراحل متأخرة، وقد ينتقي في معرفته وبعد تعلمه ما لم ينتقيه في جهله"[2] وهكذا.

(١) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ٨٩ – ٩٠.

(٢) م – ن : ٩٠ .

بينما علاقته بالرسالة بعد تلقيها هي علاقة (إيجاد وبعث)، أو علاقة إنتاج لها مرة ثانية، فكما أنّ المبدع هو المسؤولُ الأولُ عن إنتاجِ نصه الأدبي وإيصاله إلى المرسَل إليه، فكذلك يتسنى للأخير (المرسَل إليه) فرصة متاحة لبعث دلالات النص الأدبي وإنتاجها مرة ثانية فينظم فهمه للنص على وفق أسلوبه وطريقته في الكشفِ عن دلالاتِ المعنى للنص الأدبي، فبعدما يتلقى النصَ الأدبيَ يَعيدُ إليه الحياةَ مرةً أُخرىَ، وتتحقق بفضلِ تلقيهِ فاعلية المرسَل إليه عندما يعبر عن معنى النص ويسهم في إنتاجه أيضاً[1] وهذه العلاقة الثانية التي يَنطلقُ منها البحثُ مرةً أُخرى للحديثِ عن سلطةِ المرسلِ إليه وسنشير إليها لاحقاً بعدما نَنجِزُ حديثنا عن علاقات المرسَل إليه بالعناصر الآخرى.

ج– والعلاقة الأخيرة للمرسَل إليه بقناة الاتصال، و "هي علاقة تحديد لأنّ المرسَل إليه يُعد محدداً من محددات اختيار القناة، فكثيراً ما يختار المرسِل القناة أي الوسيلة والطريقة التي يرغب في إيصال رسالته بعد الأخذ بنظر الاعتبار المرسَل إليهم الذين يتوجه إليهم برسالته. فعلى حسب طبيعة المرسَل إليهم– من ناحية عددهم ومن ناحية مستوى تعلمهم وبأية وسيلة يرغبون في عرض وجهات النظر وآراء الآخرين ونقلها إليهم وغير ذلك– تُحدَّدُ القناةُ الناقلةُ والموصلة للرسالة [2]. وهنا نلمح جانباً من سلطة المرسَل إليه، المتمثلة باهتمام المرسِل بـ(المرسَل إليه) وطبيعته وكيف يرغب في الاتصال معهُ لعرض أفكاره وآرائه ووجهات نظره وسنقف عند هذا الجانب من سلطته لاحقاً.

فمن خلال ما استعرضناه سابقاً في الحديث عن علاقات المرسَل إليه بعناصر نظرية التوصيل، يتضح معنّا أن للمرسَل إليه دوراً وأهمية بارزة في إنتاج العمل الأدبي وتأويله لا يقل عن الطرف المرسِل، فهو الطرف المقابل له وسلطته متحققة من خلال علاقاته التي وقفنا عندها سابقاً. فيمكننا أن نلمس سلطة المرسَل إليه من خلال عدة علاقات الأولى: علاقته مع المرسِل، والثانية: علاقته مع الرسالة، وعلاقته الثالثة: علاقته مع قناة الاتصال والتي تتداخل مع العلاقات المذكورة سابقاً.

(١) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث:: ٩٠.

(٢) ينظر: م – ن: ٩٩– ١٠٠.

ثانياً: آفاق سلطة المرسَل إليه في العمل الأدبي :

وسنحاول أن نفصل القول هنا في آفاق سلطة المرسَل إليه عبر محورين مقترحين يراهما البحث أنسب أشكال سلطة المرسَل إليه/المتلقي المتجلية في الصحيفة الرضوية المباركة وهما:

المحور الأول: وهو تَمثلٌ لعلاقة المرسَل إليه بالمرسِل (علاقة حضور وتلازم) فتتمثل سلطته في الخطاب عندما يُرَاعَي المرسِل طبيعة المرسَل إليه وأحواله (النفسية والعاطفية والاجتماعية ...).

المحور الثاني: تتمثل سلطته هنا بعد تلقيه للخطاب الأدبي وذلك عند ممارسته لعملية التفسير والتأويل للنصوص الأدبية وذلك ما نادت به نظرية التلقي مع رائديها (ياوس وآيزر) واهتمامها الكبير بدور المتلقي في إنتاج دلالات النصوص، ويمكن وضع ترسيمه للمحورين:

المحور الأول: المرسل ← الرسالة

المرسل ↓ ← الرسالة

المرسَل إليه

المحور الثاني: المرسل ← الرسالة ← المرسل إليه الطرف المشارك في إنتاج تأويلات الرسالة.

ويتمثل المحور الأول عبر علاقة التلازم والحضور بين (المرسِل والمرسَل إليه) وتتجلى سلطته في مراعاة المرسِل للمرسَل إليه في بناءِ العمل الأدبي وصياغته شكلاً ومضموناً، بينما يتمثل المحور الثاني عبر علاقة المرسِل إليه بالرسالة في ممارسة القراءة والتلقي، عند قراءته وفهمه للرسالة وعند إنتاجه المعنى أي صياغة المعنى في نصٍ موازٍ أو متجاوز للنص الأصلي والكشف عن مقاصد المرسِل، فتتجلى سلطة المرسَل إليه عند هذا المحور في مشاركته لإنتاج وتوليد المعنى للنص الأدبي الأصلي، مما يتضح معنًا: في أنّ النص الأدبي هو الملتقى لسلطتين[1]، هما المرسِل والمرسَل إليه، فكلاهما تتداخل سلطتهما في إنتاج النص وتأويله.

وما يَهُمنّا هنا– في بحثنا هذا– هو سلطةُ المرسِل إليه وتأثيره على المرسِل (قبل إنتاج النص واثناء عملية الإنتاج) وعلى النص (بعد إنتاجه) والتي قد تتجلى في أمور وجوانب عديدة تَتبعُ طبيعةَ الوظيفةَ التي يمارسها المرسِل، وما يمكن أن يراعيه في تكوينه المرسَل إليه وما يشده أو يثيره منها. سواءً

(١) ينظر: الخطيئة والتكفير: ٨١.

أكانت وظيفة المرسِل وظيفة امتاعية جمالية. فنراعي– من ثم– جوانب التكوين الثقافي والسايكولوجي لدى المتلقي، أم كانت وظيفة توجيهية اصلاحية فتضع نصب أعينها الجوانب التربوية والأخلاقية والقيمية التي تتشكل من خلالها تركيبة المرسَل إليه أو المتلقي.

وقد لمسنا أن الوظيفة الثانية (التوجيهية والاصلاحية) هي المتجلية بشكل طاغٍ في ثنايا أدعية الصحيفة المباركة توافقاً مع طبيعة الوظيفة الاصلاحية والتوجيهية التي يحملها أئمة أهل البيت (ع) تجاه الأمة الإسلامية ومتابعة انحرافاتها الفكرية والعقدية والأخلاقية. ولذلك كانت علاقة المرسِل بالمرسَل إليه في حدود هذه الوظيفة– علاقة تلازم وحضور سنحاول أن نفصل القول فيها من خلال المحاور الآتية.

المحور الأول: سلطة المرسَل إليه في مرحلة إنتاج العمل الأدبي:

تتمثل سلطة المرسَل إليه هنا في علاقته المتلازمة مع المرسِل وحضوره في ذهنه، وذلك بدءاً من مرحلةِ تفكيرِ المرسلِ بالعملِ الأدبي وكيفية صوغه إلى مرحلة إبداع فكره وآرائه في نصٍ مكتوباً كان أم منطوقاً، أي في اثناءِ التفكير بالنص الأدبي، وفي مرحلة إنتاجه بشكله النهائي، فضلاً عن أنّ المرسل هو الذي يقوم ببناء وتركيب النص الأدبي أو أيّ نص آخر، فهو يتضمن رسالة ما للطرف الآخر (المرسَل إليه) أي "إنّه لا يوجد إبداع أدبي بلا متلقٍّ (المرسل إليه)"[١].

وكما ذكرت في المبحث الأول (سلطة المرسِل) على أنه يمتلك سلطة كاملة على النص الأدبي بدءاً من اختيارهِ لمفردات والفاظ وتكوين عبارات وجمل وانتهاء ببناء النص بالشكلِ النهائِي (المنطوق أو المكتوب)[٢].

إلّا أننّا نجد في مرحلة إنتاج النص الأدبي تجّسداً لسلطة المرسَل إليه عبر بناء النص، فالمرسِل لا يمكن أن ينفلت أو يتهرب من تلازم المرسَل إليه– الطرف المقابل له في عملية الاتصال، والمتدخل في صوغ النص أو الأثر الأدبي[٣].

إذن كيف يمكن أن نحدد أو نقف عند مواقع وملامح تجسد سلطة المرسَل إليه في الخطاب الأدبي؟ يمكن لنا أن نلمس تلك المواقع أو الملامح المجسدة لسلطته في مرحلة بناء النص الأدبي وإنتاجه وذلك من خلالِ مراعاة المرسِل لطبيعة المرسَل إليه وأحواله وهذا الموضوع قد شغل الفكر البلاغي

(١) البلاغة والأسلوبية: ٢٤٥.

(٢) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي: ١٥٥.

(٣) ينظر: التقويل النقدي المعاصر للتراث النقدي والبلاغي عند العرب ، أحمد رحيم الخفاجي: ٢٣٠.

والنقدي العربي القديم في اهتمامهم بدراسة مراعاة مقتضى الحال ويقصد بـ(الحال) هنا حال المخاطَب/المرسَل إليه[١]، إلى جانب اهتمام مفكري الغرب أيضاً بهذا الطرف المهم من أطراف العملية التواصلية فضلاً عن الدراسات الحديثة الأسلوبية واللسانية التي توسعت في بحثِ احوالِ المتلقي. ومن تلك الدراسات الحديثة نقف عند دراسة د. محمد العمري (في بلاغة الخطاب الاقناعي)[٢]، نجده قد تحدث عن سلطة المرسَل إليه وخصص لها الفصل الثاني من كتابه، ولكن عبر عنها بمصطلح مراعاةَ أحوالَ السامعينَ والمتلقينَ للخطابةِ ومازجَ ما بين آراء الفلسفة اليونانية ومنهم أرسطو وبين آراء العرب البلاغيين ومنهم مثلاً الجاحظ، فأول ما يجب على الخطيب "أن يعرف الأحوالَ العاطفيةَ لمستمعيهِ من غضبٍ ورحمةٍ وخوفٍ، وما يصحبها من لذةٍ وألمٍ حسب الأعمار والطبقات، حتى يمكنه الوصول إلى قناعاتهم،..."[٣].

ويتوسع الدكتور العمري في عرضِ الشواهدَ التي تشير إلى مراعاةِ أحوالَ السامعينَ مستشهداً ببعضِ نصوص الجاحظ في هذا المجال منها قوله في (البيان والتبيين) "وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً، ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[٤] وكذلك قول الجاحظ في مورد آخر: "اللفظ العامي الوحشي يوافق البدوي الاعرابي: فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات"[٥].

فمن هذه الخلاصة لما أورده د. محمد العمري في دراسته السابقة نجد أنّ سلطة المرسَل إليه كانت متواجدة في الساحة النقدية والبلاغية القديمة ولكن من باب السنن والقواعد التي لا بدّ من أن يتبعها المبدع (الشاعر مثلاً) لإنتاج نصّ ما، حتى يكون منسجماً مع متلقيه، فمراعاة جوانب المتلقي للشعر عموماً والنثر خصوصاً هي في الحقيقة– وفي الدراسات الحديثة والمعاصرة خاصة– تمثل جزءاً من سلطة

(١) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٤٢.

(٢) ينظر: في بلاغة الخطاب الاقناعي: ٣١– ٣٧.

(٣) ينظر: م – ن: ٣١.

(٤) البيان والتبيين: ١/ ١٣٨–١٣٩.

(٥) م – ن: ١ /١٤٤.

المرسَل إليه في إنتاجِ النصِ الأدبِي ويمكن لنا تحديد مواقع سلطته متمثلة في "مراعاة الاحساس اللغوي عند المرسل إليه"[١]. إذ يعمد المبدع إلى بناءِ نصهِ بمفرداتِ لغويةٍ منسجمةٍ مع منظومة المرسَل إليه اللغوية، فضلاً عن مراعاة الجوانب النفسية والاجتماعية أيضاً لدى المرسَل إليه. فمراعاة نفسية المرسَل إليه، أو بعبارةٍ آخرى الحالة النفسية التي يكون عليها المرسَل إليه، والحالة الاجتماعية، أي أن شخصيته الاجتماعية أو انتماءه الطبقي لهما دور في اختيار المرسِل لأساليب لغوية وفنية خاصة لبناء نصه بكيفية منسجمة وملائمة مع طبيعة المرسَل إليه (النفسية، الاجتماعية، اللغوية)[٢]. وهذه السلطة قد شغلت الجانب الفني في مرحلة إنتاج النص الأدبي وهي سلطةٌ متمثلةٌ في خضوعِ المرسلِ– رغم سلطته الرئيسة على النص كاملة– لسلطة المرسَل إليه الطرف الأدنى منه والأقل سلطة، في تحدثه معه بألفاظ وأساليب لغوية مناسبة ومعروفة عند المرسَل إليه[٣].

أما الجانب الموضوعي، أي ما يتطرق إليه المرسَل من موضوعات في نصه الأدبي فلابدّ من أن تكون متلائمة مع منظومة القيم والمعتقدات المتعارف عليها عند الجميع، أي مراعاة المرسِل عند إنتاجه للنصِ الأدبي المنظومة المعرفية والثقافية للمجتمع عامة فضلاً عن الأخذ بنظر الاعتبار مكانة (المرسَل إليهم) الاجتماعية، فهذه القيم والمعتقدات تختلف من مجتمعٍ لآخر ومن شخصية (مرسَل إليها) لآخرى، وهي تدلّ على أنّ المبدع (المرسِل) يخضع لسلطة المرسَل إليه عند اختياره للموضوعات التي يرغب في إيصالها، فضلاً عن أخذه في الحسبان لمكانة المرسَل إليه الاجتماعية وهذا يعني أنّ المرسِل لا يمكنه التوجه والتحدث مع شخصٍ ذي شأنٍ فيخاطبهُ بالخطابِ نفسه الذي يوجه إلى الشخص العادي...، ولا نتحدث مع الغريب مثل حديثنا مع القريب؛ فأن الظروف هي التي تجعلنا ننقص أو نزيد في أدائنا من خلال الفارق الاجتماعي الموجود بيننا[٤].

هذا في الخطاب العادي، فما بالك بالخطابِ الأدبِي؟ فعلى المرسِل (المبدع) مراعاة المرسَل إليهم على اختلاف مكانتهم الاجتماعية ما بين الجمهور العادي وبين المرسَل إليه المخصوص سواء أكان شخصاً ناقداً أم عالماً أم متلقياً بسيط الثقافة، وفي متن دراستنا (الصحيفة الرضوية الجامعة) نجد أن المرسل (الإمام) قد صاغ أدعيته أو خطابه الدعائي بما يناسب مراتب المرسَل إليهم، المتلقي الخاص في

(١) البلاغة والأسلوبية: ٢٣٤.

(٢) ينظر: م – ن: ٢٣٤–٢٣٥، وينظر: في بلاغة الخطاب الاقناعي: ٣١ – ٣٧.

(٣) ينظر: المتلقي في الشعر الاندلسي، د . سناء ساجت هداب: ٧٨، وينظر استقبال النص عند العرب: ٢٠٠.

(٤) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٧٨، وينظر: المتلقي في الشعر الأندلسي: ٣٢٥.

عصره، والمتلقي الكوني في كلّ الأوقات والأزمنة فهو خطابٌ يَنسجمُ مع المتلقِي العاديَ ومنظومته اللغوية والمعرفية المحدودة، والمتلقي العالم والفقيه صاحب ثقافة والمعرفة العالية والذي من مهامهِ بيان وشرح وتفسير خطابات الأئمة من (أقوال وافعال، خطب، أدعية، زيارات) للمتلقي العادي، لكي يزيد من منظومته المعرفية والثقافية، وحتى يتسنى له تلقي خطاب الأئمة أو الإمام على معرفة تامة بحيثياته.

وأخيراً يمكن أن نلمس سلطة المرسَل إليه في هذا المحور الأول وعلى حسب رؤية البحث– عند اختيار المرسل للوسيلة والقناة التي يرغب من خلالها نقل رسالته وتوصيلها إلى المرسَل إليه فلابدّ من أن تكون القناة أو الوسيلة منسجمة مع طبيعة الرسالة المراد نقلها وطبيعة المرسَل إليه أيضاً حين يفضل مثلاً توصيل رسالته بألفاظ منطوقة (شفاهيه) أو ألفاظ مكتوبة (منظومة أو منثورة) أو قد يزاوج بين هذه وتلك بالإشارات الموجبة والرسوم[١]، فسلطة المرسَل إليه حاضرة حضوراً بيناً في العملية الإبداعية، وذلك راجعٌ إلى أنّ المبدعَ يحاول بقدرِ ما أُوتي من مقدرةٍ بيانيةٍ أن ينقل المرسَل إليه إلى الحالة التي يعيشها هو، باستعماله لأساليب ووسائل فنية مؤثرة وهذا ما نجده في صياغة الخطاب الدعائي بتلك الوسائل والأساليب الفنية المؤثرة في المتلقي أي (الداعي بالدعاء بعد تلقيه)، فالإمام (ع) يجعل المتلقي يعيش الحالة الشعورية في بناء الدعاء وكأنّه صادرٌ عن نفسه وذاته[٢]. وهذا فيما يخص مواقع تجسد سلطة المرسَل إليه في مرحلة إنتاج الخطاب الأدبي وبعد هذا العرض النظري لتجسد سلطة المرسل إليه في مرحلة الإنتاج، كيف يمكن لنا تطبيقها على الخطاب الدعائي؟ أو هل يمكننا أن نلمس مواقع تجسدها في الدعاء وخاصة في متن دراستنا (الصحيفة الرضوية الجامعة)؟

فمن خلال ما ذكرناه سابقاً من رؤية قديمة وحديثة عند العرب والغرب ولاحظنا أتفاقهما تقريباً على الحدودِ والمواقعِ التي تَتجسدَ عبرها سلطة المرسَل إليه، فيرى البحث أنه يمكن أن تتجسد تلك السلطة في جميع الخطابات، سواء أكانت السياسية منها أم الاجتماعية أم الدينية أم الأدبية، وحتى في الخطاب اليومي العادي في التواصل مع الآخرين لغرض إنجاز فعل ما، فالدعاء، فضلاً عن احتوائه نكهة دينية، إلا أنّه جنس أدبي لامتلاكه مقوماتِ الأدبيةِ في بنائه[٣]. فالدعاء هو خطاب أدبي صادر عن إمامِ معصوم صاحب بلاغة وفصاحة عالية، ويعد (مرسِلا) على حسب نظرية التوصيل، فهو مرسِلٌ خطابهُ

(١) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ٧٥.

(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٣٠.

(٣) ينظر: التمهيد: ١– ١٨.

إلى مرسلٍ إليه –وهو المتلقي البشري الثاني، سواء في عصر الإمام أم في العصور اللاحقة– بتركيبةٍ وصياغةٍ فنيةٍ مؤثرةٍ بالطرفِ الآخر المرسَل إليه السامع والقارئ، وعلى وفق ما ذكرناه في عرضنا النظري، تتجسد سلطة المرسَل إليه وتأثيرها في إنتاجية النص ومحاور اختيار المرسِل عبر أمور ووسائل لها أثرها الواضح ،أهمها:

أولاً: في مراعاةِ المرسل للجانبِ اللغوي، فالإمام (ع) على الرغم من علمهِ الواسع ومعرفته لأساليب القول والكلام فأننا نَلمسُ سمةً غالبةً على طبيعةِ البناءَ اللغوي للأدعية بشكل عام، وهي سمة الوضوح والبساطة وابتعادها عن التعقيد والغموض، مراعاةً لمستويات الفهم والثقافة العامة لعامة المتلقين، والتي تؤثر تأثيراً مباشراً على محور الانتقاء والاختيار اللغوي الذي يمارسه المرسِل على سلسلة الألفاظ المقترحة في كُلّ تركيبٍ أو صورةٍ بما يُلائم المنظومة اللغوية للمرسِل إليه، فكانتْ اللغةُ والأساليبُ البلاغيةِ الموظفةُ في صياغةِ وإنتاجِ الدُعاءِ "تشفي من السامع الغليل فيشبع رغباته ويراعي مقامه ويليق بطبقته "[1].

والنماذج على تلك المراعاة للإحساس اللغوي عند المرسَل إليه قد تمثلت في كُلِّ أدعية الصحيفة المباركة، فالإمام (ع) قد وظف الأساليب اللغوية الملائمة مع موضوعه ومع منظومة المرسَل إليه اللغوية، أو بعبارة آخرى مراعاته في توظيفه لألفاظ وأساليب معروفة عند المرسَل إليه، كما في النموذج الآتي للإمام العسكري (ع) في الصلاة على محمد واله: ((**اَللّهُم صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كَما حَمَلَ وَحْيَكَ، وَبَلَّغَ رِسالاتِكَ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كَما اَحَلَّ حَلالَكَ، وَحَرَّمَ حَرامَكَ، وَعَلَّمَ كِتابَكَ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كَما اَقامَ الصَّلاةَ وَاتَى الزَّكاةَ، وَدَعا إلى دينِكَ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كَما صَدَّقَ بِوَعْدِكَ، وَاَشْفَقَ مِنْ وَعيدِكَ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كَما غَفَرْتَ بِهِ الذُّنُوبَ، وَسَتَرْتَ بِهِ الْعُيُوبَ وَفَرَّجْتَ بِهِ الْكُرُوبَ، وَصَلَ عَلى مُحَمَّدٍ كَما دَفَعْتَ بِهِ الشَّقاءَ وَكَشَفْتَ بِهِ الْغَمّاءَ وَاَجَبْتَ بِهِ الدُّعاءَ، وَنَجَّيْتَ بِهِ مِنْ الْبَلاءِ،...**))[2]

فالمرسِل (الإمام) قدَّم للمرسَل إليه في الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم حياته ودوره الإسلامي في التبليغِ بألفاظ وصياغة سهلة واضحة لا غموض فيها وبأسلوبٍ موجز في فضائله وأعماله من غير أخلال في التعبير، لكي تصل رسالته (ع) إلى المرسَل إليهم واضحةً ومفهومةً لا تحتاج إلى توضيحٍ.

(١) ينظر: جمالية الالفة، النص ومتلقيه في التراث النقدي، شكري مبخوت: ٢١.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠٦.

ونقف عند نموذج آخر: يُطْغَى عليه الجانب الجمالي، وذلك لِمُلاَمسة ذائقةِ المرسَل إليه التي تستهوي الإحساسَ الجماليَ للنصوصِ الأدبيةِ وهو دعاء الإمام المهدي (عج): ((**اللّهُمَّ أَذِنْتَ لِي فِي دُعائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ، فَأَسْمَعْ يا سَمِيعُ مِدْحَتِي، وَأَجِبْ يا رَحِيمُ دَعْوَتِي وَأَقِلْ يا غَفُورُ عَثْرَتِي، فَكَمْ يا إِلهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَّجْتَها، وَهُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَها، وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَها، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَها، وَحَلْقَةِ بَلاءٍ قَدْ فَكَكْتَها الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌ مِنَ الذُّلِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً الحَمْدُ للهِ بِجَمِيعِ مَحامِدِهِ كُلِّها عَلى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّها، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا مُضادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلا مُنازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلا شَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ، الحَمْدُ للهِ الفاشِي فِي الخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظاهِرِ بالكَرَمِ مَجْدُهُ، الباسِطِ بالجُودِ يَدَهُ، الَّذِي لا تَنْقُصُ خَزائِنُهُ، وَلا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ العَطاءِ إِلاّ جُوداً وَكَرَماً، إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الوَهَّاب**))[1].

فهذه كانت مقاطع من دعاء الافتتاح للإمام المهدي (عج) في بيان كيفية مراعاة المرسَل عند إنتاج نصه بصياغة لغوية وفنية معروفة عند المرسَل إليه منسجمة مع موضوع الحمد ومع خاصية الشهر الفضيل (رمضان المبارك) وهو الشهر الذي يتقرب فيه العبد إلى ربَّه سبحانه وتعالى ويحمده على نعمه، فالمرسِل (الإمام) أنتج خطابه الدُّعائي بأسلوب أدبي منسجم مع الحمد الذي يحقق معرفةً لدى المرسَل إليه بكيفية حمده، وعلى ماذا يحمدهُ، فضلاً عن ملائمة صياغة الدعاء كلّه، (دعاء الافتتاح) بمقاطعه المتضمنة لمضامين متنوعة، منها: في توحيده بالحمد والشكر، والصلاة على محمد واله، وفي مرحلة الانتظار(انتظار الحُجّة) وكيفية الاستعداد في تلك المرحلة فجاءت هذه المضامين بأساليب عذبة شفافة تُخاطَب الروح المتلهفة لسماع أو قراءة مناجاة روحانية لتلامس النفس الإنسانية المتعطشة لتزويد وتعميق إحساسها الجمالي.

ثانياً: المورد الثاني لتجسيد سلطة المرسَل إليه يتجلى في اهتمامِ المرسِل (الإمام) بمراعاةِ الحالةَ النفسيةَ للمرسَل إليه والمقصود بها الحالات المختلفة التي تتعرض أو تمرّ بها نفسية المرسَل إليهم من حالةِ خوفٍ إلى حالةِ اطمئنانٍ، وحالة فرحٍ واستبشارٍ، وحالةِ يأسٍ لشدةِ المصائِب، وعند التعرض لهموم الحياة،...إلخ فهذه الحالات النفسية عند المرسَل إليهم (المجتمع المتلقي) لخطاب الإمام، ساهمت مع المرسِل في إنتاج خطابات مخصوصة ومنسجمة مع تلك الحالات، فالإمام (ع) بحكمِ وظيفته ومنصبه الالهي، أخضع هذه السلطة النفسية للمرسلِ إليهم وذوبها في بناء خطاباته الدُّعائية فضلاً عمّا تَشيرُ إليه

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٠١.

هذه النقطة من تعددِ أحوالِ المرسلِ إليه، فلكُلِّ دُعاءٍ هناك متلقٍ مخصوصٍ، وهناك أدعية يشترك فيها العام والخاص، وهي أدعية الشهور والمناسبات الدينية، وهم يتفقون في القراءة التعبدية، وربّما يختلفون في كيفية تلقيه وتأويله، وهذا ما سنشير إليه لاحقاً، لنقف الآن عند دعاء الإمام المهدي (عج) لتفريج الهموم: **((اَللّـهُمَّ رَبَّ النُّورِ الْعَظيمِ، وَرَبَّ الْكُرْسِيِّ الرَّفيعِ، وَرَبَّ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، وَمُنْزِلَ التَّوْراةِ وَالاْنْجيلِ وَالزَّبُورِ، وَرَبَّ الظِّلِّ وَالْحَرُورِ، وَمُنْزِلَ الْفُرْقانِ الْعَظيمِ، وَرَبَّ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبينَ وَالاْنْبِياءِ وَالْمُرْسَلينَ، اَنْتَ اِلهُ مَنْ فِي السَّماءِ، وَاِلهُ مَنْ فِي الْاَرْضِ، لا اِلهَ فيهِما غَيْرُكَ وَاَنْتَ جَبّارُ مَنْ فِي السَّماءِ، وَجَبّارُ مَنْ فِي الْاَرْضِ، لا جَبّارَ فيهِما غَيْرُكَ، وَاَنْتَ خالِقُ مَنْ فِي السَّماءِ، وَخالِقُ مَنْ فِي الْاَرْضِ، لا خالِقَ فيهِما غَيْرُكَ ، وَاَنْتَ حَكَمُ مَنْ فِي السَّماءِ، وَحَكَمُ مَنْ فِي الْاَرْضِ لا حَكَمَ فيهِما غَيْرُكَ، اَللّـهُمَّ انّي اَسْاَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَريمِ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الْمُشْرِقِ الْمُنيرِ وَمُلْكِكَ الْقَديمِ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، اَسْاَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي اَشْرَقَتْ بِهِ السَّماواتُ وَالاْرَضُونَ، وَبِاسْمِكَ الَّذي يَصْلُحُ بِهِ الاْوَّلُونَ وَالاْخِرُونَ، يا حَيّاً قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ، وَ يا حَيّاً بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ وَ يا حَيّاً حينَ لا حَيَّ يا مُحْيِيَ الْمَوْتى، يا حَيُّ لا اِلـهَ اِلّا اَنْتَ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، اَسْاَلُكَ اَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَاِلِ مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْني مِنْ حَيْثُ اَحْتَسِبُ وَمِنْ حَيْثُ لا اَحْتَسِبُ، رِزْقاً واسِعاً حَلالاً طَيِّباً، وَاَنْ تُفَرِّجَ عَنّي كُلَّ غَمٍّ وَ كُلَّ هَمٍّ، وَاَنْ تُعْطِيَني ما اَرْجُوهُ وَاَمِلُهُ، اِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ))**[1]

نشهد الدعاءِ من بدايته إلى نهايته يغلب على فقراته الدلالة على عظمة الله تعالى وتوحيده تعكس للسامع والقارئ للدعاء وهو في حالة من الهمِّ الذي استولى عليه وربما يكون قد شغله عن معرفة أنّ الحلّ لزوال همّه وتسيير أموره هو خالقه سبحانه وتعالى فهو القادر على كلّ شيء، فهو مقّلب القلوب ومغير الأحوالِ وهو الْمُنجِي الوحيد للإنسان من همّه، ولا يمكن لإنسان ما أن يساعده على زوال همّه، إلا بمشيئةِ الله تعالى، فخطاب المرسل (الإمام) هنا بقدر ما يدلّ على توحيدهِ لله سبحانه وتعالى يَبثُ في متلقيهِ طاقةً إيجابيةً تستريح معها النفس المهمومة، وذلك بالتوجه لله تعالى والتقرب إليه بالدعاء فهو القادر على كلّ شيء[2].

ونختم وقفتنا عند دعاء العبرات: الدعاء الذي يخاطب فيه النفس المحملة بالذنوب والهموم، والمظلومة فما لها من وسيلةِ سوى التوسل والتضرع للهِ تعالى، في طلب كشف الصعوبات، وعلى الرغم

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٩٣- ٢٩٤.

(٢) ينظر: الدعاء في الصحيفة السجادية (قراءة نفسية) أ. د. حيدر كريم سكر، و أ. م. فرحان محمد حمزة البيضاني (بحث): ١.

من دلالة هذا النموذج (دعاء العبرات) على سلطةِ الإمام الفنية المؤثرة في الخطابِ الدُّعائي بأساليب فنية متنوعة إلا أننا نلتمس فيها مطاوعة المرسِل لسلطة المرسَل إليه في إتيانه بهذه الألفاظ والأساليب الصورية، إي الصور البلاغية، فألفاظه وعباراته تعكس للمرسَل إليه صورة مرئية محسوسة والتي يمكن أن يتصورها ويراها المرسَل إليه/المتلقي أمامه رُأَى العين، فيشعر بتمكنه من معرفةِ أو محاولة فهم بعض الإشارات الصورية المكتنزة في الدعاء، على الرغم من اشتماله على دلالات خطابية متعددة، ومنها نذكر:

١- في الدلالة على قدرة الله تعالى وعظمته على تغيير كلّ شيء: **((أَنْتَ الَّذِي تَقْشَعُ سَحَائِبَ الْمِحَنِ وَقَدْ أَمْسَتْ ثِقَالًا، وَتَجْلُو ضَبَابَ الْفِتَنِ وَقَدْ سَحَبَتْ أَذْيَالًا، وَتَجْعَلُ زَرْعَهَا هَشِيماً، وَبُنْيانَها هَدِيماً، وَعِظَامَهَا رَمِيماً، وَتَرُدُّ الْمَغْلُوبَ غَالِباً، وَالْمَطْلُوبَ طَالِباً، وَالْمَقْهُورَ قاهراً، وَالْمَقْدُورَ عَلَيْه قادِراً))**[1].

٢- في الدلالة على الجانب الفني (اللغوي) من خلالِ مراعاة المرسِل (الإمام) لمنظومة المرسَل إليه اللغوية، وهذا بائنٌ لنا من خلال إتيانه بألفاظ معروفة في دلالاتها المعجمية عند الجميع ومساهمتها في خلق معنى آخر بالصور المحسوسة، كما مرّ بنا في النقطة السابقة، فضلاً عن ملامستها لما هو معروف في واقع المتلقي من رؤيته للسحاب والضباب والزرع والانهار والسفن، ولكن توظيفها هنا في الدعاء لتقريب المعنى المجرد غير المرئي بجعله مرئياً مثل **(الْمِحَنِ، الْفِتَنِ، نصر اللَّهِ، فَرَجِهِ)**، ونستكمل الدعاء: **((فَفَتَحْتَ لَهُ مِنْ نَصْرِكَ أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ، وَفَجَّرْتَ لَهُ مِنْ عَوْنِكَ عُيُوناً، فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ، وَحَمَلْتَهُ مِنْ كِفَايَتِكَ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ))**

٣- في الدلالة على مراعاة نفسية المرسَل إليه (المهموم) من خلال تصويره لتلك الحالة: **((يَا مَنْ إِذَا وَلَجَ الْعَبْدُ فِي لَيْلٍ مِنْ حَيْرَتِهِ يَهِيمُ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ صَرِيخاً يَصْرُخُهُ مِنْ وَلِيٍّ وَلا حَمِيمٍ، وَجَدَ مِنْ مَعُونَتِكَ صَرِيخاً مُغِيثاً، وَوَلِيّاً يَطْلُبُهُ حَثِيثاً، يُنَجِّيهِ مِنْ ضِيقِ أَمْرِهِ وَحَرَجِهِ، وَيُظْهِرُ لَهُ أَعْلَامِ فَرَجِهِ))**

وفي مقطع آخر: **((وَانْظُرْ إِلَيَّ يَا رَبِّ نَظْرَةً مِنَ نَظَرَاتِكَ رَحِيمَةً تَجْلُو بِهَا عَنِّي ظُلْمَةً عاكِفةً مُقِيمَةً، مِنْ عَاهَةٍ جَفَّتْ مِنْهَا الضُّرُوعُ، وَتَلِفَتْ مِنْهُ الزُّرُوعُ وَانْهَمَلَتْ مِنْ اَجْلِها الدُّمُوعُ، وَاشْتَمَلَ لهَا عَلَى الْقُلُوبِ الْيَأْسُ وَجَرَتْ وَسَكَنَتْ بِسَبَبِهَا الْأَنْفَاسُ))**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٨٣.

وفي مقطع آخر: ((**إِلَهِي إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ هَالَ فَهَوِّنْهُ، وَخَشُنَ فَأَلِنْهُ، وَإِنَّ الْقُلُوبَ كَاعَتْ فَطَمِّنْهَا وَالنُّفُوسَ ارْتَاعَتْ فَسَكِّنْهَا. إِلَهِي تَدَارَكْ أَقْدَاماً زَلَّتْ، وَأَفْكاراً فِي مَهَامِهِ الْحَيْرَةِ ضَلَّتْ بِأَنْ رَاَتْ جَبْرَكَ عَلى كَسيرِها، وَإِطْلاقَكَ لِأَسيرِها، وَإِجارَتَكَ لِمُسْتَجيرِها أَجْحَفَ الضُّرَّ بِالْمَضْرُورِ، وَلَبّي دَاعِيَه بالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ...**))[1]

ويستمر الدعاء إلى نهايته على هذه المخاطبة، وهي كُلّها مخاطبةٌ وجدانيةٌ تعبر عن نفسٍ منكسرةٍ متوسلةٍ ومتضرعةٍ لخالقها (الله سبحانه وتعالى) عسى أن يدركهُ بنظرةٍ منه تحلّ أموره المستعصية. فنجد بناء الدعاء بتلك الصياغة الفنية المؤثرة، المعبرة عن نفسية العبد الداعي (المرسَل إليه) بعد تلقيه للدعاء عن الإمام (ع) المرسِل، وهي حالةٌ نفسيةٌ تَنْسجمُ مع المهمومِ والمغمومِ والمتعطشِ للقاءِ ربَّه ومسائِلته في كُلّ الأمور صغيرها وكبيرها، فالخطاب الدُّعائي على قدرٍ ما يعكس لنّا مدى تمكن الإمام من سلطته الخارجية أي (كونه إماماً ووليّاً) صاحب سلطة شرعية إلهية، وسلطته الداخلية التي تمثلت في الصياغة الجميلة العذبة المؤثرة على قدر ما نستشف منه في الكشفِ عن تداخلِ سلطةِ المرسلِ إليه معهُ في إنتاجِ الخطاب الدُّعائي في جانبِ الصياغة اللغوية الملائمة مع معرفتهم، وفي جانبٍ آخر يمكن عدّه بالجانب الموضوعي[2].

وهنا تتمثل سلطة المرسَل إليه في مراعاة المرسِل (الإمام) لمنظومة المرسَل إليه الثقافية والمعرفية بما تحتويه من قيمٍ وعاداتٍ متعارفةٍ عند الجميع (في المجتمع)، ومنها الدينية، والفكرية، والأخلاقية، والاجتماعية،... فهذه جوانب موضوعيةٌ على قدرٍ ما تعكس سلطة المرسِل (الإمام) في كيفية التعبير عنها بصياغةٍ لغوية فنية مؤثرة، إلّا أنّها تُبين لنّا تَجسدَ لِسلطة المرسَل إليه صاحب هذه القيم والعادات المساهمة في بناء المجتمع وفي تدهوره وانحطاطه، مما تتطلب من المرسِل (الإمام) وبحكمِ دوره الوظيفي في المجتمع (امام ووليّ) يحمل همّ الهداية والاصلاح والتغيير.

ونظراً لذلك، تَطلب منه معالجةَ هذه الموضوعاتُ لصالحِ المرسَل إليهم (المتلقي)، سواء أكان عن طريقِ تصحيحهِ لأفكارٍ وعاداتٍ سيئةٍ عند المتلقي/المرسَل إليهم، أم كان عِبر بثّه لمنظومةِ قيمٍ وعاداتٍ صحيحةٍ وجديدةٍ تنسجمُ مع الدّينِ الإسلامي، ولصالح المجتمع وإكساب رضا الله تعالى. وسنفردها في النقاط الآتية: على شكل أبعاد موضوعية وفيها:

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٨٤.

(٢) ينظر: الخطاب والنص: ٢٠٩، وينظر: المتلقي في الشعر الاندلسي: ٧٨

١- البعد الاجتماعي:

والمقصود بها مراعاة المرسِل (الإمام) للظرف الاجتماعي، أي الحالة الاجتماعية التي مرّ بها المجتمع، من حوادثٍ ومواقفِ مختلفةٍ في حالاتِ السلم والحرب نلمس ذلك في النموذج الآتي للإمام الرضا (ع): ((**اَللّهُمَّ اِنَّكَ قَدْ نَهَيْتَني عَنْ الإلْقاءِ بِيَدي إلى التَّهْلُكَةِ، وَقَدْ اَشْرَفْتُ مِنْ قِبَلِ عَبْدِاللهِ المأمُونِ عَلَى القَتْلِ مَتى لا اَقْبَلُ وِلايَةَ عَهْدِهِ، وَقَدْ اَكْرَهْتُ وَاضْطَرَرْتُ كَما اضْطَرَّ يُوسُفُ وَدانِيالُ، اِذْ قَبِلَ كُلّ واحِدٍ مِنْهُما الوِلايَةَ مِنْ طاغِيَةِ زَمانِهِ، اللّهُمَّ لا عَهْدَ اِلاّ عَهْدُكَ وَلا وِلايَةَ اِلاّ مِنْ قِبَلِكَ، فَوَفِّقْني لإقامَةِ دينِكَ وَاِحْياءِ سُنَّةِ نَبِيِّك**))[١]

نجد هنا المرسِل (الإمام) قد بين للمرسَل إليهم/المتلقين في عصره الموالين له وغير الموالين سبب قبوله ولاية العهد، فقد اضطربت الاوضاع الاجتماعية، لقبوله (ع) الولاية، فنقل الإمام هذه الحادثة، وبين السبب لقبوله الولاية في خطابه الدُّعائي ليصل إلى المتلقين؛ ليدركوا حقيقة إقدامه لقبول ولاية العهد، فهو (ع) لم يطمع بالدنيا ولم يترك دينه ومبادئه، وإنّما تعرض لمؤامرة من قبل طاغية عصره المأمون، ليعكس صورة مشوهة للإمام الرضا (ع) عند الموالين له فينفروا من حوله، فهنا المرسِل (الإمام) بخطابه هذا قد لامسَ القاع النفسي لشيعته ومحبيه وعكس حقيقة هذا الحاكم الظالم (المأمون) عند جيوشه وجماعته (بني العباس وغيرهم)[٢]

ودعاء آخر للإمام الرضا (ع): ((**اَللّهُمَّ الْعَنِ الظَّلَمَةَ وَالظّالِمينَ الَّذينَ بَدَّلُوا دينَكَ، وَحَرَّفُوا كِتابَكَ وَغَيَّرُوا سُنَّةَ نَبِيِّكَ، وَدَرَسُوا الْاثارَ، وَظَلَمُوا عَلى أَهْلِ بَيْتَ نَبِيِّكَ وَقاتَلُوا، وَتَعَدّوا عَلَيْهِمْ، وَغَصَبُوا حَقَّهُمْ، وَنَفَوْهُمْ عَنْ بُلْدانِهِمْ وَاَزْعَجُوهُمْ عَنْ اَوْطانِهِمْ، مِنَ الطّاغينَ وَالتّابِعينَ، وَالْقاسِطينَ وَالْمارِقينَ وَالنّاكِثينَ، وَاَهْلَ الزُّورِ وَالْكَذِبِ، الْكَفَرَةِ الْفَجَرَةِ، اَللّهُمَّ الْعَنِ اَتْباعَهُمْ، وَجُيُوشَهُمْ، وَاَصْحابَهُمْ، وَاَعْوانَهُمْ، وَمُحبّيهِمْ وَشيعَتَهُمْ، وَاحْشُرْهُمْ إلى جَهَنَّمَ زُرْقاً**))[٣]

في هذا الخطاب الدعائي، وبسبب أفعال الحكومات الظالمة من (بني أمية، وبني العباس) بحق أهل البيت (عليهم السلام) بثّ المرسِل (الإمام) في دعائهِ حقيقةَ تلك السياسة الفعلية للحاكمين الظالمين

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٧٠ – ٧١.

(٢) ينظر: استقبال النص عند العرب: ٧٧، وينظر: الحياة الفكرية والسياسية لائمة أهل البيت، رسول جعفريان: ٦٥–٨٠.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٩١ –٩٢.

والفاسدين، في ممارستهم سياسة التحريف (وَحَرَّفُوا كِتابَكَ وَغَيَّرُوا سُنَّةَ نَبِيِّكَ) وذلك لإبعاد أهل البيت (ع) عن الخلافة والولاية وطمس آثارهم، أي فضائلهم (ع) وأفعالهم، حتى تنمحي آثارهم عند الأجيال القادمة وقتل الأئمة وتعذيبهم، وغصب حقوقهم ... إلخ، فسلطة المرسَل إليه، قد تمثلت في اضطرار الإمام إلى الكشف عن الوجهة المتخفية لسياسة الحكومة الظالمة بحق أهل البيت (ع) في تعرضهم للتعذيب والقتل والسجن واضطهاد حقهم في الولاية.

وفي دعاء آخر له (ع)، أثبت فيه وجوبِ الولاية لأمير المؤمنين (ع) وأولاده، الأئمة المعصومين (ع) فالموالاة لهم (ع) هي المفتاح لقبول بقية أعماله الصالحة، وقد عالج الإمام (ع) هذه المسألة بهذا الخطاب تحديداً بسبب الافكار المتفشية في المجتمعِ في عصره آنذاك بالتشكيك بولايتهم آل البيت (ع)[1] وهذا هو الدعاء: **((وأنَّ عليّاً أميرَ المُؤمنينَ سَيِّدَ الأوْصِياءِ، وَوَارِثَ عِلْمِ الأنْبِياءِ، عَلَمَ الدِّينِ، ومُبيرَ المُشرِكينَ، ومُمَيِّزَ المُنافِقينَ، ومُجاهِدَ المارِقينَ، إمَامي وحُجَّتِي، وعُرْوَتي وصِراطِي، ودَليلي ومَحَجَّتي، ومَنْ لا أَثِقُ بِأعْمالِي ولَوْ زَكَتْ، وَلا أَراها مُنْجِيَةً لي ولوْ صَلُحَتْ إلَّا بِوِلايَتِه والإئْتِمامِ بِه والْإقْرارِ بِفَضائِلِه والقَبُولِ مِنْ حَمَلَتِها، والتَّسليمِ لِرُواتِها، وأُقِرُّ بأوْصِيائِه مِنْ أبنائِه، أئِمَّةً وحُجَجاً، وأَدِلَّةً وسُرُجاً وأعلاماً ومَناراً وسادَةً وأبْراراً، وأُؤمِنُ بِسِرِّهِمْ وجَهْرِهِمْ، وظاهِرِهِمْ وباطِنِهِمْ، وَغائبِهِمْ وشاهِدِهِمْ، وحَيِّهِمْ ومَيِّتِهِمْ، لا شَكَّ في ذَلكَ، ولا ارْتِيابَ- عِنْدَ تَحوّلِكَ- ولا انقِلاب))**[2]

٢- البعد الاخلاقي:

وفي هذا البعد نجد ان المرسِل (ع) قد بَثَّ قيماً أخلاقيةَ، تُنمي أفعالاً أو ممارسات يومية، وتعد جزءاً من أخلاقيات الفرد والمجتمع الإسلامي، فضلاً عن كشفه لبعض الأخلاق السيئة المراد للمتلقي الابتعاد عنها، ولولا وجودها في المجتمع لمّا عمدَ الإمام لذكرها في خطاباته المتجسدة في أقواله وخطبه ورسائله وأدعيته، ولشدة الظروف السياسية التي تعرض لها الأئمة (ع) في المنع من ممارسة دورهم الاصلاحي، فكان الدعاء هو الوسيلة لبث أفكار جديدة وتعديل أفكار آخرى كما في الدعاء الآتي للإمام الرضا (ع): **((اَللهُمَّ انّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّكِّ وَالشِّرْكِ، وَالشِّقاقِ وَالنِّفاقِ، وَالرِّياءِ وَدَرَكِ الشَّقاءِ، وَسُوءِ الْقَضاءِ، وَشَماتَةِ الْاعْداءِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ))**[3].

---

(١) ينظر: مسند الإمام الرضا (ع)، الشيخ عزيز الله العطاردي: ١/ ٩٠.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٧ – ٢٨.

(٣) م – ن: ٩٢.

فهنا بيّن (الإمام) بعض الأمراض أو السلوكيات الأخلاقية السيئة المضرة بالفرد والمجتمع، وفي دعاء آخر له (ع): **((اَللهُمَّ اغْفِرْ لي، وَلِجَميعِ اِخْوانِنَا الْمُؤمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْمُسْلِمينَ وَالْمُسْلِماتِ، الْاَحْياءِ مِنْهُمْ وَالْاَمْواتِ، وَتابِعْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ بِالْخَيراتِ، اِنَّكَ مُجيبُ الدَّعَواتِ))**[1]

ونجد في هذا الدعاء نقلاً لعادة وسلوك أخلاقي تمثل في الدعاء للآخرين في طلب المغفرة وحبّ الخير لهم وهي عادة ذكرها الإمام (ع) هنا لأجل أنتشارها بين أفراد المجتمع، فأراد المرسِل توصيلها للمرسَل إليهم وتفشيها بينهم لتكون جزءاً من عاداتهم الحسنة، ونجد في دعاءِ آخر للإمام الهادي (ع): **((اَللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ فِي السَّراءِ وَالضَّراءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ، وَالعافِيَةِ وَالْبَلاءِ، وَالسِّنين وَالدُّهُورِ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى الائِكَ وَنَعْمائِكَ عَلَيَّ وَعِنْدي، وَعَلى ما اَوْلَيْتَني وْابْلَيْتَني، وَعافَيْتَني، وَرَزَقْتَني، وَاَعْطَيْتَني وَفَضَّلْتَني، وَشَرَّفْتَني وَكَرَّمْتَني، وَهَدَيْتَني لِدينِكَ، حَمْداً لا يَبْلُغُهُ وَصْفُ واصِفٍ، وَلا يُدْرِكُهُ قَوْلُ قائِلٍ اَللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً فيما اتَيْتَهُ اِلَيَّ مِنْ اِحْسانِكَ عِنْدي وَاِفْضالِكَ عَلَيَّ، وَتَفْضيلِكَ اِيّايَ عَلى غَيْري، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى ما سَوَّيْتَ مِنْ خَلْقي، وَاَدَّبْتَني فَأَحْسَنْتَ اَدَبي، مَنّاً مِنْكَ عَلَيَّ، لا لِسابِقَةٍ كانَتْ مِنّي))**[2]

وهو دعاء في تعويد المرسَل إليهم (المتلقين) على الحمد لله تعالى في جميع الأمور والحالات في السراء والضراء وحمده وشكره والثناء عليه تعالى، وأدعية آخرى كثيرة نجد فيها معالجة لبعض الأمراض الأخلاقية المتفشية في المجتمع التي أوجبت على الإمام ذكرها ومعالجتها والإشارة إليها فضلاً عن الأخلاق الحميدة التي أكّدتْ الأدعية ضرورة الالتزام بها. فهي بذلك تجسد تجليات لسلطة المرسَل إليه التي فرضت على المرسِل طبيعة الموضوعات المتداولة في خطابه وأسلوب طرح هذه الموضوعات[3].

٣- البعد الديني:

وتمثلت في بيان المرسَل (الإمام) لأمور عبادية من التوحيد لله تعالى والصلاة والصوم والحج...إلخ يتجلى فيها جهل المرسَل إليه بمتعلقات هذه الأمور العبادية والعقائدية الأمر الذي أوجب على المرسِل ضرورة بيانها وتفصيلها تفاعلاً مع عدم معرفة المرسَل إليه بها.

النموذج الأول دعاء الإمام الجواد (ع) في المناجاة لطلب الحج: ونجد فيه ذكر كلّ ما يتعلق بهذه الشعيرة الإسلامية بدأً من ذكر وجوب الحِجّ: **((اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الْحَجَّ الَّذِي فَرَضْتَهُ عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٩٠.

(٢) م – ن: ١٧٤– ١٧٥.

(٣) ينظر: م – ن: دعاء: ٩٨–٨١، وينظر: أيضاً: ١٢٢، ١٦٥، ٢٥٧، ٢٨٢.

إِلَيْهِ سَبِيلاً وَاجْعَلْ لِي فِيهِ هَادِياً، وَإِلَيْهِ دَلِيلًا، وَقَرِّبْ لِي بُعْدَ الْمَسَالِكِ، وَأَعِنِّي فِيهِ عَلَى تَأْدِيَةِ الْمَنَاسِكِ،...)) كما في الآية الكريمة التي فرض فيها الله عزّ وجلّ فريضة الحجّ على كُلّ مسلمٍ ومسلمةٍ **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾**[1] وبعد ذلك أرفدها ببيان مناسك الحجّ كما في المقطع الآتي: **((وَحَرِّمْ بِإِحْرَامِي عَلَى النَّارِ جَسَدِي... وَارْزُقْنِي رَبِّ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِفَاضَةَ إِلَيْكَ، وَظْفِرْنِي بِالنُّجْحِ، وَاحْبِنِي بِوَافِرِ الرِّبْحِ وَأَصْدِرْنِي رَبِّ مِنْ مَوْقِفِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ إِلى مُزْدَلِفَةِ الْمَشْعَرِ وَاجْعَلْهَا زُلْفَةً إِلى رَحْمَتِكَ، وَطَرِيقاً إِلى جَنَّتِكَ، وَقِفْنِي مَوْقِفَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَمَقَامَ وُفُودِ الْإِحْرَامِ وَأَهِّلْنِي لِتَأْدِيَةِ الْمَنَاسِكِ وَنَحْرِ الْهَدْيِ التَّوَامِكِ بِدَمٍ يَثُجُّ وَأَوْدَاجٍ تَمُجُّ، وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ الْمَسْفُوحَةِ مِنَ الْهَدَايَا الْمَذْبُوحَةِ... وَأَحْضِرْنِي اللَّهُمَّ صَلَاةَ الْعِيدِ رَاجِياً لِلْوَعْدِ، حَالِقاً شَعْرَ رَأْسِي، وَمُقَصِّراً وَمُجْتَهِداً فِي طَاعَتِكَ، مُشَمِّراً رَامِياً لِلْجِمَارِ بِسَبْعٍ بَعْدَ سَبْعٍ مِنَ الْأَحْجَارِ وَأَدْخِلْنِي اللَّهُمَّ عَرْصَةَ بَيْتِكَ وَعَقْوَتَكَ وَاَوْلِجْنِي مَحَلَّ أَمْنِكَ وَكَعْبَتِكَ))**[2].

وفي دعاء آخر يُبين لنا الإمام (ع) الحقيقة الروحية للإحرام: **((أُحْرِمُ لَكَ شَعْرِي وَبَشَرِي وَلَحْمِي وَعِظامِي وَمُخِّي، وَعَصَبِي وَشَهَواتي مِنَ النِّساءِ وَالطِّيبِ وَغَيْرِها مِنَ اللِّباسِ، وَالزِّينَةِ اَبْتَغي بِذلِكَ وَجْهَكَ وَمَرْضاتِكَ ، وَالدّارَ الْاخِرَةَ، لا اِلهَ اِلّا اَنْتَ...))**[3].

والنموذج الثاني دعاء الإمام العسكري (ع) بعد الفراغ من الصلاة: المُبيّن لنواقص الصلاة كما في قوله (ع): **((اَللَّهُمَّ لَكَ صَلَّيْتُ وَإِيَّاكَ دَعَوْتُ، وَفِي صَلاتي وَدُعائي ما قَدْ عَلِمْتَ مِنَ النُّقْصانِ وَالْعَجَلَةِ، وَالسَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ وَالْكَسَلِ، وَالْفَتْرَةِ وَالنِّسْيانِ، وَالْمُدافَعَةِ وَالرِّياءِ وَالسُّمْعَةِ، وَالرَّيْبِ وَالْفِكْرَةِ وَالشَّكِّ وَالْمَشْغَلَةِ، وَاللَّحْظَةِ الْمُلْهِيَةِ عَنْ اِقامَةِ فَرائضِكَ...))** وبعد ذلك نشهد ذكر الصورة الآخرى للصلاة المقبولة والكاملة وهي:**((وَاجْعَلْ مَكانَ نُقْصانَها تَماماً، وَعَجَلَتي تَثْبيتاً وَتَمَكُّناً، وَسَهْوي تَيَقُّظاً، وَغَفْلَتي تَذَكُّراً، وَكَسَلي نَشاطاً، وَفَتْوري قُوَّةً، وَنِسْياني مُحافَظَةً، وَمُدافَعَتي مواظَبَةً، وَرِيائي اِخْلاصاً، وَسُمْعَتي تَسَتُّراً، وَرَيْبي بَياناً، وَفِكْري خُشُوعاً، وَشَكّي يَقيناً، وَتَشغُلي فَراغاً، وَلِحاظي خُشُوعاً...))**[4] فهذا خطاب

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٣ – ١٢٤.

(٣) م – ن: ١٠٠، وينظر: أيضاً: ١٠١ – ١٠٦.

(٤) م – ن: ٢٤٠– ٢٤٢.

واضح للمتلقي تجلت فيه الصلاة من زاويتين الأولى الصلاة غير التامة والناقصة والثانية الصلاة التامة والمقبولة عند الله تعالى.

والنموذج الثالث دعاء الإمام المهدي (عج) في التوسل به عليه السلام: ((**يَا مَنْ تَوَحَّدَ بِنَفْسِه عَنْ خَلْقِه، يامَنْ غَنِيَ عَنْ خَلْقِه بِصُنْعِه، يَا مَنْ عَرَّفَ نَفْسَهُ خَلْقَهُ بِلُطْفِه، يَا مَنْ سَلَكَ بِأَهْلِ طاعَتِه مَرْضاتَهُ يَا مَنْ أَعانَ أَهْلَ مَحَبَّتِه عَلى شُكْرِه يَا مَنْ مَنَّ عَلَيْهِمْ بِدِينه وَلَطُفَ لَهُمْ بِنائِلِه...**))[1] ونلمس في هذا المقطع من دعائه(عج) الدلالة على توحيده تعالى (يَا مَنْ تَوَحَّدَ بِنَفْسِه عَنْ خَلْقِه) وصفات توحيده (يامَنْ غَنِيَ عَنْ خَلْقِه بِصُنْعِه، يَا مَنْ عَرَّفَ نَفْسَهُ خَلْقَهُ بِلُطْفِه، يَا مَنْ سَلَكَ بِأَهْلِ طاعَتِه مَرْضاتَهُ يَا مَنْ أَعانَ أَهْلَ مَحَبَّتِه عَلى شُكْرِه يَا مَنْ مَنَّ عَلَيْهِمْ بِدِينه وَلَطُفَ لَهُمْ بِنائِلِه).

٤– البعد الفكري:

وهو البعد الذي واجه فيه الإمام (ع) الانحرافات الفكرية التي شكلت فرقاً ومذاهباً دينيةً منحرفة في افكارها وآرائها ومن هذه الانحرافات الفكرية: نجد قضية الجبر والتفويض وهي تحمل فكرة أن الإنسان مجبٌر على فعلِ الخيرِ والشّر، العمل الصالح والعمل غير الصالحِ، وانقسمَ الناسُ إلى فرقٍ، فريقَ يرى: أن الإنسان مجبرٌ على ارتكابِ أفعالهِ في الخيرِ والشّر، وفريقاً آخر: يقول أن الإنسانَ مخيرٌ لا مسيّر ولا مجبرٌ، وقد طال العلماء والمفكرون الوقوف عند هذه القضية الفكرية.

وقد عالجها الإمام الجواد (ع) في دعائه الآتي: ((**اَللّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ بِلا أَوَّلِيَّةٍ مَعْدُودَةٍ، وَالْآخِرُ بِلا آخِرِيَّةٍ مَحْدُودةٍ، أَنْشَأْتَنا لا لِعِلَّةٍ اِقْتِساراً، وَاخْتَرَعْتَنا لا لِحاجَةٍ اِقْتِداراً، وَابْتَدَعْتَنا بِحِكْمَتِكَ اِخْتِياراً، وَبَلَوْتَنا بِأَمْرِكَ وَنَهْيِكَ اِخْتِباراً، وَأَيَّدْتَنا بِالْآلاتِ، وَمَنَحْتَنَا الْأَدَواتِ، وَكَلَّفْتَنَا الطّاقَةَ، وَجَشَّمْتَنَا الطّاعَةَ، فَأَمَرْتَ تَخْييراً، وَنَهَيْتَ تَحْذيراً، وَخَوَّلْتَ كَثيراً، وَسَأَلْتَ يَسيراً**))[2].

فالإمام (ع) بهذا الأسلوب البديع يضع أمام أعيننا أن الله قد خلقَ الإنسان ومنحهُ القدرةَ على اختيار أفعاله وزوده بالطاقة الآلات (أي العقل) الذي يعينهُ على أداء اختياراته والتي سيكون مسؤولاً عنها بعد أن بيّن الله تعالى له طريق الهداية وطريق الضلال فلا مكان هنا لجبرٍ مطلقٍ ولا تفويضٍ مطلقٍ.

هذا فضلاً عن القضايا الفكرية الآخرى التي مثلت انحرافات عقائدية مرت بها الأمة الإسلامية في عهد الأئمة (ع) والتي كان لها حضور واضح في نصوص أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة سبق

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٥٤.

(٢) م – ن: ١٥٣.

أن استوقف البحث عندها في المباحث السابقة، كمسألة التشبيه والتجسيد مثلاً والتي سنعرض عن أعادة ذكرها وتحليلها هنا خشية التكرار والإعادة [١].

٥- مراعاة المرسِل لقناة الاتصال (الدعاء):

يتمثل في مراعاة المرسِل لقناة الاتصال بما تنسجم مع طبيعة رسالته فالإمام اختار قناة أو وسيلة للتواصل مع المرسَل إليهم في إيصال خطابه عن طريق (الدعاء)، لكونه يعد جنساً أدبياً وجدانياً مناسباً لنقل رسالته الإصلاحية التوجيهية لمجتمعه الموالي وغير الموالي، بسبب سياسة المنع والمراقبة التي يمّر بها الإمام، فكان الدعاء وسيلة مناسبة لنقل خطابه، فضلاً عن مناسبتها، أي القناة لطبيعة المرسَل إليهم وخاصة (الموالين) وحالتهم النفسية والاجتماعية المضطربة، وذلك أيضاً بسبب السلطة الحاكمة الظالمة[٢].

فأودعَ الإمام خطابهَ عن طريقِ الدعاءِ؛ حتى لا يَثيرُ ضغائنَ الظالمينَ وحتى يتسنى له ممارسة دوره في توجيه المجتمع في جميع الظروف والمناسبات، فالدعاء يختلف عن بقيةِ الأجناسِ الأدبيةِ التي كان يمكن أن يوظفها الإمام في بثِّ افكارهِ وخطاباتِه المشفرةِ وهذا الاختلاف يتجلى في مسائل، منها:-

١- خروج جنس الدعاء عن دائرة الرقابة والمتابعة التي فرضتها الحكومات الظالمة على الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

٢- غلبة سمة (الصدق) على جنسِ الدُعاءِ وبِكُلّ أبعادها الفنية والنفسية والواقعية حيث يكون المتلقي في ممارستهِ لفعلِ الدعاءِ مجسداً لأعلى درجاتِ صدقِه مع ذاتهِ ومع خالقهِ، وقد وظفَ الأئمةُ (ع) حالةَ الصدقِ هذه التي يعيشها الداعي في ترسيخ رسالاتهم وايصالها بشكلٍ مضمون النتائج، فكان لسمة (الصدق) المغلفة لأجواء الدعاء أثرٌ كبيرٌ في اختيار المرسل لجنس الدعاء كقناة للتوصيل والإبلاغ عبر هذه الصور الوجدانية الشفافة والبسيطة.

وخلاصة لما ذكرناه يمكن لنا تلخيص سلطة المرسَل إليه وأثرها في المرسل بما يأتي:

١- في اختيار الموضوع المراد إيصاله.

٢- وفي تحديد الجنس الأدبي الذي يُودع فيه رسالته كقناة للتوصيل.

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠، وينظر: أيضاً: ١٦٢.

(٢) ينظر: التمهيد: ١٤-١٦.

٣- واختياره للمفردات (أي الشفرة اللغوية) وطريقة تأليفها ونظمها وانتقاء الأساليب اللغوية والبلاغية المناسبة وهذا فيما يخص تَجسد سلطة المرسلِ إليه في مرحلةِ إنتاجِ العمل الأدبيَ.

المحور الثاني: سلطة المرسَل إليه بعد مرحلة إنتاج العمل الأدبي:

وهو المحور الذي يستكمل فيه البحث الوقوف على المواقع التي تتجسد عبرها أو من خلالها سلطة المرسَل إليه، بعد إتمام مرحلة الإنتاج الأدبي، وقد مرّ بنا في المحور الأول كيف تتداخل سلطة المرسَل إليه مع سلطة المرسِل في إنتاج الخطاب الأدبي، بالصورة النهائية.

وأما سلطته بعد إنتاج الخطاب الأدبي، وهي المرحلة التي عرفت بـ(مرحلة التلقي أو الاستقبال) ولأهمية هذه المرحلة في حياةِ وخلودِ الأعمال الإبداعية بصورةٍ عامةٍ، اتجهت النظرياتُ النقديةُ الحديثةُ إلى التركيزِ على دورِ المتلقِي للعملِ الإبداعِي كنظرية القراءة والتلقي ورائديها (ياوس) و(آيزر) وهي من النظريات النقدية الحديثة التي خوّلت للمتلقي والقارئِ حرية المشاركة مع المرسِل في إنتاجِ المعنى، "القارئُ شريكٌ للمؤلفِ في تشكيلِ المعنى، وهو شريك مشروع؛ لأن النصَ لم يُكتبْ إلّا من أجلهِ"(١).

ومن هناء جاء الاهتمام بالقارئ كردةِ فعلٍ على الاتجاهاتِ النقديةِ الحديثةِ (البنيوية وما بعدها من اتجاهات نقدية) التي ركزتْ على الاهتمامِ بالنصِ وأهملت القارئَ، ونظرتْ إليه بأنَّ دورهَ لا يتعدى استهلاكه للنص وقبوله، أي أنّه مجردُ تلقِ آلي يفرضُ فيه النص على القارئ سلطته ومحتواه(٢). وأما دوره في عملية القراءة وفي الاتجاهات الحديثة (ما بعد البنيوية) فقد نقلت القارئ والمتلقي من كونه أسيراً لسلطةِ النصِ، ومجرد متلق سلبي لشفراتِ النصِ إلى متلقٍ فعالٍ في منحِ النص دلالاتهِ ووجودهِ(٣).

فدوره هنا ينشأ من تفاعله مع النص، فالمعنى الذي ينتجه القارئ هو تعبير عن تفاعلهِ مع النصِ وإنتاج المعنى يعبر في نفس الوقت عن مدى قدرة القارئ الفعلية على نطق النص بما قيل، وبما لم يقل(٤) ،وهذا يعني أن عملية القراءة عند أصحاب (القراءة والتلقي) بالذات وعند (آيزر) تحديداً "تسير في أتجاهين متبادلين؛ من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص، فبقدر ما يقدم النص للقارئ، يضفي القارئ على النص أبعاداً جديدة "(٥).

---

(١) القارئ في النص، نبيلة إبراهيم (بحث): ١٠١.

(٢) ينظر: التلقي وسلطة القارئ في الأثر المفتوح ، نعاس سامية (بحث): ١٥٢.

(٣) ينظر: اللغة الثانية، فاضل ثامر: ٤٥ – ٤٨.

(٤) ينظر: التلقي وسلطة القارئ في الأثر المفتوح: ١٥١.

(٥) القارئ والنص: ١٠١.

وهكذا اتجهت النظريات النقدية الحديثة إلى الاهتمام بالقراءة والقارئ "كالتأويلية، والفينومينولوجيا، والتداوليات، والنقد الثقافي، والنقد النسائي، والتاريخية الجديدة، ومن ثمّ برز دور القارئ كعنصر فعال في تناول النص وعملية التحليل والتأويل والادراك،..."[١]. يَنطلقُ القارئُ لممارسةِ سلطتهِ على النصِ، باعتبارهِ الوارث الشرعي للنص، فيخضع النص لعملية التفسير والتحليل ليتشكل في وعي القارئ وفق مرجعياته ورؤاه، معنى النص وهو يتوسط ما بين مقصدية الكاتب وفاعلية القارئ من خلال تفاعله مع النص. فالمعنى الذي ينتجه القارئ يختلف من قراءةٍ إلى آخرى، ومن قارئٍ إلى آخر، فلكُلّ قارئ استراتيجية خاصة في عملية تفاعله مع النص تختلف تبعاً للغاية التي يحددها القارئ من عملية القراءة، "فتعدد القراءات واختلافها لا يعود فقط إلى الرؤية الذاتية ولا إلى مدى الرؤية وعمقها فحسب بل إلى اختلاف العصور لاختلاف البيئات الثقافية ومصادر التذوق الجمالي من عصر إلى عصر"[٢].

فضلاً عن اختلاف القراءات في العصر الواحد، فعلى الرغم من انتمائها لثقافة العصر، إلا أنّ كُلّ قارئ ينطلق في عملية القراءة من زاويةِ مرجعياته الخلفية من ثقافة وتجربة ومدى كثرة قراءته للنصوص الأدبية، واستعداد نفسي واجتماعي وفكري[٣]، فللمتلقي سلطة يفرضها على النص على قدر ما يَفرض النصُ تأثيرهَ (سلطته) على المتلقي، وذلك لأنّ القارئ هو كتلة مشاعر، وأفكار، ورؤى، ومعتقدات لا بدّ من أن يطرحها على النص عند قراءته له من قريب أو بعيد، فالقارئ يؤول النص تبعاً لمّا يحس به، وتبعاً لمّا يشعر به ويهواه ويفهمه ولهذا،... فالقارئ زعيم النص والمبدع الثاني للنص وزعامته تكمن في حفظه، وتأويله، ورسم معالمه، وتفكيكه ليعيد صياغته من جديدٍ، وهذه السلطة والزعامة المخُّولة إليه من قبل النقاد تتوقف على قدرتهِ على خلق النص ليغدو مكافئاً للنص الأصلي المؤول وقدرته في تثبيت زعامته وسلطته على النص[٤].

ونأتي الآن لنلمس سلطة القارئ والمتلقي في متن (الصحيفة الرضوية الجامعة)، أن تلقي أو استقبال الخطاب الدُّعائي نجده يختلف من عصر إلى آخر ومن قارئ إلى آخر على وفقِ ما ذكرناه سابقاً من أن الفرد القارئ يَنطلقُ في عملية القراءة لإنتاج المعنى عن خبرة سابقة للنصوصِ الأدبية (الدُّعائية) منها على مر العصور (من أدعية الانبياء والمرسلين إلى أدعية الائمة المعصومين عليهم السلام) لمعرفة

(١) مناهج النقد الأدبي: السياقية والنسقية ، د . عبدالله خضر حمد: ٣٨٢.

(٢) استقبال النص عند العرب: ١٦٩.

(٣) ينظر: م – ن: ١٦٩.

(٤) ينظر: الشعرية بين فعل القراءة وآليه التأويل، د . عصام عبد السلام شرنج: ٧٦.

القواعد اللغوية والأساليب الفنية المتبعة فيها المشتركة بينها، حيث أنّ لِكُلّ جنس أدبي سنناً وقواعد خاصة بهِ، فضلاً عن حصيلة القارئ الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تسهم في مشاركة القارئ للمبدع/المرسِل (الإمام) في إنتاج المعنى المتضمن، أو الظاهر في النص الدعائي، فهو (الإمام) لا يختلف عنه من حيث تكوينه الحضاري الشمولي(١).

ويضاف إلى ذلك دور السياق، أي معرفة الظروف التاريخية والاجتماعية المحيطة بلحظة إنتاج الدعاء فمعرفة ذلك، أو معرفة صاحب الدعاء (الإمام) (ذو المنزلة العظيمة لكونه إماماً معصوماً) كلّها تعد إجراءات أو وسائل تسهم في فعل القراءة بالوجهة الصحيحة، حيث يَنطلق القارئُ في تفسيرهِ وتحليلهِ وتأويلهِ على معرفةٍ تامةٍ بحيثياتِ النصِ كاملةٍ، فعندما يُعيد صياغته مرة ثانية، لا يبتعدُ كثيراً عن دلالاتِ النصِ المبثوثةَ فيه ويضفي عليها دلالاتٍ أو يوضح دلالة ما، تتعلق ربما بِحَكْمِ تأثره وانفعاله به، بذكر تفاصيل ما ذُكر في الدُعاءِ بعباراتٍ موجزة، بما ينسجم مع السياق البنائي للدعاء فلا يدخل في التفصيلات ويتركها للقارئ في معرفتها بعد ذلك، سواء أكان من معايشته لتلك الاحداث، أم من التساؤل والرجوع إليها في الكتب المؤرخة لسيرة الأئمة المعصومين (ع) وأحداث عصورهم المختلفة، ونظراً لذلك فإن الخطاب الدُّعائي، يختلف تأويله وتفسيره على حسب منظومة الفرد القارئ، فالقارئ الموالي في زمن الإمام ربما تكون قراءته منسجمة مع مقاصد المرسِل (الإمام)، وربما عند قارئ آخر يصعب عليه فهم بعض الألفاظ والعبارات، وخصوصاً إذا تلقاها في عصرهِ البعيد زمنياً عن عصر إنتاج الدعاء.

"فالقارئ حينما يستقبل النص فإنه يتلقاه حسب معجمه وقد يمدّه هذا المعجم بتواريخ للكلماتِ المختلفةِ عن تلك التي وعاها الكاتب حينما أبدع نصه، ومن هنا تتنوع الدلالة وتتضاعف ويتمكن النص من اكتساب قيم جديدة على يد القارئ وتختلف هذه القيم وتتنوع بين قارئ وآخر، بل عند قارئ واحد في أزمنة مختلفة "(٢).

فهنا على الرغم من أن القارئ والمرسِل (الإمام) ينطلقان من عقيدة واحدة وهي عقيدةُ الإسلام، واللغة المشتركة بينهما واحدة هي اللغة العربية، إلا أنّ منزلة المرسِل (الإمام) العظيمة، بعلمهِ وحكمتهِ وبلاغتهِ وفصاحتهِ تمكنهُ من أن يختار من الألفاظ أنسبُها ملائمة لبلوغِ المعنى وإحداث الأثر النفسي لها، فمقدرة القارئ اللغوية قد تستوعب تلك المراعاة اللغوية التي على أساسها نظم الإمام (ع) خطابه الدعائي،

(١) ينظر: الخطيئة والتكفير: ٨١.

(٢) م – ن: ٨١.

وقد لا تستوعبها، وذلك يرجع إلى علمهِ ورجاحةِ عقلهِ وتفكيرهِ الواعيِ وهي مستوياتٌ متحققةٌ عند صنفٍ من القرّاء وهم (العلماء والمفسرون) مثلاً الذين يفسرون للناسِ عامةً ما يخص في مسائلِ العقيدة الإسلامية وفي بيان الاعجاز القرآني، وبيان بلاغة الأئمة وخطاباتهم كافة لذلك نَجدُ للخطاب الدُّعائي قرَّاءً عدةً وبمستوياتِ تلقيٍ مختلفةٍ(١)

يمكن تسميتهم على حسب تصنيفات النقاد بالقارئ النموذجي، والقارئ المثالي، والقارئ الخبير، والقارئ العالم... وغيرها ويمكن تقسيم القراءة إلى أنواع :

١- القراءة العادية: وهي القراءة التي يمارسها القارئ العادي الذي يقرأ الدعاء لغرض التعبد والتقرب لله تعالى في طلب حاجات الدنيا والآخرة، وتتأثر نفسية القارئ بالجانب الجمالي في الدعاء وخاصة صياغته اللغوية والفنية.

٢- القراءة التفسيرية: وهي القراءة التي يمارسها صنف من القرّاءِ وهم العلماء أصحاب التفسير العلمي والعقلي، لتقريب المعنى أو معاني الدعاء للمتلقين العاديين، وشرح مفردات الدعاء الغريبة منها لكون الدعاء أُنتج في عصر يختلف عن عصر القرّاء وخصوصاً في الأزمنة البعيدة عن زمن الأئمة (ع)، فيكون أما تفسير لغوي عند بعض العلماء أو تفسير مضموني عند البعض الآخر منهم.

٣- القراءات التحليلية المعاصرة: وتتمثل عند القرّاء الباحثين والاكاديميين من أصحاب اللغة والنقد في الاهتمام بالنص الدعائي ودراسته في ضوء المناهج الحديثة، الأسلوبية منها واللسانية والتداولية ونظرية التلقي والقراءة، فتشمل: القراءة اللغوية، القراءة البلاغية، القراءة في ضوء اللسانيات...إلخ.

٤- القراءة السياقية: ونعني بها قراءة بعض الأدعية في ضوء الظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة بالدعاءِ، وخاصة الأدعية التي يعرض لنا الإمام منها ما يمرُّ به من أحداثٍ ومواقفٍ، فيذكرها في أدعيته، أمّا لغاية الاخبارِ والتعريفِ بأحوالهِ، وأما للمحافظة عليها من التحريف والتأويل في كتبِ الأخبار والسير وخاصة من الرواة والمدونين المعادين للأئمة المعصومين(ع) ولسياستهم الإصلاحية.

وهناك قراءات أُخرى، كالقراءة العرفانية والنفسية التي تستهدف بعض المضامين التي تحمل وجهة نفسية وعرفانية، وعلى وفقِ أنواع القراءات فممارستها تتطلب من القارئ، اشتماله على خبرات ومهارات لغوية وعلمية وثقافية...إلخ، والتي على أساسها يحدد القارئ القراءة المناسبة لقدراته العلمية المختلفة،

(١) ينظر: التلقي للصحيفة السجادية، دراسة تطبيقية في النقد العربي الحديث، د. حيدر محمود شاكر الجديع: ١٠٣-٢٧٧.

والمناسبة للخطاب الدعائي. ومتلقي الدعاء يكون هو صاحب النقص والفراغات والفجوات سواء في علمه ومعرفته، أم في فهمه وفكره فيملؤها عند تلقيه بالنصوص الإبداعية المتكاملة التي لا يشوبها النقص والتزييف، ومنها النص الدُّعائي؛ لكونه نصاً متكاملاً آخذاً كماله وتكامله وعصمته من شخص الإمام الولّي، الذي تفوق على أهل عصره بعلمه الواسع وعظمته الإلهية، فضلاً عن مضامينه القيمة الثرية.

ولِكُلِّ قارئٌ دافعٌ له من وراءِ تلقيه لنص مخصوص، ودوافع المتلقين لخطابات الائمة (ع): من أقوالٍ وخطبٍ ورسائلٍ وكلامٍ ومواعظٍ وأدعيةٍ وتوقيعاتٍ هي لنشر تراث الأدب الإسلامي، وخاصة تراث الأئمة (ع) الذي أُهملَ لسنوات فضلاً عما تتضمنه من جُنبةٍ عبادية خالصة.

فمقاصد المتلقين للصحف الإمامية، ومنها (الصحيفة الرضوية الجامعة) "هي الانتفاع من نصها في كُلِّ شيءٍ يَحملهُ، ومن علومهِ، من حيث العلم الجامع، والفكر الواسع، والأخلاق الرفيعة، والقيم الحميدة، والالطاف الرشيدة، والدروس التربوية، للمحافظة على ملامح الشخصية الإسلامية"(١).

وأما فيما يخص المتلقين من الشراحِ والمفسرينِ والدارسين للصحيفة الرضوية الجامعة، فالبحث لم يشهد تلقياً مخصوصاً للصحيفة الرضوية الجامعة، في حدود الجهد والاستقصاء سوى وقوفه على تلقٍّ خاص ببعض الأدعية الواردة أو المذكورة في الصحيفة الرضوية الجامعة(٢).

وكان تلقيهم يتمثل في شرح الدعاء وتفسيره لأجل إفادة المؤمنين في إيضاح مفردات الدعاء، وما توحي إليها من إيحاءات روحية ومضامين فكرية(٣)، فضلاً عن تحديد محاور أو فصول من الكتاب في بعض الأدعية وخاصة بعض الأدعية التي تبشر بالدولة الكريمة وظهور الحجة (عج) في ذكر كلّ ما يخص الإمام وكيفية ظهوره والأعمال التي ستقام في دولتهِ، بالروايات الصادرة عن الائمة (ع) الذين مهدوا لانتظاره وغيبته عن المؤمنين الغائب عن أنظارنا والحاضر في قلبِ كُلّ مؤمن منتظر له.

فالقرّاء عموماً المتلقين للأدعية، هم ما بين قارئ عادي يتلقف ويقرأ الدعاء لأجل منفعته الدنيوية والدينية في كونه الوسيلة للحصول على نعم الله تعالى والتقرب إليه في طلب الحاجات في (الرزق،

---

(١) ينظر: التلقي للصحيفة السجادية، دراسة تطبيقية: ٨ – ٩ .

(٢) ومنها دعاء الندبة وتوثيقه من الكتاب والسنة، مؤسسة الإمام الهادي (ع)، وتأملات في دعاء الافتتاح، محمد تقي المدرسي، وفي رحاب دعاء الافتتاح، السيّد محمد حسين فضل الله، وسند دعاء الندبة، السيّد ياسين الموسوي، وتأملات في آيات الظهور دعاء الندبة، فوزي آل سيف، وشرح دعاء الافتتاح، محمد علي محمد اللواتي، والمحبة في شرح دعاء الندبة، حليم الحفاظي. فضلاً عن شروحات الزيارة الجامعة (العربية والفارسية).

(٣) ينظر: في رحاب دعاء الافتتاح، السيد محمد حسين فضل الله: ٧– ٢٢٨.

والشفاء، ودفع المصائب، والهموم...إلخ) وبين قارئ عالم يقف على مفرداته يوضحها للجمهور العاديين، والإفادة من المضامين المبثوثة في فقرات الأدعية ونقلها إلى المجتمع.

وخلاصة ذلك أن المحور الثاني الذي يمارس فيه المتلقي والقارئ، ما تبقى له من مواقع يعبر من خلالها عن سلطته فهي سلطة تتداخل مع سلطة النص فقد يسمح النص بممارسة القارئ سلطته عليه في بيان المعنى وإنتاجه مرة ثانية في التقريبِ– على حسب مقدرة القارئ– بين المعنى البسيط وبين المعنى الخفي.

وهناك نصٌ لا يسمح للقارئ أن يمارس سلطته على حسب هواه وحسه وذوقه، وإنما يخضع لسلطة النص فيشاركه في عرض ما يحويه من الجانب اللغوي والجانب الموضوعي وإضفاء بعض المعاني والدلالات بما ينسجم مع دلالة النص وخصوصاً في النصوص الدينية فالقارئ لا يستطيع أن يصدر حكمه عليها ونقدها؛ لكونه في مستوى دون مستوى قائِلها ومع ذلك لا نعدم تواجد سلطته (أي سلطة المرسَل إليه) في مرحلة إنتاجه لكونه نصاً صادراً عن إمام لأجل المكلفين (المؤمنين) في تعليمهم، ومنها:

أولاً: كيفية التوجه لله تعالى عند الدعاء في طلب حاجاتهم.

ثانياً: يتمثل نص الدعاء بلغة واضحة سلسة لأجل نشره وتداوله بين جميع المؤمنين.

ثالثاً: للتواصل مع مجتمعه (المجتمع الإسلامي) في أمور دينهم ودنياهم.

فلذلك راعى الإمام (المرسِل) في صياغة الدعاء المعارف المشتركة بينهما، أي المرسِل والمرسَل إليه حيث "تعد رصيداً مشتركاً بين طرفي الخطاب، فالمعرفة المشتركة هي الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز التواصل،...كما يعوّل عليها المرسَل إليه في تأويله"[1] وهذه المعرفة تشمل:

أولاً:– معرفة بنظام اللغة في جميع مستوياتها (المعجمية، الصرفية، والنحوية، الدلالية...).

ثانياً:– معرفة عامة (المعرفة الموضوعاتية) دينية، واجتماعية، وأخلاقية، وسياسية، فالقارئ العالم تستوقفه هذه المضامين على حسب ميدانه العلمي التخصصي، في اللغة، والتربية، والأخلاق، وعلم النفس و الاجتماع...إلخ[2].

(١) استراتيجيات الخطاب : ٤٩ .

(٢) ينظر: م– ن : ٤٩ – ٥٠.

فسلطة القارئ في النص الدُّعائي تكون بمشاركته في ابراز تلك الصياغة الفنية المحكمة التي لا يشوبها خلل أو نقص في التعبير من ناحية مفرداته الموحية والصور البلاغية، التي تقرب المعنى للمتلقي/القارئ والسامع وخصوصاً في المعاني والحقائق المجردة المعنوية، فضلاً عن إيقاعه الصوتي المتحقق بفضل فواصله (قراراته) المسجوعة، والتراكيب المتكررة المتوازنة التي تخلق إيقاعاً مخصوصاً يسهم في احداثِ متعة عند سماعه وقراءته.

وتَشهدُ للقارئِ مشاركتهَ المحسوبةَ لجانبهِ والمعبرةِ عن سلطتهِ، وهي تتمثل في مدى كفاءته العلمية في استنطاق المعاني والمضامين المبثوثة في بعض الأدعية، وكذلك عندما يشرع في تفسيره وتحليله بما ينسجم مع طبيعة الدعاء وبما يخدم المتلقين الآخرين من عامة المجتمع والطبقة المحدودة في معلوماتها والذي ربما لا يقف عندها ويفسرها بالطريقة التي يفسر فيها القارئ العالم لكون ثقافته ومعرفته قد أسهمت في بيان وتفسير النص الدعائي تفسيراً عالياً ومعمقاً.

الفصل الثالث

سياقات الخطاب في

الصحيفة الرضوية الجامعة

- المبحث الأول: السياق الخارجي (الإطار العام)

- المبحث الثاني: السياق الداخلي (البناء الخاص)

توطئة:

أولاً: مفهوم السياق:

يعد مصطلح السياق من المصطلحات الشائعة استعمالاً في البحث اللغوي المعاصر وقد استقطب اهتمام مختلف الباحثين في الدراسات النقدية واللسانية النصية والتداوليات وتحليل الخطاب؛ لكونه مصطلحاً يدخل في تشكل الخطاب على هيئةٍ مخصوصةٍ، فضلاً عن عدم إمكانية تحديده بمجالِ تخصصي واحد، فلذلك يعد السياق أداة إجرائية متبعة من قبل كلّ من (المتكلم/المبدع، والمتلقي/القارئ والسامع، والناقد، والعالم اللغوي، والباحث، والدارس للخطاب...).

ولكي نصل إلى رؤية واضحة لتعريف السياق، نقف أولاً: عند دلالته في المعاجم اللغوية، إذ جاء في (أساس البلاغة) "ومن المجاز: سَاقَ الله اليه خيراً، وسَاقَ إليها المَهَرَ، وسَاقَتْ الريحُ السحاب، وأردتُ هذه الدار بثمنٍ فساقها الله إليك بلا ثمن، والمحتضر يَسُوق سياقاً،... وتَساوَقَتْ الإبلُ: تتابعت، وهو يَسُوقُ الحديث أحسن سياق، "وإليك يُساق الحديث". وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"[1] وفي (لسان العرب) "السَّوق: معروف، سياق الأبل وغيرها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سَائِقٌ وسوَّاق، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قيل في التفسير: سَائِق يَسُوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عليها عملها...، وقد انساقت وتَساوَقَتْ الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت،...، وساقَ إليها الصَّداقَ والمَهرَ سياقاً وأساقَه، وإن كان دراهم، أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبلُ، وهي التي تُسَاقُ، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرها...، وساق بنفسه سياقاً: نَزَعَ بها عند الموت، تقول: رأيتُ فلاناً يَسُوق سُووقاً أي يَنْزِع نَزْعاً عند الموت،..."[2] فنجد السياق في المعاجم اللغوية العربية قد حُدد بمعانٍ، هي (قاد، وأعطى، والنزع، والتتابع، والتوالي).

وفي الاصطلاح: يُعْرَف السياق بأنّه "هو بناءٌ كاملٌ من فقراتٍ مترابطةٍ في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الاجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة"[3] وهذا التعريف يحدد ما يُعْرَف بالسياق اللغوي وهو المفهوم الشائع في الدرس اللغوي الذي يُعنى بتحديد معنى الكلمة أو الجملة في ضوء السياق الذي ترد فيه وعلاقتها بالكلمات المترابطة معها في البناء والتركيب فالسياق هو الذي يحدد معنى

(١) أساس البلاغة: ٤٨٤/١.

(٢) لسان العرب: ١٦٦/١-١٦٧.

(٣) معجم المصطلحات الأدبية، ابراهيم فتحي: ٢١٠.

الكلمة، بعد ذلك اتسع مفهوم السياق وخاصة مع الدراسات التداولية فَعُرِفَ السياق في نظرتهم بأنّه "مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ، بموقف الكلام ...وتسمى هذه الظروف في بعض الأحيان بالسياق context "(١). ونلمس في تعريف آخر تحديد نوعين للسياق، هما: السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي وهو "السياق يعني واحداً من اثنين اولاً: السياق اللغوي وهو ما يسبق الكلمة وما يليها من كلمات آخرى، وثانياً: السياق غير اللغوي أي الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام"(٢).

فما هو دور السياق في عملية الإنتاج الأدبي وعملية تلقيه؟- للسياق دورٌ بارزٌ في عملية إنتاج النص الأدبي، فالمبدع أو المرسِل لا يغفل ما للسياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي من أثرٍ على عملية إنتاج خطاب أدبي مفهوم عند الآخر، وذلك بالاعتماد على السياق اللغوي الصحيح في علاقة الكلمات وترابطها بعضها مع البعض مما يؤدي إلى تثمير دلالات لغوية آخرى للكلمة ولا يغفل ما للأحداث أو الظروف الاجتماعية من دورٍ في بناءِ حدثِ النصِ أو الخطابِ، فالخطاب هو جملةٌ من الأحداث والمواقف المنعكسة على الواقع، وبالمقابل لا يهمل المتلقي/المرسَل إليه تلك السياقات في فهمه لمعاني الخطاب ودلالاته.

فللسياق بنوعيه أهمية لا تنكر في عمليتي التواصل والتلقي حيث يعد أحد الآليات الإجرائية المتبعة التي ترفد المتلقي لفهم الخطاب وتأويله بمعرفة أحوال وعلاقات الكلمات والجمل المنسقة على هيئة مخصوصة في النص لإحداث التأثير المقصود في نفس المتلقي فضلاً عن أن معرفة الأحوال والظروف الخارجية المصاحبة لعملية إنتاج الخطاب تُسهم أيضاً في الكشفِ عن أثرِ تلك الظروف على تشكل الخطاب والبحث عن مقاصد المرسِل(٣). لذلك نلمس "للسياق دوراً فعالاً في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالإساس وما كان ممكناً أن يكون للخطاب معنى لولا الالمام بسياقه"(٤).

---

(١) Oswald Ducrot and Tzvetan todorov: Encyclopedic dictionary of the sciences of language, p 333، نقلاً عن استراتيجيات الخطاب: ٤١.

(٢) دلالة السياق، ردّة الله بن ضيف الطلحي: ٥١.

(٣) ينظر: السياق الثقافي ودوره في إنتاج المعنى وتوجيه دلالة النص، د. يوسف العايب (بحث):١٠٩-١١٠.

(٤) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥٦.

وقد اختلف العلماء في تحديد السياق وتصنيفه وذكر أنواعه، فقد ذهب (براون ويول) إلى إعتبار أنّ السياق يتكون من المتكلم/الكاتب، والمستمع/القارئ، والزمان والمكان؛ فالسياق عندهما يتمثل بأطراف عملية التواصل(١).

ويرى (هايمس) "أن للسياق دوراً مزدوجاً اذ يحصر مجال التأويلات الممكنة... ويدعم التأويل المقصود. ويذهب (هايمس) إلى أن خصائص السياق قابلة للتصنيف:

أ- المرسِل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

ب- المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

ج- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

د- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.

هـ- المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصلي،...

و- القناة: كيف يتم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة...

ح- شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عِظة، خرافة، رسالة غرامية ...

ط- المفتاح: أي تقويم الرسالة.

ي- الغرض: أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي"(٢).

وأقام (ليفيس) تصنيفاً أخر لخصائص السياق على أساس ما للسياق من أثرٍ في تحديد صدق أو كذب جملة ما فالخصائص على حسب نظره هي:

أ- العالم الممكن: بمعنى أخذ الوقائع التي قد تكون، أو يمكن أن تكون، أو هي مفترضة، بعين الإعتبار.

ب- الزمن: إعتبار الجمل المزمّنة وظروف الزمان مثل: اليوم، الأسبوع المقبل...

ج- المكان: جمل تدلّ على المكان. إنه هنا أو هناك.

د- المتكلم: وتدلّ عليه الجمل التي تتضمن إحالة إليه وهي الضمائر (أنا، نحن).

هـ- الحضور: وأيضاً تدلّ عليه الجمل التي تحمل ضمائر المخاطب (أنت، أنتم).

و- الشيء المشار إليه: وكذلك يكون في الجمل التي تتضمن أسماء الإشارة (هذا، هؤلاء).

ز- الخطاب السابق: حيث تتضمن الجمل إشارة إليه بكلمات مثل (هذا الأخير، المشار إليه سابقا).

---

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥٢.

(٢) م- ن: ٥٣.

ح- التخصيص: سلسلة أشياء لا متناهية (مجموعات أشياء، متتاليات أشياء)[١]

ونجد كلاً من (غريماس وكورتيس) يعرفانِ السياق في معجم السيميائيات بأنّه "مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة وتتعلق بها الدلالة (la signification)، حيث يمكن له أن يكون صريحاً(explicite) أو لسانياً ويمكن أن يكون ضمنياً (implicite) ويتميز في هذه الحالة بأنه سياق خارجي لساني (extra linguistique) أو مقامي"[٢]

وعرفه كذلك (جون دي بوا) في قاموس اللسانيات كما يلي:

١- "بأنّه المحيط (lenvironnement)، أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة محددة ويسمى بالسياق أو السياق الشفوي.

٢- ومجموع الشروط الاجتماعية التي يمكن أن تأخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات القائمة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللساني، وغالباً ما يحدد السياق: بالسياق الاجتماعي لاستعمال اللغة، ونقول أيضاً المقام، وهو مجموع المعطيات المشتركة بين المتكلم والمستمع في مقام ثقافي، ونفسي، للتجارب ومعارف كلّ منهما"[٣].

وفي القاموس الموسوعي لعلوم اللغة نجد كلاً من الباحثين (ديكرو وتودوروف) في معالجتهم لقضايا تتعلق بالسياق والمقام في القسم المعنون "بمقام الخطاب" حيث عرف (ديكرو) السياق غير اللغوي بأنّه يشمل جميع الملابسات الخارجية التي تحيط بالخطاب ومنها الصورة المتبادلة بين المتخاطبين وهويتهم، والفكرة الي يحملها كلّ واحد عن الآخر، والأحداث التي تسبق فعل التلفظ، ويربط السياق اللغوي بالوحدات الصوتية والنحوية (التركيبية) والمعجمية[٤].

فمن خلال ما ذكرناه من تعريفات للسياق يتضح لدينا أهمية معرفة سياق النص الأدبي وخاصة في مرحلة تحليله، لأنّه يحدد لنا معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاثة هي:

أ- تحديده لأي جملة تم نطقها.

ب- وأخباره عن أية قضيةٍ تمّ التعبير عنها.

---

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥٤.

(٢) السياق والنص الشعري، علي آيت أوشان: ٣١.

(٣) م- ن: ٣٤.

(٤) ينظر: م- ن: ٣٢-٣٣.

ج- ويساعد على القول إن القضية تحت الدراسة قد تمّ التعبير عنها بموجب القوة غير الكلامية[١].

فالسياق حاضر في تكوين الخطاب وفي تأويله مما يعني أن السياق بنوعيه نافذٌ في اجزاء التخاطب الرئيسة: المرسِل، والرسالة، والمتلقي/المرسَل إليه، فسياق المرسِل يتمثل بالظروف المحيطة به في لحظة إنتاج الخطاب، ومنها: المحيط الاجتماعي، والاستعدادات، والامكانات والانفعالات التي تؤثر بدورها في عملية إنتاج الخطاب وأمّا سياق الرسالة تمثل في الهيئة التي تشكلت بها والقالب أو الاطار والموضوع الذي صيغت فيه، وهذا كلّه يندرج تحت سياق الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه الرسالة ثم السياق اللغوي فالحضاري العام. فضلاً عن سياق المتلقي المتمثل بالمواقف الذاتية، والاستعدادات النفسية، والرؤية الخاصة التي ينطلق منها في فهمه للنصوص أثناء ممارسته لعملية القراءة[٢].

ثانيا: أشكال السياق في الصحيفة الرضوية الجامعة:

تعددت أشكال السياق-كما لمسنا سابقاً- وذلك يرجع لكثرة الدراسات الحديثة في تناول مفهوم السياق ودلالته في العلوم الحديثة، ومنها علم اللغة الحديث، فالسياق له بعدان:

١- بُعْد داخلي أو مقالي وهو ما يسمى بالسياق اللغوي: وهو السياق "الذي يتأسس على وفق طبيعة التركيب أو التشكيل، أو المكون النحوي الذي ترد فيه المفردات حيث يعلق بعضها ببعض على وفقِ الأنظمة، والقواعد، والضوابط المعتمدة في لغة ما"[٣]، أو بعبارة أخرى هو "طريقة تسييق الكلمة المفردة داخل الجملة، وتسييق الجملة مع الجمل الآخرى، وتسييق هذه الجمل داخل الإطار الكلي للنص"[٤] ويشمل السياق اللغوي: السياق الصوتي، والسياق الصرفي، والسياق النحوي، والسياق المعجمي[٥].

٢- وبعد خارجي يعرف بالسياق غير اللغوي أو سياق الموقف أو المقام وهو يتعلق بالظروف غير اللغوية المحيطة بعملية التواصل، إذ يشمل كلّ القرائن الخارجة عن التعبير الحرفي للغة من مرجعيات معرفية وخلفيات ثقافية وظروف اجتماعية، وظروف الزمان والمكان وهذه الظروفُ أو القرائنُ الخارجيةُ لا

(١) ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب: ٢٢٢.

(٢) ينظر السياق وأثره في المعنى، د. المهدي ابراهيم الغويل: ١٦.

(٣) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر: ٢١٥.

(٤) السياق وأثره في المعنى: ١٤.

(٥) ينظر: السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، خليل خلف بشير العامري (بحث): ١٧٤.

يُمكن حصرها لأنّها تتعلق بكلِّ ما له علاقة بأحوال المتخاطبين وتجاربهم الشخصية، فضلاً عن طبيعة النص والجنس الأدبي الذي يحويه[١].

وما يذكره الباحثون من أشكال آخرى للسياق هي تفصيلٌ يدخل تحت القسمين الرئيسين للسياق (اللغوي وغير اللغوي) كالسياق العاطفي، والسياق القصصي، والسياق التداولي، والسياق النفسي الاجتماعي، والسياق الثقافي...إلخ[٢]

والبحث يدرس السياق في الصحيفة الرضوية الجامعة على مبحثين، المبحث الأول: يتناول السياق الخارجي تحت مسمى (الإطار العام) والمبحث الثاني: يتناول السياق الداخلي كذلك تحت مسمى (البناء الخاص).

(١) ينظر: السياق وأثره في المعنى: ١٥، وينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٢١٦ –٢١٧.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب:٤٢–٤٤، وينظر السياق والنص الشعري: ٨٢–٨٨.

المبحث الأول

السياق الخارجي (الإطار العام)

يعد إمعان النظر في الشيء المتكامل أو العمل المنجز وهو في ثوبه النهائي، انعكاس لعملية ترابط وتماسك بعدين أَسهما في تشكله وتكوينه بالشكل النهائي المعروض أمام المتلقي، وبالنسبة للعمل الأدبي المنجز سواء أكان محكياً أم مكتوباً، فالبعدان اللذان يتشكل منهما العمل الأدبي، هما: اللغة وأساليبها المتنوعة، والموضوع أو الفكر الذي يعبر عنه المبدع/المرسِل بأساليب لغوية وفنية معينة، مما يعني أن النص الأدبي بألفاظه وجمله وعباراته يصوغه المبدع/المرسِل للتعبير عن أحداث أو مواقف ما أو أفكار أو ظروف مجتمعه. فالبعد الأول يعرف بالسياق الداخلي أو اللغوي وهو يمثلُ البنية النصية للعمل الأدبي، والبعد الثاني يعرف بالسياق الخارجي أو غير اللغوي، فالسياق الخارجي أو سياق الموقف/الحال ويقصد به العالم الخارجي الذي له علاقة بالحدث اللغوي، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئة النفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام[١]، فالسياق لذلك يعد "النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[٢].

وقد حدد (فيرث) العناصر المتصلة بسياق الموقف أو السياق الخارجي بثلاثة عناصر هي:

١- شخصية المتكلم/المرسِل والمتلقي، وتكوينهما الثقافي وشخصيات آخرى تشهد الحدث الكلامي، والأحداث غير الكلامية كالإشارات وتعبيرات الوجوه والانفعالات وغيرها.

٢- العوامل والظواهر الاجتماعية التي تتصل بالموقف الكلامي كالمكان الذي تجري فيه العملية الكلامية ،أو الطقس وحالة الجو والوضع السياسي، وعلاقة ذلك كلّه بالسلوك اللغوي وقت الكلام.

٣- أثر النص الكلامي في المشتركين كالإقتناع، والاعتراض، أو الاغراء أو الضحك وغير ذلك[٣].

وأن محاولة البحث في معرفة السياق الخارجي للنص الأدبي لا يقصد من ورائِه التعمق في معرفة شخصية صاحبها وميوله وتطلعاته وظروف مجتمعه وتاريخه بقدر ما يقصد بها الوقوف المستبصر لخبرة المبدع/المرسِل المنعكسة على النص الأدبي بحيث شكلت قيمة جمالية قوامها اللغة[١]

---

(١) ينظر: التركيب والدلالة والسياق، د. محمد أحمد خضير: ١١٨.

(٢) دلالة السياق: ٥١.

(٣) ينظر: السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني: ١٩٢، وينظر: التركيب والدلالة والسياق: ٦٠.

وضمن أبعاد هذا السياق سنتناول المحاور أو الموضوعات الآتية:

أولاً: السياق الفكري (مقومات الخطاب).

ثانياً: السياق الخارجي (الزمان– المكان– الحال).

أولاً: السياق الفكري (مقومات الخطاب):

حاول البحث أن يسلط الضوء على خطاب أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة عبر محطاتٍ متواصلةٍ في دراسته فكشف لنا عن (استراتيجياته الخطابية) و(السلطة في الخطاب) وغير ذلك ونقف الآن عند محاولة الكشف عن السياق الفكري الذي يتبناه خطاب الصحيفة الرضوية المباركة أو ما يسمى بـ(مقومات الخطاب). فما هي مقومات خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة؟ وفيما تتجسد؟

يدور الحديث في موضوعة مقومات الخطاب حول محاولة الإجابة عن السؤال التالي: ماهي البُنى الفكرية المشتركة التي يقوم عليها الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة؟ – وهي محاولة تدور بالأساس في إطار التموضع الدلالي لمفهوم الخطاب في التعريف الفوكوي الذي عرف الخطاب بأنّه "مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لانهاية. يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ... بل هو عبارة عن عددٍ محصورٍ من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها"[٢].

وهو أحد المفاهيم التي تبناها البحث في متابعة جماليات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة، كما تمت الإشارة إلى ذلك في التمهيد والتعريف الثاني الذي له صلةٌ أَبْرز بالسياق الفكري هو أنّ "الخطاب هو ما تشترك فيه مجموعة من النصوص يكون الرابط بينها صدورها عن جهة واحدة"[٣]، فالسياق الفكري يتعلق بالبنى أو النظم الفكرية التي تحيط بنصوص الصحيفة أو هو طريقةُ تسييق فكر موحد تَشترك فيه نصوص الصحيفة الرضوية الجامعة، والتي تجسدت عبر ثيمات وأبعاد فكرية كمقومات لخطاب الصحيفة الرضوية الجامعة، وهي كالآتي:

---

(١) ينظر: السياق وأثره في المعنى: ١١٠.

(٢) مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: ٩٥.

(٣) فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة: ٢٤.

أ- ثيمة البعد العقائدي:

وتعرف الثيمة أو التيمة بأنّها "الفكرة المحورية المهيمنة في عمل أدبي أو هي الفحوى أو المغزى المتضمن في أي عمل أدبي"[١] والثيمة في الصحيفة المباركة هي التي تعكس للمتلقي الجانب العقائدي فيما يتعلق بتوحيد الله تعالى وصفاته العليا التي غالباً ما يقع الانحراف من قبل فهمها الواهم، فالإيمان بالله تعالى وتوحيده هو أصل العقيدة الإسلامية، وقد تمظهرت لنا هذه الصور عبر أغلب أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة سواء أكانت في أدعية التسبيح لله تعالى والتحميد والثناء عليه ومناجاته أم كانت في موضوعاتٍ آخرى تجلى فيها البعد العقائدي، كما في النماذج الأولى المختارة من الصحيفة الرضوية للإمام الرضا (ع): ((**سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِه، وَأَتْقَنَ ما خَلَقَ بِحِكْمَتِه، وَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ مَوْضِعَهُ بِعِلْمِه، سُبْحانَ مَنْ يَعْلَمُ خائِنَةَ الْاَعْيُنِ وَما تُخْفِى الصُّدُورُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ، وَهُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ**))[٢] فالدعاء هنا قائمُ على بيان توحيده تعالى بذكر قدرته وعظمته التي تجلت في الأمور الآتية:

١- قدرته تجلت في خلقه للخلق وإتقانه تصوير خلقه وأدارتهم بحكمته ووضع كلّ شيء موضعه.

٢- ما تدلّ على صفاته بأنّه (يعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور) وليس هناك أحد يمتلك تلك الصفة فهو العالم بكلّ شيء، لأنّه خالق كلّ شيء .

٣-وتفرده وانعدام المثيل له.

وفي دعاء آخر له (ع): ((**اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، سُبْحَانَكَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُنَّ، وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، يَا اللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**))[٣].

وهو كسابقه يقرّ ويؤكد المبدأ الأساس الذي يقوم عليه نظام العقيدة الإسلامية، والمتمثل في مبدأ التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشريك وبيان صفاته الاسمى. وهو مبدأٌ يكاد لا يخلو منه دُعاء في الصحيفة الرضوية الجامعة وفي أدعية الأنبياء والمرسلين السابقين وبقية أدعية الأئمة (ع) المذكورة في

(١) معجم المصطلحات الأدبية: ١١٧.

(٢) م – ن: ١٧.

(٣) م – ن: ٩٥.

صحفٍ آخرى، وهذا ما يدلّ على أنّه أول مقوم خطابي تشترك فيه النصوص السابقة (أدعية الأنبياء والمرسلين) و(أدعية الأئمة عليهم السلام) النصوص المكملة لخط ونهج الأنبياء، فتوحيد الله تعالى بتحميده وتسبيحه والثناء عليه بصفاته العليا واسمائه العظيمة هي أساس كل عقيدة سماوية.

وفي نماذج آخرى من الصحيفة نقف على ذلك البعد الذي مثّل كما ذكرت أول مقوم من مقومات الخطاب، ففي أدعية الصحيفة الجوادية تجلى البعد العقائدي في النماذج المختارة كما في دعائه الأول في الثناء على الله عز وجل: **((يَا ذَا الَّذِي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ يَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ، وَ يَا ذَا الَّذِي لَيْسَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَلَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى وَلَا فَوْقَهُنَّ، وَلَا بَيْنَهُنَّ، وَلَا تَحْتَهُنَّ إِلَهٌ يُعْبَدُ غَيْرُهُ))**[1].

ففي هذا الدعاء تمثّل تمجيده بتنزيهه وتقديسه بذكر صفاته العليا وهي:

أ- وجوده قبل كلّ شيء.

ب- أنّه خالق كلّ شيء.

ج- بقاؤه سبحانه وتعالى وفناء المخلوقات.

د- العبودية لله تعالى وحده فهو الرب الواحد لا شريك له في ملكه ليس هناك اله يعبد غيره.

وفي دعاء آخر له (ع)، في الاستعداء على الظالمين بث الإمام فيه البعد العقائدي (تمجيده تعالى): **((اَللّهُمَّ أَنْتَ الأوَّلُ بِلا أَوَّليَّةٍ مَعْدُودَةٍ، وَالْآخِرُ بِلا اخِريَّةٍ مَحْدُودةٍ، أَنْشَأْتَنا لا لِعِلَّةٍ اِقْتِساراً، وَاخْتَرَعْتَنا لا لِحاجَةٍ اِقْتِداراً،...، فَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ وَالْبَهاءِ، وَالْعَظَمَةِ وَالْكِبرِياءِ، وَالإِحْسانِ وَالنَّعْماءِ، وَالْمَنِّ وَالْالاءِ، وَالْمَنْحِ وَالْعَطاءِ، وَالإِنْجازِ وَالْوَفاءِ، لا تُحيطُ الْقُلُوبُ لَكَ بِكُنْهٍ، وَلا تُدْرِكَ الْأَوْهامُ لَكَ صِفَةً، وَلا يُشْبِهُكَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِكَ، وَلا يُمثَّلُ بِكَ شَيْءٌ مِنْ صَنْعَتِكَ، تَبارَكْتَ أَنَ تُحَسَّ أَوْ تُمَسَّ، أَوْ تُدْرِكَ الْحواسُّ الْخَمْسُ، وَأَنَّى يُدْرِكُ مَخْلُوقٌ خالِقَهُ، وَتَعالَيْتَ يا إِلهى عَمّا يَقُولُ الظّالِمُونَ عُلُوّاً كَبيراً))**[2].

فكأنّ هذا الدعاء يرسمُ لنّا هوية متكاملة عن الاله المستحق للعبادة ويستعرض لنّا أهم مقومات كونه الهاً حقيقياً قاهراً ومالكاً لكلّ الصفات الربوبية الحقة، فضلاً عن وصف العلاقة بين هذا الربّ المعبود وبين خلقه القائمة على الرحمة والعدل والرأفة بمخلوقاته، وهي رحمةٌ تمثل ميزاناً تقاس عليه جميع شرائع قوانين السماء التي صيغت بطريقة تحكمها الرأفة والعطف بالمخلوقِ الضعيف.

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١١٧.

(٢) م- ن: ١٥٣، وينظر: أيضاً: ١٥٨.

وفي الصحيفة الهادية نجد استمراراً لثيمات تعكس البعد العقائدي في أدعية التسبيح والتحميد والمناجاة كما في دعائه الآتي :((**سُبْحانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لا يَسْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَلْهُو، سُبْحانَ مَنْ هُوَ غَنِيٌّ لا يَفْتَقِرُ، سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِه**))[1].

وفي دعائه في التحميد لله تعالى: ((**الْحَمْدُ للهِ الْعَالِمِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَدِينَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ دَائِنٌ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، مُؤَلِّفِ الأَسْبَابِ بِمَا جَرَتْ بِهِ الأَقْلامُ وَمَضَتْ بِهِ الْاَحْتَامُ مِنْ سَابِقِ عِلْمِهِ، وَمُقَدَّرِ حُكْمِهِ. أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ نِقَمِهِ، وَأَسْتَهْدِي اللهَ الْهُدَى وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ وَالرَّدَى،...**))[2].

وكذلك نلمس البعد العقائدي في الصحيفة العسكرية كما في دعائه التسبيح لله تعالى: ((**سُبْحانَ مَنْ هُوَ في عُلُوِّه دانٍ، وفي دُنُوِّه عالٍ، وفي اِشْراقِه مُنيرٌ وفي سُلْطانِه قَوِيٌّ، سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِه**))[3].

ونجد في دعاء آخر موضوعه طلب قضاء الحوائج ألّا أنه تضمن توحيد الله تعالى: ((**اَللّـهُمَّ اِنّي أَسْأَلُكَ بِاَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا اِلـهَ إلاّ اَنْتَ، الْبَديءُ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، وَاَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّوم، لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ، الَّذي لا يُذِلُّكَ شَيءٌ وَاَنْتَ كُلَّ يَوْم في شَاْنٍ، لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ خالِقُ ما يُرى وَما لا يُرى الْعالِمُ بِكُلِّ شَيء بِغَيْرِ تَعْليم، أَسْأَلُكَ بالائِكَ وَنَعْمائِكَ، بِاَنَّكَ اللهُ الرَّبُ الْواحِدُ لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ، وَأَسْأَلُكَ بِاَنَّكَ اَنْتَ اللهُ لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ الْوِتْرُ الْفَرْدُ الاَحَدُ الصَّمَدُ الَّذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً اَحَدٌ﴾ وَأَسْأَلُكَ بِاَنَّكَ اللهُ لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ، اللَّطيفُ الْخَبيرُ، الْقائِمُ عَلى كُلِّ نَفْس بِما كَسَبَتْ، الرَّقيبُ الْحَفيظُ...**))[4] [الاخلاص:٣-٤].

فنلمس أن فقرات الدعاء قائمة على توحيد الله تعالى حيث مثّل عنصر التكرار ومنه (التكرار اللفظي) الأداة الإيقاعية التي أسهمت في رفد الدعاء بإيقاعية مخصوصة، وتعزيز مضمون الدعاء في وصفه تعالى وذكر صفاته العليا، فضلاً عن شموله على اسمائه الحسنى: (اللَّطيفُ، الْخَبيرُ، الرَّقيبُ، الْحَفيظُ، الاَوَّلُ، الاخِرُ، الْباطِنُ، الْحَكيمُ، الْعَليمُ، الْحَنّانُ، الْمَنّانُ).

ونلمس كذلك البعد العقائدي في خاتمة الصحيفة الرضوية الجامعة وهي الصحيفة المهدوية لخاتم الأئمة (ع) الفرع المتصل بآبائه وأجداده وهذا ما يدلّ على السياق الفكري الموحد بين سلسلة صحائف

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦١.

(٢) م – ن: ١٦١– ١٦٢.

(٣) م– ن: ٢٠٥.

(٤) م – ن: ٢١٦، وينظر: أيضاً: ٢٤٦.

الأئمة (عليهم السلام) المتضمنة في صحيفةٍ واحدةٍ هي (الصحيفة الرضوية الجامعة) فهذه النماذج تدلّ على فكرٍ موحدٍ نابعٍ من مرسِلٍ واحدٍ، فلَمْ يَشعر المتلقي بتغير الذات المرسِلة، فخطابهم واحد وفكرهم واحد وأساليبهم المخصوصة في الدّعاء واحدة.

كما نلحظ ذلك البناء الفني في الدعاء الآتي: وهو دعاء في دفع الشدائد والمهمات غير أنّه تضمن في ثنايا فقراته تمجيده تعالى بذكر صفاته المخصوصة بالخالق دون غيره: ((**وَأَنَّكَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ، لَمْ تَكُنْ مِنْ شَيْءٍ، وَلَمْ تَبِنْ عَنْ شَيْءٍ، كُنْتَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ الكائِنُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمُكَوِّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ، خَلَقْتَ كُلَّ شَيْءٍ بِتَقْديرٍ، وَأَنْتَ السَّميعُ الْبَصيرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ كَذلِكَ كُنْتَ وَتَكُونُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ، وَلا تُوصَفُ بِالْأَوْهامِ، وَلا تُدْرَكُ بِالْحَواسِّ، وَلا تُقاسُ بِالْمِقْياسِ، وَلا تُشَبَّهُ بِالنَّاسِ، وَأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَبيدُكَ وَإِماؤُكَ، وَأَنْتَ الرَّبُّ وَنَحْنُ الْمَرْبُوبُونَ وَأَنْتَ الْخالِقُ وَنَحْنُ الْمَخْلُوقُونَ، وَأَنْتَ الرَّازِقُ وَنَحْنُ الْمَرْزُوقُونَ**))[1].

وفي دعاء آخر: ((**يَا بَاطِناً فِي ظُهُورِهِ، وَ يا ظَاهِراً فِي بُطُونِهِ، يَا مُفَرِّقاً بَيْنَ النُّورِ وَالدَّيْجُورِ، يَا مَوْصُوفاً بِغَيْرِ كُنْهِهِ، وَمَعْرُوفاً بِغَيْرِ شِبْهِهِ، حَادَّ كُلِّ مَحْدُودٍ، وَشَاهِدَ كُلِّ مَشْهُودٍ، وَمُوجِدَ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَ مُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُودٍ، وَفَاقِدَ كُلِّ مَفْقُودٍ، لَيْسَ دُونَكَ مِنْ مَعْبُودٍ، أَهْلَ الْكِبْرِيَاءِ وَالْجُودِ. يَا مَنْ لَا يُكَيَّفُ بِكَيْفٍ، وَلَا يُأَيَّنُ بِأَيْنٍ، يَا مُحْتَجِباً عَنْ كُلِّ عَيْنٍ، يَا ديموم يَا قَيُّومُ، وَعَالِمُ كُلِّ مَعْلُومٍ**))[2].

ففي النماذج المذكورة سابقاً نجد أن الوظيفة أو الثيمة الغالبة عليها هي رسم صورة عقدية تبين للفرد المؤمن الدلالات البيّنة على وحدانية الله تعالى وعظمته المتمثلة بقدراته ونعمه سبحانه وتعالى على الخلقِ ، فهو ربُّ العالمينِ ليس هناك الهٌ معبودٌ غيره في السماواتِ والأرضِ.

إذن استطاعت النماذج المذكورة من الأدعية السابقة أن تُظْهَر لنّا وحدة الخطاب العقائدي الذي اشتملت عليه الصحيفة الرضوية المباركة من خلال هذه الوحدة الفكرية التي لمسناها في أدعية الأئمة الأطهار(ع) وبهذا الشكل المذهل الذي لا اختلاف فيه ولا نجد أي شكل من أشكال التعارض أو التضاد وفي ذلك دليلٌ واضحٌ على وحدة المنبع الفكري ووحدة المشروع الإسلامي الذي تبناه أئمة أهل البيت (ع) الذي حملته مختلف النصوص الخطابية المأثورة عنهم.

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) م – ن: ٢٩٧– ٢٩٨، وينظر: أيضاً: ٢٩٥ -٢٩٦.

ب- ثيمة البعد الأخلاقي/الديني:

وهي الثيمة التي نجدها مبثوثة في نصوص الصحيفة الرضوية الجامعة، فهي تمثل الهدف الفكري الثاني الذي ترغب أدعية الصحيفة في إيصاله للمتلقين (في كُلِّ الأزمنةِ) لأنّ الأخلاقَ هي السلوكياتُ والتصرفاتُ الإيجابيةُ التي يَرغبُ الإمامُ (ع) في تفشيها عند جميع أفراد المجتمع الإسلامي، والمحافظة على كُلِّ عادة وتصرف سلوكي يُعَزّزُ من مكانةِ الفردِ المؤمنِ في المجتمع فيحاولُ الائمةُ (ع) رسمَ الصور الحقيقية للإنسان المؤمنِ والتي كانتْ من آحدى مهماتِ رسالة الأنبياء والمرسلين في بيان الأخلاق الحميدة وآثارها الحسنة على الفردِ الواحد في الدلالة على التزامه بتعاليم الدين الإسلامي وحصوله على المنزلة الحسنة عند أهله وفي مجتمعه فيكون بمثابة القدوة الحسنة.

وقد تمثل هذا الهاجسُ في أغلب نصوص الصحيفة المباركة فنشهد في النماذج الأولى: من أدعية الصحيفة الرضوية تجلي أكثر من صورة تعكس البعد الأخلاقي، والتي تمثلتْ في الحث على التمسك بالعادات والسلوكيات الأخلاقية الإيجابية وبيان بعض العادات السلبية التي تحط من مكانة الفرد في المجتمع فمثاله ما يتوجه به الإمام (ع) بدعائه للمتلقين بذكْر صفة يرغَبُ أن يتحلى بها الفرد المؤمن وأن تكون أساسَ كُلِّ عملٍ وهي التوكل على الله تعالى: **((اِسْتَسْلَمْتُ [يا] مَوْلايَ لَكَ، وَاَسْلَمْتُ نَفْسي اِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ في كُلِّ اُمُوري عَلَيْكَ))**[1]. فهو طلبٌ بالنسبة للمتلقي الأول (الله) جلّ وعلا، وتوجيه للمتلقي الثاني (الداعي أو السامع للدعاء). ودعاء آخر في التوجه والتوكل على الله تعالى: **((اَللّهُمَّ بِكَ اَسْتَفْتِحُ، وَبِكَ اَسْتَنْجِحُ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَاِلِه اَتَوَجَّهُ،...))**[2].

ومن الصور الأخلاقية الآخرى التي نجدها في الصحيفة الرضوية صياغة أدعية لأوقات عبادية مخصوصة، فالالتزام بها تعكس على الفرد التمسك بالجانب الديني والأخلاقي، والتمسك بتلك الأدعية والتعود عليها يصبح جزءاً من منظومةِ الفرد الأخلاقية الحسنة، ومن تلك الأدعية نذكر ما يأتي:

أ- دعاء عند رؤية هلال شهر رمضان: **((رَبُّنا وَرَبُّكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمينَ، اَللّهُمَّ اجْعَلْهُ عَلَيْنا هِلالاً مُبارَكاً وَوَفِّقْنا لِصِيامِ شَهْرِ رَمَضانَ، وَسَلِّمْنا فيهِ، وَتَسَلَّمْنا مِنْهُ في يُسْرٍ وَعافِيةٍ وَاسْتَعْمِلْنا فيهِ بِطاعَتِكَ، اِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ))**[3]

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٤٧.

(٢) م- ن: ٥٠.

(٣) م - ن: ٥٩.

ب- وفي أدعية آخرى تدلّ على فعل الممارسة والتعود عليها فكأنّها جزءٌ من سلوكيات الشخص الداعي كما في الدعاء الآتي (عند الخروج من المنزل): ((**بِسْمِ اللهِ خَرَجْتُ وَبِسْمِ اللهِ وَلِجْتُ، وَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ اِلّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ**))[١] فهو دعاءٌ قصير يعزز في نفس الداعي هاجس التوكل على الله وذكره في كُلِّ حركةٍ وسكنةٍ.

ج- وأدعية آخرى تتعلق ببعض المناسبات الخاصة وهي ما يمكن تسميتها بالبرنامج الخاص مثلاً بالنسبة للحاج المؤمن في نقل سلوكه وتصويره بدءاً من لحظة الخروج للحج ووصولاً إلى لحظة وداع بيت الله الحرام: ((**اَللهُمَّ اِنّي اَسْتَوْدِعُكَ الْيَوْمَ ديني، وَمالي وَنَفْسي وَاَهْلي وَوُلْدي وَجَميعَ جيراني وَاِخْوانِيَ الْمُؤْمِنينَ، الشّاهِدَ مِنّا وَالْغائِبَ عَنّا**))[٢] وهو كسابقه دعاء يصب في تربية أعماق الفرد وترسيخ حركة التوكل على الله في منظومة الفرد الأخلاقية.

د- وقد تتخذ الأدعية منحىً آخر يتجه وجهةً مخالفةً لا تؤشر إلى محاولة ترسيخ هاجس أخلاقي أو إقرار فعل عبادي ما؛ وإنّما تقوم بشد انتباه المتلقي إلى التخلي وتجنب بعض الصفات الذميمة التي لا ينبغي أن تحملها منظومة المُسلم الأخلاقية كما في الدعاء الآتي: ((**اَللهُمَّ اِنّي اَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّكِّ وَالشِّرْكِ، وَالشِّقاقِ وَالنِّفاقِ، وَالرِّياءِ وَدَرَكِ الشَّقاءِ، وَسُوءِ الْقَضاءِ، وَشَماتَةِ الْاَعْداءِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ**))[٣]

والنماذج الثانية: في الصحيفة الجوادية فسنجدها تسير على نهج الصحيفة الرضوية تقريباً لنشر سلوكيات المُسلم الأخلاقي فمثلاً نجد دعاءه (ع) في المناجاة لطلب الحجّ يشترك مع أدعية الإمام الرضا (ع) في أدعيته المتفرقة لمناسك الحج حيث نشهد جمعها في دعائه (ع) الآتي: ((**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الْحَجَّ الَّذِي افْتَرَضْتَهُ عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَاجْعَلْ لِي فِيهِ هَادِياً وَإِلَيْهِ دَلِيلًا وَقَرِّبْ لِي بُعْدَ الْمَسَالِكِ وَأَعِنِّي عَلَى تَأْدِيَةِ الْمَنَاسِكِ وَحَرِّمْ بِإِحْرَامِي عَلَى النَّارِ جَسَدِي وَزِدْ لِلسَّفَرِ قُوَّتِي وَجِلْدِي وَارْزُقْنِي رَبِّ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَالْإِفَاضَةَ إِلَيْكَ، وَظْفِرْنِي بِالنُّجْحِ، وَاحْبِنِي بِوَافِرِ الرِّبْحِ، وَأَصْدِرْنِي رَبِّ مِنْ مَوْقِفِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ إِلى مُزْدَلِفَةِ الْمَشْعَرِ وَاجْعَلْهَا زُلْفَةً إِلى رَحْمَتِكَ، وَطَرِيقاً إِلى جَنَّتِكَ، وَقِفْنِي مَوْقِفَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَمَقَامَ وُفُودِ الْإِحْرَامِ، وَأَهِّلْنِي لِتَأْدِيَةِ الْمَنَاسِكِ...**))[٤]

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٦٦.

(٢) م – ن: ٩٨ – ١٠١ – ١٠٣ – ١٠٦ – ١٠٨.

(٣) م – ن:٩٢.

(٤) م – ن: ١٢٣– ١٢٤.

وفي دعائه الآخر الذي بين فيه الإمام (ع) البرنامج العبادي للمتلقين، بخصوص كيفية الاستعداد لشهر رمضان وما الأعمال المستحبة في ذلك الشهر: ((...، **اَللّـهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ نَوى فَعَمِلَ، وَلا تَجْعَلْنا مِمَّنْ شَقِيَ فَكَسِلَ، وَلا مِمَّنْ هُوَ عَلى غَيْرِ عَمَل يَتَّكِلُ، اَللّـهُمَّ صَحِّحْ اَبْدانَنا مِنَ الْعِلَلِ، وَاَعِنّا عَلى ما افْتَرَضْتَ عَلَيْنا مِنَ الْعَمَلِ، حَتّى يَنْقَضِيَ عَنّا شَهْرُكَ هذا، وَقَدْ اَدَّيْنا مَفْرُوضَكَ فيهِ عَلَيْنا، اَللّـهُمَّ اَعِنّا عَلى صِيامِهِ، وَوَفِّقْنا لِقِيامِهِ، وَنَشِّطْنا فيهِ لِلصَّلاةِ، وَلا تَحْجُبْنا مِنَ الْقِراءَةِ، وَسَهِّلْ لَنا ايتاءَ الزَّكاةِ، اَللّـهُمَّ لا تُسَلِّطْ عَلَيْنا وَصَباً وَلا تَعَباً وَلا سُقْماً وَلا عَطَباً، اَللّـهُمَّ ارْزُقْنا الإفْطارَ مِنْ رِزْقِكَ الْحَلالِ،...، وَاجْعَلْ صِيامَنا مَقْبُولاً، وَبِالْبِرِّ وَالتَّقْوى مَوْصُولاً، وَكَذلِكَ فَاجْعَلْ سَعْيَنا مَشْكُوراً وَقِيامَنا مَبْرُوراً، وَقُرْآنَنا مَرْفُوعاً، وَدُعاءَنا مَسْمُوعاً،...، وَاجْعَلْنا مِنَ الْعامِلينَ الْفائِزينَ، وَلا تَجْعَلْنا مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّالّينَ، حَتّى يَنْقَضِيَ شَهْرُ رَمَضانَ عَنّا وَقَدْ قَبِلْتَ فيهِ صِيامَنا وَقِيامَنا، وَزَكَّيْتَ فيهِ اَعْمالَنا، وَغَفَرْتَ فيهِ ذُنوبَنا، وَاَجْزَلْتَ فيهِ مِنْ كُلِّ خَيْر نَصيبَنا، فَاِنَّكَ الاِلـهُ الْمُجيبُ، وَالرَّبُّ الْقَريبُ، وَاَنْتَ بِكُلِّ شَيْء مُحيطٌ**))[1].

حيث يقدم هذا الدّعاء لنا برنامجاً يكاد يكون متكاملاً استعداداً لدخول الفضاءات الروحية لشهر رمضان، وعلى مختلف المستويات الروحية والفكرية والعبادية، متخذاً شكل الحوار الدعائي مع الله– تعالى– لبث محمولاته الخطابية. ففيه إشارة إلى اخلاص النية، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، والعناية بمسألة الزكاة والصدقة في هذا الشهر المبارك. وغير ذلك من جزئيات برنامج عبادي يحاول الخطاب في هذا الدعاء أن يحثّ عليها المتلقي الثاني أكثر مما يحاول أن يطلبها من المتلقي الأول–جلّ وعلا–. وفي دعائه الآخر في المناجاة لطلب التوبة حيث نجد الإمام (ع) مبيناً للفرد المؤمن كيفية التوجه لطلبها: ((**اللَّهُمَّ إِنِّي قَصَدْتُ إِلَيْكَ بِإِخْلَاصِ تَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَتَثْبِيتِ عَقْدٍ صَحِيحٍ، وَدُعَاءِ قَلْبٍ جَرِيحٍ، وَإِعْلَانِ قَوْلٍ صَرِيحٍ، اللَّهُمَّ رَبِّ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنابَةَ مُخْلَصَ التَّوْبَةِ، وَإِقْبَالَ سَرِيعِ الْأَوْبَةِ، وَمَصَارِعَ تَخَشُّعِ الْحَوْبَةِ وَقَابِلْ رَبِّ تَوْبَتِي بِجَزِيلِ الثَّوَابِ وَكَرِيمِ الْمَآبِ، وَحَطِّ الْعِقَابِ، وَصَرْفِ الْعَذَابِ، وَغُنْمِ الْإِيَابِ، وَسِتْرِ الْحِجَابِ، وَامْحُ اللَّهُمَّ رَبِّ بِالتَّوْبَةِ مَا ثَبَتَ مِنْ ذُنُوبِي، وَاغْسِلْ بِقَبُولِهَا جَمِيعَ عُيُوبِي، وَاجْعَلْهَا جَالِيَةً لِرَيْنِ قَلْبِي، شَاحِذَةً لِبَصِيرَةِ لُبِّي، غَاسِلَةً لِدَرَنِي، مُطَهِّرَةً لِنَجَاسَةِ بَدَنِي، مُصَحِّحَةً فِيهَا ضَمِيرِي، عَاجِلَةً إِلى الْوَفَاءِ بِهَا مَصِيرَي، وَاقْبَلْ رَبِّ تَوْبَتِي، فَإِنَّهَا بِصِدْقٍ مِنْ إِخْلَاصِ نِيَّتِي، وَمَحْضٍ مِنْ تَصْحِيحِ بَصِيرَتِي، واحْتِفَالٍ فِي حُسْنِ طَوِيَّتِي، وَاجْتِهَادٍ فِي نَقَاءِ سَرِيرَتِي، وَتَثْبِيتِ اِنَابَتِي، وَمُسَارِعَةٍ إِلى أَمْرِكَ بِطَاعَتِي، وَاجْلُ ـاللَّهُمَّ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٠– ١٥١.

رَبِّ_ عَنِّي بِالتَّوْبَةِ ظُلْمَةَ الْإِصْرَارِ، وَامْحُ بِهَا مَا قَدَّمْتُهُ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَاكْسُنِي بِها لِبَاسَ التَّقْوَى، وَجَلَابِيبَ الْهُدَى،...))[1]

فنلمس فيه خارطة طريق للعبد تَعيدهُ إلى ساحةِ القربِ من الباري عزّ وجلّ عبر مقدمات التوبة التي يجب أن تتوفر له من اخلاص التوبة والتعهد والعقد بعدم العودة والطلب والدعاء بإخلاص وتوجه قلبي، فضلاً عن استعراض للنتائج المترتبة عن قبول هذه التوبة في عرض طلبي يحمل في داخله هذا الخطاب التوجيهي ذي السمة العبادية/الأخلاقية.

والنماذج الثالثة: في الصحيفة الهادية نجدها تَجلتْ في أغلب أدعيته (التحميد لله تعالى) مما يدلّ على أن الإمام الهادي (ع) غَايتهُ من التركيز على الحمد لله تعالى في كُلِّ الأوقاتِ والأحوالِ لتعويد الفرد المؤمن على أن يَحمد اللهُ تعالى في جميعِ الحالاتِ مما يخلق عنده عادةً سلوكيةً أخلاقيةً حسنةً، تَشدُّ وتقوي إيمانه كما في النماذج الآتية:

أ- دعاؤه في أثناء خطبته: **((اَلْحَمْدُ للهِ الْعالِمِ بِما هُوَ كائِنٌ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَدينَ لَهُ مِنْ خَلْقِه دائِنٌ فاطِرِ السَّمواتِ وَالْاَرْضِ، مُؤْلِّفِ الْاَسْبابِ بِما جَرَتْ بِهِ الْاَقْلامُ وَمَضَتْ بِهِ الْاَحْتامُ مِنْ سابِقِ عِلْمِه وَمُقَدّرِ حُكْمِه...))**[2]

ب- وعند الطلب لحاجة مهمة: **((اَللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يَكُونُ اَحَقَّ الْحَمْدِ بِكَ وَاَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ وَاَوْجَبَ الْحَمْدِ لَكَ وَاَحَبَّ الْحَمْدِ اِلَيْكَ،...، وَلَكَ الْحَمْدُ كَما حَمِدَكَ بِه جَميعُ اَنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ وَمَلائِكَتِكَ، وَكَما يَنْبَغي لِعِزِّكَ وَكِبْريائِكَ وَعَظَمَتِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً تَكِلُّ الْاَلْسُنُ عَنْ صِفَتِه، وَيَقِفُ الْقَوْلُ عَنْ مُنْتَهاهُ، وَ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً لا يَقْصُرُ عَنْ رِضاكَ، وَلا يَفْضُلُهُ شَيْءٌ مِنْ مَحامِدِكَ، اَللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ فِي السِّراءِ وَ الضَّراءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ، وَالعافِيَةِ وَالْبَلاءِ، وَالسِّنين وَالدُّهُورِ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى الائِكَ وَنَعْمائِكَ عَلَيَّ وَعِنْدي، وَعَلى ما اَوْلَيْتَني وَاَبْلَيْتَني، وَعافَيْتَني، وَرَزَقْتَني، وَاَعْطَيْتَني وَفَضَّلْتَني، وَشَرَّفْتَني وَكَرَّمْتَني، وَهَدَيْتَني لِدينِكَ،...))**[3].

فهو دعاء، قد احتوى على أرق وأشف وأسمى صور الحمد والثناء على الله مستبطناً خطاباً يدعو الفرد المسلم ويقرّ في داخله شعيرة الحمد وهاجس الشعور بنعم الله تعالى.

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٠ -١٢١.

(٢) م - ن: ١٦١- ١٦٢.

(٣) م - ن: ١٧٤- ١٧٥.

ج– في الاستغاثة لطلب الفرج: ونجده قد تضمن في داخله دعوة التوجه لله تعالى والتوكل عليه، حتى وهو في أصعب الأوقات والحالات وهذا ما يدلّ على سلوك الفرد المؤمن السوي: **((فَيا مَنْ بِيَدِه نَواصِي الْعِبادِ اَجْمَعينَ، وَ يا مُعِزّاً –بِوِلايَتِه– لِلْمُؤْمِنينَ، وَمُذِلَّ الْعُتاةِ الْجَبّارينَ، اَنْتَ ثِقَتي وَرَجائي، وَاِلَيْكَ مَهْرَبي وَمَلْجَأي، وَعَلَيْكَ تَوَكُّلي، وَبِكَ اعتِصامي وَعِياذي فَأَلِنْ يا رَبِّ لي صَعْبَهُ، وَسَخِّرْ لي قَلْبَهُ، وَرُدَّ عَنّي نافِرَهُ، وَاكْفِني بائِقَه، فَاِنَّ مَقاديرَ الْاُمُورِ بِيَدِكَ،...))**[1]

والنماذج الرابعة: في الصحيفة العسكرية نجدها قد توزعت ما بين بعض الأمور العبادية (الصلاة والصوم) التي تمثل القسم الأمثل من أخلاقيات الفرد المؤمن وغيرها من العادات الأخلاقية.

أ – فالدعاء الأول نجده في شهر رمضان: **((اللَّهُمَّ اجْعَلْ– فِيْما تَقْضِي وَتُقَدِّرُ مِنَ الاَمْرِ المَحْتُومِ، وَفِيما تَفْرُقُ مِنَ الاَمْرِ الحَكِيمِ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ–اَنْ تَجْعَلَني مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الحَرامِ المَبْرُورِ حَجُّهُمْ، المَشْكُورِ سَعْيُهُمْ، المَغْفُورِ ذُنُوبُهُمْ وَاَسْأَلُكَ أَنْ تُطِيلَ عُمْرِي في طاعَتِكَ، وَتُوَسِّعَ لِي فِي رِزْقِي))**[2].

فالبعد الأخلاقي هنا تمثل في حث المؤمن على القيام بأخلاقيات شهر رمضان فبقدر ما يقدم المؤمن من أعمال صالحة في هذا الشهر ينال ثوابه الجزيل من الفوز بالحج وغفران الذنوب.

ب– ودعاء آخر بعد الفراغ من الصلاة نذكر فقرات منه: **((اَللَّهُمَّ لَكَ صَلَّيْتُ وَاِيَّاكَ دَعَوْتُ، وَفي صَلاتي وَدُعائي ما قَدْ عَلِمْتَ مِنَ النُّقْصانِ وَالْعَجَلَةِ، وَالسَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ، وَالْكَسَلِ وَالْفَتْرَةِ وَالنِّسْيانِ وَالْمُدافَعَةِ وَالرِّياءِ ...، وَاجْعَلْ مَكانَ نُقْصانِها تَماماً، وَعَجَلَتي تَثْبيتاً وَتَمَكُّناً، وَسَهْوي تَيَقُّظاً، وَغَفْلَتي تَذَكُّراً، وَكَسَلي نَشاطاً، وَفُتُوري قُوَّةً، وَنِسْياني مُحافَظَةً، وَمُدافَعَتي مواظَبَة، وَرِيائي اِخْلاصاً،...))**[3].

ففي هذا الدعاء نلمس توجيهاً أخلاقياً للفرد المؤمن بأن عليه، أولاً: إقامة الصلاة في وقتها والمحافظة عليها، ثانياً: التركيز في إقامة الصلاة، والانتباه على ما يقوله المصلي من سورٍ وأدعيةٍ، ثالثاً: تجنب الامور التي تخُل بأركان الصلاة على قدر استطاعته.

والنماذج الخامسة: في الصحيفة المهدوية ونجد فيها نموذجاً قد احتوى على رسم صورة لأخلاق الفرد المؤمن التي قد نجدها مبثوثة في أدعيةٍ متفرقة، وهي كما في الدعاء الآتي: **((اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ، وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَصِدْقَ النِّيَّةِ وَعِرْفَانَ الْحُرْمَةِ، وَأَكْرِمْنَا بِالْهُدَى وَالاِسْتِقَامَةِ، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٨٤.

(٢) م – ن: ٢٢٣ ، وينظر: أيضاً:٢٢٨.

(٣) م – ن: ٢٤٠ – ٢٤١.

بِالصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَامْلَأْ قُلُوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَطَهِّرْ بُطُونَنَا مِنَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاكْفُفْ أَيْدِيَنَا عَنِ الظُّلْمِ وَالسِّرْقَةِ، وَاغْضُضْ أَبْصَارَنَا عَنِ الْفُجُورِ وَالْخِيَانَةِ، وَاسْدُدْ أَسْمَاعَنَا عَنِ اللَّغْوِ وَالْغِيبَةِ،...))[1]

وفي دعاء آخر: **((اللَّهُمَّ اِنّي اَسْتَخيرُكَ لِعِلْمِكَ بِعَواقِبِ الْاُمُورِ، وَاَسْتَشيرُكَ بِحُسنِ ظَنّي بِكَ في الْمَأْمُولِ وَالْمَحْذُورِ اللَّهُمَّ اِنْ كانَ الْاَمْرُ الْفُلاني قَدْ نيطَتْ بِالْبَرَكَةِ اَعْجازُهُ وَبَواديه وَحُفَّتْ بِالْكَرامِة اَيّامُهُ وَلَياليهِ، فَخِرْ لي فيه، خِيَرةً تَرُدُّ شُمُوسَهُ ذَلُولاً وَتَقْعُصُ اَيّامهُ سُرُوراً،..))**[2]

نجد فيه صورة تعكس عادة سلوكية إيجابية من أخلاق الفرد المؤمن وهي (في الاستخارة) أي التوجه لله تعالى واستخارته في كلّ الأمور المحيرة بالنسبة للفرد الداعي فهذه عادةٌ سلوكيةٌ حسنةٌ تَزيدُ من ثقةِ الداعي بالله تعالى. فكُلِّ هذه النماذجُ المُسْتَقاةُ من الأدعية المباركة للأئمة الأطهار(عليهم السلام) تُشكل خطاباً موحداً ذا وجهة أخلاقية/عبادية ترسم بمجموعها منهجاً أخلاقياً تتشكّل عبره شخصية المسلم، بل المؤمن الحقيقي الذي أرادت الشريعة الإسلامية أن تبْنيه بهذه الكيفية المخصوصة، ونتوجه إلى بعد آخر شكل أيضاً سياقاً موحداً بين أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة.

ج- ثيمة البعد الاجتماعي/السياسي:

وهي مجموعة من الثيمات المحملة بمضامين فكرية تجسد البعد الاجتماعي والسياسي الذي حاول أئمة أهل البيت (ع) أن يرسموا معالمه ويحددوا ملامحه المتوافقة مع توجهات الشريعة الإسلامية الحقيقية. ونلحظ عبّر تلك الثيمات تداخل البعد الاجتماعي مع البعد السياسي في فكر أهل البيت (ع)؛ وذلك لأنّ المبدأ المقاس عليه عدل الحاكم واستقامته هو (مبدأ التقوى) فعلى أساس هذا المبدأُ تَتْضِحُ أو تَتْحَددُ صورة المجتمعِ المحكوم، فبِمقدارِ درجة تقوى الحاكم يتحدد مستوى أو درجة رقُّي المجتمع فإذا فسدَ الحاكم أُظهر الظُلم وأُفْسد المجتمع، ونقف على نماذج مختارة من الصحيفة الرضوية الجامعة، حيث نجد صوراً مبثوثةً في ثنايا فقراتِ الأدعية تَبين لنّا تمظهر حالة المجتمع مع الحاكم العادل وحالته مع الحاكم الظالم والفاسد كما في النموذج الأول: من دعاء الإمام الرضا (ع) ففي آحدى مقاطعه تضمن صورة للمجتمع المنحرف، وهي كما تمثلت في قوله: **((وَما يُعانيهِ اَوْلِياؤُكَ مِنْ تَغْفِيَةِ اثارِ الْحَقِّ وَدُرُوسِ مَعالِمِه، وَتَزَيُّدِ الْفَواحِشِ، وَاسْتِمْرارِ اَهْلِها عَلَيْها، وَظُهُورِ الْباطِلِ، وَعُمُومِ التَّغاشُمِ وَالتَّراضي بِذلِكَ في**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) م- ن: ٢٥٩-٢٦٠، وينظر: أيضاً:٣٣٠، و ٣٤٠.

الْمُعامَلاتِ وَالْمُتَصَرِّفاتِ، قَدْ جَرَتْ بِهِ الْعاداتُ وَصارَ كَالْمَفْرُوضاتِ وَالْمَسْنُوناتِ))[1] فهي صورةٌ لمجتمعٍ ينهار ويتفكك لغياب عنصر التقوى بين أهله.

والنموذج الثاني: من دعاء الإمام الجواد (ع) (في المناجاة لكشف الظلم)[2] حيث نلمس في هذا الدعاء أن الإمام يرسم لنا صوراً متقابلةً تجمعُ بين مجتمع الظلم وبين مجتمع العدل، كما هو موضحٌ ذلك في الجدول الآتي:

صورة المجتمع الظالم	صورة مجتمع العدل
اَللّهُمَّ اِنَّ ظُلْمَ عِبادِكَ قَدْ تَمَكَّنَ في بِلادِكَ، حتّى اَماتِ الْعَدْلَ وَقَطَعَ السُّبُلَ، وَمَحَقَ الْحَقَّ، وَاَبْطَلَ الصِّدْقَ، وَاَخْفَى الْبِرَّ، وَاَظْهَرَ الشَّرَّ، وَاَهْمَلَ التَّقْوى، وَاَزالَ الْهُدى، وَاَزاحَ الخيرَ، وَأَثْبَتَ الضَّيْرَ وَأَنْمَى الْفَسادَ، وَقَوَّى الْعِنادَ، وَبَسَطَ الْجَوْرَ، وَعَدَى الطَّوْرَ اللَّهُمَّ يَا رَبِّ لَا يَكْشِفُ ذَلِكَ إِلَا سُلْطَانُكَ، وَلَا يُجِيرُ مِنْهُ إِلَّا امْتِنَانُكَ، اللَّهُمَّ رَبِّ فَابْتُزَّ الظُّلْمَ، وَبُثَّ جِبَالَ الْغَشْمِ، وَأَخْمِلْ سُوقَ الْمُنْكَرِ، وَأَعِزَّ مَنْ عَنْهُ زَجَرَ، وَاحْصُدْ شَافَةَ أَهْلِ الْجَوْرِ، وَأَلْبِسْهُمُ الْحَوْرَ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَعَجِّلْ لَهُمُ الْبَيَاتَ وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ الْمَثُلَاتِ. وَأَمِتْ حَيَاةَ الْمُنْكَرِاتِ.	**لِيأْمَنَ الْمَخُوفُ، وَيَسْكُنَ الْمَلْهُوفُ وَيَشْبَعَ الْجائِعُ، وَيُحْفَظَ الضّائِعُ، وَيُأْوَي الطَّرِيدُ، وَيَعُودَ الشَّرِيدُ، وَيُغْنَى الْفَقِيرُ، وَيُجارَ الْمُسْتَجِيرُ، وَيُوَقَّرَ الْكَبِيرُ، وَيُرْحَمَ الصَّغِيرُ، وَيُعَزُّ الْمَظْلُومُ، وَيُذَلَّ الظّالِمُ، وَيُفَرَّجَ الْمَغْمُومُ، وَتَنْفَرِجَ الْغَمّاء وَتَسْكُنَ الدَّهْماءُ، وَيَمُوتَ الْاخْتِلافُ، وَيَحْيَى الْايتِلافُ، وَيَعْلُوَ الْعِلْمُ، وَيَشْمِلَ السِّلْمُ، وَتُجْمَلَ النِّيّاتُ، وَيُجْمَعَ الشَّتاتُ، وَيَقْوى الْايمانُ، وَيُتْلَى الْقُرْانُ.**

فكان لأسلوب المقابلة ما بين الضدين الظلم/العدل، أثراً مؤدياً للغاية التي قصدها الإمام (ع) في بيان صورة المجتمع مع الحاكم الظالم أو الحاكم العادل.

وفي دعاء آخر نجد صفات الظالمين (الحاكمين) في مقاطع من دعاء (القنوت وللاستعداء على الظالمين): **((الَّذِينَ أَضَلُّوا عِبَادَكَ، وَحَرَّفُوا كِتَابَكَ، وَبَدَّلُوا أَحْكَامَكَ، وَجَحَدُوا حَقَّكَ، وَجَلَسُوا مَجَالِسَ أَوْلِيَائِكَ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٤٥، وينظر: أيضاً: ٩١-٩٢، ٧٩.

(٢) م – ن: ١٢٧-١٢٨.

،جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَيْكَ، وَظُلْماً مِنْهُمْ لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ- عَلَيْهِمْ سَلَامُكَ وَصَلَوَاتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ- فَضَلُّوا، وَ أَضَلُّوا خَلْقَكَ، وَهَتَكُوا حِجَابَ سِتْرِكَ عَنْ عِبَادِكَ، وَاتَّخَذُوا اللَّهُمَّ مَالَكَ دُوَلاً، وَعِبَادَكَ خَوَلاً وَتَرَكُوا اللَّهُمَّ عَالِمَ أَرْضِكَ فِي بَكْمَاءَ، عَمْيَاءَ، ظَلْمَاءَ، مُدْلَهِمَّةً، فَأَعْيُنُهُمْ مَفْتُوحَةٌ وَقُلُوبُهُمْ عَمِيَّةٌ،...))[1] فهو مجتمع ظلم وعدوان لأنّ حكامه مارسوا فعل (الضلالة) مع رعيتهم، وحرفوا الشرائع والتعليمات الإسلامية فنلمس هذا التداخل بين البعد الروحي للمجتمع وبين آثاره السياسية على الحياة بشكل عام.

والنموذج الثالث: من دعاء الإمام الهادي (ع) (لدفع كيد الاعداء) رسم لنا الإمام (ع) صورة للمجتمع في زمن الظلم: **((وَاَحْيِ بِبَوارِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ، وَالْاَحْكامَ الْمُهْمَلَةَ، وَالسُّنَنَ الدّاثِرَةَ، وَالْمَعالِمَ الْمُغَيَّرَةَ، وَالتِّلاواتِ الْمُتَغَيِّرَةَ، وَالْايات الْمُحَرَّفَةَ، وَالْمَدارِسَ الْمَهْجُورَةَ، وَالْمَحاريبَ الْمَجْفُوَّةَ، وَالْمَساجَدَ الْمَهْدُومَةَ، وَاَشْبِعْ بِهِ الْخِماصَ الْسّاغِبَةِ، وَارْوِ بِهِ اللَّهَواتِ اللّاغِبَةَ وَالْاَكْبادَ الظّامِئَةَ وَاَرِحْ بِهِ الْاَقْدامَ الْمُتْعَبَةَ،...))**[2]

فالإمام (ع) يُبيَن للمتلقين حالة المجتمع في عهد الظالم وقد وصل إلى درجة ابتعد فيها عن معالم الدين الرسالي المحمّدي: فأحكامه معطلة وسنن نبيه (ص وآله) داثرة، وتغيير بعض معالمه، وتحريف آياته، والقراءات المحَّرفة للقرآن الكريم،...إلخ وهي أعمال وصفات قام بها المجتمع في عهد الحاكم الظالم، فالإمام (ع) يُذكِّر متلقيه في عصره وفي العصور اللاحقة بضرورة وجود المنقذ والْمُنجِى من حالة الظُّلم والانحراف التي يعيشها المجتمع آنذاك، وهي من مسؤولية رِجال العلم والدّين في توعية الناس ونشر تعاليم الإسلام الصحيحة لهم ،لأجل إرجاعهم إلى رشدهم وطريق الصواب قبل فوات الأوان.

والنموذج الرابع: من دعاء الإمام العسكري (ع): **((إنَّه قَدْ عَلَا الْجَبابِرَةُ في اَرْضِكَ، وَظَهَرُوا في بِلادِكَ، وَاتَّخَذُوا اَهْلَ دينِكَ خِوَلاً، وَاسْتَأْثَرُوا بِفَيْءِ الْمُسْلِمينَ، وَمَنَعُوا ذَوَى الْحُقُوقِ حُقُوقَهُمْ، التَّي جَعَلْتَها لَهُمْ، وَصَرَفُوها في الْملاهي وَالمَعازِفِ، وَاسْتَصغَرُوا الاءَكَ، وَكَذَّبُوا اَوْلِياءَكَ، وَتَسَلَّطُوا بِجبْرِيَتَّهِمْ لِيُعزُّوا مَنْ اَذْلَلْتَ، وَيُذِلُّوا مَنْ اَعْزَزْتَ، وَاحْتَجَبُوا عَمَّنْ يَسْاَلُهُمْ حاجَةً، أَوْ مَنْ يَنْتَجِعُ مِنْهُمْ فائِدَةً))**[3].

وفي دعاء آخر(في القنوت) وهو دعاءٌ على درجةٍ من الأهمية ففيه صورة واضحة رسمها الإمام للمتلقي الخاص في عصره وفي كلّ العصور، لمعرفة حالة المجتمع وصفات الحاكمين في عصره، كما

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٣– ١٥٤.

(٢) م – ن : ١٩٣– ١٩٤.

(٣) م – ن: ٢١٣ –٢١٤.

في المقطع الآتي: **((اَللهُمَّ وَقَدْ شَمِلَنا زَيْغُ الْفِتَنِ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْنا عَشْوَةُ الْحَيْرَةِ وَقارَعَنَا الذُّلُّ وَالصَّغارُ، وَحَكَمَ عَلَيْنا غَيْرُ الْمَأْمُونينَ عَلى دينِكَ وَابْتَزَّ أُمورَنَا مَعادِنُ الْأُبَنِ مِمَّنْ عَطَّلَ حُكْمَكَ، وَسَعَى فِي إِتْلَافِ عِبَادِكَ وَإِفْسَادِ بِلَادِكَ اللَّهُمَّ وَقَدْ عَادَ فَيْئُنَا دُولَةً بَعْدَ الْقِسْمَةِ، وَإِمَارَتُنَا غَلَبَةً بَعْدَ الْمَشُورَةِ وَعُدْنَا مِيرَاثاً بَعْدَ الِاخْتِيَارِ لِلْأُمَّةِ، وَاشْتُرِيَتِ الْمَلَاهي وَالْمَعَازِفُ بِسَهْمِ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ (وَرَعى في مالِ اللهِ مَنْ لا يَرْعى لَهُ حُرْمَةً) وَحَكَمَ فِي أَبْشارِ الْمُؤْمِنينَ أَهْلُ الذِّمَّةِ، وَوَلِيَ الْقِيَامَ لِلْيتيمِ بِأُمُورِهِمْ فَاسِقُ كُلِّ قَبِيلَةٍ، فَلَا ذَائِدٌ يَذُودُهُمْ عَنْ هَلَكَةٍ، وَلَا رَاعٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، وَلَا ذُو شَفَقَةٍ يُشْبِعُ الْكَبِدَ الْحَرّى مِنْ مَسْغَبَةٍ فَهُمْ أُولُو ضَرَعٍ بِدَارِ مَضِيعَةٍ، وَأُسَرَاءُ مَسْكَنَةٍ، وَخُلَفَاءُ كَآبَةٍ وَ ذِلَّةٍ))**[1]

والنموذج الخامس: من دعاء الإمام المهدي (ع) يُبين لنا صورة الحاكم العادل في تلك الدولة الكريمة من (دعاء الندبة): **((اَيْنَ بَقِيَّةُ اللهِ الَّتي لا تَخْلُو مِنَ الْعِتْرَةِ الطّاهِرَةِ؟ اَيْن الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دابِرِ الظَّلَمَةِ؟ اَيْن الْمُنْتَظَرُ لِاقامة الْاَمْتِ وَالعِوَجِ؟ اَيْنَ الْمُرْتَجى لِإِزالَةِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوانِ؟ اَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْديدِ الْفَرائِضِ وَالسُّنَنِ؟ اَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لِإعادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّريعَةِ؟ اَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِإحْياءِ الْكِتابِ وَحُدُودِه؟ اَيْنَ مُحْيى مَعالِمِ الدّينَ وَاَهْلِه؟ اَيْنَ قاصِمُ شَوْكَةِ الْمُعْتَدينَ؟ اَيْنَ هادِمُ اَبْنِيَةِ الشِّرْكِ وَالنِّفاقِ؟ اَيْنَ مُبيدُ اَهلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصيانِ وَالطُّغْيانِ؟ اَيْنَ حاصِدُ فُرُوعِ الْغَيِّ وَالشِّقاقِ؟...))**[2]

فنجد كيف أسهمت تلك الثيمات المذكورة سابقاً بنماذجها والثيمات اللاحقة على تشكل سياق موحد بين البنى الفكرية المشتركة في الصحيفة الرضوية الجامعة والذي عدّه البحث من مقومات الخطاب في تلك الصحيفة المباركة.

د- ترسيخ مكانة أهل البيت (ع):

نبدأ في بيان هذا البعد بطرح التساؤلات الآتية: لماذا رَكزتْ نصوص الصحيفة على إثبات مكانة أهل البيت (ع)؟ ومن أين أتت هذه المكانة والمنزلة العظيمة لهم؟ وما الصفات والمؤهلات التي تجعل الولاية حقّاً لهم؟ وما الغاية من ذكرهم (ع) وتعداد فضائلهم في الكثير من أدعية الصحيفة؟ وهل هناك أدعية خاصة تُبين تلك المكانة العظيمة لهم عند محبيهم ومواليهم؟

- وللإجابة عن تلك التساؤلات وغيرها، ما علينا سوى الوقوف عند نماذج وشواهد تحمل إمكانية الرد على ذلك فبعد استقراء البحث للصحيفة المباركة وَجَد أن من ضمن الأفكار التي تهدف الصحيفة إلى إبلاغها

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٣٠ – ٢٣١، وينظر: أيضاً:٢٣٢.

(٢) م – ن: ٣١٥– ٣١٦.

للمتلقين، هي ترسيخ مكانة أهل البيت من خلال نشر فضائلهم (ع) وذكر ما مرّ بهم من مصائب ومحن وخاصة ما يتعلق بموضوع الولاية وحقهم فيها. كما نشهد ذلك في النموذج الأول في مقطعٍ من دعاءِ الإمام الرضا (ع): ((**اللّهُمَّ فإنّي أُوفى، وَأَشْهَدُ وَأُقِرُّ، وَلا أُنْكِرُ وَلا أَجْحَدُ، وَأُسِرُّ وَأُعْلِنُ وَاُظْهِرُ وَأُبْطِنُ، بأنَّكَ أنتَ اللهُ لا إلَهَ إلَّا أنتَ، وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ، وَأنَّ مُحمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. وَأنَّ عليّاً أميرَ المُؤمنينَ سَيِّدَ الأوْصِياءِ، وَوَارثَ عِلْمِ الأنْبياءِ، عَلَمَ الدِّينِ، وَمُبيرَ المُشرِكينَ، وَمُمَيِّزَ المُنافِقينَ، وَمُجاهِدَ المارِقينَ إمَامي وَحُجَّتِي، وَعُرْوَتي وَصِراطِي، وَدَليلي وَمحَجَّتي، وَمَنْ لا أَثِقُ بِأعْمالِي وَلَوْ زَكَتْ، وَلا أَراها مُنْجِيَةً لي وَلوْ صَلُحَتْ إلَا بِوِلايَتِه وَالْائتِمامِ بِهِ وَالإقْرارِ بِفَضائِلِه وَالقَبُولِ من حَمَلَتِها، وَالتَّسليمِ لِرُواتِها، وَأُقِرُّ بأوْصِيائِه مِنْ أبنائِه، أئِمَّةً وحُجَجاً، وَأَدِلَّةً وَسُرُجاً وَأعلاماً وَمَناراً وَسادَةً وَأبْراراً، وَأُؤمِنُ بِسِرِّهِمْ وَجَهْرِهِمْ، وَظاهِرِهِمْ وَباطِنِهِمْ، وَغائبِهِمْ وَشاهِدِهِمْ، وَحَيِّهِمْ ومَيِّتِهِمْ، لا شَكَّ في ذَلكَ، وَلا ارْتِيابَ-عِنْدَ تَحوّلِكَ- وَلا انقِلابَ**))[1].

فهذا الدعاء تضمن ما يلي:

أ- بيان الولاية لِمَنْ؟ لعليّ أبن أبي طالب أمير المؤمنين (ع) ومن الصفات والمؤهلات لذلك أنّه (سَيِّدَ الأوْصِياءِ، وَوَارثَ عِلْمِ الأنْبِياءِ، عَلَمَ الدِّينِ، ومُبيرَ المُشرِكينَ، ومُمَيِّزَ المُنافِقِينَ، ومُجاهِدَ المارِقِينَ).

ب- والإقرار بالولاية له (ع) ولأبنائه (ع) (إمَامي وحُجَّتِي، وعُرْوَتي وصِراطِي، ودَليلي ومَحَجَّتي، ومَنْ لا أَثِقُ بِأعْمالِي ولَوْ زَكَتْ، ولا أَراها مُنْجِيَةً لي ولوْ صَلُحَتْ إلَّا بِوِلايَتِهِ والإئْتِمامِ بِهِ والإقْرارِ بِفَضائِلِهِ والقَبُولِ من حَمَلَتِها، والتَّسليمِ لِرُواتِها، وأُقِرُّ بأوْصِيائِهِ مِنْ أبنائِهِ، أئِمَّةً وَحُجَجاً...).

وفي دعاء آخر له (ع): ((**صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ، وَصَفِيِّكَ وَسَفيرِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ بَرِيتِّكَ، وَصَفْوَتِكَ مِنْ خَلقِكَ، وَزَكِيِّكَ، وَتَقِيِّكَ، وَنَقِيِّكَ وَنَجِيِّكَ وَنَجيبِكَ، وَوَلِيِّ عَهْدِكَ، وَمَعْدِنِ سِرِّكَ، وَكَهْفِ غَيْبِكَ، الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبارَكِ، الزَّكِيِّ الصّادِقِ، الْوَفِيِّ الْعادِلِ الْبارِّ، الْمُطَهَّرِ الْمُقَدَّسِ، النَّيِّرِ الْمُضيء، السِّراجِ اللّامِعِ، وَالنُّورِ السّاطِعِ، وَالْحُجَّةِ الْبالِغَةِ، نُورِكَ الْأَنْوَرِ، وَحَبْلُكَ الْأَطْوَلِ وَعُرْوَتُكَ الْأَوْثَقِ، وَبابُكَ الْأَدْنى، وَوَجْهُكَ الْأَكْرَمُ، وَسَفيرُكَ الْأَوْقَفُ، وَجَنْبُكَ الْأَوْجَبُ، وَطاعَتُكَ الْأَلْزَمُ، وَحِجابُكَ الْأَقْرَبُ، اَللّهُمَّ صَلَّ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه مِنْ آلِ طه وَيس- وَاخْصُصْ وَلِيَّكَ وَوَصيَّ نَبِيِّكَ، وَأَخا رَسُولِكَ، وَوَزيرَهُ، وَوَلِيَّ عَهْدِه، إمامَ الْمُتَّقينَ، وَخاتَمَ الْوَصِيّينَ لِخاتَمِ النَّبِيّينَ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وآله، وَابْنَتَهُ الْبَتُولَ- وَعَلى سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلينَ وَالآخِرينَ، وَعَلى الْأَئِمَّةِ الرّاشِدينَ الْمَهْدِيّينَ السّالِفينَ الْماضينَ، وَعَلى**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٧ – ٢٨.

النُّقَباءِ الْأَتْقِياءِ الْبَرَرَةِ الْأَئِمَّةِ الْفاضِلينَ الْباقينَ،...))[1]. نلمس فيه التركيز على بيان مقربة ومكانة الإمام علي (ع) وابنائه الأئمة الأطهار (ع) من الرسول الأعظم (ص واله) فهم أهل بيته وخاصته.

وفي النموذج الثاني: من دعاء الإمام الجواد (ع): **((رَضيتُ باللهِ ربّاً، وبالإسْلامِ ديناً، وبالقرآنِ كتاباً، وَبمُحمّدٍ صلّى الله عليه وآله نبيّاً، وَبِعَلِيٍّ وَلِيّاً، وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَى بْن جَعْفَرٍ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَالْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، اَئمّةً))**[2]. حيث نشهد فيه الاقرار بالولاية للأئمة المعصومين (عليهم السلام).

والنموذج الثالث: من دعاء الإمام الهادي(ع) (في الصلاة على النبي وآله أثناء الزيارة الجامعة) فيعد النموذج الأهم في توجه الصحيفة لترسيخ مكانة أهل البيت والأئمة الأطهار(ع) في بيان فضائل كُلّ أمام ولطول الدعاء سنذكر مقاطع منه:

١- مُحَمَّدُ بن عبد الله الرسول الاعظم (ص): **((اَللّهُمَّ اجْعَلْ اَفْضَلَ صَلَواتِكَ وَاَكْمَلَها،...،عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَجِيِّكَ وَوَلِيِّكَ وَرَضِيِّكَ وَصَفِيِّكَ، وَخِيَرَتِكَ وَخاصَّتِكَ، وَخالِصَتِكَ وَاَمينِكَ الشّاهِدِ لَكَ، وَالدّالِّ عَلَيْكَ، وَالصّادِعِ بِاَمْرِكَ، وَالنّاصِحِ لَكَ وَالْمُجاهِدِ في سَبيلِكَ، وَالذّابِّ عَنْ دينِكَ، وَالْمُوضِحِ لِبَراهينِكَ وَالْمَهْديِّ إلى طاعَتِكَ،...))**.

٢- علي أبن أبي طالب (ع): **((اَللهُمَّ وَصَلِّ عَلى وَلِيِّكَ، وَدَيّانِ دينِكَ، وَالْقائِمِ بِالْقِسْطِ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّكَ عَلي بْنِ اَبي طَالِبٍ اَميرِ الْمُؤْمنينَ وَاِمامِ الْمُتَّقينَ، وَسَيِّدِ الْوَصيّينَ وَيَعْسُوبِ الدّينِ،...، وَخَليفَةِ رَسُولِكَ عَلَى النّاسِ اَجْمَعينَ، وَوَصِيِّه في الدُّنْيا وَالدّينِ...))**.

٣- فاطمة الزهراء (ع): **((اَللهُمَّ وَصَلِّ عَلى الطّاهِرَةِ الْبَتُولِ الزَّهْراءِ، اِبْنَةِ الرَّسُولِ، اُمِّ الْاَئِمَّةِ الْهادينَ، وسَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمينَ، وارِثَةِ خَيْرِ الْاَنْبياءِ، وَقَرينَةِ خَيْرِ الْاَوْصياءِ، الْقادِمَةِ عَلَيْكَ مُتَاَلِّمَةً مِنْ مُصابِها بِابيها، مُتَظَلِّمَةٍ مِمّا حَلَّ بِها مِنْ غاصِبيها، ساخِطَةً عَلى اُمَّةٍ لَمْ تَرْعَ حَقَّكَ في نُصْرَتِها، بِدَليلِ دَفْنِها لَيْلاً في حُفْرَتِها، الْمُغْتَصَبَةِ حَقُّها، الْمُغَصَّصَةِ بِريقِها...))**.

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٨٨ – ٨٩ .

(٢) م – ن: ١٥٦.

٤- الصلاة على الائمة الراشدين (عليهم السلام): **((اَللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى الْاَئِمَّةِ الرّاشِدينَ، وَالْقادَةِ الْهادينَ، وَالْسّادةِ الْمَعْصُومينَ، وَالْاَتْقِياءِ الْاَبْرارِ،...، الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَسِبْطَيّ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ،وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّجادِ زَيْنِ الْعابِدينَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ باقِرِ عِلْمِ الدّينِ، وَجَعفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصّادِقِ الْاَمينِ، وَمُوسَى بْنِ جَعفَرٍ الْكاظِمِ الْحَليمِ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا الْوَفِيَّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَرِّ التَّقِيِّ، وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ الزَّكِيِّ، وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْهادِي الرَّضِيِّ، وَالْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ صاحِبِ الْعَصْرِ وَالزَّمَنِ، وَصِيِّ الْاَوْصِياءِ وَبَقِّيَةِ الْاَنْبِياءِ،...))**[1].

والنموذج الرابع: من دعاء الإمام العسكري (ع) (في الصلوات على النبي واوصيائه) وأيضاً نجده كالنموذج السابق طويلاً فكان ترسيخ مكانة أهل البيت من ضمن أولياتهم وذلك للتعريف والتذكير بمنزلتهم ومكانتهم ونشرها للمتلقي في عصره وفي كلّ عصر: **((اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كَما حَمَلَ وَحْيَكَ، وَبَلَّغَ رِسالاتِكَ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كَما اَحَلَّ حَلالَكَ، وَحَرَّمَ حَرامَكَ، وَعَلَّمَ كِتابَكَ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كَما اَقامَ الصَّلاةَ وَاتَى الزَّكاةَ، وَدَعا إلى دينِكَ،... اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى اَميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيِّ بْنِ اَبى طالِب، اَخى نَبِيِّكَ وَوَلِيِّهِ وَوَصِيِّه وَوَزيرِه، وَمُسْتَوْدَعِ عِلْمِه، وَمَوْضِعِ سِرِّهِ، وَبابِ حِكْمَتِه، وَالنّاطِقِ بِحُجَّتِهِ، وَالدّاعى إلى شَريعَتِه، وَخَليفَتِه فى اُمَّتِه، وَمُفَرِّجِ الْكَرْوبِ عَنْ وَجْهِه، وَقاصِمِ الْكَفَرَةِ، وَمُرْغِمِ الْفَجَرَةِ الَّذى جَعَلْتَهُ مِنْ نَبِيِّكَ بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى... اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى الصِّدّيقَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ الزَّكِيَّةِ، حَبيبَةِ نَبِيِّكَ، وَأُمِّ أَحبائِكَ وَأَصْفِيائِكَ، الَّتي انْتَجَبْتَها، وَفَضَّلْتَها، وَاخْتَرْتَها عَلى نِساءِ العالَمِينَ،...، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى الحَسَنِ بْنِ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ وَوَصِيِّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ،... اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى الحُسَيْنِ بِنْ عَلِيٍّ الْمَظْلُومِ الشَّهِيد،... اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ، سَيِّدِ العابِدِينَ، الَّذِي اسْتَخْلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ وَجَعَلْتَ مِنْهُ أَئِمَّةَ الهُدى، الَّذِينَ يَهْدُونَ بِالحَقِّ،... اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، باقِرِ العِلْمِ وَإِمامِ الهُدى،... اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى عَبْدِكَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ، خازِنِ العِلْمِ الدَّاعي إِلَيْكَ بِالحَقِّ، النُّورِ المُبِينِ،... اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى الاَمِينِ المُؤْتَمَنِ، مُوسى بْنِ جَعْفَرٍ البَرِّ الوَفِيِّ الطَّاهِرِ الزَّكِيّ، النُورِ المُنيرِ، المُجْتَهِدِ الْمُحْتَسِبِ،... اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى عَلِيِّ بْنِ مُوسى الرِّضا، الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ، وَرَضَّيْتَ بِهِ مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ،... اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسى، عَلَمِ التُّقى، وَنُورِ الهُدى، وَمَعْدِنِ الوَفاءِ، وَفَرْعِ الاَزْكِياءِ، وَخَلِيفَةِ الأَوْصِياء، وَأَمِينِكَ عَلى وَحْيِكَ...، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَصِيِّ الأَوْصِياء، وَإِمامِ الأَتْقِياءِ وَخَلَفِ أَئِمَّةِ الدِّينِ، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ الْهادِي البَرِّ التَّقِيِّ، الصَّادِقِ الوَفِيِّ النُورِ المُضِيِ، خازِنِ عِلْمِكَ،...**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٧ – ١٧١.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى وَلِيِّكَ وَابْنِ أَوْلِيائِكَ، الَّذِينَ فَرَضْتَ طاعَتَهُمْ وَأَوْجَبْتَ حَقَّهُمْ، وَأَذْهَبْتَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهِيراً اللّهُمَّ انْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِه لِدِينِكَ، وَانْصُرْ بِهِ أَوْلِياءَكَ وَأَوْلِياءَهُ وَشِيعَتَهُ وَأَنْصارَهُ وَاجْعَلْنا مِنْهُمْ،...))[1].

والنموذج الخامس: من دعاء الإمام المهدي (ع) (في الصلوات على النبي واله) نأخذ منه المقطع الآتي: **((اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ واَهْلِ بَيْتِهِ الأئِمَّةِ الْهادينَ، وَالْعُلَماء الصّادِقينَ، الْأَبْرارِ المُتَّقينَ، دَعائِمِ دينك، وَاَرْكانِ تَوْحيدِكَ (وَتَراجِمَةِ وَحْيِكَ) وَحُجَجِكَ عَلى خَلْقِكَ، وَخُلَفائِكَ في اَرْضِكَ الَّذينَ اخْتَرْتَهُمْ لِنَفْسِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُمْ عَلى عِبادِكَ، وَارْتَضَيْتَهُمْ لِدينِكَ، وَخَصَصْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَجَلَّلْتَهُمْ بِكَرامَتِكَ، وَغَشَّيْتَهُمْ بِرَحْمَتِكَ، وَرَبَّيْتَهُمْ بِنِعْمَتِكَ، وَغَذَّيْتَهُمْ بِحِكْمَتِكَ، وَاَلْبَسْتَهُمْ (مِنْ) نُورِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ في مَلَكُوتِكَ، وَحَفَفْتَهُمْ بِمَلائِكَتِكَ، وَشَرَّفْتَهُمْ بِنَبِيِّكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ،...))**[2].

وهكذا نجد أن الكثير من أدعية الصحيفة المباركة تجتمع وتشترك في التأسيس لخطاب فكري موحّد قوامه التأكيد على مكانة أئمة أهل البيت (ع) وعلى وجوب أخذ الإسلام الصحيح عن طريقهم مع الاهتمام ببيان عوامل وأسباب هذا التأكيد. والإشارة إلى مؤكدات هذا الارتباط الواردة في النص القرآني وفي الأحاديث الشريفة، وكلّ ذلك يرسم لنا خطاباً مضاداً يواجه الظروف العقائدية والاجتماعية والسياسية التي عاصرها الأئمة (ع) والتي كانت تَزدَحم بمحاولات طمس تراث أهل البيت (ع) وإلغاء شرعية ولايتهم وأحقيتهم بالخلافة عن رسول الله (ص) عبر الاعمال والممارسات الواضحة التي مارستها مختلف اشكال السلطة الأموية والعباسية ضد أئمة أهل البيت (ع). ونقف عند الثيمة الأخيرة والتي شكلت مع الثيمات السابقة السياق الفكري للصحيفة.

و- ثيمة واقعية القضية المهدوية والتمهيد لها:

وهي الثيمة التي نقل بها الأئمة (ع) للمتلقين قضية الإمام المنتظر(عج) وأتبع الأئمة سُبُّل كثيرة للتمهيد لها كما تذكر المصادر المؤرخة لحياة الأئمة المعصومين (ع) فمثال ذلك نرى أن الإمام الحسن العسكري (ع) كان يتصل بأوليائه ومواليه عن طريق أصحابه المقربين منه (ع) أي باختيار وسطّاء للتواصل مع مواليه وإدارة أمورهم والإجابة عن كلّ المسائل والحالات التي تستوجب ردّ الإمام فيها[3]

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠٦-٢١٢ .

(٢) م – ن: ٢٥٢ – ٢٥٣، وينظر: أيضاً:٢٨٧- ٢٨٩.

(٣) ينظر: سيرة الائمة عرض وتحليل الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية: ٤٤٠- ٤٤٧ .

فنشهد في نصوص الصحيفة صورة لتلك القضية وكيفية الانتظار والاستعداد لظهوره (عج) وتضمن ذكر فضائله في دولته الكريمة وحال المجتمع قبله وبعده (ع).

والنموذج الأول: دعاء الإمام الرضا (ع) (لولده المهدي عليه السلام): ((**اَللّهُمَّ اَجْعَلْهُ الْقائِمَ الْمُنْتَظَرَ، وَالْاِمامَ الذَّي بِهِ تَنْتَصِرُ، وَاَيَّدْهُ بِنَصْرٍ عَزيزٍ، وَفتْحٍ قَريبٍ، وَوَرِّثْهُ مَشارِقَ الْاَرْضِ وَمَغارِبَهَا اللّاتي بارَكْتَ فيها، وَاَحْيِ بِه سُنَّةَ نَبِيِّكَ صَلَواتُكَ عَلَيه وَاله، حَتّى لا يَسْتَخْفِيَ بْشيءٍ مِنَ الحَقِّ مَخافَةَ اَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ وقَوِّ ناصِرَهُ، وَاَخْذُلْ خاذِلَهُ،... وَاقْتُلْ بِه جَبابِرَةَ الْكُفْرِ، وَعُمَدَهُ وَدَعائِمَهُ (وَالقُوامَ بِهِ) وَاقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الضَّلالِةَ، وَشارِعَةَ الْبِدْعِة، وَمُميتَةَ السُّنَّةِ، وَمُقَوِّيَةَ البَاطِلِ، وَاَذْلِلْ بِهِ الْجبّارِينَ، وَاَبِرْ بِهِ الْكافِرِينَ (وَالْمُنافقينَ) وَجَميعَ الْمُلْحدينَ،...، وَجَدِّدْ بِهِ ما مُحِيَ مِنْ دينكَ، وَبُدِّلَ مِنْ حُكْمِكَ، حَتّى تُعيدَ دينَكَ بِهِ وعَلى يَدَيْه غَضّاً جَديداً صَحيحاً مَحْضاً، لا عِوَجَ فيه، وَلاْ بِدْعَة مَعَهُ،...**))[1]

والنموذج الثاني: دعاء الإمام الجواد (ع) (لولده الحجة عقب كل صلاة): ((...، **اَللّهُمَّ وَلِيكَ الْحُجَّةَ، فاحْفَظْهُ مِنْ بَينِ يَدَيه وَمِنْ خَلْفِه، وَعَنْ يَمينِه وَعَنْ شِماله، وَمِنْ فَوقِه، وَمِنْ تَحتِه، وَامْدُدْ لَهُ في عُمْره وَاجْعَلْهُ القائِمَ بِامْرِكَ، وَالْمُنتَصِرَ لِدينِكَ،...**))[2]

والنموذج الثالث: دعاء الإمام الهادي (ع) (في الصلاة على النبي وآله أثناء الزيارة الجامعة): ((...، **وَالْحُجَّةِ بنِ الْحَسَنِ صاحِبِ الْعَصْرِ وَالزَّمنِ، وَصِيِّ الْاَوْصِياءِ، وَبَقيَّةِ الْاَنْبِياءِ، الْمُسْتَتَرِ عَنْ خَلْقِكَ، وَالْمُؤَمَّلِ لِاِظْهارِ حَقِّكَ، الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ وَالْقائِمِ الَّذي بِهِ تَنْتَصِرُ،...**))[3]

والنموذج الرابع: دعاء الإمام العسكري (ع) (في الصلوات على النبي وأوصيائه): ((**اَللّهُمَّ صَلَّ على وَلِيِّكَ وَابْنِ اَوْلِيائِكَ، الَّذينَ فَرَضْتَ طاعَتَهُمْ وَاَوْجَبْتَ حَقَّهُمْ، وَأَذْهَبْتَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ، وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهِيراً اللّهُمَّ انْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ لِدِينِكَ، وَانْصُرْ بِهِ أَوْلِياءَكَ وَأَوْلِياءَهُ وَشِيعَتَهُ وَأَنْصارَهُ وَاجْعَلْنا مِنْهُمْ، اَللّهُمَّ اَعِذْهُ مِنْ شَرِّ كُلِّ باغٍ وَطاغٍ، وَمِنْ شَرِّ جَميعِ خَلْقِكَ وَاَحْفِظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِه، وَعَنْ يَمينِه وَعَنْ شِمالِه، وَاحْرُسْهُ وَامْنَعْهُ اَنْ يُوصَلَ اِلَيْهِ بِسُوءٍ، وَاحْفَظْ فيه رَسُولَكَ وَالَ رَسُولِكَ وَاَظْهِرْ بِهِ الْعَدْلَ،...**))[4]

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٧٣-٧٦.

(٢) م- ن: ١٥٦.

(٣) م - ن: ١٧١.

(٤) م - ن: ٢١١-٢١٢.

فكُلّ هذه النماذج السابقة من أدعية أئمة أهل البيت (ع) قد شكلت بمجموعها خطاباً ذا توجّه عقائدي موحّد يؤسس لقضية الإمام المنتظر (عج) ويحدد المسارات العامة لصورة المجتمع والحياة في عهده. ضارباً بذلك الصورة المضادة السائدة لحال المجتمع والأمة الإسلامية موجهاً بذلك نقداً مباشراً إلى الأوضاع الاجتماعية والسياسية العامة التي نتجت عن توليّ الحكام المتسلطين الخارجين عن حدود الشريعة الإسلامية.

وهذه المسألة نجدها حتى في الأدعية المروية عن الإمام المهدي (عج) الذي لا يخرج خطابه عن خطاب آبائه الطاهرين (ع) في رسم الملامح العامة لدولته المباركة فضلاً عن بيان مكانته الولائية الكبرى ومنزلته الالهية العليا يقول (عج) في دعاء العبرات: ((**وَاَتَقَرَّبُ اِلَيْكَ بِالْحَفيظِ الْعليمِ، الَّذي جَعَلْتَهُ على خَزائِنِ الْاَرْضِ وَالْاَبِ الرَّحيمِ، الَّذي مَلَّكتهُ اَزِمَّةَ الْبَسْطِ وَالْقَبضِ، صاحِبِ النَّقيبَةِ الْمَيْمُونةِ، وَقاصِفِ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونةِ، مُكَلِّمِ النّاسِ في المَهْدِ وَالدّالِّ عَلى مِنْهاجِ الرُّشْدِ، الغائِبِ عَنْ الْاَبْصارِ، الْحاضرِ في الْاَمْصار الْغائِب عَن الْعُيُونِ، الْحاضرِ في الْاَفْكارِ، بَقِيَّةِ الْاَخْيار الْوارِثِ لِذِي الْفِقار، الَّذي يَظْهَرُ في بَيْتِ اللهِ ذِي الْاَسْتارِ، العالِمِ الْمُطَهَّرِ، الْحُجَّةِ بْنِ الحسَنِ عَلَيْهِمْ اَفْضلُ التَّحيّاتِ، وَاعْظَمُ الْبَرَكاتِ وَاتمُّ الصَّلواتِ،...**))[1]

وكذلك نجده وهو يرسم لنا ملامح مكانته وصورة عصره الميمون في الدعاء المعروف بدعاء (الافتتاح): ((**اَللّهُمَّ وَصَلَّ عَلى وَلِيِّ اَمْرِكَ، القائِمَ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ وَحُفَّهُ بِمَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبينَ، وَاَيِّدهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، يا رَبَّ العالَمينَ، اَللّهُمَّ اجْعَلْهُ الدّاعي إلى كِتابِكَ، وَالقائِمِ بِدينِكَ اسْتَخْلَفْهُ في الْاَرْضِ كما استَخْلَفْتَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِه، مَكِّنْ لَهُ دينَهُ الَّذي ارْتَضَيْتهُ لَهُ ابْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوفِه اَمْناً، يَعْبُدكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً،...**))[2] ونشهد في خاتمة الصحيفة المهدية نبذة من الأدعية المروية عن النبي والأئمة (ع) تؤسس لواقعية القضية المهدوية والتمهيد لها[3].

إذن من خلال ما ذكرناه وبيناه من ثيمات مكونة لمقومات الخطاب الكبرى التي تقوم عليها الصحيفة الرضوية الجامعة؛ نستطيع أن نقول أن أدعية أئمة أهل البيت (ع)–على اختلاف ظروفهم الاجتماعية والسياسية– قد شكلت ملامح خطاب موحّد ذي أُسس مشتركة حاول النهوض بمهمة الدفاع

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٨٩.

(٢) م – ن: ٣٠٤–٣٠٥، وينظر: أيضاً: ٣١٥–٣٢٠.

(٣) م – ن:٣٤٤–٣٥٠.

عن العقيدة الإسلامية الصحيحة أمام تيارات الفتن والانحرافات الفكرية الكبيرة التي اجتاحت الأمة الإسلامية وبمختلف المجالات الفكرية والعقائدية والسياسية، فضلاً عن التغيرات الحضارية التي هزت كيان الأمة الإسلامية وكيان الفرد المسلم على مستوى البعد الأخلاقي والانغماس في حياة الترف والمجون، فكانت أدعية أهل البيت (ع) متضمنة لدعوة موجّهة تحاول إيقاظ الضمير المسلم داخل المجتمع وداخل الفرد.

ثانياً: السياق الخارجي (الزمان- والمكان- والحال):

ويُعد أحد أنواع السياقات الخارجية المؤطرة لعملية إنتاج وتلقي النصوص الأدبية، ولا يكاد يخلو أيُّ عملٍ أدبي من عناصر مكونة لإنتاجه، وهي (المبدع/المتكلم، والمتلقي/السامع، والسياق الزماني والمكاني الذي يرتبط بالحدث أو الفكرة المعروضة في النص) فلذلك نجد للسياق الزماني والمكاني أبعاداً إبداعية مهمة في إنتاج العمل الأدبي وتشابكها أو وترابطها مع بقية العناصر الآخرى المكونة للعمل الأدبي، أي عناصر السياق الخارجي (غير اللغوي) وعناصر السياق الداخلي (اللغوي).

ويسهم السياق الخارجي في بناء النص الأدبي ومنه (نص الدعاء) بناءً فنياً يحقق للنص أدبيته المؤسسة لهويته الجمالية والفنية، وذلك عبر تناسب صوره الفنية الداخلية في بنية الدعاء، والتي تتوافق مع بعضها البعض أي مع الصور المجاورة لها في تلك البنية النصية في تكوين دلالة واحدة، أو بعبارة آخرى توافقها في بيان دلالة معينة يحملها النص في داخله.

ويزداد النص جمالية كلّما احتوى على علاقات متناسبة أكثر، ومنها عندما تتناسب دلالياً صوره الداخلية مع الصورة الخارجية أو الدلالة العامة التي يوحى بها السياق الخارجي (الزمان، أو المكان، أو الحال) والذي ينبئ عن ذلك التوافق والتناسب، السير الخطي للقيم الدلالية التي تشّد ببقية الصور المجاورة لها داخل النص، وبالتالي تتناسب القيمة الشعورية والفكرية مع الدلالة العامة للنص. ونلمس لذلك بعض النماذج التي تعزز نظرتنا هذه في تجلي جماليات الخطاب عبر وجود شكل من أشكال التوافق الدلالي أو التناسب بين دلالات مضامين الدعاء وصوره الداخلية وبين الدلالة العامة كما سيتضح معنّا عند الوقوف على نماذج تبين لنا البناء الجمالي المحقق في التناسب الدلالي متأتياً من مستوى توافقه الداخلي (الصور الداخلية) مع المستوى الخارجي (الدلالة العامة)[1].

(١) ينظر: التوافق الدلالي في الصورة الفنية، مولود محمد زايد (بحث): ٢٣-٢٥.

والتناسب هو أحد عناصر الجمال ومبادئه التي نادى بها فلاسفة ومفكرو اليونان قديماً عندما وقفوا على تحديد وتعريف الشيء الجميل، فالجمال عندهم "هو الوحدة مع التنويع"[١]، والوحدة عند الفلاسفة هي صفة الكمال أو اكتمال الذات ووحدانيتها. صفة الواحد الأكمل أي الله، وأما الفنانون فالوحدة عندهم حملت أنواع الترابط: تماسك الأجزاء وارتباطها بحيث يظهر معها الأثر الفني أو العمل الفني سلسلة متصلة الحلقات ومرتبطة بالحلقة الرئيسة صاحبة الرؤية أو الدلالة الموضوعية التي يقوم على أساسها تماسك أجزاء العمل الفني وترابطه مما يشكل تماسكه وترابطه وحدة جمالية ليس من السهولة النجاح في تحقيق الجمال للنص المنشئ فالوحدة أحد الأركان التي وضعها أرسطو للتراجيديا (وحدة الزمان والمكان والعمل) وتبرز أهميتها في أنّه منها تتفرع باقي أركان الجمال: الانسجام أو تلاؤم الأجزاء– التناسب– التوازن–التطور والتدرج– التقوية والتمركز– الترجيع والتكرار[٢]. وفي موضعٍ آخر أكد أرسطو أن صياغة العمل الأدبي وفق آحدى مبادئ الجمال المتفرعة من الوحدة مثل التناسب يحدد وظيفة العمل الأدبي وهي خلق السرور واللذة عند المتلقي[٣] ويرى أرسطو: "أن النظام والتناسق (السيمتري) والتحدد هي الخصائص الجوهرية التي يتألف منها الجمال" [ورأي أرسطو هذا يتقارب من رأي أفلوطين الذي أبدى رأيه في مسألة الجمال] فهو يرى أنّه من الشائع القول إن تناسق الأشياء وتناسبها يكسبانها جمالاً"[٤].

فالمتلقي عند ما يلامس مثل هذه العلاقات القائمة بين اجزاء النص الداخلية أي ملاحظة انسجام اجزاء النص كلّه في خلق إشارة دلالية تتوافق مع دلالة أو معنى النص الكلية، فإنّه يتيقن أن جمالية العمل الأدبي متأتية من انسجام وحداته (اجزائه) وتلائمها مع دلالة الموضوع[٥] وكما نجد إشارات عند نقادنا القدماء لمبادئ الجمال (الوحدة وعناصرها الجمالية) من خلال اهتمامهم بجودةِ الشعرِ نجد عند (ابن طباطبا العلوي) إشارة إلى الاهتمام بمبادئ الجمال في معرض تقديمه نصائح لمن أراد أن يقول الشعر: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخّض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعد له ما

(١) النقد الجمالي وأثره في النقد العربي : ١٩.

(٢) ينظر: م – ن:٢١.

(٣) ينظر: م – ن :٧٨.

(٤) م – ن:١١٨.

(٥) ينظر: م – ن:٨٦.

يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلسُ له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يُشاكل الذي يرومه أثبته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعرِ وترتيبٍ لفنون القول فيه،...، فإذا كَمُلتْ له المعاني وَكَثُرتْ الأبياتُ وفَّقَ بينها بأبياتٍ تكون نظاماً لها، وسلكاً جامعاً لما تشتت منها،..."(١).

وقد أشار(قدامة بن جعفر) إلى أن جودة الشعر هي نتاج "ائتلاف اللفظ مع المعنى أو الوزن وائتلاف المعنى مع الوزن أو القافية"(٢) ويقول (حازم القرطاجني): "إنما الوضع المؤثر وضع الشيء الموضع اللائق به، وذلك يكون بالتوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقاً ومقترناً بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك"(٣). وهكذا نرى تقاربت وجهات النظر عند نقاد العرب القدماء في الاهتمام بالعناصر التي تحقق الجمال للعمل الأدبي، وخاصة في أحكامهم وتوجيهاتهم للشعراء في كيفية كتابة الشعر وجودته مع آراء النقاد وفلاسفة الفكر الغربي (أرسطو) واتباعه الذين اعتنوا بموضوع الجمال وعناصره، فالجمال عندهم في الوحدة وفي عناصره التي يشملها، فهو الأثر الذي يتركب من نظام في الأشياء الكثيرة(٤).

فمبادئ ومقاييس الجمال في النقد الجمالي، هي:

١ – التناسب:

يعد التناسب أحد العناصر والمبادئ التي تُميز العمل الفني وتبعاً لذلك يصف المتلقي العمل الفني بالجميل؛ وذلك لاشتماله على تناسب أجزائه (في النص) فَيُعْرَف التناسب بأنّه "حُسَّنْ العلاقة القائمة بين الأجزاء المختلفة للأثر الأدبي، حتى يتمتع كلّ عنصر منه بنصيبه من الاهتمام والإبراز مع مساهمته في انسجام الكل وتماسكه"(٥).

فمبدأ التناسب هو تعبير عن الانسجام والتلائم القائم بين اللفظة الأولى وبين اللفظة الثانية في الجملة المعبّرة عن المعنى وانسجامها مع الجمل الآخرى في النص في تكوين دلالة النص الكلية فيكون مبدأ التناسب الجمالي ناتجاً عن العلاقة المنسجمة بين اجزاء النص ودلالته أو بعبارة أُخرى هو تناسب

(١) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي:١١.

(٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٥٤.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني: ١٥٣.

(٤) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي: ٤٥–٤٧، وينظر: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: ١٩–٢٠.

(٥) معجم المصطلحات الأدبية: ١٢٢.

أجزاء النص من (ألفاظ وصور) مع دلالة النص الكلية، والتناسب يوجد في مختلف الأشياء التي يُسهِمَ في خلق جماليتها فالتناسب "هو اتباع قانون المناسبة في الحجوم والمسافات، وهذا يعني تنويع المسافات بين الأجزاء وتنويع حجوم هذه الأجزاء بحيث تتوافق من غير أن تتكرر هي نفسها بصورة مملة"[١]، وهكذا نجد أن حُسن التناسب مبدأٌ جماليٌ حيثما وَجَدَ، وَجَدَ الجمالُ فهو هامٌ وضروريٌ في جميع أشكال الفن والأدب، ففي البناء كما في الشعر، كما في الموسيقى ينزل منها التناسب منزلة هامة، ونضرب لذلك مثلاً عن البناء إذا أُريدَ أن يكون جميلاً يجب أن يُراعي في تصميمه التناسب بين حجم أو ضخامة شكله الخارجي وحجم أو ضخامة أجزائه: الأعمدة والأبواب ودرج السلم والنوافذ، فكذلك الحال في الشعر نجده من ناحية الشكل تساوي الشطرين في البيت الواحد[٢]. بينما في النثر يعني "التناسب في الانشاء والخطاب هو التناسب بين المقدمة وجسم المقال وخاتمته، فلا نطيل المقدمة أو الخاتمة في إنشاءٍ موجزٍ بل نجعلهما متناسبين في الجسم، فلا نطيل في جزء قليل الأهمية ولا نقتضب في ما يستدعي الشرح والأطناب، بل نوجز حيث يجب الإيجاز ونطنب حَيْثُ يَحَسْنُ الأطنابُ"[٣].

٢- توافق الأجزاء:

ويعنى به توافق وتلائم الأجزاء في العمل الفني وانسجامها مع الموضوع، ففي الموسيقى نجد تلاؤم الأصوات وفي الرسم تلاؤم الألوان أو الخطوط وانسجامها مع الموضوع أو شكل الصورة، وفي الشعر ائتلاف المعنى مع اللفظ وتلاؤم الأصوات وائتلاف المعاني وحسن الجمع بينها، فاللفظ القوي للمعنى القوي، وهكذا نجد توافق الأجزاء في الطبيعة حيث تأتلف الألوان والأشكال في الحيوان والنبات[٤].

٣- التوازن:

هو التماثل والتعادل بين شيئين بصورة تجذب انتباه الآخر لمشاهدة تلك الأشياء المتوازنة، فالتوازن يُعْرِفَ بأنّه "تعادل القوى وتقابل شيئينِ بحيث يتنازعانِ أنتباه الناظر أو السامع بمقدار واحد، التوازن هو الراحة هو تجمع الأجزاء حول المركز وترتيبها بصورة تجعل أحد الجانبينِ معادلاً للآخر في

(١) النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: ٢٣-٢٤.

(٢) ينظر: النقد الأدبي الجمالي، نبش الذهنية وبناء المرجعية، د. عبد الجليل شوقي: ٨٨ .

(٣) النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: ٢٤.

(٤) ينظر: م - ن: ٢٣.

الجاذبية"[١]. والتوازن في الشعر يكون بتقابل الضرب والعروض وتتقابل بينهما التفاعيل، وفي النثر حيث تزدوج الجمل، والتوازن هو أحد قوانين الدورة الإيقاعية وله دورٌ في خلقِ العنصر الإيقاعي للشعر والنثر، ففي النثر يكون لتوازن المفردات والتراكيب دوراً أيضاً مع بقية الفنون البديعية في خلق الإيقاع الداخلي، كما ذكرنا ذلك في المباحث السابقة من البحث وفي الشعر يكون عن تماثل القوافي مع الأبيات[٢]

٤- التدرج والتطور:

ويعني به هو التنويع في الأجزاء المتوافقة والمتناسبة فيما بينها والتي تخلق الوحدة الجمالية للعمل الفني، وحتى يبتعد العمل الفني عن الاستمرار على وتيرة واحدة، يذهب إلى تنويع اجزائه وتطورها من ضعيفٍ إلى أقوى، ومن دقةٍ إلى كثافةٍ ومن ضيقٍ إلى اتساعٍ، ومن مؤثرٍ إلى أشدِ تأثيرٍ ويعد من أنواع الوحدة والترابط، فالتنويع عنصر مهم؛ لدفع الملل عن الشيء المترابط على نسق معين ومحدد، فنراه في التصوير حيث تتدرج الألوان قتوماً وصفاءً، وفي القطع الموسيقية حيث تتدرج الأصوات صعوداً وهبوطاً، وفي النثرِ الممتاز بِحسن الانتقال بحيث يبدأ بمقدمةٍ وأن يحسن الانتقال منها إلى العرض فالخاتمة، وفي الشعر والخطب والمسرحيات والقصص حيث تتدرج عرض الحوادث والمؤثرات فتبدأ هادئة أو بسيطة ثم تتعقد وتتأزم وبعدها تُحل بخاتمةٍ قويةٍ والتنويع والتدرج أساس كلّ عمل فني بصورة عامة [٣].

٥- التكرار:

وهو المسؤول عن تحقق الوحدة أو النظام الجمالي للأعمال الفنية خاصة وفي الطبيعة ومكوناتها بصورة عامة فوجود عنصر التكرار في العمل الفني يعني تحقق تناسبه وتوافق أجزائه، ويظهر في تناوب الحركة والسكون أو تكرار الشيء على أبعاد متساوية، وفي ترديد لفظ واحد أو معنى واحد وهو كثير الشيوع في الفن قلّما نجد أثراً فنياً لا تتكرر فيه أجزاء متقاربة أو متباعدة[٤] وتبرز أهمية التكرار في خلق الإيقاع سواء في الشعر أو النثر "هو تكرار زمني تتناوب فيه حركات وسكنات تتجلى الجمالية فيه"[٥].

---

(١) النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: ٢٥.

(٢) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي:١٢٠-١٢١.

(٣) ينظر: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: ٢٦.

(٤) ينظر: م - ن: ٢٦-٢٧.

(٥) النقد الأدبي الجمالي: ٩٠.

فبعد ما بينا آراء مفكري وفلاسفة الغرب حول الجمال والعناصر التي تسهم في إكساب العمل الفني جمالاً، ومعالجة نقادنا العرب قديماً لمسألة الجمال ولكن ضمن قضايا نقدية تخص (بجودة الشعر وإتقانه) فالبحث يقف في دراسة البناء الجمالي في نصوص الصحيفة عند شكلٍ من أشكالِ البناء الجمالي وهو التناسب الدلالي بين مضامين الدعاء وصوره الداخلية وبين الدلالة العامة للسياق الخارجي المصاحب لموضوع الدعاء، وهو اتجاه من البحث يحاول توسيع دراسة أفق التوافق الدلالي إلى جانب النظرة السابقة عند الباحثين في دراستهما للتوافق الدلالي للصورة الفنية في الشعر والنثر وهي نظرة تقف في دراستها للنص الأدبي على مستويين، ففي المستوى الأول حيث يكون التوافق الداخلي من تناسب دلالة مفردات الصورة الواحدة في النص، أي هناك مناسبة دلالية واضحة تجمع بين المفردات التي تخلق دلالتها الخاصة بها والناتجة عن توافق مفردات الصورة، وفي المستوى الثاني يكشف عن علاقة توافق تلك الصورة الواحدة مع بقية الصور الآخرى المجاورة لها في النص وتناسبها مع دلالة النص الكلية، ونلمس لاتجاه البحث بعض النماذج التي تعزز نظرتنا المحددة سابقاً في تجلي جماليات الخطاب عبر وجود شكل من أشكال التناسب الدلالي، وقد توزعت النماذج ما بين سياق الزمان– المكان– الحال.

أ– السياق الزماني:

على الرغم من أن البحث لا يذهب إلى ضرورة وجود هذا التوافق والتناسب بين دلالات النص وبين سياقه الخارجي، فأن وقوع مثلُ هذا التناسب كفيل بِخلقِ مستوياتِ جماليةِ تُثْرِيَ النصُ وتَشدُ المتلقي إلى الدخولِ في دائرةِ السحرِ والإدهاشِ الناجمة عن عملية التفاعل الفني بين النص وبين متلقيه. فلو أخذنا مثلاً الدعاء الآتي للإمام العسكري (ع): (في الصباح): **((يا خالِقَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ الْمُنيرِ،...، يا مُطْلِقَ الْمُكَبَّلِ الْاَسيرِ، يا رازِقَ الطِّفْلِ الْصغيرِ، يا جابِرَ الْعَظْمِ الْكَسيرِ، يا نُورَ النُّورِ،...، يا باعِثَ مَنْ في الْقُبُورِ، يا شافِيَ الصُّدُورِ،...، يا دائِمَ الثَّباتِ، يا مُخْرِجَ النَّباتِ بِالْغُدُوَّ وَالْاَصالِ، يا مُحْيِيَ الْاَمْواتِ، يا مُنْشِئَ الْعِظامِ الدّارِساتِ، ...، يا كاسِيَ الْعِظامِ الْبالِيَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ))**[1].

حيث نجد يوُحي السياق الزماني للصباح للمتلقي (السامع والقارئ) بأنّه يحمل دلالات: النور، والإشراق بعد العتمة، والبداية ليوم جديد، والولادة، والخروج من ظلمة الليل وسكونه، والانفتاح للعمل وتجديد الطاقة بفعل الحركة. ولو جئنا إلى فقرات الدعاء نلتمس معرفة ما تنطوي عليه من صور ودلالات لوجدناها تتوافق صورها مع بعضها البعض في حمل دلالات متناسبة في داخل بنيتها النصية، وتناسبها

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٢٤.

مع الدلالات العامة لموضوع الدعاء والذي تمثل هنا في الصباح ودلالاته، فكانت دلالة الصور الداخلية تدور كلّها حول البداية والإشراق والخروج من الضيق، كما هي في الدعاء (يا خالِقَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ الْمُنيرِ) نلمس تناسق اللفظين في حمل دلالة النور والاشراق، فالشمس مصدر النور والقمر يستمد نوره وضياءه من الشمس فتوافقت لفظة (القمر) مع (الشمس) في تشكيل الدلالة الأولى، وتتوافق بعد ذلك الصورة الأولى مع الصور الآخرى في النص ومنها (يا نُورَ النُّورِ) ونلمس فيه تناسق اللفظتين فلفظة (نور) الأولى: تعني أن الله سبحانه وتعالى نورٌ، فهو مصدر الخير فعبّر عن الخير بالنور و(النور) الثانية تعني الأيمان به والهداية وهي جزءٌ من خيره وفضله على الإنسان وحملت (النور) هذا المعنى من مجانستها مع الأولى فتناسبت اللفظتانِ في حملِ دلالة الايمان بالله تعالى وهو نورٌ بالنسبة للمؤمن، فتوافقت الصورة الأولى (يا خالِقَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ الْمُنير) مع صورة (يا نُورَ النُّورِ) ومن الصور الآخرى التي توافقت مع بعضها البعض في حمل دلالة واحدة، وكذلك في قوله (يا رازِقَ الطِّفْلِ الْصغيرِ) والتي توافقت مع قوله (يا مُخْرِجَ النَّباتِ) في حمل دلالة الولادة والبداية ففي الصورة الأولى نرى كلمة (رازِقَ) تَدلّ على العطاءِ وبإضافتها لـ(الطفل الصغير) حملت معنى بداية حياة جديد مع ذلك الطفل، وتوافقها مع صورة آخرى في الدعاء (يا مُخْرِجَ النَّباتِ) فكلمة (مُخرج) تدلّ على الولادة وحملت ذلك المعنى من أضافتها إلى كلمة (النبات) فتكون دلالة الصورة الولادة والبداية. ومن الصور الآخرى التي توافقت مع بعضها في خلق دلالتها الخاصة قوله (ع) :

- يا مُطْلِقَ الْمُكَبَّلِ الْاَسيرِ- يا باعِثَ مَنْ في الْقُبُورِ- يا شافِيَ الصُّدُورِ

- يا مُحْيِيَ الْاَمْواتِ- يا مُنْشِئَ الْعِظامِ الدّارِساتِ- يا كاسِيَ الْعِظامِ الْبالِيَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

فكلّ هذه الصور تتوافق مع بعضها البعض في الدلالة العامة، فنأتي إلى الصورة الأولى (يا مُطْلِقَ الْمُكَبَّلِ الْاَسيرِ) فكلمة (مُطلِق) تعني الفرج والخروج من التقييد و(المُكبل الاسير) تعني الإنسان الأسير والمحبوس مُقيد اليدين بسلاسلٍ، وتوافقت مع (مُطلق) في خلق دلالة واحدة وهي الخروج من الضيق والانفتاح، والصورة الثانية (يا باعِثَ مَنْ في الْقُبُورِ) فكلمة (باعِثَ) تحمل معنى خارج ومخرج الشيء ومجيء بعدها شبه الجملة الظرفية (من في القبور) والتي تدلّ على مكان دفن الأموات فانسجمت وتوافقت مع لفظة (باعِثَ) في الدلالة على الخروج من الضيق (ضيق القبر وأهواله) والدلالة نفسها نجدها تتناسب مع الصور المتبقية، وهذا التناسب الدلالي الجمالي في صور النص الداخلية (الاشراق والنور والبداية والخروج من الظلمة) يؤسس علاقة تناسب دلالي آخرى مع دلالة السياق الخارجي المصاحب

لموضوع الدعاء وهو (في الصباح) الذي حمل نفس تلك الدلالات. وهذه أعلى درجة من درجات الجمال تحقق في النص الدعائي والذي يدلّ على امتلاك منشئه وهو الإمام العسكري (ع) للإمكانية الفنية المدركة التي أنتجت نصاً متماسكاً في نسجه وبنائه وتناسب دلالاته النصية (الداخلية) مع دلالة السياق الزماني. كما موضحاً في الشكل الآتي:

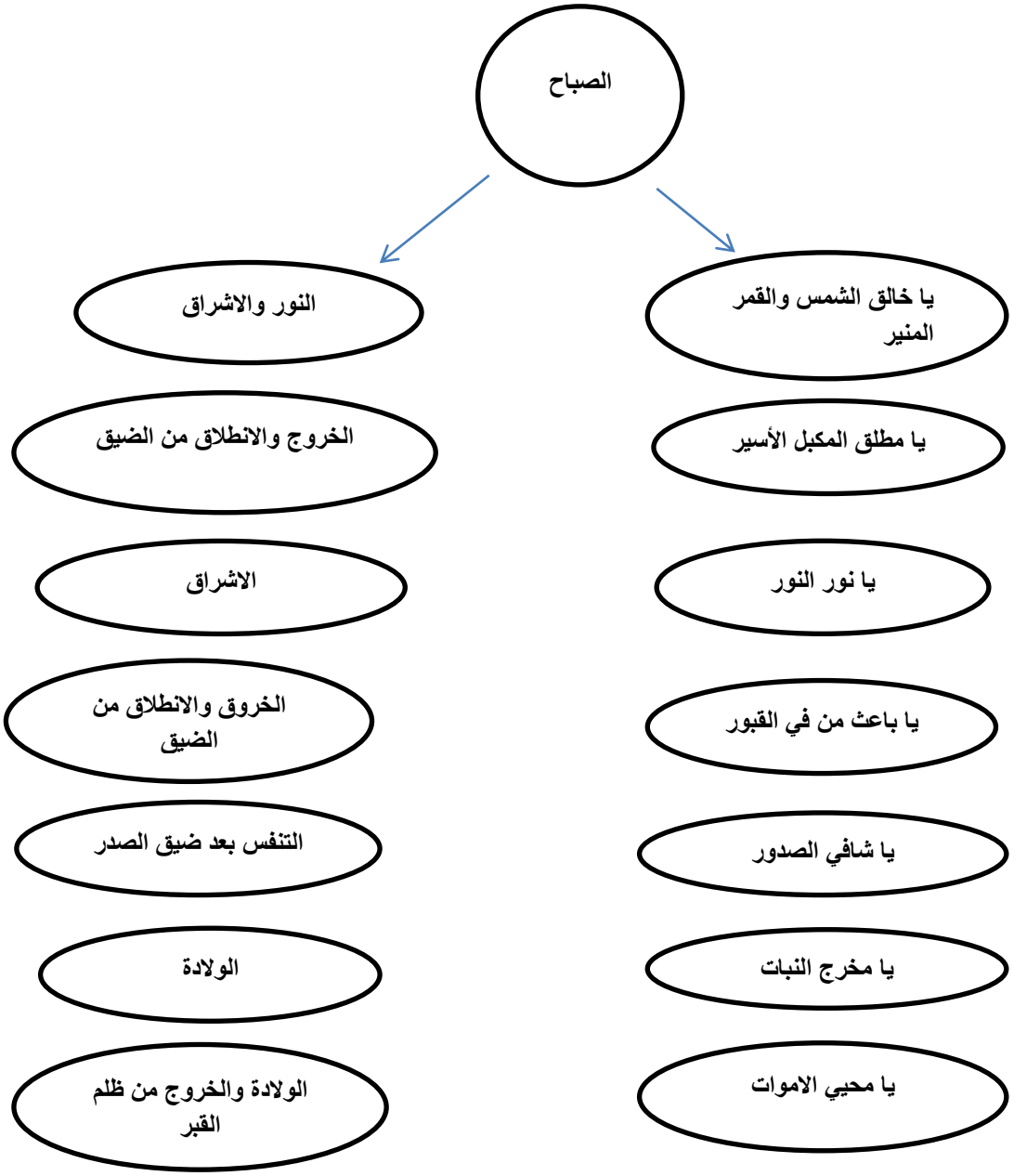

ب- السياق المكاني:

ونلمس فيه أيضاً تناسب دلالته العامة مع دلالة صور الدعاء الداخلية كما في النماذج الآتية:

النموذج الأول: دعاء الإمام الرضا(ع) عند (بدء الطواف من الحجر الأسود): ((**امَنْتُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَفَرْتُ بِالْجِبْتِ وَالْطّاغُوتِ وَاللّاتِ وَالْعُزّى وَهُبَل وَالْاصْنامِ وَعِبادةِ الْاوْثانِ وَالْشَّيْطانِ، وَكُلَّ نِدٍّ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، سُبْحانَهُ عَمّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبيراً**))[1].

فدلالة السياق المكاني وهو (الطواف من الحجر الأسود) يدلّ على بداية الرحلة الإيمانية وبداية رحلة الحج إلى اللهِ انطلاقاً من مكان (الحجر الأسود)، ففي بناء الدعاء داخلياً يتقابل هذا الإيمان المقترن بالحجر الأسود بصورة الكفر بجميع أشكال الحجر الآخر والتي تمثل بمختلف الآلهة المعبودة من قبل الآخر/الكافر (اللّاتِ، وَالْعُزّى، وَهُبَل، وَالْاصْنامِ، وَالْاوْثانِ) فضلاً عن كون الدعاء يعد بعض أشكال المعبودات الآخرى أيضاً ضمن الأصنام والأوثان فيدرجها ضمن موضوعة الشرك بعبادة الله تعالى كما نلمس ذلك في ذكر (الجبت والطّاغوت) وكذلك (الشيطان) هذا التناسب بين الإيمان بالحجر الأسود. والكفر بالأحجار الآخرى يُجسد وجه التوافق الجمالي المنصهر في سياقه الخارجي.

والنموذج الثاني: دعاء الإمام الجواد (ع) (في مطالب الدنيا والآخرة بعد صلاته): ((**اَللّهُمَّ رَبَّ الْاَرْواحِ الْفانِيَةِ، وَالْاَجْسادِ الْبالِيَةِ، اَسْأَلُكَ بِطاعَةِ الْاَرْواحِ الرّاجِعَةِ إلى اَجْسادِها، وَبِطاعَةِ الْاَجْسادِ الْمُلْتَئِمَةِ بِعُرُوقِها، وَبِكَلِمَتِكَ النّافِذَةِ بَيْنَهُمْ، وَاَخْذِكَ الْحَقَّ مِنْهُمْ، وَالْخَلائِقُ بَيْنَ يَدَيْكَ يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ قَضائِكَ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَكَ وَيَخافُونَ عِقابَكَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ**))[2]

تمثل الصلاة رحلة روحية نحو العوالم الإلهية عبر التجرد من الارتباطات المادية ومتعلقات الجسد، لذلك فإن الخروج من الصلاة يجسد عودة الروح إلى الجسد وعالم المادة، ونجد نص الدعاء تملؤه صور عودة الأرواح إلى الأجساد (الْاَرْواحِ الْفانِيَةِ، وَالْاَجْسادِ الْبالِيَةِ، اَسْأَلُكَ بِطاعَةِ الْاَرْواحِ الرّاجِعَةِ إلى اَجْسادِها، وَبِطاعَةِ الْمُلْتَئِمَةِ بِعُرُوقِها) كما أن الصلاة في صورتها الخارجية تمثل وقفة بين يدي الله وهي صورة تتوافق وتتناسب مع صورة الوقوف بين يدي الله للحساب (وَالْخَلائِقُ بَيْنَ يَدَيْكَ يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ قَضائِكَ ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَكَ وَيَخافُونَ عِقابَكَ)

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة:١٠٣.

(٢) م – ن: ١٢٩.

والنموذج الثالث: دعاء الإمام العسكري (ع) (عند دخول المسجد): ((**اَللهُمَّ افْتَحْ لي اَبْوابَ رَحمِتكَ وَتَوْبَتِكَ، واَغْلِقْ عَنّي اَبْوابَ مَعْصِيَتكَ، وَاجْعَلْني مِنْ زُوّارِكَ وَعُمّارِ مَساجِدِكَ وَممَّنْ يُناجيكَ بِاللَّيلِ وَالنَّهارِ، ومِنَ الَّذينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ، وَادْحَرْ عَنّي الشَّيْطانَ الرَّجيمَ، وَجُنُودَ اِبْليسَ اَجْمَعينَ**))[1]

فالسياق الخارجي المكاني يمثل الدخول إلى المسجد، أي الدخول إلى عالم آمن، لأنّ المسجد بيت من بيوت الله الحرام، وهو مكان للتقرب إلى الله تعالى وعبادته والانقطاع عن مشاغل الحياة ومتاعبها، والدعاء يمثل لنا صورة الدخول إلى المسجد والانقطاع عن الدنيا وهذا التناسب الجمالي تجلى عن طريق التقابل ما بين الصورتين، كما في الجدول الآتي:

صور الدخول إلى المسجد	صور الانقطاع عن مشاغل الحياة وارتباطاتها
افْتَحْ لي اَبْوابَ رَحْمِتكَ وَتَوْبَتِكَ.	**واَغْلِقْ عَنّي اَبْوابَ مَعْصِيَتكَ.**
وَاجْعَلْني مِنْ زُوّارِكَ وَعُمّارِ مَساجِدِكَ.	**وَادْحَرْ عَنَّي الشَّيْطانَ الرَّجيمَ.**
يُناجيكَ بِاللَّيلِ وَالنَّهارِ.	**وَجُنُودَ اِبْليسَ اَجْمَعينَ.**
ومِنَ الَّذينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ.	

ج – سياق الحال:

يدل سياق الحال على جميع الظروف والأحوال المحيطة بالعمل الأدبي[2] والتي غالباً ما يكون النص متأثراً ومتحاوراً مع موجهات ذلك السياق والتي تمتلك نفوذ التحكم والتوجيه لما يمكن أن يستنبطه النص من إيحاءات متأثرة بظرف نشأة النص لذلك يقصد البحث بسياق الحال هنا الحالة أو الموقف الذي ينقل الدعاء من خلال صوره الداخلية صورة متناسبة مع تلك الحالة كما في النموذج الآتي (لدفع همزات الشياطين): ((**يا عَزيزَ الْعِزِّ في عِزِّه، ما اَعَزَّ عزيزَ الْعِزِّ في عِزِّه، يا عَزيزُ اَعِزَّني بِعِزِّكَ، وَاَيِّدْني بِنَصْرِكَ، وَاطْرُدْ عَنّي هَمَزاتِ الشَّياطينِ، وَادْفَعْ عَنّي بِدَفْعِكَ، وَامْنَعْ عَنّي بِمَنعِكَ، وَاجْعَلْني مِنْ خِيارِ خَلْقِكَ، يا واحِدُ يا اَحَدُ، يا فَرْدُ، يا صَمَدُ**))[3].

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة : ٢٢٨.

(٢) ينظر: السياق وأثره في المعنى: ١٥.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٨٨.

فالسياق الخارجي ومنه سياق الحال (لدفع همزات الشياطين) يحمل دلالة على وسوسة الشيطان وهمزه في آذان السامعين له. والدعاء ينقل لنا صورة صوتية تناسبت مع همزات الشياطين، حيث نجد هذا التكرار الواضح لصوت الزاي في كلماته (عَزيزَ- الْعِزِّ- عِزِّه- اَعَزّ- اَعِزَّني- بِعِزَّكَ) يملأ الفضاء الصوتي للدعاء بما يشبه (الأزيز) أي الصوت الخافت ذو الحدّة، الذي يشّد الذهن نحو قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾[1] فصوت الزاي وما يخلقه من الأزيز يتوافق مع (أزّا) الشياطين وهمزهم ولمزهم.

فمن خلال ما قد استعرضه البحث من نماذج بين لنا تحليلها مدى امتلاكها لمقومات التوافق الجمالي والدلالي بين مضامين الخطاب الدعائي وبين سياقاته الخارجية؛ يتضح لنا جانب من جوانب البناء الجمالي الذي اعتنت به خطابات الصحيفة الرضوية الجامعة. والمتمثل بهذا التناسب والتجاذب والاستثمار للسياقات الخارجية (الزمانية والمكانية والحالية) من أجل منح النص هويته التأثيرية القائمة على شدّ ذهن المتلقي/الداعي واغراقه في فضاءات الدعاء وآفاقه العاطفية والايحائية من أجل الوصول إلى الاستجابة الكلية المؤثرة والقائمة على التفاعل النفسي والذهني بين مضامين الخطاب ومقوماته الفكرية وسياقاته الخارجية وبين المتلقي أو الداعي الممارس لفعل القراءة والتلقي في الوقت نفسه.

(١) مريم: ٨٣.

المبحث الثاني

السياق الداخلي (البناء الخاص)

تحدثنا سابقاً في المبحث الأول عن الكيفية التي تمظهر لنا من خلالها العمل الأدبي بالصورة النهائية، وتلك الكيفية التي أفصحت عن تعالق واشتراك بعدين مسؤولين عن إنجاز وإتمام العمل الأدبي، وهما: البعد الداخلي ويعرف بالسياق اللغوي والسياق الداخلي، والبعد الخارجي ويعرف أيضاً بالسياق غير اللغوي، والسياق الخارجي ويعّرف بأنّه "كلّ الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب النص وتحيط به نطقاً وكتابةً"(١)

وسنتناول هنا السياق الداخلي والذي سّماه البحث بـ(البناء الخاص) لكون بناء النص الدعائي انماز عن بقية النصوص الأدبية؛ لقيامه على هيئة مخصوصة من البناء الفني المتميز بألفاظه العذبة المموسقة التي تَسْحَرُ أذنَ السامعِ وتَستحوذُ على مشاعر السامع وأحاسيسهِ المتأثرة بلغة الدعاء ومضمونه، حيث يعمد (الإمام/المشرع) إلى ايراد جملة أو عبارة مؤلفة من كلمات ذات صفات صوتية معينة ومرتبة ترتيباً موسيقياً خاصاً بحيث تنقل السامع إلى الصورة المراد التعبير عنها وتجعله يعيش فيها، أو تنقل إليه هذه الصورة وتجعلها بين يديه قريبة منه. حيث نجد الجملة كلّها تُصاغ صياغة لفظية وموسيقية تناسب المعنى قوةً وضعفاً وتناسب الأحداث الجارية في الموقف بأجمعه، مما يعني أن وظيفة الجمل هنا هي الإيماء إلى المعنى أو الإيحاء به، وليس النقل الحرفي المباشر لصور الواقع وغيرها(٢).

فضلاً عن طريقة نظم عباراته وجمله القائمة على الإيجاز والتكثيف لما لها من أثرٍ إيجابي عند المتلقي للدعاء؛ سواء أكان لسهولة حفظه وتمكين ترديده أم ما يتعلق بموضوعاته المختلفة فيما يخص التحميد والتمجيد لله تعالى تارة، وما يختص بطلب حاجات الإنسان اليومية والحياتية تارة آخرى، أو ما يتمثل في إظهار التضرع والتوسل إليه لمّا يقترفه الإنسان من معاصي وذنوب تارة ثالثة.

لذلك نرى بناءه قد أتسم بدرجةٍ من الأدبية المخصوصة والمتناسبة مع غرض الدعاء وهو الامتاع بأصواته العذبة والنفع بمضامينه المتنوعة الأبعاد (أخلاقي، واجتماعي، ونفسي، وسياسي...إلخ). ومن ذلك ندرك المقصود بالسياق الداخلي هو السياق الذي يتمثل في اللغة وتراكيبها من حيث موقع الكلمة بين أخواتها والهيئة التي ائتلفت فيها الكلمات مع بعضها ومكان هذه الائتلافات والتراكيب من الموضوع لها.

(١) السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني:١٩٠.

(٢) ينظر: السياق أثره في المعنى:٨١-٨٢.

أي بعبارة آخرى هو طريقة تنظيم الألفاظ مع بعضها البعض في الجمل بحيث تترابط ألفاظها على هيئة متجانسة لخلق المعنى أو الدلالة ومن ثم ترابطها مع الجمل الآخرى لتكوين دلالة النص الكلية[١] ويتعلق أيضاً بدراسة النص "من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض والأدوات المستعملة للربط بين هذه الألفاظ، وما يترتب على تلك العلائق من دلالات جزئية أو كلية"[٢].

ونظراً لأهميته ودوره الأساسي في نقل فكرة ما من وجودها الذهني في عقل منشئها إلى وجودٍ ماديٍّ ملموسٍ من خلال اللغة وأنظمتها القواعدية، ونشهد إشارة جيدة لدور السياق اللغوي في العمل الأدبي من خلال تعريف النص الأدبي "بأنه نسيجٌ من الألفاظِ والعباراتِ التي تُطرد في بناءٍ منظم متناسق، يعالج موضوعاً أو موضوعات كثيرة بإداء خاص يختلف عن أنماط الكلام اليومية غير الأدبية مما لا يعتمد فيها، إيقاع، أو تخيل، أو تصوير، أو إيحاء"[٣] ما معناه أن السياق اللغوي (الداخلي) يعمل على تجميع الكلمات بعضها مع بعض، وترابط أجزائها وتتابعها بحيث توحي معنىً وهي مجتمعة في النص[٤]. والبحث سوف يتناول في السياق الداخلي، ما يأتي:

أولاً: بنية الاستهلال.

ثانياً: روابط النص.

أولاً: بنية الاستهلال:

لا يخلو أي عمل إبداعي من اعتماده على عناصر أولية تعتبر المحرك الأول الذي ينطلق منه المبدع لإكمال ترابطها بعد ذلك مع المكونات الآخرى التي تتواشج بعضها مع بعض لخلق صورة متناسبة مع الفكرة الرئيسة الحاضنة لذلك العمل الإبداعي، وبالنسبة للعمل الأدبي يعد العنصر الأول في بنائه ما يعرف بـ(الاستهلال) أو (المفتتح) أو (المطلع) أو (البداية)...إلخ، فعلى الرغم من كثرة المصطلحات المترادفة في الدلالة على المكون الأولي والابتدائي للنص الأدبي؛ نجدها تختلف في أماكن تحديد تواجدها البنائي، وقد أختار البحث من تلك المصطلحات في الدلالة على بادئة النص الدعائي بمصطلح

(١) ينظر: السياق وأثره في المعنى: ١٤.

(٢) دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية، سمية محامدية (ماجستير): ١٣.

(٣) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٣٩.

(٤) ينظر: السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني: ١٧.

الاستهلال. وذلك لكونها مفردة تنسجم مع خصوصية النص الدعائي، فهو نص يُستهلُّ دائماً باستهلالاتٍ متنوعة بتنوع موضوعاته وذلك ما سنشير إليه لاحقاً.

فلذلك يُعد الاستهلال محطة من المحطات الرئيسة والأولى التي أهتم بها جميع المبدعين للعمل الإبداعي سواء أكان ذلك العمل ينتمي إلى حقل الأدب أم كان ينتمي إلى بقية الحقول الفنية، كالرسم، والموسيقى، والمسرح ...إلخ فيعتبر الاستهلال هو أول ما يفتتح به النص الأدبي، والمقطوعة الموسيقية فهو بمثابة العتبة الأولى على حد تعبير جينيت[١] التي تُمهد للمتلقي بطريقة موجزة ما يمكن تفصيله وتفسيره في داخل أجزاء النص الآخرى، فمنه يتحرك ذهن المتلقي إلى معرفة ما تضمنه النص من دلالات تتناسب مع دلالة الاستهلال أم أنّها تشكل منعطفاً دلالياً عن ذلك الاستهلال؟ فضلاً عن ذلك تعدّ الاستهلالات (بأنواعها المختلفة) العتبة الأولى التي يقف عندها المتلقي يُمتع أُذْنيه بأصواتها ويستمتع بمشاهدة صورتها المرسومة بتلك الحروف والكلمات، فإذا كانت على هيئة شكلية ومضمونية جيدة، فستعمل على جذب انتباه المتلقي وتحفيزه لمتابعة ذلك النص قراءة أو سماعاً فالكثير يحكم على جمالية العمل الأدبي وجودته من خلال أول ما يطرق سماعه أو قراءته من استهلالٍ سواء أكان مفردةً أم جملةً أم مقطعاً وهكذا.

ولكي ينطلق البحث لدراسة بنية الاستهلال في الصحيفة الرضوية الجامعة، نقف عند دلالة المصطلح في اللغة والاصطلاح لينطلق البحث من زاوية مفهوماتية معينة ومحددة حول مصطلح الاستهلال، ففي اللغة عرف الاستهلال بمعنى الابتداء، جاء (أساس البلاغة) "وهلل تهليلاً وأهل بذكر الله رفع به صوته وما أهل به لغير الله، وأهل المحرم بالحج والعمرة رفع صوته بالتلبية،...، وأهل الهلال واستهلوه: رفعوا أصواتهم عند رؤيته،...، وانهلت السماء بالمطر، واستهلت وهو صوت المطر، وتهلل السحاب بالبرق تلألأ (ومن المجاز): ما أحسن مستهل قصيدته ومطلعها"[٢] وفي (لسان العرب) "هَلَّ السحاب المطر، وهل المطر هلاًّ، وانهل انهلالاً، وأستهل المطر، وهو شدة انصبابه، والهلُّ: أول المطر، واستهلت السماء في أول المطر، واستهل الصبيُّ بالبكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة...والهلال غُرة القمر"[٣].

---

(١) ينظر: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد: ١١٢-١٢٤.

(٢) أساس البلاغة:٢/٣٦٠.

(٣) لسان العرب:١١/٧٠١-٧٠٢.

فنشهد الاستهلال في اللغة حمل معنى أول الشيء كما في (أول المطر، غُرة القمر، ورفع الصوت، أهل الهلال،...) فهو أول كلّ شيء وارتباطه بالأشياء الحية أو المتحركة فوجوده دليل على حيويته، وتغير حالته فهو في السحاب، وبنزول المطر، وببكاء الطفل عند ولادته، وغرة القمر كلّها يدلّ الاستهلال فيها على اللحظة الأولى من حركتيها فكلّ من (المطر- والسحاب- وغرة القمر- وبكاء الطفل) تتغير حركيتها، أي بدايتها بما تتفق مع حالتها الأولى أو تتغير. لذلك فالاستهلال هو البداية لكلّ ما هو محسوس وفي عبارة الزمخشري نلمس أول إشارة لاستهلال النص الأدبي (ما أحسن مستهل قصيدته أي مطلعها).

وفي مفهومه الاصطلاحي، نجده لا يخرج عن معناه اللغوي في الدلالة على بداية الشيء "باعتباره بدء الكلام، والبداية هي المحرك الفاعل الأول لعجلة النص كله"[١] ففي هذا التعريف البسيط نلمس فيه إشارة إلى كونه أحد عناصر النص الأدبي، وليس عنصراً منفصلاً عنه بحكم موقعه في بدء الكلام، فضلاً عن الإشارة إلى دوره ووظيفته فهو المسؤول عن تحريك أجزاء النص بحركة منسجمة مع ما تدلّ عليه بنية الاستهلال، والتي قد تكون الكلمة الأولى أو الجملة أو العبارة أو الفقرة الحاملة لدلالة النص الكلية بشكل موجز ومكثف عن الدلالة أو الفكرة التي يرغب المبدع/الكاتب في عرضها وذكر تفاصيلها في مكونات النص الداخلية الآخرى، ولذلك "ينبغي أن يراعى في الابتداءات ما يقرب به المعنى، وما يكون فيه اللفظ عذباً وسهلاً"[٢] وهذا ما يعني أن الاستهلال هو "تأليف مخصوص للمقدمات بصيغ وتراكيب تنفرد على نحو من الإثارة الواصلة بين المرسِل والمتلقي"[٣].

ونلمس للاستهلال شروطاً وأهمية مخصوصة باعتباره عنصراً من عناصر البناء الفني في جميع الفنون الشعرية والنثرية، يتضح لنا ذلك في تركيز القدامى عليه فقد أعتنى الشعراء والأدباء والخطباء بالاستهلال في مطالع قصائدهم، ومقدمات خطبهم ومفتتحات نصوصهم الأدبية، وهي لوظيفة لفت ذهن المتلقي وتحفيزه للبقاء في جو النص المُلقى إليه وقد شغل لأجل ذلك اهتمام النقاد والبلاغيين وعُرِفَ عندهم بـ(حسن الابتداء) و(براعة الاستهلال)[٤] وعُرِفَ حسن الابتداء بأنّه "أن يكون مطلع الكلام شعراً أو نثراً، أنيقاً بديعاً، لأنّه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام ويعيه وأن كان بخلاف ذلك أعرض

(١) الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، د. ياسين النصير: ١٧.

(٢) الجمال في براعة الاستهلال، د. بدر عبد الحميد هميسه: ١٣.

(٣) شعرية الاستهلال عند عبد الله البردوني، د. شعلال رشيد (بحث): ٣١.

(٤) ينظر: العتبات النصية، رواية أوراق معبد الكتبا لهاشم غرايبة نموذجا، نزار قبلات (بحث): ٩٤٦.

عنه ورفضه"[١] وأما براعة الاستهلال فهي "أن يبدأ الشاعر قصيدته بما يوضح غرضه منها"[٢] ونرى في قول ابن الأثير الآتي، ذكره لشروط الاستهلال: "وإنما خُصَّت الابتداءات بالاختيار، لأنها أوَّلُ ما يَطْرُقُ السَّمْع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده تَوَفرت الدواعي على اسْماعه"[٣].

ففي قوله تحديد للاستهلال بأنه (أول ما يطرق السمع من الكلام) وأما شروط الجودة في بنائه الفني فأهمها:

١- سهولة اللفظ، وصحة السبك

٢- وضوح المعنى، وتجنب الحشو

٣-وأن يكون دالاً على المقصود (هدف النص أو موضوعه)[٤]

فكلّ هذه الشروط عُرِفت عند اهتمام المحدثين بالاستهلال بالوظيفة الأولى: وهي "جلب انتباه القارئ أو السامع أو المشاهد وشدّه إلى الموضوع،...، وجلب انتباه السامع يتم بأدوات كلامية حسنة، وبأسلوب تعبير مُثير"[٥] وهي تماماً كما لمسناها في قول ابن الاثير السابق، وأما الوظيفة الثانية للاستهلال: التلميح بأيسر القول عمّا يحتويه النص فهذه الوظيفة ذات شعب عدة، منها ما ذكرناها سابقاً من ضرورة الابتداء الحسن لأن السامع لا يُقبل إلّا متى ما كان الكلام حسناً صحيح المعنى، وأن الاستهلال بتلميحه لمحتوى النص، يدلّ على ارتباطه ببقية عناصر النص برابط عضوي، لذلك لابدّ للاستهلال من أن يكون بكلام توليدي ديناميكي فاعل، الكلمة فيه مشحونة بالمعرفة والإحالة والتأويل وهو ما يتحقق بفضل تكرار أسلوب الاستهلال داخل النص. ومن تشعبات الوظائفية الثانية ما يتصل بالغاية من الموضوع،...، وهي التمهيد للدخول إلى النص والعمل على ترابط اجزاء العمل بالألفاظ، والألفاظ هي ما يحسن المبدع بها الدخول وما يحسن بها الانسلال من البداية إلى المتن. ووظائفه تتغير من نص أدبي إلى آخر وعلى حسب ما يحددها المبدع فهو المتعلق الأول بالاستهلال الذي ينشئه على وفق ميوله النفسية ولغته وهدفه من الرسالة (النص) ومن المتلقي[٦] وهذه الوظائف لبنية الاستهلال قد تتعدد إلى

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١/٣٠.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٧٧.

(٣) المثل السائر: ضياء الدين بن الأثير: ٣/ ٩٨.

(٤) ينظر: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي: ٧٥.

(٥) م – ن: ٢٣-٢٤.

(٦) ينظر: م – ن ٢٤-٢٧.

وظائف آخرى (إغرائية واخبارية...إلخ) وهذا يتوقف على طبيعة النص الأدبي وانتمائه إلى جنس أدبي ما، والذي يحدد للاستهلال بنية فنية وأسلوبية مميزة عن بقية عناصر النص، هي ما يأتي:

١- "أن محتوى وأسلوب النص هما اللذانِ ولدا مفردات الاستهلال، فالاستهلال نتاج للنص.

٢- وأن هذه المفردات تمتد داخل النص كخيوط السدى لتولد صوراً أو مفردات جديدة منبثقة منها"[١]

وأمّا بالنسبة إلى تحديد بنية الاستهلال في الصحيفة الرضوية الجامعة، فيحددها البحث بالمقطع الأول كُلّه، لكون نص الدّعاء يقوم على مقاطع وفي داخله فقرات أصغر منه، ولكلّ مقطع موضوعه الذي يتوافق مع موضوع الدعاء الرئيس، ولأجل ذلك فقد تميزت أدعية الصحيفة بمقاطع استهلالية مشتركة فيما بينها، وقسمها البحث على حسب الجانب الموضوعي الذي يكتنزه المقطع الاستهلالي الأول من كلِّ دعاء وهي كما يأتي:

١- بادئة المفتتح القرآني.

٢- بادئة التمجيد والتحميد.

٣- بادئة الوصف.

٤- بادئة الاخبار وتضمن: أ- الاخبار بمتعلق الهي.

ب- الاخبار بمتعلق ذاتي.

ج- الاخبار بمتعلق آخري.

٥- بادئة الاستشفاع.

٦- بادئة الطلب المباشر.

(١) الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي: ٢٧.

١- بادئة المفتتح القرآني:

وهي بادئة استهلالية تبرز في بعض أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة في مقطعها الاستهلالي الأول، عن طريق اقتباس الآية الكريمة دون تغيير في تركيبها مباشرة وهو ما يعرف (بالتناص المباشر) أو (النقل المباشر). وفي النماذج المختارة لذلك المفتتح القرآني نرى فيه مراعاة الإمام (ع)- في اعتماد بادئة المفتتح القرآني لآيات القرآن الكريم- لموضوع الدعاء ونفسية المتلقي، كما في النماذج الآتية:

١- دعاء الإمام الرضا(ع) (في قنوت صلاة الكسوف): ((...﴿**إِنَّ اللهَ يَسْجُدُ لهُ مَنْ في السَّمواتِ وَمَنْ في الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوابُّ وَكَثيرٌ مِنَ النّاسِ وَكَثيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ**﴾...))[1] [الحج: ١٨]

ونرى فيه تناسب مضمون الآية الكريمة التي تدلّ على عبادة الله تعالى بإعلان سجود كُلّ من في السموات والأرض إليه دون غيره، فقد تناسب مع حالة الكسوف التي تمرّ بها الشمس فلا بدّ من المؤمنين في تلك الحالة (كسوف الشمس أو خسوف القمر) التوجه لله تعالى في الصلاة والسجود له والاستغفار والتسبيح، لعلّ تقربنا هذا يقلل من غضبهِ تعالى. ونرى توافق المفتتح القرآني مع بقية اجزاء النص (مقاطعه وفقراته) في بيان وتوضيح أكثر لما أشارت إليه الآية الكريمة أو بعبارة آخرى ففي فقرات النص الآخرى فسرت دلالة أو معنى الآية الكريمة مما يدلّ على وحدة الموضوع، وعلى الأخص ما نلمسه في ذيل الآية الكريمة من تلميح بالعذاب يتوافق مع الجو النفسي العام الذي تبثه قضية الكسوف كونها احدى الآيات الكونية المرتبطة بالخوف من المجهول لدى الإنسان. أو المرتبطة بتغير طارئ في الأنظمة الحياتية والكونية يدعو إلى الرعب واللجوء إلى الله طلباً للأمان.

٢- دعاء الإمام الجواد (ع) (في الاحتراز من المخاوف): ((﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمينَ*الرَّحْمنِ الرَّحيم* مالِكِ يَوْمِ الدّينِ*اِيّاكَ نَعْبُدُ وَاِيّاكَ نَسْتَعينُ* اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ* صِراطَ الَّذينَ اَنْعَمتَ عَلَيهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيهِمْ وَلَا الضّالينَ**﴾ [الفاتحة:١-٧] ﴿**اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللهَ سَخَّرَ لكُمْ مَا في الْأَرْضِ وَالفُلْكَ تَجْرى في الْبَحْرِ بِاَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّماء اَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ اِلّا بِاِذْنه اِنَّ اللهِ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ**﴾))[2] [الحج:٦٥]

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٩٦.

(٢) م - ن: ١٣٠-١٣١.

فنرى الإمام (ع) قد ابتدأ الدعاء بسورة الفاتحة التي أُفتتح بها القرآن الكريم والتي تضمنت معاني كثيرة منها إعلان الحمد لله وحده فهو أخص بالحمد دون غيره، لأنّه (رَبّ العالمين) وخصه بالعبادة والاستعانة ﴿إِيّاكَ نَعْبُدَ وَإِيّاكَ نَسْتَعينُ﴾ قد لامسَ نفسية الداعي في الاحتراز من المخاوف، إذ ليس هناك حرز أفضل من حرز القرآن الكريم وخاصة سورة الفاتحة فلها فضائل كثيرة ذُكرت في كتب التفاسير، وهنا حملت معنى أو فضيلة الاحتراز من المخاوف فكان لذلك الافتتاح دور في طمأنة النفس والاحساس بالقرب من الخالق، ورفع معنويات الداعي (المتلقي) للدعاء بعد ذلك في تحمل صعوبة الموقف الذي هو عليه ما دام توكله على الله تعالى فهو القادر على نجاته من شتى الصعوبات.

٣- دعاء الإمام الهادي (ع) (في الاحتجاب من المكائد): ((**﴿وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْانَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذَّين لا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً* وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ اَكِنَّةً اَنْ يَفْقَهُوهُ وَفى اذانِهِمْ وَقْراً﴾** [الاسراء:٤٥-٤٦] **﴿فَاِذا قَرَأْتَ الْقُرانَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ* اِنَّهُ لَيْس لَهُ سُلطانٌ عَلَى الَّذين امَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ﴾**))[(١)] [النحل:٩٨-٩٩]

وفيه نلمس تناسب المفتتح القرآني ومضمون الآيات مع دعوة الإمام (ع) لقراءة القرآن في الاحتراز من مكائد الشيطان، ومكائد الذين لا يؤمنون كما في الآية الاولى ﴿الذَّين لا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ﴾ و ﴿الشَّيطانِ الرَّجيمِ﴾ في الآية الثانية.

٤- ودعاء الإمام العسكري(ع) (في المواضع المفزعة في طريق السفر): ((**﴿أَفَغَيْرَ دينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ اَسْلَمَ مَنْ في السَّمواتِ وَالْارْضِ طَوْعاً وَكُرْهاً وَاِليهِ يُرْجَعُونَ﴾**))[(٢)] [ال عمران:٨٣]

وفي هذا المفتتح نجد اشارة قرآنية إلى أن كلّ ما في الوجود واقع تحت سلطان الله تعالى سواءً كان هذا التسليم لسلطانه -جلّ وعلا- طوعاً أم كان كرهاً؛ وفي ذلك مُدعاة للشعور بالأمن والاطمئنان وزوال الخوف من كلّ شيء يمكن أن يكون سبباً للإضرار بالإنسان. خاصة في الأماكن القفرة والموحشة، فنجد لبادئة المفتتح القرآني في أدعية الصحيفة قد جاءت بأسلوب فني جميل لها أثر على نفسية المتلقي للأدعية والاحساس براحة نفسية عالية وتوجيه المتلقي للالتزام بالقرآن الكريم فهو دستورٌ حي، آياته تتوافق مع مختلف الحالات والمواقف التي تعتري المؤمن، كما لمسنّا ذلك في توافقها مع موضوعات الأدعية.

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة:١٨٤-١٨٥.

(٢) م - ن: ٢٤٢.

٢- بادئة التحميد والتمجيد:

هي بادئة تشير إلى الجانب الجمالي الذي تقوم عليه مقاطع الأدعية وهو جانب (التحميد والتمجيد) بأساليب بلاغية فنية تكشف لنا كيفية إعلان الحمد والتمجيد لله تعالى، فاستهلال الأدعية بالتحميد والتمجيد؛ لكون الدعاء في الأساس محاورة انفرادية مع الله تعالى، فهو أهلٌ للحمدِ والثناءِ والمجدِ، فليس هناك أجملُ من افتتاح أو استهلال محاورتنا معه تعالى بالحمد والثناء عليه وشكره وتمجيده إذ حقيقة الحمد هو الوصف الجميل وإظهار صفات الكمال لمن هو صاحب صفات الكمال وهو(الله جلّ وعلا)[١].

وفي النماذج المختارة من أدعية الصحيفة قد احتوت على بلاغتين، بلاغة الإيجاز والتكثيف في موضوعة الحمد والتمجيد، وبلاغة الاطناب والتفصيل في بيان ذلك الحمد.

أ- بلاغة الإيجاز والتكثيف:

ونعني بها تميز استهلال الدعاء بالتعبير الموجز المكثف في إعلان الحمد والتمجيد لله تعالى وعدم التفصيل فيه، وذلك يتوقف على اختلاف الموضوعات المحورية التي يعالجها الدعاء فضلاً عن تنوع مقاطع الدعاء التالية المحملة بالإشارات الخطابية المختلفة التي تتطلب عدم التفصيل في المقطع الاستهلالي، ومن نماذجها نذكر ما يأتي:

١- دعاء الإمام الهادي (ع) في تحميد الله (جلّ وعلا): ((**اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، اِذْ جَعَلْتَنا مِمَّنْ يَحْمَدُكَ حَقّاً**))[٢] فالحمد "يعنى الثناء والشكر وهو أعم من المدح، فهو يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر والجزاء"[٣]

ودعاء آخر له (ع): ((**اَلْحَمْدُ للّهِ الَّذي جَعَلَنا مِنْ اَهْلِ طاعَتِه وَوَفَّقَنا لِلْعَوْنِ عَلى عِبادتهَ**))[٤]

٢- ودعاء الإمام الهادي (ع) (في أول ليلة من رجب): ((**اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لا تَنْفَدُ خَزائِنُهُ، وَلا يَخافُ امِنُهُ**))[٥] ففي إيجاز مكثف أعلن الإمام الحمد لله تعالى بذكر صفاته من الكمال والمُلْك الواسع الذي لا يزول

---

(١) ينظر: استهلالات مطالع أدعية الصحيفة السجادية، حيدر محمود شاكر (بحث): ١٤٥.

(٢) الصحيفة الرضوية الجامعة : ١٦٢.

(٣) معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد :٥٧/١.

(٤) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٢.

(٥) م - ن: ١٩٦.

على عكس مُلك البشر الذين يتعرض ملكهم للنفاذ والزوال، فعبر عن كمال صفاته بقوله (لا تَنْفَدُ خَزائِنُهُ) ومن قصدهُ تعالى فقد آمنَ من كُلّ شيء (وَلا يَخافُ آمِنُهُ) لينتقل بعد ذلك لذكر مطالبه المتلائمة مع خاصية شهر رجب الأغر.

وفي تمجيده تعالى: ويعنى بالتمجيد هو تعظيمه تعالى واعلاء شأنه فيكون تمجيده، بتقديسه وتنزيه عن تعدد الألوهية والشرك به، وبذكر صفاته العظيمة في خلقه للمخلوقات وتدبير شؤونهم الدنيوية والأخروية كما في دعاء الإمام المهدي (ع) في (دعاء الندبة) الذي أفتتحه بتمجيده وتقديسه بإعلان وحدانية الله جلّ وعلا: ((**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي لا اِله اِلّا هُوَ، وَلَهُ الْحَمْدُ رَبُّ العالَمينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ نَبيِّه وَاِلِه، وَسَلَّمَ تَسْليماً...**))[1]

ب- بلاغة الاطناب (التفصيل):

ونجدها في ادعية المناجاة الخاصة بالحمد لله تعالى وشكره والثناء عليه وفي المناجاة التي تكون لها وقفة مطولة في تحميد الله تعالى وتمجيده لينتقل بعد ذلك لطلب حاجاته الخاصة الذاتية والموضوعية، كما لمسنا ذلك في النماذج الآتية:

١- دعاء الإمام الجواد(ع) في (المناجاة بحمد الله جل جلاله وشكره): ((**اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلى مَرَدَّ نَوازِلِ الْبَلاءِ، وَمُلمّاتِ الضَّراءِ وَكَشْفِ نَوائِبِ اللَأْواءِ وَتَوالى سُبُوغِ النَّعْماءِ، وَلَكَ الْحَمْدُ رَبِّ عَلى هَنيءِ عَطائِكَ، وَمَحْمُودِ بَلائِكَ، وَجَليلِ الائِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى اِحْسانِكَ الْكثيرِ، وَخَيْرِكَ الْغَزيرِ، وَتَكْليفِكَ الْيَسيرِ، وَدَفْعِكَ الْعَسيرِ**))[2] وهكذا تستمر فقرات الدعاء كلّه بذكر تفاصيل الحمد لله تعالى التي خرجت من الحمد والشكر له إلى تمجيده وتعظيمه بذكر فضائله تعالى على جميع المؤمنين فذكر فضائله بقدر ما تدلّ على صفاته وقدراته التامة والثابتة له، بقدر ما تعكس للجميع بيان حقيقة تمجيده وتعظيمه.

٢- ودعاء الإمام الهادي (ع) (لطلب حاجة مهمة): ((**اَللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يَكُونُ اَحَقَّ الْحَمْدِ بِكَ وَاَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ وَاَوْجَبَ الْحَمْدِ لَكَ وَاَحَبَّ الْحَمْدِ اِلَيْكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ كما اَنْتَ اَهْلُهُ، وَكَما رَضيتَ لِنَفْسكَ وَكَما حَمِدَكَ مَنْ رَضيتَ حَمْدَهُ مِنْ جَميعِ خَلْقِكَ**))[3]

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣١١.

(٢) م - ن: ١١٨.

(٣) م - ن: ١٧٤.

فاستهلال دعائه بالحمد لله تعالى وتفصيل ذلك بذكر (اسم التفضيل) بأنّه (اَحَقَّ، اَرْضَى، اَوْجَبَ، وَاَحَبَّ) فتناسبت تلك الصيغ مع المفضل (الله سبحانه وتعالى)؛ فهو الأحق والأفضل بالحمد له. وهكذا نجد استهلال الحمد يتكرر في مقاطع الدعاء كلّه، فكلّ مقطع يتوافق وينسجم مع الآخر في بيان التحميد لله تعالى بذكر فضائله على المتلقي، وهو استهلالٌ متناسبٌ في التمهيد للانتقال بعد ذلك لطلب حاجات ذاتية. فهنا تحققت وظيفة الاستهلال في التمهيد للدخول إلى عرض موضوعة الدعاء في طلب حاجة ذاتية للداعي.

٣- ودعاء الإمام الجواد (ع) (في ليلة المبعث): ((**اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ في الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبيراً**))[١] ففي استهلاله نجد تنزيه الله تعالى بتفصيلٍ أعلن فيه توحيد الله تعالى وتنزيه عن الشريك وعن الصاحبة والولد.

٤- وفي دعاء آخر نجد بلاغة الاطناب و(التفصيل) غير المُخل في بنية الاستهلال بقدر ما يدلّ على بيان وظيفة الاستهلال الأولى وهي: جذب انتباه السامع والقارئ لمتابعة نصه وتشويقه لمعرفة محتواه كما تحقق ذلك في دعاء الإمام العسكري (ع): ((**اَلْحَمْدُ للهِ شُكْراً لِنَعْمائِه، وَاسْتِدْعاءً لِمَزيدِه (وَاسْتِجْلاباً لِرِزْقِه) وَاسْتِخْلاصاً لهُ وَبِه دُونَ غَيرِه، وَعِياذاً بِه مِنْ كُفْرانِه وَالْاِلْحادِ في عَظَمَتِه وَكِبْريائِه، حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أنَّ ما بِه مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ عِنْدِ رَبِّه وَما مَسَّه مِنْ عُقُوبَةٍ فَبِسُوءِ جِنايَةِ يَدِه**))[٢] وهكذا نلمس تكرار موضوعة الاستهلال بتفصيل الحمد والشكر لله تعالى في المقاطع اللاحقة من الدعاء بأساليب فنية آخرى متنوعة.

٣- بادئة الوصف:

وهي البادئة الاستهلالية التي لا تقل أهمية عن بقية الاستهلالات ونلحظ كثرة ورودها في أغلب الأدعية التي تُسْتهل بوصفٍ الهي، ونقف على نماذج من الصحيفة لكي نستشف منها عن كيفية اطلاق بادئة الوصف الإلهي، ومنها:

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٤٩.

(٢) م – ن: ٢٢٩.

١- دعاء الإمام الرضا(ع) (لطلب تفريج الغم والهم): ((**اَللّهُمَّ يا فارِجَ الْهَمِّ وَكاشِفَ الْغَمّ وَمُجيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرّينَ وَرَحْمانَ الدُّنيا، وَرَحيمَ الْاخِرَةِ**))[١]

فبدأ الاستهلال الدعائي بـ(اللّهُمَّ)+(يا) النداء "فمفردة اللّهُمَّ المختصة بتجاوبها وتناسبها مع طلب حوائج النِّعم جميعها"[٢]. ولشدة حاجة الداعي لتفريج الغم والهم أردف (اللّهُمَّ) بـ(يا) للمنادى القريب والبعيد فنلمس تناسب مفردة اللّهُمَّ مع أداة النداء المضاف لاسم الفاعل –اللّهُمَّ+ يا فارجَ الهم– في الدلالة على موضوعه الطلبي بتفريج الداعي من تلك الحالة المضطربة.

٢- دعاء الإمام الجواد (ع) (في طلب خير الدنيا والاخرة): ((**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم، يا مَنْ اَظْهَرَ الْجَميلَ، وَسَتَرَ الْقَبيحَ، وَلَمْ يَهْتِكَ السِّتْرَ عَنّي، يا كَريمَ الْعَفْوِ، يا حَسَنَ التَّجاوُزِ، يا واسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يا باسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، يا صاحِبَ كُلِّ نَجْوى، وَ يا مُنْتَهى كُلِّ شَكْوى، يا كَريمَ الصَّفْحِ، يا عَظيمَ الْمَنِّ، يا مُبْتَدِءَ كُلِّ نِعْمَةٍ قَبْلَ اْستِحْقاقِها...**))[٣]

٣- ودعاء الإمام الهادي (ع) (في المناجاة): ((**يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوَحَّدَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، يَا مَنْ أَضَاءَ بِاسْمِهِ النَّهَارُ وَأَشْرَقَتْ بِهِ الْأَنْوَارُ، وَأَظْلَمَ بِأَمْرِهِ حِنْدِسُ اللَّيْلِ، وَهَطَلَ بِغَيْثِهِ وَابِلُ السَّيْلِ**))[٤]

٤- دعاء الإمام العسكري(ع) (لطلب الرزق وطول العمر): ((**يا اَسْمَعَ السّامِعينَ، و يا اَبْصَرَ الْمُبْصِرينَ، وَ يا اَعَزَّ النّاظِرينَ وَ يا اَسْرَعَ الْحاسِبينَ، وَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ، وَ يا اَحْكَمَ الْحاكِمينَ...**))[٥]

٥- ودعاء الإمام المهدي (ع) (لتفريج الهموم والغموم): ((**يا نُورَ النُّورِ، يا مُدَبِّرَ الْأُمُور، يا باعِثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ**))[٦]

وهكذا نلمس في أدعية بادئة الوصف الإلهي تناسب الاستهلال أو البادئة مع موضوعة الطلب، فالداعي يبدأ بوصف صفات الله تعالى وقدراته ونعمه، لينطلق من تلك البادئة لطلب حاجاته.

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٨.

(٢) استهلالات مطالع أدعية الصحيفة السجادية: ١٤٨

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٩، وينظر أيضاً: ١٥٨.

(٤) م – ن: ١٦٤.

(٥) م – ن: ٢١٧.

(٦) م – ن: ٢٩٢.

٤- بادئة الإخبار:

لما كانت السمة الخطابية للنص تتجلى عند تداول النص ضمن سياق معين يلقّح النص بأبعادٍ دلالية تغني النص وتثريه. فأن البحث يرى أن بادئة الاخبار المستهل لبعض أدعية الأئمة (ع) يمتلك هوية خطابية يتوجه فيها الإمام إلى ممارسة نوع من الإقرار والاخبار عن سمة من سمات الله الاسمى. يكون فيها المتلقي الثاني (المستمع أو القارئ/الداعي) حاضراً في المشهد ويكون مقصوداً ومستهدفاً من قبل الإمام (ع). من أجل إقرار الحقائق التي يتضمنها الدعاء في ذهن ذلك المتلقي الثاني فبادئة الاخبار تدفعنا إلى (تداول) نص الدعاء والخروج به من سياق (التضرع) إلى سياق (الإقرار) و(الخطاب) وهذه البادئة نجدها في أدعية قد تنوع الوصف الاخباري ما بين اخبار بمتعلق الهي واخبار بمتعلق ذاتي واخبار بمتعلق آخري وسنقف عند كلّ واحدة منها وتوضيحها بالنماذج المختارة من الصحيفة الرضوية المباركة.

أ- الاخبار بمتعلق الهي:

ويختص في المفتتحات التي تُستَهل بأسلوب اخباري يتناول الحديث عن شأن من شؤون الله تعالى يسترجعه الداعي أمام الله -جلّ وعلا- ليتخذ منه عتبة للولوج إلى فضاءات الدعاء الروحية، وغالباً ما يتحقق مبدأ التناسب والتوافق الدلالي والجمالي في هذا النوع من الاستهلال لوجود تلك العلاقة الايحائية العالية بين مفتتح الدعاء وبين موضوعة الطلب أو الحاجة التي يقوم عليها الدعاء. وهو ما سنحاول بيانه في النماذج الآتية:

١- دعاء الإمام الهادي (ع) (في المناجاة): **((اَللهُمَّ مَنَاهِلُ كَرَامَاتِكَ بِجَزِيلِ عَطِيَّاتِكَ مُتْرَعَةٌ وَأَبْوَابُ مُنَاجَاتِكَ لِمَنْ اَمَّكَ مُشْرَعَةٌ، وَعَطُوفُ لَحَظَاتِكَ لِمَنْ ضَرَعَ إِلَيْكَ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٌ، وَقَدْ اُلْجِمَ الْحِذَارُ، وَاشْتَدَّ الِاضْطِرَارُ وَعَجَزَ عَنِ الِاصْطِبَارِ أَهْلُ الِانْتِظَارِ))**[١]

ونجد فيه يمارس الداعي نوعاً من الاخبار عن الله وعطائه وكراماته وعطفه وأبوابه المُشّرعة أمام منْ أَمَّه وتقرب إليه وهي مطالع تُلائم موضوع المناجاة.

٢- ودعاء آخر للإمام الهادي (ع) (لدفع كيد الاعداء): **((اَللهُمَّ اِنَّكَ أَنْتَ الْمِلكُ الْمُتَعَزِّزُ بِالْكِبرِياءِ، الْمُتَفَرِّدُ بِالْبقاءِ، الْحَيُّ الْقَيُّوْمَ، الْمُقْتَدِرُ الْقَهّارُ، الَّذي لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ، اَنا عَبْدُكَ وَأَنْتَ رَبّي، ظَلَمْتُ نَفْسي، وَاعْتَرَفْتُ بِإِساءَتي وَاَسْتَغفِرُ اِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبي (فَاغْفِرْ لي) اِنَّه لا يَغْفِرُ الذّنُوبَ اِلّا أَنْتَ))**[١]

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٦٣.

فهذا الاخبار عن قدرة الله وتفرده بالكبرياء والعزة والقدرة والقهر وقيموميته على كلّ ما خلق؛ يتناسب تناسباً دلالياً ذا أبعاد جمالية مع الموضوع المحوري الذي يدور حوله الدعاء والمتمثل في الاعتراف أمام الله تعالى بالضعف والعجز عن دفع الاعداء. مما اسهم اسهاماً واضحاً في خلق القيمة الأدبية التي تقوم عليها بنية الدعاء.

٣- دعاء الإمام المهدي(ع) (في دفع الشدائد والمهمات): ((**رَبِّ مَنْ ذَا الَّذِي دَعَاكَ فَلَمْ تُجِبْهُ، وَمَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَكَ فَلَمْ تُعْطِهِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي نَاجَاكَ فَخَيَّبْتَهُ، أَوْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ فَأَبْعَدْتَهُ؟**))[٢]

ففي هذا الاستهلال الاستفهام الاخباري للنفي الذي حمل فيه معنى الاخبار عن عظمة الله سبحانه وتعالى، والأثر الجميل الذي يتركه فينا هذا الاستهلال في مسألة كلّ واحد منا، بأننا إذا توجهنا إلى الله تعالى عارفين بحقه وقدراته فقد يعطينا الكثير، وأن لم نتوجه إليه في أصعب الأوقات فنكون قد ابتعدنا عن مصدر الخير الواهب لنّا كلّ ما يسرنا ويسعدنا في الدنيا والآخرة، ففي استهلاله نلمس دعوة للتقرب إليه تعالى في جميع الحالات في السراء والضراء فهو استفهام يمنح النص بعداً خطابياً يقر لدى المتلقي الثاني (غير المباشر) الحقائق السامية التي تنطق بها فقرات الدعاء.

ب- الاخبار بمتعلق ذاتي:

وهو الاستهلال الذي يُفتتح بالإخبار عن ذات الداعي بأحواله المختلفة كما في النماذج الآتية:

١- دعاء الإمام الرضا (ع) (في المناجاة): ((**اِلهي وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَمَدَدْتُ يَدي اِلَيْكَ، مَعَ عِلْمي بِتَفْريطي في عِبادَتِكَ، وَاِهْمالي لِكَثيرٍ مِنْ طاعَتِكَ، وَلَوْ انّي سَلَكْتُ سَبيلَ الْحَياءِ لَخِفْتُ مِنْ مَقامِ الْطَّلَبِ وَالدُّعاءِ، وَلكِنّي يا رَبِّ لمّا سَمِعتُكَ تُنادِي الْمُسْرِفينَ إلى بابِكَ، وَتَعِدهُمْ بِحُسْنِ اِقالَتِكَ وَثَوابِكَ، جِئْتُ مُمْتَثِلاً لِلنِّداءِ، وَلائِذاً بِعَواطِفِ اَرْحَمِ الرُّحَماءِ...**))[٣].

فنرى في هذا المقطع الاستهلالي لفتة اخبارية عن موقف الداعي في توجهه أمام الله تعالى للدعاء والطلب، أخبر فيها الداعي عن حالته في ذلك الموقف توافقاً مع الجو العام للمناجاة والتضرع. ودعاء آخر للإمام (ع) (لطلب دفع الشدائد): ((**اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبي وَكَثْرتَها قَدْ اَخْلَقَتْ وَجْهي عِنْدَكَ،**

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٨٨- ١٨٩.

(٢) م - ن: ٢٦٤.

(٣) م - ن: ٢٠- ٢١.

وَحَجَبَتْني عَنِ اسْتِنْهالِ رَحْمَتِكَ، وَباعَدَتْني عَنِ اسْتيجابِ مَغْفِرَتِكَ، وَلَوْلا تَعلُّقي بِالائِكَ وَتَمَسُّكي بِالدُّعاءِ وَما وَعَدْتَ اَمثالي مِنَ الْمُسْرِفينَ وَاَمثالي مِنَ الْخاطِئينَ))[1].

٢- دعاء الإمام الجواد (ع) (في المناجاة لطلب التوبة): **((اللَّهُمَّ إِنِّي قَصَدْتُ إِلَيْكَ بِإِخْلَاصِ تَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَتَثْبِيتِ عَقْدٍ صَحِيحٍ، وَدُعَاءِ قَلْبٍ جَرِيحٍ، وَإِعْلَانِ قَوْلٍ صَرِيحٍ))**[2].

٣- ودعاء الإمام الهادي (ع) (في المناجاة): **((اِلهي مُسيءٌ قَدْ وَرَدَ، وَفَقيرٌ قَدْ قَصَدَ، لا تُخَيِّبْ مَسْعاهُ، وَارْحَمْهُ وَاغْفِرْ لَهُ خَطاهُ))**[3].

٤- ودعاء الإمام المهدي (ع): **((اَللّهُمَّ قَدْ اَخَذَ التَّأديبُ مِنّى حَتّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَاَنْتَ اَرْحَمُ الرّاحِمينَ وَاِنْ كانَ مَا اقْتَرَفْتُهُ مِنَ الذُّنُوبِ اَسْتَحِقُّ بِه اَضْعافَ اَضْعافَ ما اَدَّبْتَني بِه، وَاَنْتَ حَليمٌ ذُو اَناةٍ تَعْفُو عَنْ كَثيرٍ حَتّى يَسْبِقَ عَفْوُكَ وَرَحْمَتُكَ عَذابَكَ))**[4].

فهي نماذج تحمل مفتتحات اخبار ذاتي يكشف فيها الداعي بأسلوب الاخبار حقائق وأحوال تخصه هو بياناً واعترافاً بتقصيره وضعفه وحاجته لرحمة الله ولعطائه. يستثمر فيها الأئمة (عليهم السلام) سياق المناجاة لبث خطابات تحمل حقائق عقائدية أو روحية أو أخلاقية تحقق المستوى الخطابي للنص، فضلاً عن المستوى الجمالي المتمظهر في هذا التناسب العالي بين مفتتحات نصوص الأدعية وبين مضامينها الموضوعية.

ج- الاخبار بمتعلق الآخري:

وهي المفتتحات التي لا نجد فيها الداعي مُخبراً عن صفات الله العليا ولا عن حالات الداعي وتضرعاته، وإنّما نجد فيه أخباراً عن (آخر) ذي حدود بشرية صالحاً كان أم غير صالحٍ، فرداً أم مجتمعاً، ويمكن أن نضرب لها نماذج مختارة كالآتي:

١- دعاء الإمام الجواد(ع) (في المناجاة لكشف الظلم): **((اللَّهُمَّ إِنَّ ظُلْمَ عِبَادِكَ قَدْ تَمَكَّنَ فِي بِلَادِكَ، حَتَّى أَمَاتَ الْعَدْلَ وَقَطَعَ السُّبُلَ، وَمَحَقَ الْحَقَّ، وَأَبْطَلَ الصِّدْقَ، وَأَخْفَى الْبِرَّ، وَأَظْهَرَ الشَّرَّ، وَأَهمَلَ التَّقْوَى، وَأَزَالَ الْهُدَى، وَأَزَاحَ الْخَيْرَ، وَأَثْبَتَ الضَّيْرَ وَأَنْمَى الْفَسَادَ، وَقَوَّى الْعِنَادَ، وَبَسَطَ الْجَوْرَ، وَعَدَى الطَّوْرَ))**[1]

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٦-٢٧، وينظر: أيضاً: ٣٩ و ٤٧.

(٢) م - ن: ١٢٠.

(٣) م - ن: ١٦٦.

(٤) م - ن : ٣٣٥.

إذ نجد فيها تحدث الإمام (ع) عن أحوال الآخرين أي أوضاع مجتمعه الاجتماعية والسياسية لكن ما يُعنينا هنا أن الاخبار عن أحوالهم قد شكل بادئة استهلالية في بعض أدعية الصحيفة الشريفة. يرتبط فيه الاستهلال ارتباطاً مباشراً بموضوع الدعاء كما يبدو ذلك في الدعاء أعلاه وعرضه للآخر الظالم.

٢- دعاء الإمام الهادي(ع) (في مناجاة الله جلّ وعلا): ((**اِلهي تاهَتْ اَوْهامُ الْمَتَوَهِّمينَ، وَقَصُرَ طَرْفُ الطّارِفينَ، وَتَلاشَتْ اَوْصافُ الْواصِفينَ، وَاضْمَحَلَّتْ اَقاويلُ الْمُبطِلينَ عَنِ الدَّرْكِ لِعَجيبِ شَأْنِكَ، اَوِ الْوُقُوعِ بِالبُلُوغِ إلى عُلُوِّكَ**))[٢]

نجد هنا أيضاً هذا الارتباط المباشر بين مفتتح الدعاء وبين موضوعه في وحدة موضوعية تمتلك هويتها الخطابية المراعية لظروفها التداولية.

٣- دعاء الإمام المهدي (ع) (لطلب غفران ذنوب شيعتهم): ((**اَللّهُمَّ اِنَّ شيعَتَنا خُلِقُوا مِنْ شُعاعِ اَنْوارِنا، وَبَقِيَّةِ طينَتِنا، وَقَدْ فَعَلُوا ذُنُوباً كَثيرَةً، اِتِّكالاً عَلى حُبِّنا وَوِلايَتِنا**))[٣]

فهو اخبار يحمل قيمة خطابية تراعي إفهام المتلقي الثاني حقيقة الارتباط الروحي بين الأئمة (ع) وبين شيعتهم المخلوقين من سنخهم ومن طينتهم.

٥- بادئة الاستشفاع:

وهي البادئة التي نجدها قد عكست لنا نظم استهلال الأدعية بالاستشفاع بمحمد وال محمد (ع) فهُمْ الشُفعاء لنّا عند الله تعالى، أكرمهم الله تعالى بها، فهم شُفعائنا في مطالب الدنيا والاخرة وبصورة نجدها تشكل خطاباً خاصاً ركز عليه ائمة أهل البيت (ع) بشكل واضحٍ بياناً للمقام الالهي العظيم لأهل بيت النبوة (ع) فمن هذه الأدعية التي افتتحت بالاستشفاع بهم (ع):

١- دعاء الإمام الرضا(ع): ((**يا ماجِدُ يا كَريمُ، يا واحِدُ يا كَريمُ، اَتَوَجَّهُ اِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يا مُحَمَّدُ يا رَسُولَ اللهِ، اِنّى اَتَوَجَّهُ بِكَ إلى اللهِ رَبِّكَ وَرَبِّ كُلِّ شَيءٍ اَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى اَهْلِ بَيْتِه**))[٤]

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٧.

(٢) م – ن: ١٦٢.

(٣) م – ن: ٣٣٩-٣٤٠.

(٤) م – ن: ٤٣-٤٤.

٢- دعاء الإمام العسكري (ع) (في اليوم الثالث من شعبان): ((**اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هذا المَوْلُودِ-فِي هذا اليَوْمِ- الْمَوْعُودِ بِشَهادَتِهِ قَبْلَ اسْتِهْلالِهِ وَوِلادَتِهِ، بَكَتْهُ السَّماء وَمَنْ فِيها، وَالأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْها وَلَمَّا يَطَأ لابَتَيْها، قَتِيلِ الْعَبْرَةِ، وَسَيِّدِ الْأُسْرَةِ...**))[١]

٣- دعاء الإمام المهدي (ع) (في صلاة الحاجة والاستخارة): ((**اَللّهُمَّ اِنّي اَسْالُكَ بِاسْمِكَ الَّذي عَزَمْتَ بِه عَلَى السَّماواتِ وَالْاَرْضِ فَقُلْتَ لَهُما:﴿اِئْتيا طَوْعاً اَوْ كَرْهاً قالَ اَتَيْنا طائِعينَ﴾ وَبِاسْمِكَ الَّذي عَزَمْتَ بِه عَلى عَصا مُوسى ﴿فَاذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ﴾**))[٢] [فصلت:١١]، [الأعراف:١١٧]

٤- ودعاء آخر للإمام المهدي (ع): ((**اَللّهُمَّ اِنّي اَسْالُكَ بِالْمَوْلُودَينِ في رَجَبٍ، مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الثاني وَابِنْه عَلِيِّ بِنْ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ، وَاَتَقَرَّبُ بِهما اِلَيْكَ خَيْرَ الْقُرَبِ، يا مَنْ اْلَيهِ الْمَعْرُوفُ طُلِبَ، وَفيما لَدَيْهِ رُغِبَ**))[٣]

وقد نجد بادئة الاستشفاع متناولة شفيعاً آخر غير أهل بيت النبوة والأئمة المعصومين (ع) من ذلك -مثلاً- دعاء الإمام الرضا(ع) الذي استهله بالاستشفاع بالقرآن الكريم بياناً لعظمة هذا الكتاب ومكانته الاسمى في الإسلام؛ ((**اَللّهُمَّ بِحَقِّ مَنْ اَرْسَلْتَهُ إلى خَلْقِكَ، وَبِحَقِّ كُلِّ ايَةٍ فيه، وَبِحَقِّ كُلِّ مَنْ مَدَحْتَهُ فيه عَلَيْكَ، وَبِحَقِّكَ عَلَيْهِ**))[٤]

وأمثلة كثيرة تضمنتها الصحيفة الرضوية المباركة، قامت بنية الاستهلال فيها على بادئة الاستشفاع مشكلة خطاباً موحداً يؤسس للمكانة العظيمة التي يمتلكها أهل البيت سواء عند الله -جل وعلا- أم في الضمير الإسلامي الحي وغير المنحرف.

٦- بادئة الطلب المباشر:

وقد شكل الطلب المباشر بادئة منتظمة في بعض أدعية الصحيفة، فنجدها تبدأ بعد مفردة (اللّهُمَّ) أو (يا) بذكر الطلب مباشر دون تقديم الوسائل التي يُمهد بها الداعي لطلب حاجته وعرضها، ودون أية مقدمات تُذكِر سوى مفردة الدعاء (اللّهُمَّ) كما في النماذج الآتية:

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٢١-٢٢٢.

(٢) م - ن: ٢٦٠.

(٣) م - ن: ٢٩٨.

(٤) م - ن: ٤٠.

١- دعاء الإمام الرضا(ع) (لولده المهدي (ع)): ((**اَللّهُمَّ اَصْلِحْ عَبْدَكَ وَخَليفَتَكَ، بِما اَصْلَحْتَ بِه اَنْبِياءَكَ وَرُسُلَكَ وَحُفَّهُ بِمَلائِكَتِكَ، وَاَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ عِنْدِكَ**))[١]

فالإمام (ع) عبر عن طلب حاجته وهي حفظ ولده (ع) لإتمام وتبليغ رسالته كما حفظ الأنبياء والمرسلين من قبله.

٢- ودعاء آخر للإمام الرضا (ع) (في الاستسقاء): ((**اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، اَللّهُمَّ اسْقِنا غَيْثاً مُغيثاً مُجَلِّلاً طَبَقاً مُطْبِقاً جَلَلاً مُونِقاً راجِياً غَدَقاً مُغْدِقاً، طَيِّباً مُبارَكاً، هاطِلاً مُنْهَطِلاً مُتَهاطِلاً، رَغَداً هَنيئاً مَريئاً دائِماً رَوِيّاً سَريعاً، عامّاً مُسْبِلاً نافِعاً غَيْرَ ضارٍّ، تُحْيى بِهِ الْعِبادَ وَالْبِلادَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرعَ وَالنَّباتَ، وَتَجْعَلُ فيهِ بَلاغاً لِلْحاضِرِ مِنّا وَالْبادِ**)) [٢].

٣- دعاء الإمام الجواد(ع) (في المناجاة لطلب الرزق والسعة): ((**اللَّهُمَّ أَرْسِلْ عَلَيَّ سِجَالَ رِزْقِكَ مِدْرَاراً، وَأَمْطِرْ سَحَائِبَ إِفْضَالِكَ عَلَيَّ غِزَاراً وَأَدِمْ غَيْثَ نَيْلِكَ إِلَيَّ سِجَالًا، وَأَسْبِلْ مَزِيدَ نِعَمِكَ عَلَى خَلَّتِي إِسْبَالًا، وَ أَفْقِرْنِي بِجُودِكَ إِلَيْكَ،...**))[٣].

ونرى استمرار الطلب المباشر في جميع اجزاء نص الدعاء وهي كلّها تتعلق بطلب الرزق وسعته.

٤- دعاء الإمام المهدي(ع) (في مطالب الدنيا والاخرة): ((**اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ، وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَصِدْقَ النِّيَّةِ وَعِرْفَانَ الْحُرْمَةِ، وَأَكْرِمْنَا بِالْهُدَى وَالِاسْتِقَامَةِ، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا بِالصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَامْلَأْ قُلُوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَطَهِّرْ بُطُونَنَا مِنَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاكْفُفْ أَيْدِيَنَا عَنِ الظُّلْمِ وَالسِّرْقَةِ، وَاغْضُضْ أَبْصَارَنَا عَنِ الْفُجُورِ وَالْخِيَانَةِ، وَاسْدُدْ أَسْمَاعَنَا عَنِ اللَّغْوِ وَالْغِيبَةِ...**))[٤].

فمن خلال ما ذكرناه من تعدد استهلالات أدعية الصحيفة نجد أنها قد شكلت استهلالات منتظمةً في أدعية الصحيفة، وهذه الاستهلات كانت بين البناء الثابت في الأدعية عند الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين، وبين البناء المتغير أو الخارج على ذلك البناء الثابت الذي شكل أصل لكلّ دعاء، فالبادئة الثابتة في أغلب الأدعية التي نجدها تبدأ بالحمد لله والثناء عليه أو بالصلاة على محمد وآله، وبعدها ينتقل الداعي لبث شكواه لله تعالى فيعرض حالته، ويتوسل إليه فيقدم وسائله سواء التوسل بحمده تعالى أم

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٧٧.

(٢) م – ن: ٨٣ .

(٣) م – ن: ١٢٦.

(٤) م – ن : ٢٥٧–٢٥٨.

بأسمائه الحسنى أم بمحمد وآله (ع) وأخيراً ينتقل لطلب حاجاته[١] وهذا البادئة نجدها في: أ- بادئة التحميد والتمجيد، ب- بادئة الوصف الالهي.

وأما البادئة الخارجة على هذا البناء والترتيب، فنلمسها في أن الداعي يبدأ بطلب حاجته مباشرة (لأنّه في أمس الحاجة لتحققها ونيلها) أو مرة آخرى نجده يقدم في بادئة دعائه استهلال الاستشفاع بالله تعالى وبمحمد وآله (ع) وهو ما يعني البدء بتقديم الوسائل التي تشفع له عند الله تعالى لطلب حاجته، وتارة آخرى نجده يبدأ استهلاله بعرض حالته الذاتية والاخبار عنها وكأنّها أشخاص فيُخْبرَ لنا عن ذنوبه مثلاً، أو الاخبار عن أحوال الأخرين مباشرة دون أي افتتاحات تسبقها سوى الافتتاح بمفردة (اللّهُمَّ، والهي، أو اللّهُمَّ صَلّ على مُحمّدٍ واله) وهي تكون عوضاً عن حلقة الحمد لله والثناء عليه المفقودة في تلك البادئة الاستهلالية. التي نجدها في: أ- بادئة الاخبار (بمتعلق الهي- وبمتعلق ذاتي- وبمتعلق آخري)، ب- بادئة الاستشفاع، ج- بادئة الطلب المباشر.

وكلامنا عن الاستهلال الثابت والموحد للأدعية، والخروج عليها، كما هو متمثل في أدعية الصحيفة المدروسة، نصل إلى الإقرار بحقيقة أن كُلّ نصٍ من نصوصِ أدعية أهل البيت(ع) يحمل أفكاراً محددة، وله منهجية معينة تنظم تلك الأفكار وطريقة لاستهلالها وكيفية عرضها وبنائها[٢]

ثانيا: روابط النص:

ونعني بها كلّ ما يمكن أن يستخدمه المبدع/الكاتب من حروف أو كلمات أو عبارات يربط بها بين اجزاء الجملة وبين الجمل والفقرات، لكي يضمن تبعاً لترابط نصه سهولة انسياب أفكاره من خلالها[٣] ونظراً لدور تلك الحروف والكلمات والعبارات في ربط اجزاء النص (جمله وفقراته)؛ أهتمت الدراسات اللغوية والنصية بهذه الروابط والأدوات اهتماماً كبيراً، سواء كانت تربط بين الجمل السابقة وبين الجمل اللاحقة، أم تربط مفهوماً مع مفهوم آخر. فالرَّبْط هو "اصطناع علاقة نحوية سياقيَّة بين معنيين باستعمال واسطةٍ تتمثل في أداةٍ رابطةٍ تَدُلُّ على تلك العلاقة، أو ضمير بارزٍ عائدٍ"[٤]. فهذه الروابط تعد بمثابة العمود الفقري الذي يربط اجزاء النص الداخلية (جملة، وفقراته) بأدوات ربط معينة يحددها المبدع/الكاتب

(١) ينظر: الإسلام والفن: ١٧٣.

(٢) ينظر: الدعاء عند أهل البيت (ع): ١٣٤-١٣٥.

(٣) ينظر: الروابط والاتساق النصي دراسة نصية لدور الروابط في تحديد تماسك النص العربي نصّ صحافيً نموذجا، د. نوح الأول جنيد (بحث): ٣.

(٤) نظام الارتباط والرَّبط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة: ٢٠٣.

بما يتلاءم مع فكرة نصه ويحقق مقصده المتمثل في مشاركة المتلقي في فهم موضوعه والاستمتاع بمتابعة موضوع نصه لترابطه وتماسكه القوي، تبعاً لما تحققه تلك الروابط اللفظية منها أو المعنوية من خلق جو ثابت ومنسجم على طول النص، ممّا سهلت عليه تلك الروابط العبور بين ثنايا النص والانتقال من موضوع إلى آخر.

فالنص كالسلّم، ومكوناته من الجمل والفقرات هي بمثابة درجات ذلك السلّم، فما الذي يسهل علينا صعود السلّم؟ سوى ترابط درجاته وتماسكها بنائياً، درجة تُسلّمنا إلى درجة آخرى وهكذا حتى نصل إلى نهاية السلّم، فكذلك النص يحتاج إلى ما يربط اجزاءه، جمله وفقراته، ليحقق له الترابط والتماسك بنائياً كما هو في السلّم تماماً، ليمكن المتلقي له من الوصول إلى فهم أفكاره المعروضة، وذلك عبر أدوات أو روابط تعمل على ربط جمل النص مع بعضها البعض (اللفظية والمعنوية) و "هي التي تعطي النص تماسكه والتحامه وارتباطه واستقراره واستمراريته"[١].

فما هي تلك الروابط التي تربط اجزاء النص؟

- تتمثل بالحروف والكلمات التي تربط بين الجمل في مستوى النص وهي على نوعين:

أ- ربط خطي يعمل على الجمع بين الجملة السابقة والجملة اللاحقة؛ وذلك لإفادة الترتيب في الذكر، مثل الواو في العربية مثل: جاء زيد وعمرو، ومثال آخر: استيقظتُ مبكراً، ونهضتُ من الفراش، وغسلتُ وجهي، وتناولتُ الفطور، ولبستُ ملابس المدرسةِ، وانتظرتُ صديقي، لنذهب سوية إلى المدرسة.

ب- ربط خطي يعمل على الجمع أيضاً، ولكنه يُدخِل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والآخرى مثل (الفاء) و(ثم) و(أو) وغيرها في العربية.

حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين، وتجمع هذه الأدوات تحت مسمى أو قسم الأدوات المنطقية، لأنّها بمثابة العلامة البارزة لعلاقة معنوية ما، كعلاقة السبب والنتيجة التي يعتبر(الفاء) الرابط بينها، وغيرها من الروابط التي بها تتماسك الجمل وتبين تلك العلاقات التي يقوم عليها النص، فضلاً عن استعمالها يرتبط بطبيعة النص من حيث موضوعه واشكاله[٢].

وعلى حسب ما ذكر الباحثون من أنواعٍ لتلك الروابط اللفظية منها والمنطقية، فالبحث لم يستهدف تلك الروابط التي تربط الجملة داخل النص مع الجمل السابقة واللاحقة منها؛ لكونه قد أشار إلى بعضها

(١) الروابط والاتساق النصي: ٣.

(٢) ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد: ٣٧.

في أحد مباحثه السابقة تحت ما يعرف بالرابط الحجاجي الذي يربط الجمل ويوضح العلاقات المنطقية التي تحكمها[١] والروابط الآخرى التي يقف عندها البحث هي الكلمات والعبارات التي تفتح بها الأدعية وتتكرر بعد ذلك ما بين فقراته ومقاطعه على شكل رابطة لازمة لنص الدعاء، لأجل تماسك اجزائه وترابطها بتلك الكلمة أو العبارة وما توحي إليه تلك الروابط أيضاً من توافق مقاطع الأدعية، بفقراتها توافقاً دلالياً من حيث تجلي نسق موضوعيٌّ موحدٌّ بين تلك المقاطع المترابطة بأداة الرّبط من ناحية، ومن ناحية آخرى قد تشكل الأداة الرابطة الحد الذي يفصل فقرات كلّ من المقاطع السابقة عن المقاطع اللاحقة؛ لكونها تحمل بُعداً موضوعياً يختلف عن السابق.

وأغلب الروابط المتكررة في داخل مقاطع وفقرات الدعاء، هي الرابط (اللّهُمَّ) والرابط الآخر (اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمّدٍ وآل مُحَمّد) فضلاً عن كلمات آخرى غيرها كما ستتضح معنا تلك الروابط في نماذج مختارة من أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة.

١- الرابط اللّهُمَّ:

حيث نشهد تكرار كلمة (اللّهُمَّ) في مواضع مختلفة من الأدعية فهي أول ما تُفتتح بها بعض الأدعية؛ لأنّها تحمل معنى الدعاء، فالدعاء يبدأ بمناداة الله تعالى بحرف النداء (يا) فإن أصل (اللّهُمَّ) "يا الله حذف أداة النداء وأتى بالميم المشددة في الآخر عوضاً عنها تعظيماً لأسمه الشريف، أن يؤتى بصورة النداء، وتفخيماً للفظه وإشعاراً باشتداد المحبّة، فإنّ شدة الحُبّ كشّدة الغضب تقتضي التشديد في اللفظ"[٢]. ويُعّد الرابط (اللّهُمَّ) بمثابة الأداة التي تقسم الدعاء إلى فقرات، وكلّ فقرة تبدأ بـ(اللّهُمَّ) وقد تستعمل أيضاً في تقسيم الفقرة الواحدة إلى فقرات أصغر وأيضاً تبدأ كُلّها بالرابط (اللّهُمَّ) كما في النموذج الآتي من دعاء الإمام الرضا (ع):

١- **((وَأَنْتَ اللّهُمَّ مُشاهِدُ هَواجِسَ النُّفُوسِ، وَمُراصِدُ حَرَكاتِ الْقُلُوبِ، وَمُطالِعُ مَسرّاتِ السَّرائِرِ، مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَلا تَعَسُّفٍ**

٢- **وَقَدَ تَرَى اللّهُمَّ ما لَيْسَ عَنْكَ بِمُنْطَوى، وَلكِنْ حِلْمُكَ امَنَ اَهْلَهُ عَلَيْهِ جُرْأَةً وَتَمَرُّداً، وَعُتُوّاً وَعِناداً،...))**[٣].

---

(١) ينظر: الفصل الأول: ٦٠-٦٣.

(٢) قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية، د. كريم حسين ناصح الخالدي، و د. حميدة صالح البلداوي: ٢٤-٢٥.

(٣) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٤٥.

في هذا الدعاء نجد الرابط (اللّهُمَّ) في الفقرة الأولى: ربط البعد الموضوعي للدعاء وهو تمجيده تعالى وتعظيمه بذكر صفاته (اللّهُمَّ مُشاهِدُ هَواجِسَ النُّفُوسِ...) والفقرة الثانية بدأت (وَقَدَ تَرَى اللّهُمَّ ما لَيْسَ عَنْكَ بِمُنْطَوي...) وفيها يعرض الداعي حالاته أو بصورة عامة حالة المجتمع الذي هو فيه، وفاقته وآلمه فالداعي متآلم من تلك الحالة.

٣- الفقرة الثالثة: ((**اللّهُمَّ فبادِرْنا مِنْكَ بِالْعَوْنِ الَّذي مَنْ اَعَنْتَهُ بِه فازَ، وَمَنْ اَيَّدْتَهُ لَمْ يَخَفْ لَمْزَ لَمّازٍ، وَخُذِ الظّالِمَ اَخْذاً عَنيفاَ، وَلا تَكُنْ لَهُ راحِماً، وَلا بِه رَؤُوفاً**

- **اللّهُمَّ، اللّهُمَّ، اللّهُمَّ بادِرْهُمْ،**
- **اللّهُمَّ عاجِلْهُمْ، اللّهُمَّ لا تُمْهِلْهُمْ،**
- **اللّهُمَّ غادِرْهُمْ بُكْرَةً وَهَجيرَةً وَسُحْرَةً، وَبياتاً وَهُمْ نائِمونَ ....**
- **اللّهُمَّ بَدِّدْهُمْ، وَبَدِّدْ اَعْوانَهُمْ، وَافْلُلْ اَعْضادَهُمْ...**
- **اللّهُمَّ امْنَحْنا اَكْتافَهُمْ، وَمَلِّكْنا اَكْنافَهُمْ، وَبَدِّلْهُمْ بِالنِّعَمِ النِّقَمَ...**
- **اللّهُمَّ لا تَرُدَّ عَنْهُمْ بَاْسَكَ الَّذي اِذا حَلَّ بِقَوْمٍ ﴿فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرينَ﴾**))[1] [الصافات: ١٧٧]

فالفقرة الثالثة: وهي فقرة البدء بطلب الحاجات بعد التمجيد لله تعالى وعرض حالته، فتقسمت فقرة طلب الحاجات إلى فقرات صغيرة تبدأ كُلّها بـ(اللّهُمَّ) وبعدها مباشرة عرض الطلب، فعمل الرابط (اللّهُمَّ) على ترابط الدعاء وتماسك فقراته، وكأنّها لوحة فنية ألوانها متقاربة ومتوحدة فكلمة (اللّهُمَّ) كانت كالألوان في نص الدعاء عملت على رسم وتحريك موضوعات فقراته والتنقل من لوحة إلى آخرى، من التمجيد لله تعالى إلى بيان البعد الموضوعي الذي أنشطر إلى شطرين، الأولى: في عرض الحالة والوضع الاجتماعي الراهن. والثاني: في طلب الحاجات. فكان للرابط الدور في الانتقال من موضوع إلى آخر إلى جانب دوره في تلاحم النص وتماسكه[2].

وفي دعاء آخر للإمام الجواد (ع)، نجد للرابط (اللّهُمَّ) حضوراً واضحاً في توحيد اجزاء النص:

- ((**اَللّهُمَّ يا مَنْ يَمْلِكُ التَّدْبيرَ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيء قَديرٌ...**
- **اَللّهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ نَوى فَعَمِلَ، وَلا تَجْعَلْنا مِمَّنْ شَقِيَ فَكَسِلَ ...**
- **اَللّهُمَّ صَحِّحْ اَبْدانَنا مِنَ الْعِلَلِ، وَاَعِنّا عَلى ما افْتَرَضْتَ عَلَيْنا مِنَ الْعَمَلِ...**

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٤٥-٤٦.

(٢) ينظر: الروابط والاتساق النصي: ٣.

- اَللّـهُمَّ اَعِنّا عَلى صِيامِهِ، وَوَفِّقْنا لِقِيامِهِ، وَنَشِّطْنا فيهِ لِلصَّلاةِ، وَلا تَحْجُبْنا مِنَ الْقِراءَةِ ...

- اَللّـهُمَّ لا تُسَلِّطْ عَلَيْنا وَصَباً وَلا تَعَباً وَلا سَقَماً وَلا عَطَباً

- اَللّـهُمَّ ارْزُقْنا الإِفْطارَ مِنْ رِزْقِكَ الْحلالِ، اَللّـهُمَّ سَهِّلْ لَنا ما قَسَمْتَهُ مِنْ رِزْقِكَ، وَيَسِّرْ ما قَدَّرْتَهُ مِنْ اَمْرِكَ...))[1]

فنشهد عبر رابط (اَللّـهُمَّ) تنامي الموضوع وهو الاستعداد لشهر رمضان ومعرفة برنامجه العبادي ولما كان الموضوع واحداً ويتنامى بأفكاره الثانوية فعمل الرابط (اَللّـهُمَّ) على تلاحم فقراته وتماسكها عكسَ للمتلقي انسجام فقراته.

ودعاء آخر للإمام الرضا (ع): **((اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلَيه، وَعَلَى الِه مِنْ الِ طه وَيس-وَاخْصُصْ وَلِيَّكَ وَوَصِيَّ نَبِيِّكَ، وَاخا رَسُولِكَ،...، اَللّـهُمَّ أنَى اَبْرَأُ اِلَيْكَ مِنْ اَعْدائِهِمْ وَمُعانِديهِمْ وَظالِميهِمْ،...، اَللّـهُمَّ والِ مَنْ والاهُمْ وَعادِ مَنْ عاداهُمْ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُمْ،...، اَللّـهُمَّ احْشُرْني مَعَ مَنْ اَتَولّى، وَاَبْعِدْني مِمَّنْ اَتَبَرَّأُ،...، اَللّـهُمَّ اغْفِرْ لي وَلِوالِديَّ،...، اَللّـهُمَّ اَعْتِقْني مِنَ النّار، وَاجْعَلْني مِنْ طُلَقائِكَ وَعُتَقائِكَ مِنَ النّار، اَللّـهُمَّ اغْفِرْ لي ما مَضى مِنْ ذُنُوبي، وَاعْصِمْني فيما بَقِيَ مِنْ عُمْري، اَللّـهُمَّ كُنْ لي وَلِيّاً وَحافِظاً وَناصِراً،...))**[2]

فنجد هنا أن الرابط (اللّـهُمَّ) قد مارس دوراً كبيراً في سهولة الانتقال بين فقرات الدعاء وبين موضوعاته المنضوية تحت تلك الفقرات على اختلافها، فكأنّها تمثل محطات استراحة للذهن تتهيأ النفس عندها للانتقال إلى الفقرة التالية في حركة مقطعية ذات إيقاع نفسي مؤثّر، مما يخلق لنا تنامياً موضوعياً وعاطفياً في الوقت نفسه يسهم اسهاماً فاعلاً في خلق الفضاءات الروحية التي يهدف الدعاء إلى خلقها وإحاطة الداعي/المتلقي بها.

فالمقطع الأول: حمل البعد الموضوعي وهو الصلاة على محمد وآله، والرابط ما بين فقراته هو (وعلى) حرف العطف وحرف الجر كما في قوله: **((اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلَيه، وَعَلَى الِه مِنْ الِ طه وَيس- وَاخْصُصْ...، وَعَلى سَيِّدَيْ شَبابِ اَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْاَوَّلينَ وَالْاخِرينَ وَعَلى الْاَئِمَّةِ الرّاشِدينَ الْمَهْدِيّينَ...، وَعَلى النُّقَباءِ الْاَتْقِياءِ الْبَرَرَةِ...))**

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٥٠.

(٢) م - ن: ٨٨- ٩٠، وينظر: أيضاً:٢٣٠.

والمقطع الثاني: يدلّ على البعد الذاتي وهو (اعلان البراءة من أعداء آل محمد والموالاة لهم عليهم السلام) في قوله(ع):

- **((اَللّـهُمَّ إِنّي اَبْرَأُ اِلَيْكَ مِنْ اَعْدائِهِمْ وَمُعانِديهِمْ وَظالِميهِمْ،...،**
- **اَللّـهُمَّ والِ مَنْ والاهُم وَعادِ مَنْ عاداهُم، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُم، ...،**
- **اَللّـهُمَّ احْشُرْني مَعَ مَنْ اَتَولّى، وَاَبْعِدْني مِمَّنْ اَتَبَرَّأُ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ ما في ضَميرِ قَلْبي مِنْ حُبِّ أَوْلِيائِكَ،...**

والمقطع الثالث: يدلّ على البعد الاجتماعي/الذاتي (بالدعاء له وللآخرين) فانتقل من (الذات) إلى الدعاء للآخر بنوعيه (الفرد والمجموع):

- **اَللّـهُمَّ اغْفِرْ لي وَلِوالِدَيَّ، وَارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغيراً ،**
- **اَللّـهُمَّ اجْزِهِما عَنّي بِأَفْضَلِ الْجَزاءِ،...،**
- **اَللّـهُمَّ بَدِّلْ سَيِّئاتِهِما حَسَناتٍ، وَارْفَعْ لَهُمْا بِالْحَسَناتِ الدَّرجاتِ ،...**
- **اَللّـهُمَّ اغْفِرْ لي، وَلِجَميعِ اِخْوانِنَا الْمُؤْمنينَ والْمُؤْمِناتِ...**

والمقطع الرابع: يرجع فيه إلى بعده الذاتي يطلب حاجات تخصه كما في قوله:

- **اَللّـهُمَّ لا تُخْرِجْني مِنْ هذِهِ الدُّنْيا اِلّا بِذَنْبٍ مَغْفُورٍ، وَسَعْيٍ مَشْكُورٍ...**
- **اَللّـهُمَّ اَعْتِقْني مِنَ النّار، وَاجْعَلْني مِنْ طُلَقائِكَ وَعُتَقائِكَ مِنَ النّار،**
- **اَللّـهُمَّ اغْفِرْ لي ما مَضى مِنْ ذُنُوبي، وَاعْصِمْني فيما بَقِيَ مِنْ عُمْري،**
- **اَللّـهُمَّ كُنْ لي وَلِيّاً وَحافِظاً وَناصِراً،...))**

وهكذا يستمر الدعاء بعرض طلبات الداعي فتتلاحم فقرات كلّ مقطع موضوعي وتتواشج وكأنّها حبات عقد متماسك بفضل الرابط (اَللّـهُمَّ).

٢- الرابط (لك الحمدُ):

ونأخذ مثالاً له الدعاء الآتي: **((اَللّـهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلى مَرَدَّ نَوازِلِ الْبَلاءِ، وَمُلمّاتِ الضَّراءِ وَكَشْفِ نَوائِبِ اللَأْواءِ ...**

وَلَكَ الْحَمْدُ رَبِّ عَلى هَنيءِ عَطائِكَ، وَمَحْمُودِ بَلائِكَ، وَجَليلِ الائِكَ،

وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى اِحْسانِكَ الْكثيرِ، وَخَيْرِكَ الْغَزيرِ، وَتَكْليفِكَ الْيَسيرِ، وَدَفْعِكَ الْعَسيرِ،

وَلَكَ الْحَمْدُ يا رَبِّ عَلى تَثْميرِكَ قَليلَ الشُّكْرِ، وَاِعْطائِكَ وافِرَ الْاَجْرِ،...،

وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى الْبَلاءِ الْمَصرُوفِ،...،

وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى قِلَّةِ التَّكْليفِ، وَكَثْرَةِ التَّخْفيفِ،...،

وَلَكَ الْحَمْدُ عَلى سَعَةِ اِمْهالِكَ، وَدَوامِ اِفْضالِكَ،...))[1]

نجد الرابط (لك الحمدُ) قد تكرر في بداية كلّ مقطع دعائي وفي بداية كلّ فقرة صغيرة في داخله، وقد تناسب هذا الرابط (لك الحمدُ) مع المناجاة لله تعالى وتمجيده وتعظيمه بالحمد والشكر على فضل أنعامه الواسعة على الإنسان فتلاحم النص وتماسك بفضل الرابط (لك الحمدُ).

ودعاء آخر للإمام العسكري (ع) (في تعقيب الفجر): **((اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً خالِداً مَعَ خُلُودِكَ ،وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً لا مُنْتَهى لَهُ دُونَ رِضاكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً لا اَمَدَ لَهُ دُونَ مَشِيَّتِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً لا جَزاءَ لِقائِلِه اِلّا رِضاكَ، اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَاِلَيْكَ الْمُشْتَكى، وَاَنْتَ الْمُسْتَعان اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَما اَنْتَ اَهْلُهُ،...))**[2]. إذ عمل الرابط (لك الحمدُ) على ترابط فقرات الدعاء وتماسكها وكلّها توحي على دلالة التحميد لله تعالى كما هو موضح في الشكل الآتي:

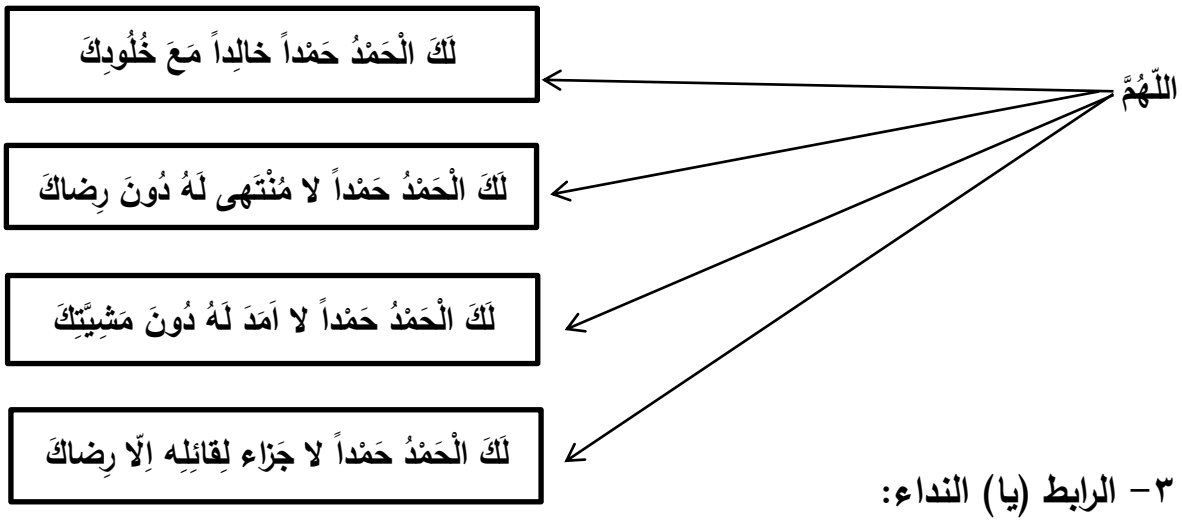

٣- الرابط (يا) النداء:

حيث تتكرر (يا) النداء في الأدعية كثيراً؛ وذلك لأن الدعاء في حقيقته قائم على النداء والطلب والمخاطبة فتأتي (يا + صفات الله تعالى) بصيغٍ لغوية مختلفة، كما في النماذج الآتية:

النموذج الأول: دعاء الإمام الجواد (ع) (في طلب خير الدنيا والآخرة): **((يا مَنْ اَظْهَرَ الْجَميلَ، وَسَتَرَ الْقَبيحَ، وَلَمْ يَهْتِكَ السِّتْرَ عَنّي**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١١٨ -١١٩.

(٢) م - ن:٢٢٣.

يا كَريمَ الْعَفوِ، يا حَسَنَ الْتَّجاوُزِ

يا واسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يا باسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ

يا صاحِبَ كُلِّ نَجْوى، وَ يا مُنْتَهى كُلِّ شَكْوى

يا كَريمَ الصَّفْحِ، يا عَظيمَ الْمَنِّ

يا مُبْتَدِءَ كُلِّ نِعْمَةٍ قَبْلَ اْستِحْقاقِها ...))[1]

بدأت فقرات الدعاء كُلّها مترابطة ومتماسكة في بعدها الموضوعي (التمجيد لله تعالى، بصفاته العظيمة) ولما أنتقل الداعي إلى البعد الذاتي (في طلب حاجته الشخصية) فصل بين البعدين رابط آخر كما في قوله (صَلَّ عَلى مُحَمَّدٍ وَاَهْلَ بَيْته).

والنموذج الثاني: دعاء الإمام العسكري (ع) (لطلب الرزق وطول العمر): **((يا اَسْمَعَ السّامِعينَ، وَ يا اَبْصَرَ الْمُبْصِرينَ،**

- وَ يا اَعَزَّ النّاظِرينَ، وَ يا اَسْرَعَ الْحاسِبينَ،

- وَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ، وَ يا اَحْكَمَ الْحاكِمينَ)

وعند ما أنتقل الداعي من تمجيد الله تعالى بصفاته العليا وظف رابطاً آخر (صَلَّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ) وأنتقل إلى حاجاته الذاتية: **((وَاَوْسِعْ لي في رِزْقي، وَمُدَّ لي في عُمْري، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِرَحْمَتِكَ، وَاجْعَلْني مِمَّنْ تَنْتَصِرُ بِه لِدينِكَ))** [2].

٤- الرابط (اسألُكَ):

وهو رابط الذي وجدناه يرد في أدعية خاصة لطلب الحاجات، كما في النماذج الآتية:

النموذج الأول: دعاء الإمام العسكري (ع) (لطلب قضاء الحوائج): ١- **((اَللّـهُمَّ اِنّي أَسْأَلُكَ بِاَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ، الْبَدئُ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، وَاَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّوم، لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ، الَّذي لا يُذِلُّكَ شَيءٌ وَاَنْتَ كُلَّ يَوْم في شَاْن،...**

٢- أَسْأَلُكَ بالائِكَ وَنَعْمائِكَ، بِاَنَّكَ اللهُ الرَّبُ الْواحِدُ لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ،

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ١٢٩.

(٢) م - ن: ٢١٧، وينظر: أيضاً:١١٤- ١٨٨ ،٢٢٤-٢٢٥.

٣- وَأَسْأَلُكَ بِاَنَّكَ اللهُ لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ الْوِتْرُ الْفَرْدُ الاَحَدُ الصَّمَدُ الَّذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً اَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]

٤- وَأَسْأَلُكَ بِاَنَّكَ اللهُ لا اِلـهَ إلّا اَنْتَ، اللَّطيفُ الْخَبيرُ، الْقائِمُ عَلى كُلِّ نَفْس بِما كَسَبَتْ، الرَّقيبُ الْحَفيظُ،

٥- وَأَسْأَلُكَ بِاَنَّكَ اللهُ الاَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالاخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْباطِنُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ، الضّارُّ النّافِعُ الْحَكيمُ الْعَليمُ،...))[١]

الرابط (أَسْأَلُكَ) في النموذج الأول جاء في الدعاء القائم على بعد موضوعي وهو (تمجيد الله تعالى) وليس ذاتياً كما هو معروف بأن ما يأتي بعد (أَسْأَلُكَ) يذكر الوسيلة لطلب الحاجات الذاتية.

وفي النموذج الثاني: نرى توظيف الرابط (أَسْأَلُكَ) مع الرابط (الهي) كما في دعاء الإمام المهدي(ع) قوله: ١- **((اِلهي وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذي دَعاكَ بِهِ إدْريسُ، فَجَعَلْتَهُ صِدّيقاً نَبِيّاً وَرَفَعْتَهُ مَكاناً عَلِيّاً، وَاسْتَجَبْتَ دُعاءَهُ، وَكُنَتَ مِنْهُ قَريباً يا قَريبُ: أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَجْعَلَ مَآبِي إلى جَنَّتِكَ وَ مَحَلِّي فِي رَحْمَتِكَ، وَتُسْكِنَنِي فِيهَا بِعَفْوِكَ، وَتُزَوِّجَنِي مِنْ حُورِهَا بِقُدْرَتِكَ يَا قَدِيرُ**

٢- إلَهِي وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي دَعَاكَ بِهِ نُوحٌ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وهو ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ* فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ*وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِر﴾ وَنَجَّيْتَهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ، فَاسْتَجَبْتَ دُعَاءَهُ، وَكُنْتَ مِنْهُ قَرِيباً يَا قَرِيبُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُنْجِيَنِي مِنْ ظُلْمِ مَنْ يُرِيدُ ظُلْمِي، وَتَكُفَّ عَنِّي شَرَّ كُلِّ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، وَعَدُوٍّ قَاهِرٍ، وَمُسْتَخِفٍّ قَادِرٍ وَجَبَّارٍ عَنِيدٍ وَكُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ،...))[٢]

حيث نجد في المقطعين السابقين من دعاءٍ طويلٍ توظيف رابطين في بداية كلّ مقطع برابط (إلَهِي وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ) وفي وسطه رابط آخر، حيث عمد الرابط الأول في بيان الوسائل التي يتوسل بها الداعي إلى الله تعالى، والرابط الثاني (أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ) وأتت بعده ذكر الحاجات الذاتية التي سبقتها الوسائل، فالدعاء على طوله عكست لنّا روابطه ترابط وتماسك مقاطع وفقرات النص في أتخاذ هيكلِ تصميم واحد للفكرة (بذكر الوسيلة، وعرض الحاجة بعدها) أُنتظم على جميع مقاطع وفقرات

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢١٦.
(٢) م - ن: ٢٦٦-٢٦٧.

الدعاء فضلاً عن دخول روابط آخرى لتكسر حدث التكرار خوفاً من ملل المتلقي عند ما يستمر بناء فني واحد منتظم ومتكرر في أكثر من صفحة، مثل رابط (اللّهُمَّ- والهي- واسألك) لوحدها.

٥- رابط الاستفهام:

وقد كَثر في أدعية الصحيفة المباركة توظيف الاستفهام بأدوات مختلفة، في بداية الدعاء كما ذكرنا سابقاً في (بنية الاستهلال) وفي وسطه كما في النموذج الآتي من دعاء العبرات للإمام المهدي (ع):

١- ((فَهَلْ يَحْسُنُ مِنْ عَدْلِكَ يَا مَوْلايَ أَنْ تَدَعَهُ فَرِيسَةَ الْبَلَاءِ وَهُوَ لَكَ رَاجٍ ؟

٢- أَمْ هَلْ يَجْمُلُ مِنْ فَضْلِكَ أَنْ يَخُوضَ لُجَّةَ الْغَمّاءِ، وَهُوَ إِلَيْكَ لَاجٍ؟

٣- أَمَا يَكْفِينِي- يَا رَبِّ وَسِيلَةً إِلَيْكَ وَذَرِيعَةً لَدَيْكَ- أَنَّنِي لِأَوْلِيَاءِ دِينِكَ مُوَالٍ، وَفِي مَحَبَّتِهِمْ مُغَالٍ، وَلِجِلْبابِ الْبلاءِ فيهِمْ لابِسٌ وَلِكِتابِ تَحَمُّلِ الْعَناءِ بِهِمِ دارِسٌ؟

٤- أَمَا يَكْفِينِي أَنْ أَرُوحَ فِيهِمْ مَظْلُوماً، وَأَغْدُوَ مَكْظُوماً، وَأَقْضِيَ بَعْدَ هُمُومٍ هُمُوماً، وَبَعْدَ وُجُومٍ وُجُوماً ؟ أَمَا عِنْدَكَ يَا مَوْلايَ بِهَذِهِ حُرْمَةٌ لَا تَضِيعُ، وَذِمَّةٌ بِأَدْنَاهَا تُقْتَنَعُ؟...))[1]

ونشهد مساهمة السؤال الاستفهامي بأدواته المختلفة (هل، أ، أم، أما،...) بوصل فقرات نص الدعاء وتلاحمها عبر (أداة الربط الاستفهامي) ومن جانب آخر أسهم الربط في عرض الفكرة والانتقال منها إلى آخرى ففي الفقرة (١، ٢) نجد بعداً موضوعياً (تمجيد الله تعالى) بأنّه لا يمكن أن يدع أحداً توجه إليه دون إبداء عونه له ومساعدته، فهو أعدل الحاكمين. وفي الفقرات التالية (٣ ،٤،....) أنتقل إلى ذكر الوسائل التي يتوسل بها إلى الله تعالى لطلب حاجاته الذاتية، وهي كشف ضرّه، فيذكر الداعي وسائله مبدوءة بأداة الاستفهام التي قدمت لنا سلسلة مترابطة من تلك الوسائل:

١- التوسل بإحسان الله عز وجلّ وعدله.

٢- التوسل بفضله.

٣- التوسل بولائه لآل البيت(ع).

٤-التوسل بتحمل الظلم في موالاتهم. وبعد ذلك يذكر طلبه (إِغْفِرْ لي وَارْحَمْني وَانْصُرْني ...)

والنموذج الثاني: من دعاء الإمام العسكري (ع) حيث نجد الرابط (أيّ) موحداً بين فقرات الدعاء

١- ((وَأَيُّ راحِلٍ رَحَلَ اِلَيْكَ فَلَمْ يَجِدْكَ قَريباً؟

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٨٤-٢٨٥.

٢- اَوْ اَيُّ وافِدٍ وَفَدَ عَلَيْكَ فَاقْتَطَعَتْهُ عَوائِقُ الرَّدِّ دُونَكَ؟

٣- بَلْ اَيُّ مُحْتَفِرٍ مِنْ فَضْلِكَ لَمْ يُمْهِه فَيْضُ جُودِكَ؟

٤- وَاَيُّ مُسْتَنْبِطٍ لِمَزِيدِكَ اَكْدى دُونَ اسْتِماحَةِ سِجالِ عَطِيَّتِكَ؟))[1]

نرى هنا ابتداء كلّ فقرة بأداة الاستفهام (أيُّ) التي خرجت للاستفهام المجازي فتماسكت فقراته وتلاحمت بفضل الرابط (أيُّ) المسبوقة بحروف العطف (و، أو، بل) وفي كلّ فقرة نجد صورة أجمل من الآخرى في الحث على التوجه لله تعالى، واطمئنان الداعي بنيل حاجته، إذا طلبها بتأدب وتحسر وخشوع، فتناسبت جمل فقراته، وكأنّ المتلقي (السامع أو القارئ) للدعاء يشعر بوجود انساقِ طبيعية متجانسة تأخذ بمجامع القلوب وتُسحر آذانهم. فكان لهذا التكرار للرابط يعبر عن تلذذ إلحاح الإمام العسكري(ع) وشغفه بسؤال الدعاء إلى الله تعالى، وطلب الحوائج منه وقصده في الأمور والأحوال كُلّها. فهو(ع) يحث المتلقي للدعاء على التوجه لله تعالى بطلب حاجته مهما كانت فالله سبحانه القادر على تحقيق حاجته إذا كانت في مصلحة الداعي.

٦- الرابط (اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ):

وهو الرابط الذي نجده يحتل مساحة واسعة جداً من أدعية أهل البيت (ع) مع الرابط (اللّهُمَّ) ونجده يتكرر في أدعية الصلوات على محمد وآله، وفي بداية كلّ صلاة تخص إمام من الأئمة (ع) وفي مواضيع الأدعية المختلفة، وذلك لغاية ما هي أن فن الدعاء بحد ذاته يعتبر وسيلة لارتباط المسلمين بأولياء أمورهم واعتصامهم بحبل الولاء لهم الذي جعله الله عصمة للمسلمين، والصلوات من أهم أسباب هذا الارتباط النفسي فإن حلقات الولاء ممتدة بين الله تعالى وعباده، وولاء الرسول (ص واله) وأهل بيته من أهم هذه الصفات[2] كما في النماذج الآتية:

النموذج الأول: مقاطع من دعاء الإمام الرضا (ع) (لطلب الفرج):

١- ((اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاكْشِفْ عَنّا كُلَّ هَمٍّ، وَفَرِّجْ عَنّا كُلَّ غَمٍّ، وَاقْضِ لَنا كُلَّ حاجَةٍ مِنْ حَوائِجِ الدُّنْيا وَالْاخِرَةِ،

٢- اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاَعِذْنا مِنْ شَرَّ جَميعِ ما خَلَقْتَ

٣- اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاَلْبِسْنا دِرْعَكَ الْحَصينَةَ، وَقِنا شَرَّ جَميعِ خَلْقِكَ

---

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٣٠، وينظر: أيضاً: ٢٧٦، و٣١٥-٣١٨.

(٢) ينظر: الدعاء عند السيدة الزهراء (عليها السلام) : ٢ .

٤- اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاحْفَظْ غُرْبَتَنا، وَاسْتُرْ عَوْرَتنا، وَامِنْ رَوْعتَنَا، وَاكْفِنا مَنْ بَغى عَلَينا، وَانْصُرْنا عَلى مَنْ ظَلَمَنا وَاَعِذْنا مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم....))[١]

فربطت (اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد) فقرات الدعاء التي حملت بعداً موضوعياً في طلب الحاجات له وللآخرين من تفريج الغم وكشف الهم وحفظهم من كلِّ شرٍّ ونصرهم على من ظلمهم، والعوذة من الشيطان الرجيم.

والنموذج الثاني: من دعاء الإمام العسكري (ع) (بعد الفراغ من الصلاة):

١- ((فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِهِ، وَاجْعَلْ مَكانَ نُقْصانَها تَماماً، وَعَجَلَتي تَثْبيتاً وَتَمَكُّناً، وَسَهْوي تَيَقُّظاً، وَ غَفْلَتي تَذَكُّراً، وَكَسَلي نَشاطاً، وَفُتُوري قُوَّةً، وَنِسْياني مُحافَظَةً،...

٢- فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ لي في صَلاتي، وَدُعائي رَحْمَةً وَبَرَكَةً تُكَفِّرُ بِها سَيِّئاتي، وَتُضاعِفُ بِها حَسَناتي، وَتَرْفَعُ بِها دَرَجَتي، وَتُكْرِمُ بِها مَقامي، ...

٣- اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِهِ، وَتَقَبَّلْها مِنِّي بِاَحْسَنِ قَبُولِكَ، وَلا تُؤاخِذْني بِنُقْصانِها، ...

٤- اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ اُولِي الْاَمْرِ الَّذينَ اَمَرْتَ بِطاعَتِهِمْ، وَاُولِي الْاَرْحامِ الَّذينَ اَمَرْتَ بِصِلَتِهِمْ، ...

٥- اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ ثَوابَ صَلاتي وَثوابَ مَنْطِقي، وَثوابَ مَجْلِسي رِضاكَ وَالْجَنَّةَ،...))[٢]

فالرابط (اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ) وظف فنياً حيث شكلت نقلة فنية من الذات في الفقرة (١، ٢) وهو طلب قبول صلاة الداعي، إلى الموضوعي في الفقرة (٤) في بيان منزلة أهل البيت (ع) العظيمة والتي ذكرت الآيات الكريمة تلك المنزلة التي تناص الدعاء معها. وبعدها ينتقل إلى موضوعه الذاتي في الفقرة (٥) بالعودة إلى موضوعة الصلاة وقبولها، ومن ناحية آخرى مثّل الرابط (اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ) أداة وصل وتلاحم بين الموضوعات التي دلّت على بنية اختلاف موضوعاته[٣]. ونلمس نماذج آخرى في الصلوات على النبي وآله كما في صلاة الإمام المهدي (ع): **((اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد سَيِّدِ الْمُرْسَلينَ وَخاتَمِ النَّبِيّينَ، وَحُجَّهِ رَبِّ الْعالَمينَ،...، وَصَلِّ عَلى اَميرِ**

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٦، وينظر: أيضاً : ٦٧-١٧١.

(٢) م - ن: ٢٤٠-٢٤١.

(٣) ينظر: الإسلام والفن :١٧٤.

الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ الْمُرْسَلينَ، وَقائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلينَ، وَسَيِّدِ الْوَصِيّينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعالَمينَ،...، اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد واَهْلِ بَيْتِهِ الْاَئِمَّةِ الْهادينَ، وَالْعُلَماء الصّادِقينَ، الْاَبْرارِ الْمُتَّقينَ، دَعائِمِ دينك، وَاَرْكانِ تَوْحيدِكَ (وَتَراجِمَةِ وَحْيِكَ) وَحُجَجِكَ عَلى خَلْقِكَ، وَخُلَفائِكَ في اَرْضِكَ الَّذينَ اخْتَرْتَهُمْ لِنَفْسِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُمْ عَلى عِبادِكَ،...، اَللّـهُمَّ وَصَلِّ عَلى وَلِيِّكَ، الْمُحْيي سُنَّتَكَ، الْقائِمِ بِاَمْرِكَ، الدّاعي اِلَيْكَ، الدَّليلِ عَلَيْكَ، حُجَّتِكَ عَلى خَلْقِكَ (وَخَليفَتِكَ في اَرْضِكَ وَشاهِدِكَ عَلى عِبادِكَ) اَللّـهُمَّ اَعِزَّ نَصْرَهُ ، وَمُدَّ في عُمْرِهِ،...))[1]

التي دَلَّت على ترابط الموضوع وتناميه وتماسكه وتناسبه، وكيف لا يترابط ويتماسك النص؟- وفي داخله هم أهل البيت (ع) المحافظين على تماسك الدين وقيامه.

٧- الرابط (الحمد لله):

وهو الرابط الذي يربط الفقرات التي تدلّ على تحميده تعالى فهو صاحب الحمد والشكر، ونقف على نماذج مختارة من دعاء الافتتاح الذي يفتتح بالثناء والحمد له سبحانه وتعالى:١- **((الحَمْدُ للهِ بِجَمِيعِ مَحامِدِهِ كُلِّها عَلى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّها،**

٢- الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا مُضادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلا مُنازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ،

٣- الحَمْدُ للهِ الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلا شَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ،

٤- الحَمْدُ للهِ الفاشِي فِي الخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظاهِرِ بالكَرَمِ مَجْدُهُ، الباسِطِ بالجُودِ يَدُهُ، الَّذِي لا تَنْقُصُ خَزائِنُهُ، وَلا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ العَطاءِ إلاّ جُوداً وَكَرَماً، إنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الوَهَّاب))[2].

إذن فالروابط في الصحيفة الرضوية الجامعة متنوعة كما لمسّنا ذلك في النماذج المختارة، ووجدنا الدور الذي قامت به روابط الدعاء مثل أي رابط لغوي آخر من حروف وكلمات توقف عندها الباحثون في الدراسات اللغوية القديمة واللسانية الحديثة عند موضوع التماسك (الانسجام) والاتساق الّذين يتحققانِ في النص عند توفر عناصرها ومنها عناصر أو أدوات الربط التي تربط الجمل وتعكس للآخر/المتلقي تماسك وترابط النص، كما وجدناه مع نماذجنا السابقة. التي عملت على ترابط موضوعات الأدعية فعكست لنا تنامي موضوعه، وعند تنوع وتنقل موضوعات النص عكست لنا بنية اختلاف موضوعاته، إلى جانب دورها في المحافظة مع الروابط اللفظية الآخرى -كما ذكرها اللغويون- على تلاحم وترابط وتماسك فقرات ومقاطع الأدعية. ونقصد بالمقطع: الفقرة الرئيسة في الدعاء وفي داخله فقرات أصغر

(١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٥١-٢٥٤.

(٢) م - ن: ٣٠١.

يتكون منها المقطع فعملت الروابط على تلاحم فقرات المقطع الواحد وتماسكها بعضها مع بعض، وترابطها مع المقطع الثاني في حالة (تنامي الموضوع) أو تدلّ على انفصال المقطع الثاني أو الثالث عن الأول (انفصال السابق عن اللاحق)، فيعكس لنا بنية اختلاف تتوحد ضمن إطار دلالي تحكمه طبيعة موضوع الدعاء نفسه.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الرحلة من الجهد الملذّ في استعراض فصول الرسالة ومباحثها؛ نقف عند أهم النتائج التي تمخضّت عنها. والتي يمكن اجمالها بما يلي:

١- إنمازت نصوص الأدعية بسماتٍ أسلوبية وتعبيرية وفنية مؤثرة، تمكن الأئمة (عليهم السلام) عبرها توجيه مختلف خطاباتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية إلى المتلقين في زمنهم وفي غيره ومخاطبة أحاسيس المتلقي وعواطفهم عبر تلك البنيات الجمالية اللغوية والتركيبية والإيقاعية والدلالية التي اكتنزها الخطاب الدّعائي.

٢- اتفقت وظائف الجمال الفني مع ما يهدف إليه الدعاء تماماً من جذب المتلقي وشد انتباهه باللغة الفنية المؤثرة؛ لأجل توجيهه لفعل ما، أو لأجل إقناعه بفكرة أو موضوع ما، أو لأجل إحداث شعور جميل عند المتلقي في مواضع تستوجب ذلك البناء الفني الجمالي المخصوص، فيتأثر بجماليته البنائية الفنية.

٣- تشكلت السمة الخطابية في أدعية الصحيفة من حقيقة واحدة على الرغم من اختلاف المرسِل (الأئمة عليهم السلام) للأدعية المبثوثة في الصحيفة المباركة التي تمثلت في تناولها لقضايا الفكر المشترك (الفكر الموحد) بين نصوص الأدعية.

٤- تميز الدعاء بكونه نصاً خالداً غير محدود بزمان ومكان فهو نصٌ إنساني، ومتلقي الدعاء في كلّ عصر لا يزال يكتشف حقائق وأبعاداً عظيمة في الدعاء. ويكشف عن طبيعة الظروف التي عاشها الأئمة (ع) التي دفعتهم إلى توظيف الدعاء كأداة توصيل استطاعوا من خلالها توجيه الأمة الإسلامية الوجهة الصحيحة.

٥- تضمنت هذه الأدعية الأسس المبدئية والقواعد الحكمية التي يقوم عليها مذهب أهل البيت (ع) مبثوثة في قالب الدعاء حتى لا يلفت نظر المعادين لنهجهم المحمدي. فهذه الأمور التي تضمنتها أدعية أهل البيت (ع) التي كان الاهتمام فيها منصباً على المتلقي الثاني (الداعي) إلى جانب الحضور المقدس للمتلقي الأول (الله جلّ وعلا) هي التي اكسبت هذه الأدعية السمة الخطابية لها، التي جعلت منها نصوصاً محكومة بسياقات تداول تسهم في بيان محمولاتها الدلالية وتوجيهها.

٦- تدلّ الاستراتيجية على معانٍ عدة وهنا قصدنا بالاستراتيجية الطريقة الأسلوبية التي انمازت بها أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة التي اكسبتها السمة الجمالية (الأدبية) وذوبان لغتها التقريرية المباشرة فضلاً

عن أثرها في الكشف عن مدى تمكن الإمام وقدرته على إنشاء خطاب يغلب عليه السمة الوجدانية فاتسم بالأدبية فضلاً عن معالجته لمواضيع شتى دينية واجتماعية وسياسية مؤطرة بالطابع الأسلوبي الأدبي الجمالي المؤثر في الآخر/ المتلقي.

٧- تمثلت الاستراتيجية الاقناعية في خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة عبر وسائل وآليات منها (آلية التناص: التناص الديني، والتناص التاريخي، آلية التتابع السببي، آلية الروابط الحجاجية) التي شهدنا معها عبر النماذج المدروسة تناسب عنصري البناء الفني والفكري في رفد أدعية الصحيفة المباركة ببعدٍ جمالي.

٨- إنمازت الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الصحيفة المباركة بوسائل وآليات مختلفة عن الوسائل والآليات العامة التي حددها الباحثون بـ(الأمر والنهي والاستفهام والتحذير والاغراء والعرض والتحضيض والنداء...إلخ) فكانت وسائلها المتبعة في الصحيفة المباركة (آلية ثنائية الأضداد، آلية سلسلة الأفعال المتعاقبة ، آلية ذكر العواقب) فضلاً عن إمكانية المتلقي لأدعية الأئمة أن يتلمس الجانب التوجيهي بوسائل آخرى، وربّما يكون من معرفة هدف الخطاب الكلي أيضاً وغير ذلك على حسب وعي المتلقي للدعاء وتركيزه لكلّ ما يشمله من أمور ترجع فائدتها لصالح الفرد والمجتمع والأفعال التوجيهية في الصحيفة المباركة قد توزعت ما بين المحققة لمنفعة المتلقين عبر توجيههم للقيام بأمور ترجع فائدتها لصالح الجميع كما في الحث على الصلاة والصوم وايتاء الزكاة وترغيبهم للتوجه لله تعالى في كلّ الأحوال ...إلخ.

٩- تمثلت الاستراتيجية التأثيرية في خطاب الصحيفة الرضوية الجامعة عبر وسائل وآليات منها (آلية السرد، وآلية الفنون البلاغية، وآلية العنصر الإيقاعي) وتبعاً لآلياتها اختلفت الاستراتيجية التأثيرية عن بقية استراتيجيات الخطاب من حيث نوع فعل التأثير، فهي كلّها تتفق في إتباع مجموعة من الوسائل والآليات اللغوية والأساليب الأدبية الفنية المحققة لفعل تأثيرها وهو قد يكون لأجل اقناع الآخر/المتلقي، أو لأجل توجيهه لإنجاز فعلٍ ما أو تجنبه. بينما تمثل الاستراتيجية التأثيرية تأثيراً لأجل إحداث أثر جمالي في وجدان المتلقي ، وهو تأثير ينسجم مع جمال الفكرة المعروضة في خطاب الأدعية كما لمسنا ذلك في متن صحيفتنا المباركة.

١٠- تمظهرت سلطة الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة من خلال طرفيه المخاطِب/ المرسِل، والمخاطَب/ المرسَل إليه. فسلطة المخاطِب وجدناها تتبع في الخطاب الأدبي من سلطته على اللغة أولاً

وتمكنه من منح خطابه لغة فنية مؤثرة عند المخاطَب، وثانياً من معرفته الثقافية الواسعة التي يبثها في خطابه ليرفع من حصيلة المخاطَب المعرفية العامة فضلاً عن تمكنه من أساليب الكلام والقول كما لمسنا تلك المقدرة والتمكن عند أئمة أدعية الصحيفة المباركة عليهم السلام.

١١- وأما سلطة المرسَل إليه/المخاطَب فقد تمظهرت في الخطاب في مرحلتين، الأولى عندما يُلازم المرسَل إليه/المخاطَب المرسِل/المخاطِب في إنتاج الخطاب الأدبي، ففي مرحلة إنتاج الخطاب الأدبي ينبغي للمرسِل أن يراعي في اختياره لألفاظ وعبارات مُلائمة للغة أو منظومة المرسَل إليه اللغوية لكي يُحقق لخطاه الفهم والإفهام فضلاً عن مراعاته في اختيار الموضوعات التي تخدم المرسَل إليه كما لمسنا ذلك في الصحيفة الرضوية الجامعة عند معالجة الأئمة (ع) لمختلف القضايا الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية أي الظروف العامة في عصر كلّ إمام. أما المرحلة الثانية التي تعبر عن سلطة المرسَل إليه/القارئ بعد تلقيه للخطاب، فتتمثل في تأويل الخطاب لإنتاج المعنى، فالقارئ لم يعد مستهلكاً للنص وإنّما منتجٌ له أيضاً.

١٢- اتسمت أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة بامتلاكها لمقومات فنية وموضوعية أسهمت في رفد الخطاب في الصحيفة المباركة بصياغةٍ فنية أدبية مؤثرة لمخاطبة وجدان المتلقي، وذلك عبر التوافق الجمالي الدلالي بين مضامين الخطاب وبين سياقاته الخارجية كما لاحظنا ذلك في السياق الفكري الموحد بين نصوص أدعية الصحيفة الرضوية المباركة الذي تجسد لنا عبر ثيمات وأبعاد فكرية كمقومات لخطاب الصحيفة المباركة.

١٣- وأسهم السياق الخارجي (سياق الزمان، سياق المكان، سياق الحال) في تزويد الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة ببناء فني جمالي مؤثر، متأت عبر وجود شكل من أشكال التناسب الدلالي بين دلالات مضامين الدعاء وصوره الداخلية وبين الدلالة العامة كما لاحظنا ذلك في نماذج من الصحيفة المدروسة.

١٤- وأما بالنسبة للسياق الداخلي الذي أسماه البحث بـ(البناء الخاص)، لما امتازت به نصوص الأدعية عن بقية النصوص الأدبية لقيامها على هيئة مخصوصة من البناء الفني المتميز بألفاظه العذبة الفصيحة ذات الجرس الموسيقي العذب فضلاً عن امتياز عباراته وجمله بتراكيب متوازية وتناسبها مع المعنى أو الدلالة العامة للدعاء، فكان لهذا البناء الفني المميز سياقات داخلية أسهمت في صياغة الدعاء صياغة فنية جمالية ومنها سياقات: أولا: بنية الاستهلال، وثانيا: روابط النص.

١٥- إذ نلمس تميز أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة بمقاطع استهلالية مشتركة بين كلّ أدعية الصحيفة المباركة تقريباً فتنوعت المقاطع الاستهلالية؛ وذلك تبعاً لمُجاراة الجانب الموضوعي الذي يقوم عليه المقطع الاستهلالي، فضلاً عن أثر روابط النص الخاصة بالدعاء منها (اللّهمَّ، لكَ الحمدُ، الحمدُ لله، رابط الاستفهام...إلخ) في خلق انسجام النص وتماسك اجزائه وترابطها والتي عملت على ترابط موضوع الدعاء في النص الكامل فعكست لنا تنامي موضوعه، وعند تنوع موضوعات النص وتنقلها مثلاً من الذاتي إلى الموضوعي وبالعكس فتعكس لنا بنية اختلاف موضوعاته.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، مجموعة من المؤلفين، تعريب وتقديم: محمد خير البقاعي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، ط١، ٢٠١٣م .
٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، ٢٠٠٢م.
٣. الأحتجاج، العلامة الخبير أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، الجزء الثاني، منشورات الشريف الرضي، مطبعة شريعت، ط١، ١٣٨٠هـ.
٤. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٥. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠١م.
٦. أساليب الطلب عند النّحويين والبلاغيين، د. قيس اسماعيل الأوسي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، (د. ط. ت).
٧. أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. صبَّاح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٩٨٦م.
٨. استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي عليه السلام، مقاربة تداولية، باسم خيري خضير، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة – العراق، ط١، ١٤٣٨هـ– ٢٠١٧م.
٩. استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
١٠. استقبال النص عند العرب، محمد رضا مبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
١١. الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، د. ياسين النصير، مطبعة نينوى، سورية، (د .ط)، ٢٠٠٩م.

١٢. أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح: السيد محمَّد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

١٣. الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين اسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ط٣، ١٩٨٦م.

١٤. الإسلام والفن، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الاسلامية للدراسات والنشر، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

١٥. الأسلوبية والأسلوب، عبدالسلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، ط ٣، (د .ت).

١٦. الأصول في النحو، بن سهل السّراج النحوي البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

١٧. الأصول من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرّازي (ت ٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفّاري، الجزء الأول، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٦، ١٣٧٥هـ.

١٨. إعْجَاز القُرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

١٩. أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، صبري حافظ، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

٢٠. أمالي الصدوق، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) قدَّم له الشيخ حسين الأعلمي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

٢١. الإمام الرضا (ع) بين نصوص الرسالة وسلطة الرأي والقبيلة، عادل عبدالرحمن البدري، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢٢. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدّين أبو عبدالله محمّد ابن قاضي القُضاة سعد الدّين أبي محمّد عبدالرحمن القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د .ط. ت).

٢٣. بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، المجلد (١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٥)، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠١١م.

٢٤. البداية والنهاية، الإمام عماد الدّين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشيّ، خرج أحاديثه شعبان أحمد، محمد عيادي بن عبد الحليم، الجزء الثاني، مكتبة الصَّفَا، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٥. بلاغة الاقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، د. عبد العالي قادا، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١، ٢٠١٦م.

٢٦. بلاغة الاقناع في المناظرة، د. عبداللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت- البنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٣م.

٢٧. بلاغة التقابل في الحديث النبوي، دراسة أسلوبية، د. اسماء سعود الخطاب، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م.

٢٨. البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، دار الفقه للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٩. البلاغة العربية، أُسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حَبنَّكه الميداني، الجزء الأول، دار القلم، دمشق، الدَّار الشَّامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣٠. البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩٤م

٣١. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

٣٢. بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ١٩٩١م.

٣٣. البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٩٦٠م.

٣٤. تأملات في آيات الظهور(دعاء الندبة)، فوزي آل سيف، القطيف – السعودية، (د. ط)،١٤٢٦هـ.

٣٥. تأمّلات في دُعاء الافتتاح، آية الله العظمى السيّد محمَّد تقي المُدَّرسي دام ظلّهُ، دار البصيرة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٣٦. تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الاسلامي، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية.

٣٧. التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.

٣٨. تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٣٩. تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.

٤٠. تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ١٩٨٥م .

٤١. تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج اللغوية المعاصرة، د. آمنة بلّعلي، الأمل للطباعة والنشر، مدوحة– تيزي وزو، (د. ط)، ٢٠٠٩م .

٤٢. تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزة ، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت– لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الاماني، الرباط، ط١، ٢٠١٠م .

٤٣. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٤٤. التداولية في البحث اللغوي والنقدي، أ. د. بشرى البستاني، مؤسسة السياب (لندن)، ط١، ٢٠١٢م.

٤٥. التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٦. التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، تر: د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، ومراجعة د. لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٤٧. التركيب والدلالة والسياق، دراسة نظرية، د. محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٤٨. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط١٧، ٢٠٠٤م.

٤٩. التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبد الله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.

٥٠. التقابل الجمالي في النص القرآني، دراسة جمالية فكرية وأسلوبية، أ. د. حسين جمعة، دار المنير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.
٥١. التقويل النقدي المعاصر للتراث النقدي والبلاغي عند العرب، أحمد رحيم الخفاجي، المركز العلمي العراقي، بغداد، دار مكتبة البصائر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١ م.
٥٢. التلقي للصحيفة السجادية، دراسة تطبيقية في النقد العربي الحديث، د. حيدر محمود شاكر الجديع، العتبة الحسينية المقدسة – كربلاء، ط١، ٢٠١٥م.
٥٣. التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، د. عبد القادر بقشى، تقديم: د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، (د. ط)، ٢٠٠٧م.
٥٤. التناص نظرياً وتطبيقياً، د. أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٠م .
٥٥. جمالية الألفة (النص ومتقبله في التراث النقدي)، شكري المبخوت، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، ط١، ١٩٩٣م.
٥٦. جمالية الخطاب في النَّصّ القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
٥٧. الجنى الدّاني في حروُف المعاني، الحسين بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدّين قبَاوةَ، ومحمَّد نّديم فَاضِل، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.
٥٨. جهاد الإمام السجاد زين العابدين (ع) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، السيد محمد رضا الحُسيني الجلالي، دار الحديث، ط١ ، ١٤١٨هـ .
٥٩. جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، منشورات اسماعيليان، مطبعة نينوى، ط٣، ١٤٢٧هـ.
٦٠. الحِجَاج في البلاغة العاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد الامين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨م .
٦١. الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، أ. د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ط٢، ٢٠١١م.
٦٢. الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة ، دار الفارابي، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

٦٣. الحياة الفكريّة والسياسية لائمة أهل البيت عليهم السلام، رسول جعفريان، منشورات دار الحق، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٦٤. خصائص أمير المؤمنين، للإمام الحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: سيد جعفر الحسين، دار الثقلين، قم – إيران، ط١، ١٤١٩هـ.

٦٥. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم ابراهيم محمد المعطى، الجزء الثاني، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

٦٦. خطابات السلطة من هوبز الى فوكو، باري هندس، ترجمة: ميرفت ياقوت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٦٧. الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية، د. حسين العمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٦٨. الخطاب والنص، المفهوم– العلاقة– السلطة، د. عبدالواسع الحميري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٤م .

٦٩. الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية، عبد الله محمد الغذامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٩٨م.

٧٠. الدعاء حقيقته، آدابه، آثاره، مركز الرسالة، مطبعة مهر، قم – ايران، الناشر مركز الرسالة، ١٤١٩هـ.

٧١. الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام، محمد مهدي الآصفي، منشورات جامعة المصطفى صلى لله عليه وآله وسلم العالمية، مطبعة اميران– قم، ط٢، ١٤٢٩هـ.

٧٢. دُعاءُ النُّدبة وتوثيقُهُ من الكتاب والسُّنة، مؤسسة الإمام الهادي (ع)، قم المقدسة، ط١، ١٤٣٣هـ.

٧٣. سرُّ الفصاحة، أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٢م.

٧٤. السلطة في الرواية العراقية، د. أحمد رشيد الددة، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، وزارة الثقافة، العراق – بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

٧٥. سند دعاء الندبة، السيد ياسين الموسوي، دار بهجت، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

٧٦. السياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية، د. المهدي إبراهيم الغويل، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي – ليبيا، (د. ط)، ٢٠١١م.
٧٧. السياق والنّص الشعري، من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، دار الثقافة للطباعة والنشر– مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.
٧٨. سيرة الائمة المعصومين عليهم السلام، عرضٌ وتحليلٌ للحياةِ الاجتماعية والسّياسيةِ والعلميّةِ للائمةِ المعصومين عليهم السلام، مهدي البيشوائي، تعريب حسين الواسطي، نشر مؤسسة الإمام الصادق(ع)، توزيع مكتبة التوحيد، قم – إيران، (د. ط)، ١٤٢٦هـ.
٧٩. شرح دعاء الافتتاح، محمد علي محمود اللواتي (محمد علوان)، مطبعة العنان ش. م. م، ط١، ٢٠١١م.
٨٠. الشعرية بين فعل القراءة وآلية التأويل، دراسة في التلقي والتأويل الجمالي، د. عصام عبد السلام شرنج، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م.
٨١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامهُ عليهم، الحافظ الكبير عُبيد الله بن عَبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني النيسابوري، الجزء الأول، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ط٢، ٢٠١٠م.
٨٢. الصحاح، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي،(ت ٣٩٨هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.
٨٣. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البُخَاريّ (ت ٢٥٦هـ)، تقديم: العلامة أحمد محمد شاكر، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن هيثم، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
٨٤. الصحيفة الرضوية الجامعة لأدعية الإمام علي بن موسى الرّضا وابنائه الأئمة (محمَّد بن علي الجواد، علي بن محمّد الهادي، الحسن بن علي العسكري، الحجّة محمد بن الحسن المهدي – عليهم السلام)، السيّد محمد باقر بن السيّد مرتضى بن علي الموحد الأبطحي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة – إيران، ط٢، ١٤٢٣هـ.
٨٥. عتبات، جيرار جينيت من النصّ إلى المناص، عبد الحق بلعابد، تقديم: د. سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

٨٦. علم الدلالة التطبيقي، في التراث العربي، أ. د. هادي نهر، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط٢، ٢٠١١م.

٨٧. علم لُغَة النَّصّ، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩٧م.

٨٨. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م.

٨٩. علم النصّ، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي وعبد الجليل ناظم، دار توبقال، المغرب، ط٢، ١٩٩٧م.

٩٠. عُمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، دار الوفاء – المنصورة، ط٢، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

٩١. عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: عباس عبد الساتر، ومراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٢م.

٩٢. فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، أحمد بن حنبل، تحقيق: حسين حميد السيد، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (ع)، مطبعة ليلى، قم – إيران، ١٤٢٥هـ.

٩٣. فهم الخطاب القرآني بين الإماميةِ والأشاعرة، دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبية، د. صباح عيدان حمود العبادي، دار الفيحاء، العراق، البصرة، ط١، ٢٠١٣م – ١٤٣٤هـ .

٩٤. في البلاغة العربية، فنون التصوير البياني، د. توفيق الفيل، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٧م.

في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.

٩٥. في بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجاً، د. محمد العمري، افريقيا الشرق، بيروت– البنان، ط٢، ٢٠٠٢م.

٩٦. في رحاب دُعاءِ الافتتاح ودعاءي اسْتقبال ووداع شهر رمضان المُبَارك، السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك، (د .ط. ت).

٩٧. في سوسيولوجيا الخطاب، من سوسيولوجيا التمثّلات إلى سوسيولوجيا الفعل، د. عبد السلام حيمر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (د. ط. ت).

٩٨. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، أ. د. عبدالله صولة، منتدى سور الأزبكية، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ودار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م.

٩٩. القاموس المحيط، الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المجلد (الأول) دار الفكر، ١٩٩٨٣م.

١٠٠. قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية، د. كريم حسين ناصح الخالدي، ود. حميدة صالح البلداوي، دار صفاء – عمان، ط١، ٢٠١٠م.

١٠١. قضايا الشعرية، رومان جاكسون، ترجمة: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، دار البيضاء – المغرب، ط١، ١٩٨٨م.

١٠٢. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: علي وجروح، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦ م.

١٠٣. الكُلِيَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أعدَّه د. عدنان درويش ومحمَّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.

١٠٤. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور، المجلد (١– ٢–١١) دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م.

١٠٥. اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ١٩٩٨م.

١٠٦. لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والاجراء، د . نعمان بوقرة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

١٠٧. لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

١٠٨. اللغة الثانية، في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، فاضل ثامر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١٠٩. اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة للطبع، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.

١١٠. اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.

١١١. المتلقي في الشعر الأندلسي، دراسة في أنواع المتلقي وبنى الاستجابة، د. سناء ساجت هداب، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، وزارة الثقافة، العراق – بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

١١٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدّين بن الأثير، قدَّمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د. ط. ت).

١١٣. المحبَّة في شرح دعاء الندبة ، حليم الحِفاظي، (د .ط. ت).

١١٤. مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيحي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

١١٥. المدخل إلى فلسفة الجمال، محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية، د. مصطفى عبده، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.

١١٦. مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة: عبد الرحمن ايوب، دار توبقال للنشر ، ودار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربي)، بغداد، (د. ط. ت).

١١٧. مُسْند الإمام الرّضا، لأبي الحسن علي بن موسى عليهما السلام، جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي، الجزء الأول، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، (د .ط. ت).

١١٨. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

١١٩. معاني الحروف، مُذيلاً بالإعجاز اللغوي لحروف القرآن المجيد، الإمام أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ) حققه وخرج حديثه وعلق عليه: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، مكتبة العصيرية، صيدا–بيروت، (د. ط. ت).

١٢٠. معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢١. مُعْتَرَكُ الأقْران في إعجاز القُرآن، أبي الفضل جلال الدّين عبد الرَّحمن أبي بكر السُّيوطي (ت٩١١هـ)، ضبطه وصحَّحه أحمد شمس الدّين، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

١٢٢. معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو– دومينيك منغنو، ترجمة عبدالقادر المهيري، وحمّادي صمّود، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، (د .ط)، ٢٠٠٨م

١٢٣. معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني،(٨١٦هـ – ١٤١٣هـ)، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د .ط)، ٢٠٠٤م.

١٢٤. معجم السيمائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

١٢٥. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ومكتبة المدرسة، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م.

١٢٦. معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين – مطبعة التعاضدية العمالية، صفاقس – تونس، (د. ط. ت).

١٢٧. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥م

١٢٨. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، الجزء الأول والثاني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م.

١٢٩. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م .

١٣٠. معجم مصطلحات النقد الحديث، حمادي صمود، القسم الأول، حوليات الجامعة التونسية، العدد ١٥، ١٩٧٧م.

١٣١. المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٩م.

١٣٢. المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، جيل دلوز، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ١٩٨٧م.

١٣٣. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد ابن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصيرية، صيدا– بيروت، (د. ط)، ١٩٩١م.

١٣٤. مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت– لورانس غروسبيرغ، وميغان موريس، تر: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

١٣٥. مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، والدار البيضاء – المغرب، ط ١، ١٩٩٤م.

١٣٦. مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

١٣٧. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، د. الزواوي بغورة، المجلس الأعلى للثقافة، (د .ط)، ٢٠٠٠م

١٣٨. مقتل فاطمة الزهراء عليها السلام، الشيخ منتظر الواعظ، دار الصديقة الشهيدة عليها السلام، مطبعة نينوا، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٣٩. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، للحافظ أبي الحسن علي بن محمّد الواسطِيّ المعروف بابن المغَازِليّ (ت ٤٨٣هـ)، تحقيق: أبي عَبد الرّحمن تركي بن عَبْدالله الوادعي، دار الآثار للنشر والتوزيع، اليمن– صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م.

١٤٠. مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، د. عبدالله خضر حمد، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت – لبنان،٢٠١٧م.

١٤١. المنتخب من سيرة المعصومين، الشيخ فاضل الفراتي، دار الأمين، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

١٤٢. من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، پول ريكور، تر: محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠١م.

١٤٣. منهاج البُلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمَّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، (د. ط).

١٤٤. الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، د. محمد العمري، افريقيا الشرق، بيروت – لبنان، (د .ط)، ٢٠٠١م.

١٤٥. الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء مجلد الثاني عشر، إسماعيل الانصاري الخوئيني، قم المقدسة، (د .ط)، ١٤٣٢هـ.

١٤٦. ميشال فوكو المعرفة والسُّلطة، عبد العزيز العيادي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١٤٧. ميشيل فوكو مسيرة فلسفية، أوبيير دريفوس وبول رابينوف، ترجمة: جورج أبي صالح، ومراجعة وشروح مطاع صفدي، مركز الانماء القومي، بيروت، (د. ط. ت).

١٤٨. نثر الإمام الحسين عليه السلام، دراسة تحليلية في جمالية بنية النص، د. حيدر محمود شاكر الجديع، وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين (ع) في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء- العراق، ط١، ٢٠١٤م.

١٤٩. نَسِيجُ النَّص، بحثٌ في ما يَكونُ الملفوظُ نصاً، الأزهر الزنَّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، والدار البيضاء – المغرب، ط١، ١٩٩٣م.

١٥٠. النَّصُّ الغائب، تجلّيات التّناصّ في الشعر العربي دراسة، محمّد عزَّام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، ٢٠٠١م.

١٥١. النصُّ والأسلوبية، بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.

١٥٢. النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بو جراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١٥٣. نظام الارتباط والرَّبط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، الشركة المصرية العالمية – لونجمان، القاهرة – مصر، ط١، ١٩٩٧م.

١٥٤. نظرية الأدب في القرن العشرين، ك. م نيوتن، ترجمة: د. عيسى علي العاكوب، ط١، ١٩٩٦م.

١٥٥. نظرية الاستقبال، مقدمة نقدية، روبرت سي هول، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، سوريا، ط١، ١٩٩٢م.

١٥٦. نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، عبد الناصر حسن محمد، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، (د. ط)، ١٩٩٩م.

١٥٧. النقد الأدبي الجمالي، نبش الذهنية وبناء المرجعية، د. عبد الجليل شوقي، دار الوطن للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ٢٠١٢م.

١٥٨. النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، روز غريب، دار الفكر اللبناني، بيروت – لبنان، ط٢، (د. ت).

١٥٩. نقد الشعر، أبو الفرج قُدامة بن جعفر، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د. ط. ت).

١٦٠. وشى الربيع بألوان البديع، في ضوء الأساليب العربية، د. عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د .ط)،٢٠٠٠م

١٦١. الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجرياً، مقاربة اسلوبية حجاجية، عبدالله بهلول، مؤسسة الانتشار العربي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م.

الرسائل والاطاريح:

١. الآليات البلاغية الحجاجية في المعلقات، معلقتا عمرو بن كلثوم وزهير بن أبي سلمى أنموذجاً، هناء لبيهي، (ماجستير)، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، كلية الآداب واللغات – الجزائر، ٢٠١٥م.

٢. الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، سورة البقرة انموذجا، عيسى تومي (ماجستير)، جامعة محمد خيضر – بسكرة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥م.

٣. أدبية النص القرآني، دراسة جمالية، مولود محمد زايد البيضاني (دكتوراه)، جامعة البصرة– كلية التربية، ٢٠٠٧م.

٤. استدعاء الشخصيات التراثية في شعر حسين زيدان،(دراسة لنماذج مختارة)، سعيدة دباخ (ماجستير)، جامعة محمد خيضر– بسكرة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥م.

٥. استراتيجيات الخطاب القرآني سورة "ال عمران" انموذجاً، مقاربة لغوية تداولية، جيلي هدية (دكتوراه)، جامعة محمد الأمين دباغين– سطيف٢، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٧م.

٦. استراتيجية التواصل في الخطاب السياسي بين التصريح والتلميح، خطاب رئيس الجمهورية أنموذجاً، شريفي نعيمة وشتواني ليندة (ماجستير)، جامعة عبد الرحمن "بجاية"، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٣م.

٧. أسلوب الطلب في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، عبد الرحمن مضوي عبد الرحيم الهادي (ماجستير)، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٣م.

٨. جماليات التناص في شعر محمد جربوعة، سارة بو جمعة،(ماجستير)، جامعة محمد خيضر– بسكرة–، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥م.

٩. الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني، دراسة في وسائل الإقناع، أمينة تجاني (ماجستير)، جامعة حمه لخضر الوادي، كلية الآداب واللغات،٢٠١٥م.

١٠. حجاج موسى عليه السلام في النّص القرآني، دراسة تداولية، كهينة زموش (ماجستير)، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١١م.

١١. الخطاب الإعلامي في شعر التشيع في العصر الأموي، دراسة جمالية، علي جبار جلوب العيساوي (ماجستير)، جامعة القادسية، كلية الآداب، ٢٠١٥م.

١٢. دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية، سمية محامدية، (ماجستير)، جامعة محمد خضير- بسكرة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٣م.

١٣. مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، عبد المنعم محمد فارس سليمان(ماجستير)، جامعة النجاح الوطنية- كلية الدراسات العليا، فلسطين، ٢٠٠٥م.

١٤. المنظور الفلسفي للسلطة عند ميشيل فوكو، جوده محمد ابراهيم، (دكتوراه)، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٤م.

١٥.نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث، سحر كاظم حمزة الشجيري، (ماجستير)، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٣م.

المجلات والدوريات

١. آليات الحجاج في خطب الإمام الحسن (عليه السلام)، م. م. بشائر عبد الامير، مجلة تسليم، المجلد الأول، العدد ١-٢، ٢٠١٧م.

٢. آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي، د. جودي حمدي منصور، حوليات المخبر، جامعة محمد خيضر – بسكرة، العدد السادس، ٢٠١٦م.

٣. أدب الدعاء في نهج البلاغة، دراسة دلالية، د. هناء عبد الرضا رحيم، د. مرتضى عباس فالح، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول الموسوم (نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان)، جامعة الكوفة، النجف الأشرف – العراق، ج٤، ط١، ٢٠١١م.

٤. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، أ.م. د. إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الاسلامية، المجلد الثامن، العدد٢/١٥، ٢٠١٤م.

٥. استراتيجيات تعلم اللغة العربية، بوصفها لغة ثانية، د. عبد الرحمن عبد العزيز العيدان، د. راشد عبد الرحمن الدويش، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية، العدد ١٧، ١٩٩٨م.

٦. استهلالات مطالع أدعية الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (ع)، م. د. حيدر محمود شاكر، مجلة العميد، مجلد الرابع، العدد ١٣، ٢٠١٥م.

٧. الإيقاع وأنواعه في دعاء عرفة، حسين ميرزائي نيا، ومحمد حسين كاكوئي، مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد الثاني والأربعون، ٢٠١٧م.

٨. التلقي وسلطة القارئ في الأثر المفتوح، نعاس سامية، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد الرابع، ٢٠١٦م.

٩. التناص الديني في شعر محمد القيسي وخليل حاوي، د. تيسير محمد الزيارات، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور باكستان، العدد ٢١، ٢٠١٤.

١٠. التوافق الدلالي في الصورة الفنية، م. م مولود محمد زايد، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد ٣٣، العدد ٢، ٢٠٠٩م.

١١. جمالية التجنيس في الحديث النبوي الشريف، أ .د. شاكر هادي حمود التميمي، و حازم كريم عباس، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، مجلد١٥، عدد٣٤، ٢٠١٢م.

١٢. الدعاء عند السيدة الزهراء، د. خليل خلف بشير، ومصطفى أبراهيم عاجل، مجلة جامعة ذي قار العلمية، المجلد١٠، العدد٢، ٢٠١٥م.

١٣. الدعاء في الصحيفة السجادية ، قراءة نفسية، أ. د. حيدر كريم سكر، و أ .د. فرحان محمد حمزة البيضاني، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العدد١، ٢٠١٧م.
١٤. الروابط الحجاجية في توقيع الإمام أبي محمد الحسن العسكري إلى اسحق بن اسماعيل النيسابوري، عبد الاله عبد الوهاب هادي الهراوي، مجلة دواة، جامعة الكوفة، كلية التربية الأساسية.
١٥. الروابط والاتساق النصي، دراسة نصية لدور الروابط في تحديد تماسك النص العربي نصٌّ صحافيٌّ نموذجاً، د. نوح الأول جنيد، جامعة ولاية لاغوس– لاغوس نيجيريا.
١٦. السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، أ .د. خليل خلف بشير العامري، مجلة المصباح، العدد١٠، ٢٠١٢م.
١٧. السياق الثقافي ودوره في إنتاج المعنى وتوجيه دلاله النص، د. يوسف العايب، مجلة الأثر، العدد٢٧، ٢٠١٦م.
١٨. شعرية الاستهلال عند عبد الله البردوني، د. شعلال رشيد، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير– بسكرة، العدد٨، ٢٠١١م.
١٩. العتبات النصيّة، رواية أوراق معبد الكتبا لهاشم غرابية نموذجاً، نزار قبيلات، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد٤١، العدد٣، ٢٠١٤م.
٢٠. علاقة الإيقاع بنوع التوازي التركيبي من خلال دلالته، دراسة في أدعية الإمام علي (عليه السلام)، أ. م .د. محمد صبار نجم، جامعة الكوفة، كلية الفقه.
٢١. فض الشراكة المفاهيمية بين النص والخطاب، إبراهيم أحمد محمد شويحط، وعبد القادر مرعي خليل، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد٤٣، ملحق٤، ٢٠١٦م.
٢٢. في أسلوبية النص السجادي، المناجيات وأدعية الأيام مثالاً، م. د. إدريس طارق حسين، مجلة العميد، المجلد ٤، العدد ١٣، ١٤٣٦هـ.
٢٣. القارئ في النص، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، المجلد ٥، العدد١–٢، ١٩٨٤م.
٢٤. مفهوم الخطاب، (بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية)، د. مختار الفجاري، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، المدينة المنورة، العدد٣، ١٤٣٥هـ.
٢٥. النص ودلالات الصمت، د. نابي بوعلي، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد٩، ٢٠١٤م.

٢٦. نظرية الاستقبال بين الثابت والمتغير اللساني، د. حمزة فاضل يوسف، مجلة اللغة العربية وآدابها، عدد١، ٢٠٠١م.

المواقع الإلكترونية

١. الجمال في براعة الاستهلال، د. بدر عبد الحميد هميسه،٢٠١١م
www.saaid.net/Doat/hamesabadr/index.htm
٢. لُمَعُ السّرد، (دراسات حول السرد الوامض بالمغرب قراءة في متون)، محمد مختاري، ط١، ٢٠١٨م، شبكة الالوكة www.alukah.net
٣. موقع الشيعة https:// arabik. al-shia.org
٤. موقع ويكيبيديا https:// ar. M. Wikipedia. Org
٥. نظريات الحجاج، د. جميل حمداوي، شبكة الالوكةwww.alukah.net
٦. وظائف اللغة، تعريب عبد المجيد سالي (بحث)، موقع www. Asgp.cerist.dz

Abstract

The heritage of Arabic literature is the original source of knowledge. It provides us with the knowledge of the most important moments and stations in the development of Arab life in its various activities from the pre-Islamic era to the present. We stand at the heritage of Islamic literature, which is rich in terms of authentic Islamic cultural heritage. It portrays the general conditions of the Islamic nation in different ages. Invocation (Doaa) is an important milestone in the literary heritage of Islam. We observe the remarkable abundance of invocation texts, and its uses in the various fields of life and treatment Muslim individual's life, especially in its worshiped side through emotional dialogue with God. Among these are the extensive heritage that we have observed in the study of Al-Ridhawi sheet, which contains the invocations of Imam Al-Ridha and his four sons, each known as Ibn Al-Ridha. They are Imam Muhammad Ibn Ali Al-Jawad, Imam Ali Bin Muhammad Al-Hadi, Imam Al-Hasan Bin Ali Al-Askari and Al-Hajjah Bbn al-Hasan Al-Mahdi (may Allah be pleased with him). This is the blessed sheet of our research, through which we have stood by looking at the heritage of Islamic literature and especially the heritage of our Imams (peace be upon them). The invocations were their means to carry out their reform project in guiding the Islamic nation as well as a means of modification of their wrong manners indirectly. Consequently, The Imams' rhetoric guidelines coped implicitly with various invocations topics of Al-Ridhawi sheet. Hence, the title of this thesis (The Aesthetics of Speech in Al-Ridhawi sheet) is in concord with the high characteristic formulations of the sheet.

The plan of the thesis is based on three chapters, which are proceeded by an introduction (The Invocation is between Alliteration Privacy and Rhetorical Aspect). It surveys the most important intellectual frameworks surrounding the subject of the thesis, which are divided between the alliteration privacy of the invocation and its rhetorical aspect. The first chapter entitled (Strategies of

Speech in Al-Ridhawi sheet. It includes three sections: The first section is the persuasive strategy that can be touched on in the invocations of the sheet. In the second section, we discuss the guiding strategy for these invocations. The third section is to study the influential strategy used by the invocations of the blessed sheet. The second chapter deals with (The Power of Speech in Al-Ridhawi Sheet) through two sections. The first section revolves around the power of the sender in the speech and how it was revealed in the invocations of the sheet. The second section discusses the authority of the recipient as it was manifested in the invocations under study. The third chapter entails (The Context of the Speech in Al-Ridhawi sheet). It is also divided into two sections. The first section tackles the external context called (The General Framework), which is divided between the intellectual context (The Elements of Speech) and the external context (time, place, and situation). The second section sheds light on the internal context called (special construction) which includes both the structure of the beginning and the text. The study ends with a conclusion that sums up the most important findings of the study followed by sources and references.

As for the difficulties faced by the study, it was the question of proving the objectives of the study by dealing with two different directions (descriptive approach and deliberative approach) in the study of the literary text. These two trends are reflected in the aesthetic dimension on which the function of the invocations of the blessed sheet was established. Besides the paucity of resources that have followed this approach. In the integration of these two analytical trends, the study came out with a series of results, the most important of which are:

1- The texts of invocations have been characterized by stylistic, expressive and artistic features. They enabled the Imams (peace be upon them) to direct their various religious, social, political and intellectual speeches to the recipients in their time and elsewhere and to address the feelings and emotions of the recipient through these linguistic, syntactic and rhythmic structures.

٢- The rhetorical attribute of the sheet 's invocations was formed from one fact despite the variety of the senders (Imams, peace be upon them) in their invocations in the blessed sheet, which dealt with issues of common thought among the invocation texts.

Maysan University

College of Education

Department of Arabic

The Aesthetics of Discourse in Al-Ridhawi Sheet

BY

Mayada Abdul Ameer Ismail

A thesis submitted to
To the council of the faculty of Education/ MaysanUniversity
In Partial Fulfilment of the Requirements
for the Degree of Master of Arts in
Arabic Language and Literature

Supervised by

Asst. Prof. Mouloud Muhammad Zayed Al-Baydani
(PH.D.)

2019 A.D1440 A.H